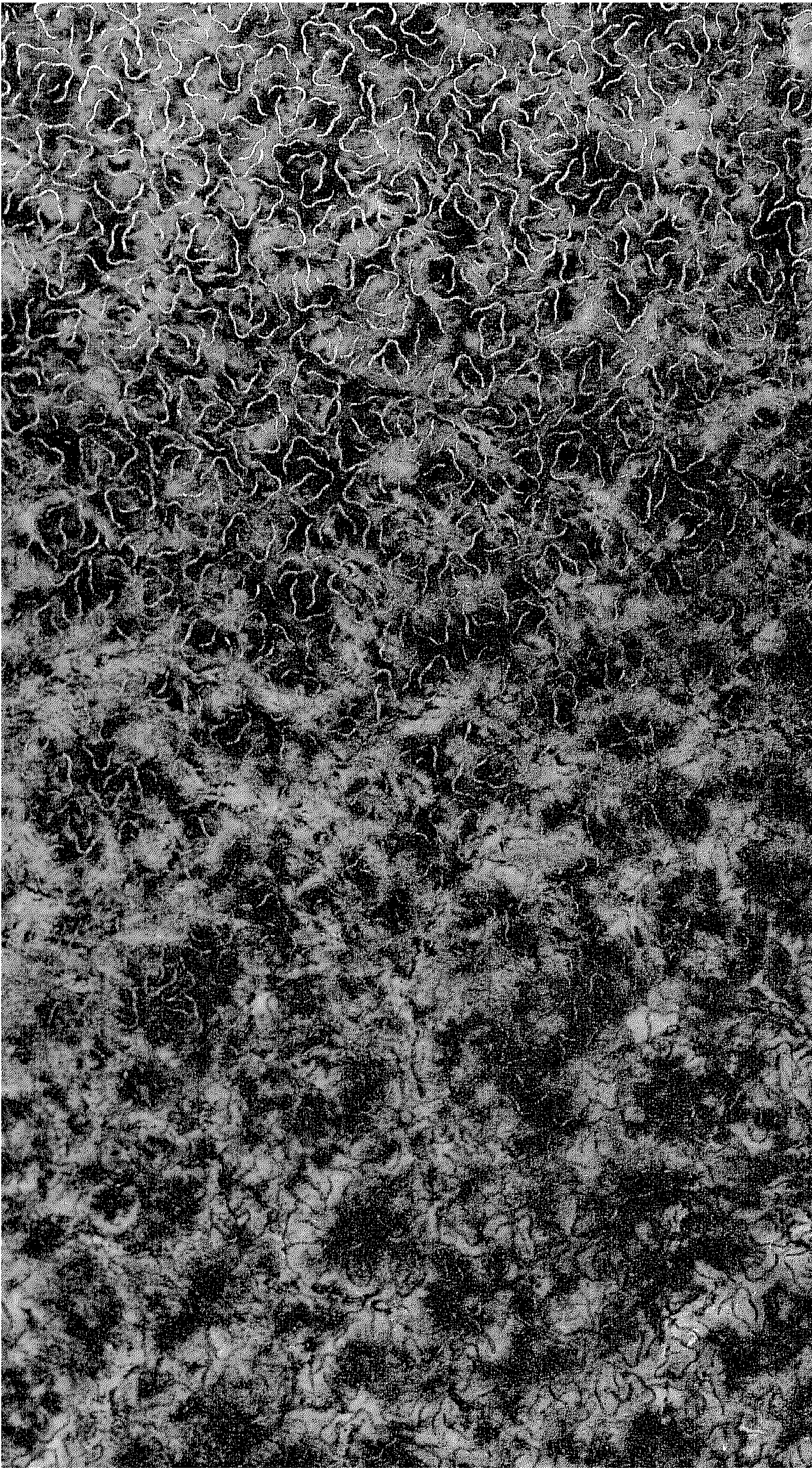
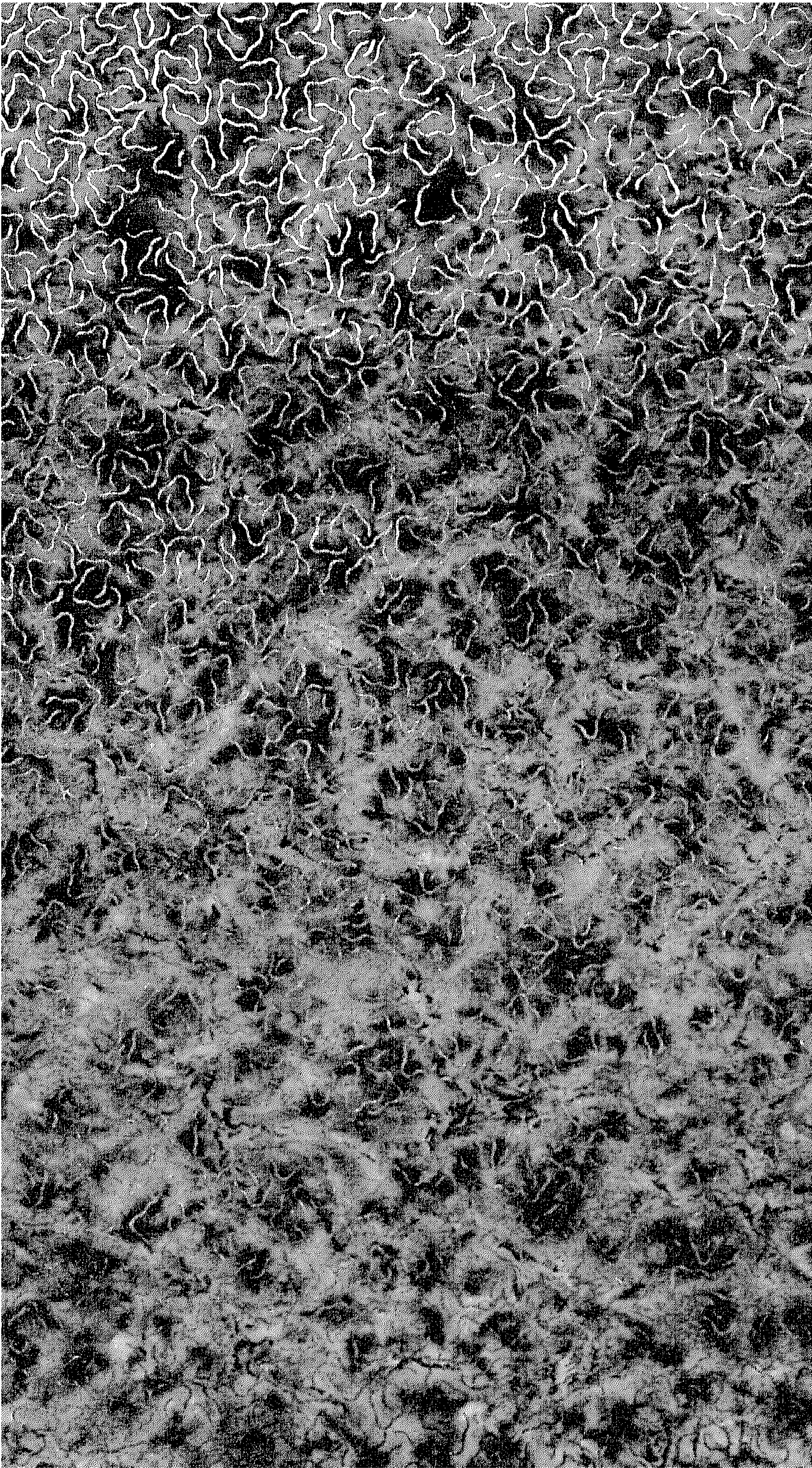






دِيوَانُ المَعَانِي

لِلإِمَامِ اللُّغَوِيِّ الأَدِيبِ أَبِي هِلَالٍ العَسْكَرِيِّ

الجزء الأول

عن نسختى الامامين العظيمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى رحمهما الله ، الأولى فى خزانة الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة وهى مقابلة بقراءة العلامة الشيخ عبد العزيز شاويش رحمه الله ، والثانية فى دار الكتب المصرية العامرة ، مع مقابلة بعضهما بنسخة المتحفة البريطانية بواسطة المستشرق الأستاذ الدكتور كرنكو المتفضل بالنظر فى تصحيحه

عنيت بنشره

مكتبة القدسي

لصاحبها حسام الدين القدسي

القاهرة ــ باب الخلق ــ حارة الجداوى ١

سنة ١٣٥٢

كلمة عن حياة المؤلف

عن معجم الأدباء لياقوت وعيون التواريخ لابن شاكر

وشذرات الذهب لابن العماد، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيي بن مهران اللغوى العسكرى .

قال أبو طاهر السِّلفى : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردى رحمه الله بهمذان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقه[1] معاً ، وقال كان يتبزز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل ـ وذكر فيه فصلاً هو فى سؤالاتى عنه ـ وكان الغالب عليه الأدب والشعر، وله فى اللغة كتاب وسمه بالتلخيص كتاب مفيد، وكتاب الصناعتين صناعتى النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً[2] .

ومن جملة من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الغنائم بن حماد المقرى إ . وأنشدني أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه :

قد تعاطاك شباب وتغشاك مشيبُ
فأتى ماليس يمضى ومضى مالا يؤوبُ
فتأهَّبْ لسقام ليس يشفيه طبيبُ
لاتوهمهُ بعيداً إنما الآتى قريبُ

ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحد بن محمد بن عبد الواحد الحنفى بتستر قال أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكرى أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل اللغوى لنفسه بالعسكر :

---

(١) في نسخة « العفة » مكان « الفقه » . (٢) سيذكر باقى مصنفاته بعد .

إذا كان مالى مالُ من يلقطُ العجمْ وحالى فيكم حالُ من حاكَ أو حجمْ
فأينَ انتفاعى بالاصالةِ والحجا وما ربحتْ كفى على العلم والحكم
ومن ذا الذى في الناسِ(١) يبصرُ حالتى فلا يلعنُ القرطاسَ والحبرَ والقلم

ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الحنفى بتستر قال أنشدنى أبو حكيم اللغوى قال أنشدنا أبو هلال العسكرى لنفسه :

جلوسىَ فى سُوقٍ أبيعُ وأشترى دليـلٌ على أنَّ الأنامَ قـرودُ
ولا خيرَ في قوم تَذلُّ كرامهم ويعظمُ فيهم نذلهم ويسودُ
وتهجوهمُ عنى رَثاثةُ كسوتى (٢) هجـاءً قبيحـاً ماعليـهِ مزيـدُ

ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضي بالسوس قال أنشدنا المظفر بن طاهر بن الجراح الاسترابادى قال أنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل اللغوى العسكرى لنفسه :

ياهلالاً من القصورِ تدلّى صامَ وجهى لمقلتيهِ وصلّى
لستُ أدرى أطالَ ليلىَ أم لا كيفَ يدرى بذاك من يتقلى
لو تفرَّغتُ لاستطالةِ ليلى ولرعى النجوم كنتُ مخلى

هذا آخر ماذكره السلفى من حال أبى هلال .

قال ياقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التى منها * لست أدرى أطال ليلى أم لا * والبيت الذى بعده رأيته في بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم(٣) . هذا عن السلفى . وذكر غيره أن أبا هلال كان ابن أخت أبى أحمد العسكرى. وله من الكتب بعد ماذكره السلفى : كتاب ديوان المعانى وهو من أحسن الكتب(٤)

---

(١) فى عيون التواريخ (في الدهر) . (٢) فى عيون التواريخ (رثاثة ملبسي)

(٣) لعل الغلط من الزاوى لأن أبا هلال نفسه ذكر الأبيات فى الجزء الأول من هذا الكتاب فى الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يثنى ابن شاكر في عيون التواريخ على (ديوان المعاني) فلعله اطلع عليه .

وكتاب جمهرة الأمثال . كتاب معانى الأدب . كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الحماسة . كتاب مفاخرة الدرهم والدينار . كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب العمدة . كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ماتلحن فيه الخاصة . كتاب أعلام المعانى فى معانى الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب الفرق بين المعانى . كتاب نوادر الواحد والجمع . كتاب الفروق .

قال ياقوت : وأما وفاته فلم يبلغنى فيها شىء ، غير أنى وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة ٣٩٥ ، ولبعضهم :

وأحسنِ ماقرأتُ على كتاب ... بخطّ العسكرىّ أبى هلالِ
فلو أنى جُعلتُ أميرَ جيشٍ ... لمـا قاتلتُ إلا بالسؤال
فانَّ الناسَ ينهزمونَ منهُ ... وقد ثبتوا لأطرافِ العوالى

وقال أبو هلال العسكرى في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :

فـتَرَتْ صبوتى وأقصرَ شجوى ... وأتاني السرورُ من كلِّ نحوِ
إنَّ رَوْحَ الشتاءِ خلصَ رُوحى ... من حُرورٍ تشوى الوجوهَ وتكوى
بردَ المـاءُ والهواءُ كأنْ قد ... سرقَ البرد من جوانح خِـلْو
ريحهُ تلمسُ الصدورَ فتشفى ... وغماماتهُ تصوبُ فتروى
لستُ أنسى منهُ دَمائةَ دجن ... ثمَّ من بعده نَضارةَ صحوِ
وجنوباً تبشرُ الأرضَ بالقطـــرِ كما بُشرَ العليـــلُ ببرو
وغيـوماً مطرزاتِ الحواشى ... بوميضٍ من البروقِ وخفـوِ
كلمـا أرخت السماءُ عُراها ... جمعَ القطرُ بينَ سُفلٍ وعلو
وهي تعطيك حينَ هبتْ شمالاً ... بردَ ماءٍ فيها ورقّـةَ جَـوٍّ
وترى الأرضَ فى ملاءةِ ثلج ... مثل ريطٍ لبستهُ فوقَ فرو

فاستعارَ العراءُ (١) منها لباساً ... سوفَ يمنى من الرِّياح بنضو
فكأنَّ الكافورَ موضع ترب ... وكأنَّ الجمانَ موضع قرو
وليالٍ أطلنَ مُدةَ درسى ... مثلما قد مددنَ فى عمرِ لهوى
مرَّ لى بعضها بفقهٍ وبعضٌ ... بينَ شعرٍ أخذتُ فيه ونحو
وحديثٍ كأنهُ عقدُ ريَّا ... بتُّ أرويه للرِّجالِ وتروى
فيحديثِ الرِّجالِ رَوْضَةُ أنسٍ ... باتَ يرعى بأهلِ نبلٍ وسرو (٢)

ومن شعره فى ارتفاع السفل :

لايغرنكُمْ علوٌّ لئيم ... فعلوٌّ لايُستحقُّ سَفالُ
فارتفاعُ الغريقِ فيهِ فضوحٌ ... وارتفاعُ المصلوبِ فيه نكال

---

(١) فى الأصل « العرار » . (٢) أكثر هذه الأبيات غير موجود في ديوان المعانى ، مما يدل على كثرة نظم أبى هلال وسمة ديوانه رحمه الله .

٧١

ما تعديت به طول كل عتبي فتحرمته بابن طهر

وحدثني ابو احمد عن ابيه عن احمد قال حدثني ابو دعامة الشاعر

قال كتب العتابي الى مالك بن طوق يستزيده ويستمده ويدعوه

الى الصلة الرحم والقرابة بينه وبينه وكان مما كتب ان قرابتك من

قرب منك خيره وان ابن عمك من عم نفعه وان عشيرتك من

احسن معاشرتك وان احب الناس اليك اجداهم بالمنفعة

عليك وان اجداهم اليك مودة من اهدى اليك ولذلك اقول

ولقد بلوت الناس ثم سبرتهم ووصلت ما قطعوا من الاسباب

فاذا القرابة لا تقرب قاطعا واذا المودة اقرب الانساب

قال ابو هلال رحمه الله

هذا آخر ما اردنا نضمنه هذا الكتاب وبالله التوفيق

والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(صورة آخر النسخة الشنقيطية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرغبة اليه فيما يزلف لديه ويمهد المنزلة عنده ويوجب الحظوة قبله والصلاة على خير بريته محمد وعترته .

قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت في هذا الكتاب أبلغ ماجاء في كل فن وأبدع ماروى في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عواديها وشذاذها ، وتخيرت من ذلك ماكان جيد النظم محكم الرصف غير مهلهل رخو ولا متجعد فج ، وهذا نوع من الكلام لايزال الأديب يسأل عنه في المجالس الحافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فان سبق إليه بالجواب جل قدره وفخم أمره ، وإن نكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه ، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى[1] قال : كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد[2] لمنادمته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف وسميه اللغوى العلامة ، يروى عنه فى هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف فى أنواع العلوم والتحقيق فى التأليف ، توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السميان على صاحب الأعلام وهما فى الامامة علمان .

(٢) الملقب بالجاحظ الثانى ، كان متوسعاً فى علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطانته فأحضره يوماً وفاوضه ليقف على مقداره في المعرفة فقال له فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقى ملياً يتفكر فقال أبو الفضل : فندعند خاطرك حداجة ، ثم قال هات أيها الشيخ فقلت أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر :

فان أهلكْ فقد أبقيتُ بعدى قوافى تُعجبُ المتمثلينا
لذيذات المقاطع محكمات لوأنّ الشعرَ يُلبَسُ لارتُدينا

وأحسن ما قاله محدَث قول أبى تمام(١) :

ووالله لا أنفكُ أهدى شوارداً إليك يُحملنَ الثناء المنخلا
تخالُ به بُرداً عليك محبراً وتحسبها عقداً عليك مُفصّلا
ألذّ من السلوى وأطيبَ نفحةً من المسك مفتوقاً وأيسرَ محملا
أخفّ على رُوح وأثقلَ قيمةً وأقصرَ في سمع الجليس وأطولا
ويُزهى به قومٌ ولم يمدحوا بها إذا مثل الرّاوى بها أو تمثلا

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياسة جليل القدر ، من بعض أتباعه الصاحب بن عباد ، ولأجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بعبدالحميد وختمت بابن العميد .. وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع اليه قال له كيف وجدتها ؟ فقال بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد ، وكان يقال له الاستاذ . وكان سائساً مدبراً للملك قائماً بحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصده جماعة من مشهورى الشعراء من البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبي ، توفى سنة ٣٦٠ .

(١) هو حبيب بن أوس الطائى الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد ومدح الخلفاء وغيرهم ، قال ابن الاثير : أما أبو تمام فرب معان وصيقل ألباب وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله فى البلاغة ماقالت حزام ، مات سنة ٢٣١ ـ كما فى شذرات الذهب وغيره .

وقوله : إن القوافيَ والمساعيَ لم تَزَل مثلَ النظـام[١] إذا أصابَ فريدا
هي جوهرٌ نثرٌ فان ألَّفته بالشعرِ صارَ قلائداً وعُقودا
في كل معترك وكل مقامةٍ يأخذن منها ذِمَّةً وعهودا
فاذا القصائدُ لم تكن خفراءها لم ترضَ منها مَشهداً مشهودا
من أجل ذلك كانت العُرُب الأُلى يدعون ذلك[٢] سُؤْدَداً محدودا
وتند عندهم العلا الأعلى التي جعلت لها مُرَرُ القريضِ[٣] قيودا

قال وبقي الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فند يعني أن خاطره بطيء ، وفِند هذا مخنث كان بالمدينة مولى لعائشة بنت أبي وقاص[٤] ، وكانت بعثته ليقتبس ناراً فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو فعثر فتبدد الجمر فقال تعست العجلة فقالت فيه :

بعثتـك قابساً فلبثتَ حولا متى يأتي غياثُك من تغيث

وقال الشاعر : ما رأينا لغراب[٥] مَثَلا إذ بعثناه لحمل المشمله[٦]
غير فِند أرسلوه قابساً فثوى حولاً وسب العجله

فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . وحُداجة رجل يضرب به المثل في السرعة فقيل أسرع من حُداجة[٧] .

وممن سبق إلى الجواب عن هذا النوع لحظي النضر بن شميل[٨] اخبرنا أبو

---

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجمان » وهو اللؤلؤ . (٢) في الديوان المطبوع « يدعون هذا » . (٣) في الديوان « مرر القصيد » . (٤) في مجمع الأمثال : بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إسم رجل . (٦) المشملة كساء تجمع فيه المقدحة بالآنهاء وقيل ثوب يشتمل به وقيل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .

(٨) وهو النضر بن شميل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبصرة فرحل الى خراسان فشيعه من البصرة نحو من ثلاثمائة عالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثنى أبى قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهانى عن النضر بن شميل المازنى قال : كنت أدخل على المأمون فى سمره فدخلت عليه ذات ليلة وعلىّ قميص مرقوع فقال يانضر ماهذا القشف [1] فقلت ياأمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأتبرد بهذه الخلقان، قال لاولكنك قشف فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون فى ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سَدَادٌ من عَوَز» فقلت صدق ياأمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبى جميلة عن الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سِداد من عَوَز» قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال يانضر كيف قلت سِدادقلت ياأمير المؤمنين السَّداد ههنا لحن قال ويحك أتلحننى قلت إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فما الفرق بينهما ؟ قلت السَّداد القصد فى الدين والسبيل ، والسِّداد البلغة وكل ماسددت به شيئاً فهو سِداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرجى [2] يقول :

أضاعونى وأىَّ فتًى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِداد ثَغْرِ

قال قبح الله من لاأدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدنى أخلب بيت قالته العرب قلت حمزة بن بِيض [3] يقول في الحكم بن مروان :

---

(١) القشف : رثاثة الهيئة . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب الى العرج منزلة بين مكة والمدينة ، وكان حبسه محمد بن هشام المخزومى أمير مكة لما شبب بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :

وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحرى

(٣) شاعر مجيد من أهل الكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبى صفرة وولده ثم الى بلال بن أبى بردة . توفى سنة ١٢٠ و « بيض» بكسر الباء الموحدة وسكون

يقولونَ لى والعيُونُ هازِعَةٌ ... أقِمْ علينا يوماً فلَمْ أُقِـمِ
أىُّ الوجوهِ انتجعت قلت لها ... وأى وجه إلا الى الحَـكَمَ
متَى يَقُـلْ صاحبا سُرادقه ... هذا ابن بيضٍ بالباب يبتسِم
قد كنتُ أسلمتُ فيك مقتبلا ... فهات اذحـل أو فى سلمى

فقال أحسن ماشاء ، أنشدنى أنصف بيت قالته العرب قلت ابن غزوية المدنى حيث يقول :

إنى وان كان ابن عمى واغراً ... لمَزاحمٌ من خَلْفِـه وورائه
ومُمِـده بَنَصرى وإن كان امراً ... مُـتَزَحزِحاً فى أرضه وسمائه
وأكون والى سره فأصونُه ... حتى يَحِين علىَّ وَقْتُ أدائه
واذا الحوادثُ أجحفت بسوامه[1] ... قُـرِنت صَحيحتُنا الى جربائه
واذا دعا باسمي لـتَركب مركبا ... صعباً قعدتُ له على سيسائه[2]
واذا رأيت له رداءً ناضراً ... لم يُلْفِـنى مُتَمنياً لردائه

فقال أحسن ماشاء، أنشدنى أقنع بيت للعرب قلت الراعى[3] حيث يقول :

أطلُـبُ ما يَطلُـبُ الـكريمُ من الـرزق لنفسى فأُجْمِـلُ الـطَّلبا
وأحلُـبُ الدرة الصفاءَ ولا ... أجهِد أخلافَ غيرِها حَلَبا
إنى رأيتُ الفتَى الـكريمَ إذا ... رَغَّبته فى صنيعة رَغِبا
والـنَّذْلُ لا يَـطْلبُ العَـلاءَ وَلا ... يُعطيك شيئاً إلا إذا رَهِبا
مثـلُ الحمـار الموقع السو لا ... يُحْسِـنُ شيئاً إلا إذا ضُرِبَا
ولم أجِـد عُـرة الخلائق الا الدينَ لمـا اعتبرتُ والحَسَبا

الياء آخر الحروف وآخرها ضاد معجمة ، على مانص عليه في الواقى بالوفيات والتاج،ويضبطه كثيرون بالفتح وهوخطأ . (١) السوام : الابل . (٢) السيساء بالـكسر :منتظم فقار الظهر ، ومن الفرس حاركه ، ومن الحمار ظهره . القاموس .
(٣) هو الشاعر عبيد بن حصين الراعى النميرى ، من معاصرى جرير والفرزدق .

قــد يُرزَقُ الخافِقُ المقيمُ وما شـدَّ بعَيْشٍ رَحْلًا ولا قتبا
ويُحرَمُ الرِّزْقَ ذو المطيةِ والــرحل ومَن لا يَزالُ مُغْتَرِبا

فقال أحسن ماشاء ، ماما لك يا نضر ؟ فقلت أريض لي بمرو أتصابها وأتمذدها قال ألا (١) نفيدك مع ذلك مالا ؟ قلت إني الى ذلك محتاج قال فأخذ القرطاس وكتب ولا أدرى ما كتب ، قال كيف تقول من التراب اذا أمرت أن تترب ؟ قلت أتربه ، قال فهو ماذا ؟ قلت مترب ، قال فمن الطين ؟ قلت طِنه ، قال فهو ماذا ؟ قلت مطين ، قال هذه أحسن من الأولى ثم قال يا غلام اتربه وطنه ، ثم صلى بنا العشاء ثم قال لخادمه تبلغ معه الى الفضل بن سهل . فأتيته فلما قرأ الكتاب قال يانضر إن أمير المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فأخبرته ولم أكذبه فقال لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع الفقهاء ، فأمر لى الفضل بثلاثين ألفاً فأخذت ثمانين ألفا بحرف استفاده منى .

وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال أخبرنا أحمد بن يحيى المهلبي قال حدثنى أبى قال جرى فى مجلس الواثق بالله تعالى ذكر ما قيل فى أصحاب النبيذ فأمرت أن يسأل أبو محلم عن أحسن ماقيل فى ذلك فسئل بعد أن أحضر فقال أحسنه قول حكيم وهو شاعر عصره النمر بن تولب العكلي (٢) :

وفِتية كالسيوفِ أحصرهم لا حَصَرٌ فيهمُ ولا بخل
بِيضٌ مساميحُ في الشتاء وإن أخْلفَ نجمٌ عن وَبْله وبلوا (٣)
لا يتأرَّوْنَ (٤) في المضيق وان نادَى مُنادٍ أنِ انْزِلوا نَزَلوا
لا يعترى شربنا اللجاء وقد تُوهب فينا القيانُ والحلل

فاستحسن الواثق الأبيات ووهب (٥) أبا محلم .

---

(١) فى نسخة « أفلا » . (٢) من شعراء الجاهلية أدرك الاسلام كبيراً ، وكان وجيها جواداً . (٣) الوبل : المطر الشديد . (٤) تأرى بالمكان : احتبس. (٥) فى نسخة « ووصل » .

فحاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقته اليه عتيدة ، وأولى مايصنف ويؤلف ويقرب مأخذه ويسهل ما كانت الحاجة اليه هذه الحاجة فوقعت العناية عليه وانصرفت بالاهتمام اليه حتى تهذب وتثقف وتشذب وتدانت شعبه وتقاربت سبله ولم أبال ماألقى فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذلم يكن الانسان يبلغ مايريد وينال مايريغ (١) إلا بتكلفة لغوب (٢) ومواصلة دؤوب لاسيما إذا كان الغرض الذى ينزع اليه جسيما يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو يصنفه ويدونه أورياسة أرادها فارتادها وسيادة طلب اقتيادها وليس ذلك للمتوانى المتهاون ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهِرَتْ عُيُونُهُمُ وأنْتَ عَنِ الذِى قَاسُوهُ حَالِمْ

وقيل : وإنَّ سِيادَةَ الأقوامِ فاعْلَم لهَا صعداءُ مَطْلَعُها طَويلُ

وقيل : ان السِيادَةَ والرِّياسَةَ والعُلى أعباؤهنَّ كما عَلِمْتَ ثِقَالُ

وقيل : وإن جَسِيماتِ الأُمورِ مَنُوطَةٌ بِمُسْتَوْدَعاتٍ في بُطونِ الأساوِدِ

وقلت : * إن الأمور مريحها فى المتعب * وفى المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » وقيل * مالمن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

ولَم يَتَسهل للفتى دَرَكُ العُلا إذا هو لم يصبر على المتصعب

ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به وفرغ له واستندب التعب فيه حتى بلغ مراده منه وقيل :

طوامِسُ لى من دُونهن عَداوَةٌ ولى من وَراء الطامساتِ حَبيبُ

بعيدٌ على من ليس يطلب حاجة وأما على ذي حاجة فقريبُ

والذى حدانى على جمع هذا النوع أيضا انى لم أجد فيه كتابا مؤلفاً ولا كلاماً مصنفاً يجمع فنونه ويحوى ضروبه ، ورأيت ماتفرق منه في أثناء الكتب وتضاعيف الصحف غير مقنع يشفى الراغب ويكفى الطالب فجمعته ههنا وأضفت إلى كل نوع منه

---

(١) أراغ : أراد وطلب . (٢) أي متعبة أشد تعب كما في القاموس .

مايقاربه من أمثاله وما يجرى معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة ، وجعلته نظماً ونثراً وخبراً وشعراً لأبعث به نشاط الناظر وأجلي به صداء الخاطر لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنفى للملال وأعدى على الكلال من لزوم نهج لايتعداه والاقتصار على أمر لايتوخى سواه .

وجعلته إثنى عشر بابا : الباب الأول : في التهانى والمديح والافتخار .

الباب الثانى : في الخصال .

الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : فى الغزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : فى ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب وما يجرى مع ذلك .

الباب السادس : في ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر ومايجرى مع ذلك .

الباب السابع : فى ذكر السحاب والمطر والثلوج والمياه وصفات البساتين والرياض والأشجار والثمار والرياحين والنسيم ومايجري مع ذلك .

الباب الثامن : فى ذكر السلاح والحرب ومايشبه ذلك .

الباب التاسع : فى ذكر القلم والخط والكتاب وصفة البلاغة ومايجرى مع ذلك .

الباب العاشر : فى ذكر الخيل والابل والسير والفلوات والسراب وصفة سائر الحيوانات .

الباب الحادى عشر : فى ذكر الشباب والمشيب والعلل والموت والمراثى والتعازى والزهد .

الباب الثانى عشر : فى صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طوله وكبر حجمه وبعد غايته فجعلت كل باب منه ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب على قدره في صغره وكبره ولكن ينبغي أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب مقدرته ويحدّث بمـا ينشط لاستماعه ويتسع لوعيه ، وتقريب الحكمة حكمة ثانية ويكسوها المحبـة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب فى جميع ماضمنت هذه الأبواب ؛ وإن وجد فى بعض فصوله خطل أو تعرض فيه زلل أو تخلله خلل فغير بديع ولاقبيح شنيع لأن النقصان منوط بالانسان لايسلم منه خَلقه وخُلقه وقوله وفعله وقد شمل العيب كل شىء حتى صارت في وجنة القمر سفعة ، وقد قلت :

وفى كل شىء حينَ تَخـْـبُر أمرَه   معايبُ حتى البدر أكلَفُ أسفعُ

والشىء إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

فى المديح والتهانى والافتخار وهو الباب الأول من كتاب ديوان المعانى وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول فى المديح ﴾

سمعت أبا أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الذبيانى [1].

ألم تَرَ أنّ اللهَ أعطاكَ سُورةً   تَرى كلَّ مَلْكٍ دُونها يَتَذَبْذَبُ [2]

---

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنبغه فى الشعر ، كان يعرض عليه الشعراء قصائدهم فى سوق عكاظ ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، كان حظى باقبال النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بعد أن شبب بزوجته ، ثم عفا عنه ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .

(٢) السورة : المقام والمكانة ، والملك : الملك ، ويتذبذب : يضطرب .

بأنك شمسٌ والملوك[١] كواكبٌ … إذا طلعت لم يَبْـدُ منهنّ كوكب

ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثني أبو ذكوان قال : أدخلت إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز لخدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم تر أن الله أعطاك سورة ـ البيتين فقلت ما عندى فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على الملوك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى النعمان من مدحه آل جفنة الغسانيين وتركه له ويريد أن له في مدحه لهم عذراً ألا ترى إلى قوله :

ولكنني كنتُ امرأً لىَ جانب … من الأرض فيه مُستَرادٌ ومَذْهَبُ

مُلُوكٌ[٢] وإخوان إذا ما أتيتهم … أحكَّم في أموالهم وأُقَرب

كحكمك فى قوم أراك اصطفيتهم[٣] … فلم تَرَهم فى شُكر ذلك أذنبوا

يقول لا تلمنى على شكرى وقد أحسنوا إلىّ إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما أحسنت إلى قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أنى أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب فقال :

ولستَ بمُسْتَبقٍ أخاً لا تلمُّهُ … على شَعَثٍ أىُّ الرجالِ المهذب

فان أكُ مظلوما فعبد ظلمته … وإن يك ذا عُتبي فمثلك يُعتب

يقول مثلك يعفو ويحسن وإن كان عاتباً وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك العتبي والرجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :

ألم تَرَ أن الله أعطاك سُورة … ترى كل مَلك دونها يتذبذب

بأنك شمسٌ والملوك كواكب … إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهن كوكب

يقول ما صلحت لى أنت فانى لا أريد غيرك من الملوك كما أن من طلعت عليه

---

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملوك» الموجودة في ديوان النابغة المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك . (٢) وهم ملوك غسان . (٣) الذى فى ديوان النابغة المطبوع « كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم » .

الشمس لم يحتج الى النجوم . قال أبو ذكوان وما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال لو أراد كاتب بليغ أن ينثر من هذه المعانى ما نظمه النابغة ما جاء به فى أضعاف كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس . وقد سبق بعض شعراء كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تكادُ تَمِيدُ الأرضُ بالناس ان رأوا ... لِعَمْرو بن هِندٍ غَضْبَةً وهو عاتبُ
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت ... على كل ضوءٍ والملوك كواكب

وقالت صفية الباهلية :

أخْنَى على مالك ريبُ الزمان ولا ... يُبقي الزمانُ على شيء ولا يَذَرُ
كنا كأنجُمِ ليل بَيْننا قَمَرٌ ... يجلو الدُّجَى فهوَى من بيننا القمر

ومن ههنا أخذ أبو تمام :

كأن بنى نبهانَ يومَ وفاته ... نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينها البدر

وقال نصيب في معنى النابغة :

هو البدرُ والناسُ الكواكبُ حَوْلَهُ ... وهل يشبه البدرَ المضيءَ الكواكبُ

ومثل قول النابغة * احكم في أموالهم وأقرب * قول الاشجع (١) :

لا تَعْذلونى فى مديحى معشراً ... خَطَبوا المديح الىَّ بالأموال
يتزحزحونَ اذا رأونى مُقْبلا ... عن كل مُتَّكإٍ من الاجلال

وسمعت أبا أحمد يقول : أبرع بيت قيل فى المديح قول النابغة :

فانكَ كالليل الذى هو مُدْركي ... وان خِلْتُ أن المنتأى عنك واسع

ثم قال أخبرنى محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندى أخبرنا قعنب بن محرز قال سمعت الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوقة ولو ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فانك كالليل الذى هو مدركي *

---

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من فحول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرب من الرشيد ، ومات بعده .

ماقاله فما لا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نفطويه يذكر عن الفراء قال قال الكسائى حضرت مجلساً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب [1] عند العباس بن محمد فى مفاتقة اللغات ومجاريها ونوادر الاعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها فكان الخليل كالسابق قرن به ذو الزوائد الحطم فى حلبة المضمار الى أن تذاكروا[2] الاشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة ؟ قال كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافى شعر كأن الشعر ثمرات تدانين من خلده فهو يجتنيهن اختياراً ، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعر عليه الكلام لعذوبة مخرجه وسهولة مطلبه . أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحار أن النابغة وفد على النعمان معتذراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذى يقول فيه :

* فانك كالليل الذى هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عذرك وأصفح لقدرك عنك ثم أمر نخلع عليه خلع الرضا وكنَّ حبرات خضر مطرفة بالدر فى قضب الذهب وانصرف الى منزله . قال الباهلى وإن النابغة جاء يوما مستأذناً معتذراً فقال له الحاجب الملك على شرابه فقال فهو وقت الملق والشعر تقبله الأفئدة عند السكر فان يبلج لى فلق المجد عن غرر مواهبه فانت قسيم ماأفدت . فقال الحاجب والله ماتفى عنايتى بك بدون شكرك لى فكيف أرغب فيما تصف ودون ماترغب رهبة التعدى فهل من سبب يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك فى الأدب وقضاؤها معقود

(١) هو الأديب النحوى ، أخذ الأدب عن أبى عمرو بن العلاء وغيره ، وهو فى الطبقة الخامسة فى الأدب بعد على كرم الله وجهه ، اختلف اليه أبو عبيد أربعين سنة وخلف الأحمر عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفى سنة ١٨٢

(٢) فى الأصل « تذاكر »

بشكرك فمن عنده ؟ قال خالد بن جعفر الكلابى فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خاليا ان زياداً يقول ان قدرك فوق الغمام ووفاءك وفاء الكرام ـ وقال الفراء تقول له خاليا إن زياداً يقول ان من قدرك نيل الدرك بك ـ وزكاة الجاه رفد المستعين وناحيتى من الشكر ماعلمت وحاجتى ملاطة الأسباب حتى يحرك ذكراً يمكن بمثله الاستئذان ـ وقال الفراء يجرى ذكراً ـ فلما صار خالد إلى بعض مايبعث موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك أبا البسام حادث النعم قال خالد هنأك عيشك كل ما نحن فيه تجديد للتفضيل وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فماذاك فأخبره بما قال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقا يتأتى الأمور [(١)] والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتياد فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا لمثلكَ أو مَن أنتَ سابقهُ سبقَ الجوادِ إذا استولىَ على الأمَد

ثم قال واللات والعزى لكأنى أنظر إلى أملاك ذى رعين [(٢)] وذى فايش [(٣)] وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالى الاحساب ومناكب الانساب في حلية أنت ـ أبيت اللعن ـ غرتها فجئت سابقاً متمهلا وجاؤا لم يتم لهم سعى ، وجاء زياد فقال النعمان والله لأنت فى وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فينافى نظم قوافيه ، فقال خالد أيها الملك واللات ماأبلغ فيك حسناً إلاغمره قدرك استحقاقاً للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضراً لقال وقلنا ، فقال النعمان النابغة ياغلام فخرج الحاجب فقال النابغة ماوراءك قال رفع الحجاب وأذن فى السيادة والافضال فدخل فانتصب بين يدى النعمان وحياه بتحية الملك ثم قال أيفاخرك ـ أبيت اللعن ـ ابن جفنة وأنت سائس العرب وغرة الحسب واللات لأمسك أبهى من يومه ولقذالك

(١) فى نسخة « يتأتى للأمور » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أذواء اليمن كما في المرصع لابن الأثير . (٣) ذو فائش . أحد أذواء اليمن ، اسمه يزيد ، من بنى يحصب ، وهو أبو سلامة الذي مدحه الأعشي ، على مافى المرصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه وليسارك أسمح من يمينه ولعبدك أكثر من قومه ولنفسك أكبر من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفده ولهزلك أصوب من جده ولفترك أبسط من شبره ولأمك خير من أبيه ، ثم أنشأ :

أخلاقُ مَجدكَ جَلتْ مالها حصر ... في البأس والجودِ بَينَ البدْوِ والحَضر
مُتَوَّجٌ بالمعالى فوقَ مَفْرَقِهِ ... وفي الوغى ضَيغمٌ فى صُورَةِ القَمر

قال فتهلل وجه النعمان بالسرور وأمر فحشي فمه دراً ، وقال لمثل هذا ترتاح القلوب وبمثله تمدح الملوك ، ثم قال الخليل أفيحسن زهير أن يقول مثل هذا ؟ فقال يونس للعباس انى لأعجب مما حدث عن قصة النابغة وشعره قوله :

* وفى الوغى ضيغم فى صورة القمر *

أجود شيء قيل فى الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين ومن شعر المحدثين قول أبى العتاهية (١) يمدح الرشيد وولده :

بَنُو المصطفى هارون بين سريره ... فخير قيامٍ حَوْله وقُعُود
يُقلِّبُ ألحاظَ المهَابة بَينْهم ... عُيونُ ظِباءٍ فى قلوب أسُودِ

وأخذه مسلم بن الوليد فقال * كأن فى سرجه بدراً وضرغاما *

وقلت : فتى على نفسه من نفسه رَصدٌ ... يَصدُّه ان نطق الشين والذاما (٢)
مازالَ يَغْنَمُ مالًا ثم يغرمُه ... مازال للمال غَنَاماً وغَرّاما
أغر أربع يحكى الغيثَ مكرُمَة ... والنجمَ مَنزلة والطودَ أحلاما
تجله (٣) حين يبدو ان تقول له ... كأن في سَرْجه بدراً وضرغاما

وقد تداول الناس معنى قوله * كأنك كالليل الذى هو مدركى *

(١) غلب عليه هذا اللقب لعتوه ، وهو من مقدمى المولدين من طبقة بشار وأبي نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويبرع فيه ، يقال أطبع الناس بالشعر بشار والسيد الحميرى وأبو العتاهية ، توفي سنة ٢١١ .

(٢) الذام : العيب . (٣) فى الأصل « يحله » .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيء أدركته مقادره

وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يمتنع منه بأشياء ، والليل لايمتنع منه بشيء . وأخذ الأخطل (١) قول الفرزدق (٢) فقال :

فأنتَ كالدهر مَبثوثاً حَبائله والدهرُ لاملجأ منه ولا هَرَب

ولو ملكتُ عِنانَ الريح أصرِفُه في كل ناحية مافاتكَ الطلب

وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :

وإنّ أميرَ المؤمنينَ وفِعلَه لكالدهر لاعاد بما فَعل الدهر

وهو أيضا مأخوذ من قول النابغة ؛ وأخذه أبو تمام فقال :

خشعوا لصولتك التي هي عندهم كالموت يأتي ليس فيه عاد

فالقول همسٌ والنداء إشارة خوفَ انتقامك والحديثُ سراد

وأخذه علي بن جبلة (٣) فقال :

ومالامرئ حاولته منك مَهرَبٌ ولو رَفَعتهُ في السماء المطالعُ

بلى هارب لايهتدى لمكانه ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصبح لامِع

وقال البحتري (٤) :

---

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح الملوك الامويين ، كان لايظهر من شعره إلاالمتخير . مات سنة ٩٠ .

(٢) يقول ابن خلكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الاسلام مثل ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجاة وتفاخر ، يقال لولاشعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لاينشد عندالخلفاء إلاقاعداً توفي في البصرة سنة ١١٠ .

(٣) هو العكوك الآتي .

(٤) هو الوليد بن عبيدالطائي البحتري ـ نسبة الى جداسمه بحتر ـ قال المبرد : أنشدنا شاعر دهره ونسيج وحده البحتري ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولوانهم ركبوا الكواكب لم يكن لمجدهم من خوف بأسك مهرب

وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوب حتى كأنما يواكب ضوء الصبح في كل مطلب

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول أبي الطمحان (١) :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتائبه

ومثله قول الحطيئة (٢) :

نمشى على قول أحساب أضأت لنا كما أضاءت نجوم الليل للسارى

ومثله قول الآخر :

وجوه لو ان المدلجين اعتشوا (٣) بها صدع الدجى حتى يرى الليل ينجلى

وقال بعض الاعراب في رجل : مادفعته في سواد إلا محاه ولا قابلت به ملأ إلا كفاه . ومثل قوله * صدع عن الدجى * قول بعض المحدثين :

ومصباحنا قمر زاهر كقوس لجين يشق الدجى
وقلت : وانشق ثوب الظلام عن قمر يضحك في أوجه الدجنات

أنت أشعر من أنشدني وكتب له بذلك فعظم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعيت إلى نفسى فقال أعيذك بالله فقال ان عمرى ليس بطويل وقد نشأ لطيء مثلك ، فمات بعدها بسنة. وكانت وفاة البحترى سنة ٢٨٤ (١) هو حنظلة بن الشرقى القينى من الشعراء الجاهليين ، أدرك الاسلام ، ومات قبيل الهجرة.

(٢) هو جرول بن أوس العبسى من الشعراء المخضرمين ، اشتهر بالهجو حتى هجا والديه ونفسه . ولعل في البيت تحريفاً ففى رواية الأغانى :

نمشى على ضوء إحسان أضاء لنا ماضوأت ليلة القمراء للسارى

(٣) الدلج : السير من أول الليل . واعتشوا : استضاؤا .

كأنما النجم حين قابله قبيعة [١] في نصاب مرآة

وقلت: بليلٍ كاترْفُو الغزالةُ أسودٍ على أنه مِنْ نُورٍ وَجْهكَ أبيضُ

كواكبه زهر وصفر كأنها قبائع منها مُذهَبٌ ومُفَضضُ

وقلت: وذى غَنجٍ يأوى إلى فرعه الدُّجى ولكنها عن وَجْهِهِ تتفرج

ففيه ظَلامٌ بالصباح مُقنعٌ وفيه ظَلامٌ بالصباح مُتوَّجُ

وقول أبي الطمحان مولى ابن أبي السمط:

فتى لا يُبالى المدْلجونَ بنوره إلى مابه أَلاَّ تضىء الكواكبُ

له حاجبٌ عن كل أمر يَشينهُ وليس له عن طالب العرف حاجِبُ

وقول الآخر:

من البيضِ الوُجوه بنى سنانٍ لَو انكَ تستضىءُ بهم أضاؤا

وقول الآخر:

غلامٌ رماه الله بالحسن يافعا له سيماء لا تشق على البصر

كأن الثريا عُلقت في جبينه وفى أنفه الشعرى وفى وجهه القمر

ولما رأى المجد استعيرت ثيابه تردَّى بثوبٍ واسع الذَّيل واتزر

إذا قِيلتِ العوْراءُ غض كأنه ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاء لانتصر

وقول الآخر [٢]:

إخترْ فناءَ بنى عَمْرو فانهمُ أُولو فضولٍ وأقدار وأخطار

إن يسألوا الخير يُعطوهُ وإن جهدوا فالجهد يخرج منهم طيبَ أخبار

وإن تودَّدتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير اسرار

هيْنون ليْنون أيسارٌ ذوو يُسرٍ أربابُ مَكرُمة أبناء إيسار

من تلقَ منهم تقلْ لاقيتُ سيدَهم مثلَ النجوم التى يُهدَى بها السارى

---

(١) قبيعة السيف كسفينة: ما على طرف مقبضه من فضة أو حديد.

(٢) تروى هذه الأبيات عن الجاحظ كما سيأتى.

وهذا عندى أمدح شيء قيل في وصف جماعة .

وأنشدنا أبو أحمد لعيسى بن أوس فى الجنيد بن عبد الرحمن [١] :

الى مُستنيرِ الوجهِ طالَ بسؤدد   تقاصرَ عنه الشاهِقُ المتطاوِلُ
مَدَحْتكَ بالحق الذى أنتَ أهله   ومن مِدَحِ الأقوامِ حقٌ وباطل
يعيشُ النَّدى مادمتَ حيَّاًفان تمت   فليس لحيٍّ بعد موتك طائل
وما لامرىء عندى مُخيلَة نعمة   سِواكَ وقد جادَت علىَّ مخايل

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فـتًى لويناديِ الشمسَ ألقت قِناعَها   أو القمرَ السارى لألقى المقالِدا

وهذا وقول أبى الطمحان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو كان مذموماً لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ماقالت العرب وهما من الغلو على ماهما عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل [٢] :

أنتَ ابنُ مُسلنْطح البطاحِ ولم   يضرب عليك الحنىّ والولج
لو قلت للسيل دع طريقك   والموج عليه كالهضب يعتلج
لارتدَّ أوساخَ أو لكانَ له   في جانبِ الأرضِ عنك مُنعرَج

وهذا من أعلى الغلو لان السيل لاترد وجهته هيبة ولا مخافة ، والعرب تقول أجرأ من السيل فيهمز ولا يهمز والهمز من الجراءةوترك الهمز من الجرى ، ويقال فى المثل لاأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما جئت به لمكان غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذى قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبى تمام في المعتصم :

بِيُمنِ أبى اسحقَ طالتْ يدُ العلاَ   وقَامتْ قَناةُ الدِّينِ واشتدَّ كاهِلُه

---

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المرى الأمير ولى خراسان وغيرها وكان أجود الأجواد ، توفى سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقفى الشاعر ، لزم الوليد بن يزيد الأموى وبالغ فى مدحه .

هوَ البحرُ مِن أيِّ النواحِي أتَيته فَلُجته المعروفُ والجودُ ساحِله
تعوَّدَ بَسطَ الكفِّ حتى لوانه أرادَ انقباضاً لم تطعهُ أنامِله
ولو لم يكنْ في كفهِ غيرُ نفسه لجادَ بهـا فليتق اللهَ سائِله

وقلت فى قريب منه :

وكيفَ يبيتُ الجارُ منك على صدى وكفكَ بحرٌ لجةُ البحرِ ساحله

أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر ـ يعنى ابن دريد ـ يحكى عن أبى حاتم قال قال الأصمعى سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضر لتخطئون المعنى ان أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول كأنها الشمس ، لم لا تجعلون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون لك اماما ثم أنشدنى :

إذا سألتَ الورَى عن كل مَكرمةٍ لم تلفِ نِسبتَها إلا الى الهَولْ
فتًى جَواداً أعادَ النيل نائله فالنّيلُ يشكرُ منه كثرةَ النيل

وليس هذا الشعر مختاراً عندى :

والموتُ يَرهبُ أن يَلقَى مَنيتهُ فى شِدَّةٍ عند لفِّ الخيل بالخيلِ
لو عارض الشمسَ ألقى الشمسَ مُظلمةً أو زاحم الغيمَ ألجاها الى الميـل
أو بارز الليلَ غطّته قوادِمُه دونَ القَوافى كمثل الليلِ بالليلِ
أمضَى من النّجمِ ان نابتهُ نائبةٌ وعندَ أعدائِه أجرى من السيل

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

عَلَّمَ الغيثَ الندَى حتى إذا ما حَكاه عَلمَ البأسَ الأسَدْ
فلهُ الغيثُ مُقرٌّ بالندى وله الليث مُقرٌّ بالجلد

وقد أنكر عبد الملك ما أنكره الأعرابى من تشبيه الممدوح بالأسد والصخر والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد ـ أحد بنى أنف الناقة ـ عن ابن عائشة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهوننا بالأسد والأسد أبخر وبالبحر والبحر أجاج وبالجبل والجبل أوعر ألا قلتم كما قال أيمن بن خزيم في فاتك في بني هاشم :

نَهارُكُمُ مكابدةٌ وصومٌ   وليلكُمُ صلاةٌ واقتراءُ
أأجعلكم وأقواماً سواءً   وبينكُمُ وبينهمُ الهواء
وهم أرض لأرجلكم وأنتم   لأعينهم وأرؤسهم سماء

وهذا من قول أمية بن أبي الصلت [1] وهو أول من أتى به قوله في عبد الله ابن جدعان [2] :

أأذكرُ حاجتِي أمْ قد كفاني   حياؤكَ ان شيمتَكَ الحياءُ
كريم لا يُغيره صباحٌ   عن الخُلُقِ الكريم ولا المساءُ
وأرضك أرضُ مَكرمةٍ بنتها   بَنو تَيْم وأنتَ لهم سَماء

ونحوه قوله :

لِكلِّ قَبيلةٍ شرفٌ وعزٌّ   وأنتَ الرأسُ يَقدُمُ كلَّ هادى

وتصرَّف فيه المحدثون فقال ابن الرومي [3] :

قومٌ يَحُلونَ من مَجدٍ ومن شَرفٍ   ومن غَناء مَحلَّ البيضِ واليلبِ [4]
حَلوا مَحلَّيهما من كل جُمجمةٍ   نفعاً ورفعاً وإطلالاً على الرتب

---

(١) شاعر جاهلي ، ورد أن النبي ﷺ قال « كاد أن يُسلم في شِعره » عاش الى أن أدرك وقعة بدر ورثى من مات بها من الكفار .

(٢) هو التيمى القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ، يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، وقع فيها صبي فغرق .

(٣) واسمه على بن العباس صاحب النظم العجيب ، كان شعره غير مرتب فرتبه أبو بكر الصولى على الحروف ، والمطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان سبب موته أن الوزير أبا الحسن بن عبيد الله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه فدس عليه مأكلا مسموماً في مجلسه وذلك سنة ٢٨٣

(٤) أى السيوف والدروع .

قوم همُ الرأس إذ حسادهم ذنب ومن يُمثِّلُ بينَ الرأس والذَّنَب

ومنه قول الحطيئة :

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ ومنْ يُسوِّي بأنفِ الناقةِ الذَّنبا

وقال غيره : الناسُ أرضٌ بكل أرض وأنتَ من فَوقهم سَماء

وقلت : أبشر فانك رأسٌ والعُلا جسدٌ والمجدُ وجهٌ وأنتَ السمعُ والبصرُ

لولاكَ لم يَكُ للأيامِ مَنقَبةٌ تَسمو اليها ولا للدَّهر مُفتخرُ

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر باسناد ذكره عن الهيثم بن عدى قال دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال ياأمير المؤمنين قد امتدحتك فاستمع منى فقال ان كنت شبهتني بالصقر والأسد فلا حاجة لى بمدحك وان كنت قلت كما قالت أخت بنى الشريد لأخيها صخر فهات فقال الأخطل وما قالت ياأمير المؤمنين قال هى التى تقول :

فما بَلغتْ كفُّ امرىءٍ متناول بِها المجدَ إلا حَيثُ مانلتَ أطولُ

ولا بَلغَ المهدونَ في القولِ مِدحةً ولو أطنبوا إلا الذى فِيكَ أفضلُ

فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون قولها قال هات فأنشد :

إذا مُتَّ ماتَ العرفُ وانقطعَ النَّدَى من الناسِ إلا في قَليلٍ مُصرَّد(١)

ورُدَّتْ أكفُّ السائلينَ وأمسكوا من الدينِ والدنيا بخلف مُجدد

وليس بحسن عندى أن يقال للممدوح إذا مت فان استماع ذلك مكروه وإن كانت الشعراء قد استعملته فى كثير من مقاماتها أنشدنا أبو أحمد عن ابن دريد :

إذا مُتَّ لم توَصلْ بِعرْفٍ قَرابةٌ ولم يَبقَ فى الدنيا رَجاءٌ لِنائل

وهو من قول النابغة :

فان يَهلكْ أبو قابوسَ يَهلكْ رَبيعُ الناس والشهرُ الحرامُ

---

(١) التصريد : التقليل .

وتُمسك بعدهُ بذناب عيشٍ أجبّ الظهرِ ليس له سنامُ

وهذا أجود من الأول لأنه لم يخاطب به الممدوح ولو قيل لولا فلان لكان كذا وكذا لكان كما قال علىّ بن جبلة (١) :

لولا أبو دلف لم تحي عارفةٌ ولم ينؤنؤ مأمول بآمال
ياابن الأكارم من عدنانَ قد علموا وتالدُ المجد بين العم والخال
وناقلُ الناس من عُدْم إلى جِدةٍ وصارفُ الدهرِ من حالٍ إلى حال
أنتَ الذى تُنزِلُ الأيامَ منزلَها وتُمسك الأرضَ عن خسفٍ وزِلزال
وما مددتَ مدَى طرفٍ إلى أحد إلا قضيتَ بآجالٍ وآمال (٢)
تزور سخطاً فتمسي البيضُ راضيةً وتستهلُّ فتبكى أوجهُ المال

وأخبرنا أبو أحمد فى كتاب الورقة عن ابن داود قال قال أبو هفان اجتمع الشعراء بباب المعتصم فقعد لهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى في الرشيد :

خليفةُ الله إنَّ الجودَ أوْديةٌ أحلكَ الله منها حيثُ تجتمعُ (٣)
إن أخلفَ القَطرُ لم تُخلفْ مخايله أو ضاقَ أمرٌ ذكرناه فيتّسع

فقال ابن وهب فينا من يقول مثله :

ثلاثةٌ تشرقُ الدُّنيا ببهجتها شمسُ الضحى وأبو إسحقَ والقمر
تحكِي أفاعيلهُ في كلِّ نائبةٍ الغيث والليث والصَّمصامَة الذكر

قال فأجازه وفضل ابن وهب . ولبعض الشعراء في المهلب :

أمسَى العراقُ سليباً لاأنيسَ لهُ إلا المهلَّبُ بعدَ الله والمطرُ

---

(١) هو العكوك أحد المبرزين فى الشعر ، عامة شعره في مدح أبى دلف العجلى ، كان أعمى ، قيل ان المأمون قتله لمبالغته فى مدح أبي دلف سنة ٢١٣ .

(٢) فى شذرات الذهب « إلاقضيت بأرزاق وآجال » .

(٣) سيأتى هذا البيت بصدر « ان المكارم والمعروف أودية » .

هذا يَجودُ ويَحيى عن ذِمارِهِم ... وذا تعيشُ به الأنعامُ والشجرُ

ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :

لم تزلْ للورَى ثلاثُ شموسٍ ... وَجهُكَ المستضيءُ والقَمرَانِ

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول زهير (١) :

تَراهُ إذا ماجِئتَهُ مُتهلِّلا ... كأنك تُعطِيهِ الذي أنتَ سائِلُهْ

وعاب بعضهم هذا البيت فقال جعل الممدوح فرحا بعرَض يناله وليس هذا شأن الكبير الهمة ، والجيد قول أبي نوْفل عمرو بن محمد الثقفي :

ولَئنْ فرِحتَ بمَا يُنيلُكَ إنه ... لبِما يُنيلُكَ من نَداهُ أفرَحُ

مازَالَ يُعطِي ناطِقاً أوساكِتاً ... حتى ظننتُ أبا عقيل يَمزَحُ

فجعله يفرح بما ينيل . ومثله قول أبي تمام :

أسائِلَ نَصرٍ لا تَسلهُ فانهُ ... أحنُّ إلى الارفادِ منكَ إلى الرِّفدِ

وقال بعض الأعراب : مازال فلان يعطيني حتى حسبت أنه يودعني ، ونحو ذلك أن الحجاج قال لاياس بن معاوية أي الناس أحب اليك ؟ قال من أعطاني قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمح الطائي في خلاف ماقال زهير :

فتًى لايرى سوقَ المهورِ غرابةً ... ولا غالياتِ المالِ حَلياً على نحْرِ

فتى كان مِكراماً لِنفسٍ كريمةٍ ... مُهيناً لدنيا غيرِ مأمونةِ الغدْرِ

وعندي أن بيت زهير أجود ماقيل من الشعر القديم ، وممن أبدع في ذلك البحتري في قوله :

سلامٌ وإن كانَ السلامُ تحيةً ... فَوجْهكَ دُونَ الرَّدِّ يَكفِي المُسلما

ومن الجيد في ذلك قول ابن الرومي :

---

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة زهير بن أبي سُلمى المضري ، قال ابن الأعرابي : كان لزهير في الشعر مالم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً وأخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة .

كأنّمـا القطرُ مِنْ ندى يَدِهِ ... والبرْقُ مِنْ بِشرِهِ ومِنْ ضَحِكِهْ

وقول أبى الأسـد :

وَلائمة لامتك يا فَيضُ في النّدَى ... فقلتُ لها لن يَقدَحَ اللومُ فى البحر

أرادتْ لتثنى القبضَ عن عادة النّدَى ... وَمن ذا الذى يثنى السحابَ عن القطر

إذا ما أتاه السائلونَ توقّدَتْ ... عَليـه مَصابيـحُ الطلاقة والبشرِ

لهُ فى بنى الحاجاتِ أيدٍ كأنّها ... مواقِـعُ ماءِ المزْنِ فى البلدِ القفـرِ

وقريب منه قول أبى تمّـام :

عَهدِى بِهِمْ تَستنيرُ الأرضُ إن نزلوا ... فيها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا

ويَضحكُ الدهرُ منهم عن غَطارفةٍ ... كأنّ أيامهمْ من أنسها جُمَعُ

وقلت : إذا عبس الزمان فمل اليه ... تجده البشر فى وجه الزمان

وقلت : كأنك في خدّ الزمان تورد ... وفي فمه ضحك وفي وجهه بشر

فمَنْ يكُ ممدوحاً بنظم يَصوغه ... فانك ممدوحٌ بك النظمُ والنثرُ

وقال البحترى :

وتَواضُعٍ لولا التكرُّمُ عاقهُ ... عنـه علوٌّ لم يَنَـلهُ الفرقدُ

وفُتوة جمع التقى أطرافَها ... وندى أحاط بجانبيه السؤددُ (١)

وشبيبة فيها النهى فاذا بدتْ ... لذوى التوسم فهى (٢) شيبٌ أسود

طلقُ اليدين إذا تفرقَ ماله (٣) ... جمع العـلا فيما يفيـد وينفد

جذلانُ (٤) يطربُ للسؤالِ كأنما ... غناه مالكُ طيءٍ أو معبـد

وقال ابن الرومى :

---

(١) كذلك فى الديوان المطبوع ، وفي الأصل «ويدى أحاطهما بماء السؤدد» . وهو تحريف . (٢) فى الاصل « التبسم فهو» . (٣) كذا فى النسخ ، والذى فى الديوان المطبوع « خضل اليدين إذا تفرق فى الندى » . (٤) فى الديوان المطبوع « نشوان » مكان « جذلان » .

أغرّ أبلج يكسو نفسه حللًا ... من المحامد لا تبلى على الحقبِ
تلقاه من نهضه للمجد في صعد ... ومن تواضعه للحق فى صببِ
كأنه وهو مسئولٌ وممتدحٌ ... غناه إسحقُ والأوتار فى صخبِ
يهتزُّ عطفاه عند الحمد يسمعهُ ... من هزة المجد لا من هزة الطرب

وهذا المصراع من قول أبي تمام:

موكل (١) بيفاع الأرض يشرفه ... من خفة الخوفِ لا من خفةِ الطربِ

وقلت: وقد يؤنسُ الزوارَ منك إذا التقوا ... سخاء عليه للطلاقة شاهدُ

وقلت زهير قول بعضهم فقال:

تراه إذا ماجئته متعتبــا ... كانك بالمنقاش تَنتِفُ شاربه

وقد أحسن حمطة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه:

قومٌ أحاول نيلهم فكأنني ... حاولتُ نتفَ الشعر من آنافهم
قُمْ فاسقنيها بالكبير وغنّني ... ذَهبَ الذين يُعاشُ فى أكنافهم

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول جرير (٢):

ألستم خيرَ مَن رَكبَ المطايا ... وأندَى العالمينَ بُطونَ راح

وليس هذا الاستفهام للشك وفى القرآن الشريف (أليسَ اللهُ بعزيزٍ ذِي انْتقَام) (أليْسَ اللهُ بِأحْكَمِ الحَاكِمين) (أليسَ اللهُ بِكَافٍ عَبدَه) وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن بيوت الشعر أربعة المديح والهجاء والافتخار والغزل وفى كلها سبق جرير: قال في المديح:

ألستم خيرَ من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

---

(١) فى الديوان المطبوع «موكلا». (٢) هو جرير بن عطية الخطفي، قال ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس فى شعراء الاسلام مثله ومثل الفرزدق والأخطل، وكان عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غير جرير، ولما مات الفرزدق بكى جرير وقال انى لأعلم أنى قليل البقاء بعده، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة.

وقال في الهجاء :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

وقال في الافتخار :

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنو تَميم حَسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

وقال في الغزل :

إنَّ العيونَ التي في طَرْفها حَوَرٌ قتلْننا ثمَّ لم يُحيينَ قتلانا

يَصرعْنَ ذا اللبِّ حتى لا حَراكَ به وهنَّ أضعفُ خلقِ اللهِ أركانا

وقال التنوخي[1] في هذا المعنى :

فكلما ازدادت قوَى أجفانِها ضعفاً تقوَّينَ على ضَعفِ القوَى

وأمثال هذا كثيرة نوردها فيما بعد ، ونقض بعضهم قوله :

* إذا غضبت عليك بنو تميم * فقال :

لقد غضبتْ عليك بنو تميم فما نكأتْ بغضبتها ذُبابا

وقالوا امدح بيت قالته العرب قول حسان[2] :

يغشون حتى ما تهر كلابُهم لا يسألونَ عن السَّواد المقبل

يقول قد أنست كلابهم بالزوار فهي لا تنبحهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

---

(١) هو أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، له ديوان شعر ، منه مقصورة عارض بها الدريدية ، كما حكاه ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصارى شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة : فضل حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة مناصفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً لأبي سفيان بن الحرث :

اتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء

عن جيش يقبل نحوهم لقلة اكتراثهم بهم ولثقتهم ببسالة أنفسهم وشدتهم على أعدائهم .
ومثله ماأنشد أبو تمام :

اذا استنجدوا لم يَسألوا من دَعاهمُ لأيَّةِ حَرْبٍ أو لأيِّ مكانِ

وقال ابن هرمة (١) فى أثر الكلب بالضيف :

ومُستَنبحٍ تَستكشطُ الريحُ ثَوْبه ليسقط عنهم وهو بالثوب معصم
عوَى فى سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب أوليفزع نُوَّمُ
فجاوبه مستسمع الصوت لِلقرَى له عند أقيان المهبين مطعمُ
يكادُ إذا ماأبصرَ الضيفَ مُقبلا يكلمهُ من حُبهِ وهو أعجمُ

وقال عمران بن عصام ، ويروى لنصيب :

لعبدِ العزيز على قَوْمِه وغيرهم مِنَنٌ غامرهْ
فبابُك ألينُ أبوابِهم ودارُك مأهولةٌ عامره
وكلبك آنَسُ بالمعتفينَ من الأمِّ بابنتِها الزائره
وكفُّكَ حين ترى السائلين أندَى من الليلة المُمطِره
فمنك العطاء ومنك البناء لكل مُخَبِّرة سائره

وقال الحطيئة فى خلاف ذلك :

مَلوا قِراه وهرَّته كلابُهمُ وضرَّسوه بأنياب وأضراس

وقال بشار فى قريب من المعنى الأول :

سقى اللهُ القباب وتل عيدى وبالشرفينِ أيامَ القباب
وأيام لنا قَصرَتْ وطالت على فرحانَ نائمة الكلاب

وقال آخر : ومايكُ فيَّ من عيب فانى جبانُ الكلب مهزولُ الفَصيل
معناه أن الكلب يضرب إذا نبح الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن والفصيل

---

(١) هو ابراهيم بن على الكنانى القرشي سكن المدينة ورحل الى دمشق ومدح الوليد الاموى .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الجعدى :

فتى تمَّ فيه مايسرُّ صديقه ... على أن فيه مايسوءُ الاعاديا

وهذا غاية المدح لأن الرجل إذا قدر على النفع والضر فقد كمل ، ولهذا قيل فى البرامكة :

عندَ الملوكِ مضرةٌ ومنافعٌ ... وأرى البرامكَ لاتضرُّ وتنفعُ

لايعرف أهجاهم أم مدحهم لأنه إذا نفى عنهم أن يضروا فقد قصرهم، وقد قيل :

إذا أنت لم تنفع فضرَّ فانما ... يُراد الفتى كيما يضرُّ وينفع

وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :

متى تَهزز بنى قطن تجدهم ... سيوفاً فى عواتقهم سيوف
جلوسٌ في مجالسهم رزانٌ ... وإن ضيفٌ ألمَّ فهم وقوف
إذا نزلوا حسبتهم بدوراً ... وإن ركبوا فانهمُ حتوف

وقال آخر : فذَلل أعناقَ الصعاب ببأسه ... وأعناق طلاب الندىَ بالفواضل
فما انقبضت كفاهُ إلا بصارم ... ولا انبسطت كفاه الا بنائل

وقال محمد بن بشر الأزدى :

فتًى وقفَ الايامَ بالعتب والرضا ... على بذلِ مال أو على حدٌ منصل
وما إن له من نظرةٍ ليس تحتها ... غمامةُ غيثٍ أو ضبابةٌ قصطل

وقال آخر : فتًى دهرُهُ شطرانِ فيما ينوبه ... ففى بأسه شطرٌ وفى جوده شطر
فلا من بغاة الخير فى عينه قذى ... ولا من زئير الأسد في أذنه وقر

وقد أحسن البحترى فى هذا المعنى وهو قوله :

هو العارضُ الثجاجُ أخضل جوده ... وطارت حواشى برقِه فتلهبا
إذا ماتلظى فى وغى أصعقَ العدى ... وان فاض فى أكرومة[1] غمر الربا
رزينٌ إذا ماالقومُ خفت حلومهم ... وقور إذا ماحادث الدهر أجلبا

---

(١) فى الديوان المطبوع « خاض فى أكرومة »

حياتك أن يلقاك بالجود راضيا ... وموتك أن يلقاك بالبأس مغضبا
حرونٌ إذا عازته في ملمة ... فان جئته من جانب الذل أصحبا
إذا همّ لم يقعد به العجز مقعداً ... وان كف لم يذهب به الحزن مذهبا[1]

وقال الأسدى فى نفى الخير والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله على الخمول :

فحسبكَ فى القوم أن يعلموا ... بأنك فيهم غنىّ مضر
وأنت لميح كلحم الحوار ... فلا أنتَ حلوٌ ولا أنت مر

وقال غيره : شييخ من بنى الجارو ... د لاخيرٌ ولا شر

وقال آخر : ولقد نزلت على زياد مرةً ... فظننته شيخاً يضرُّ وينفعُ
فاذا زيادٌ في الدبار كأنهُ ... مشطٌ يقلبهُ خصىٌّ أصلع

وقد أحسن البحترى فى المعنى الأول وهو قوله :

هو الملكُ الموهوبُ للبأس والتقى[2] ... فلله تقواهُ وللمجد سائره
له البأسُ يُخشى والسماحةُ تُرتجى ... فلا الغيثُ ثانيه ولا الليثُ عاثره

كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذى نحن فيه :

هو الملكُ المملوكُ للمجد والتقى ... وصولتهُ لا يستطاعُ خطارُها
لقد نشأتْ للشامِ منك سحابةٌ ... يُؤملُ جدواها ويُخشى زمارها
فطوبى لأهل الشامِ أم ويل أمها ... أتاها حياها أم أتاها بوارها
فان سلموا كانت غمامة نعمةٍ ... وخيرٍ وإلا فالدماءُ قطارها
أبوكَ أبو الأملاك يحيى بن خالدٍ ... أخو الجود والنعمى اللباب صغارها
وكائن ترى فى البرمكيين من به ... ومن سابقات لا يشق غبارها

---

(١) فى الأصل: إذا كف لم يقعد به العجز مقعدا ... وان هم لم يذهب به الهم مذهبا
والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب للدين والعلا » .

طبيبٌ بأخبار الأمور إذا التوت من الدهر أعناقٌ فأنت قصارها

وبعد بيت النابغة الجعدى (١) قوله :

فتى كملتْ أخلاقهُ غير أنه جوادٌ فما يبقى من المـالِ باقيا

أشم طوال الساعدين شمردلٌ (٢) إذا لم يرُح للمجد أصبحَ غاديا

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن على الاجرى ببغداد حدثنا أبو العيناء قال قال الأصمعى أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدى حتى انتهيت إلى قوله :

أشم طوال الساعدين شمردل إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا

فقال الرشيد ويله ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح للمعروف أصبح غاديا * فقلت وأنت والله ياأمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ثاقب الفطنة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :

فان يكُ باقي أفك فرعونَ فيكمُ فان عصا موسى بكفِّ خصيب

قال فوثبوا بى وأرادوا قتلي وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد ألا قلت :

فان كان باقي أفك فرعونَ فيكمُ فباقى عصا موسى بكفِّ خصيبِ

فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة فقال والله ياأمير المؤمنين إنك لأشعر منى وإنى لم أفطن لذلك ، وأنشده العمانى الراجز فى صفة الفرس :

كأنَّ أذنيه إذا تشوَّفا قادمة أو قلماً محرفا

فقال له الرشيد دع «كأن» وقل «تخال» حتى يستوى شعرك ، وكان قد لحن العمانى

---

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لايقول الشعر ثم نبغ فقاله ، وكان ممن هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل الاسلام ، وفد على النبي ﷺ فأسلم ، مات فى منتصف القرن الأول الهجرى وقد جاوز المائة .

(٢) الشمردل : الفتى السريع من الابل ، وغيره الحسن الخلق . كما فى القاموس .

ولم يعرف ولم يفطن له أهل المجلس حتى قال له الرشيد ذلك فتعجبوا من علمه وفطنته .

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول حسان :

بِيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم شم الأنوفِ من الطراز الأولِ
يغشونَ حتى ماتهر كلابُهم لا يَسألون عن السوادِ المقبل

وقبله : لله در عِصابة نادمتهم يوماً بجلقَ في الزمانِ الأولِ
أولاد جفنةَ حولَ قبرِ أبيهم قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المفضل

ثم قال : فلبثتُ أزماناً طوالاً فيهم ثم ادكرت كأنني لم أفعل
وفتًى يحب المجدَ يجعل ماله من دون والده وإن لم يسأل

قوله « بيض الوجوه » معناه مشهورون ببهاء ولم يعن بهم البياض وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجود وغيرهما من خلال الخير لأن الانسان لا يكون نبيهاً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغر ووضاح إلا إذا جمعها وما يجرى معها قال الراجز : * فهن يحملن فتًى وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي ﷺ :

وأبيض يستسقى الغمامُ بوجهه ثمالُ اليتامى عِصمةٌ للأرامل (١)

وقال السموءل : وأيامُنا مشهورةٌ في عدونا لها غُررٌ معروفةٌ وحُجولُ

أراد بالغرة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :

* بيض الوجوه كريمة أحسابهم * فقال :

سودُ الوجوهِ لئيمةٌ أحسابُهم فُطسُ الأنوفِ من الطراز الآخر

كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

ياقمراً أبصرت في مأتم يندب شجواً بين أتراب
يبكي فيذرى الدر من نرجس ويلطم الوجه (٢) بعناب

فقال : وأعور أبصرت في مأتم يندبُ شجواً بتخاليط

(١) من لاميته المشهورة فى مدح ابن أخيه النبي ﷺ والدفاع عنه .

(٢) في نسخة « الورد » مكان « الوجه » .

يبكي فيذرى البعر من كوة ... ويلطم الشوك بيلوط

وأخذ حسان قوله * ثم ادكرت كأنني لم أفعل * من قول أبي كبير :

فأذن وذلك ليس إلا حينه ... وإذا مضى شيء كأن لم يفعل

وقال ابن شبرمة أمدح ماقالت العرب قول الحطيئة :

أولئكَ قومٌ ان بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا وفوا وإن عقدوا اشدّوا

وان كانتِ النعماءُ فيهم جزوا بها ... وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكمُ ... من اللوم أوسدوا المكانَ الذى سدوا

ويعذلنى أبناءُ سعد عليهم ... وما قلتُ إلا بالذى علمتْ سعد

يسوسونَ أحلاماً بعيداً أناتها ... وان غضبوا جاء الحفيظةُ والحد

ولعمرى ان معانى هذه الأبيات أبكار ليس للعرب مثلها وكل من تناولها فانما استعارها من الحطيئة وهي جامعة لخصال المدح كلها ، وقوله * جاء الحفيظة والحد * – وروى والجد – والحد من قولك حد السيف وحد السنان ، والجد خلاف الهزل والمختار الحد بالحاء . يقول الحطيئة فى بنى لأى بن شماس من قريع ، وكان الزبرقان بن بدر لقى الحطيئة في سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضرع أبو مليكة فقال له الزبرقان انى أريد وجهاً فصر الى منزلى وكن هناك حتى أرجع فصار الحطيئة الى امرأة الزبرقان فأنزلته وأكرمته فحسده بنو عمه وهم بنو لأى فدسوا الى الحطيئة وقالوا له ان تحولت الينا أعطيناك مائة ناقة ونشدّ الى كل طنب من أطناب بيتك حلة محبرة وقالوا لامرأة الزبرقان ان الزبرقان انما قدّم هذا الشيخ ليتزوج بنته فقدح ذلك فى نفسها فلما أراد القوم النجعة تخلف الحطيئة وتغافلت امرأة الزبرقان عنه فاحتمله القريعيون ووفوا له بما قالوا فأخذ فى مدحهم وهجا الزبرقان فقال :

أزمعتُ يأساً مبيناً من نَوالكم ... ولاترَى طارداً للحرّ كالياس

دَع المكارمَ لاترحلْ لبغيتها ... واقعد فانك أنتَ الطاعمُ الكاسى

من يفعلِ الخيرَ لايعدم جوازيهُ ... لايذهبُ العرفُ بين اللهِ والناسِ

فاستعدى الزبرقان عليه فحكّم عمر حسان فقال حسان ماهجـاه ولـكن سلح عليه ثم حبس عمر الحطيئة فقال يستعطفه :

ماذا تقولُ لأفراخ بذى مرخ   حمر الحواصلِ (١) لاماءٌ ولاشجرُ
ألقيت كاسبهم فى قعــر مظلمة   فاغفر عليــك سلامُ الله ياعمـر
ماآثروكَ بها إذ قدموك لهـا   لـكن لأنفسهم كانت بك الأثر

فأخرجه عمر وأجلسه على كرسيّ وأخـذ شفرة وأوهمه أنه يريد قطع لسانه فضج وقال انى والله ياأمير المؤمنين قد هجوت أمي وأبى ونفسى فتبسم عمر وقال ماالذى قلت قال قلت لأبى وأمى :

ولقد رأيتكِ فىالنساء فسؤتِنى   وأبا بنيكِ فساءَنى فى المجلس

وقلت لأبى خاصة :

فبئس الشيخُ أنتَ لدى تميم   وبئس الشيخ أنت لدَى المعالى

وقلت لأمى خاصة :

تنحى فاجلسى منى بعيـداً   أراحَ اللهُ منكِ العـالمينا
أغربالاً إذا استودعتِ سراً   وكانوناً عـلى المتحدثينا

وقلت لامرأتى خاصة :

أطوّفُ ماأطوّف ثم آوى   الى بيت قَعيدتُـهُ لـكاع

وقلت لنفسي :

أبت شفتاىَ اليومَ إلا تـكلماً   بسوءٍ فلا أدرى لمن أنا قائلهْ
أرى لىَ وجهاً قبحَ (٢) اللهُ خَلقهُ   فقبح من وجـهٍ وقُبحَ حاملهْ

وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحتَ ولم تبخل ولم تُعط طائلاً   فسيانِ لا ذمٌّ عليك ولا حمدُ

ثم خلى سـبيله عمر وأخذ عليه ألا يهجو أحـداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

(١) وفي رواية « زغب الحواصل » . (٢) في رواية « شوه اللهُ » .

اشترى بها من أعراض المسلمين فقال يذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف :

وأخذتَ اطرار الكلام فلم تدع　　شتماً يضرُّ ولا مديحاً ينفع
ومنعتنى عِرضَ البخيل فلم يخفْ　　شتمى وأصبح آمناً لايجزع

وكان الحطيئة يذم البخل كما ترى وهو[1] أبخل الناس اعترضه رجل وهو يرعى غنماً له فقال له ياراعى الغنم وكان بيد الحطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال عجراء من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب وقالوا أبخل من الحطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار وقال لعلى ان حملت عليه لاأموت فانى مارأيت كريماً مات عليه قط وقال :

لكل جديد لَذّةٌ غيرَ أننى　　رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذ

وقيل له اوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشماخ أشعر غطفان .
وأخذ قوله : * أغربالا إذا استودعت سرا * من قول كعب بن زهير حيث يقول :

ولا تَمسكُ بالعهدِ الذى عهدتْ　　إلا كما يمسك الماءَ الغرابيلُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبى خليفة عن دماذا عن أبى على القداح وعباد بن سليم الحضرمى قال أنشد الحطيئة عمر :

مهاريس يروى رسلها ضيف أهلها　　إذا النار أبدت أوجه الخضرات
عظام مقيل الهام غلب رقابها　　تباكر ورد الماء فى السبرات
يزيل القتاد جذبها عن أصوله　　إذا ما غدت مقورة[2] خرصات

وكان هجا قومه فلما بلغ إلى قوله :

فان يصطنعنى اللهُ لا أصطنعكمُ　　ولا أعطكم مالى على العثرات
لكم دَفَرٌ مثل التيوس ونسوةٌ　　مماجين[3] مثل الآتن التمرات

---

(١) فى نسخة « وكان » بدل « وهو » . (٢) فى الأصل « مقرورة » .
(٣) فى الأصل « لماجر » وفى ديوان الحطيئة « مماجين » .

قال عمر بئس الرجل أنت تمدح إبلك وتهجو قومك فخرج وقال :

رأيتُ ابنَ خطاب تجاهل بعدما   رأيتُ له عقلاً وما كان جاهلا
ألا قد علمنـا أن ما قال هكذا   ومن قال حقاً غيرَ ماقال باطـلا

وقالوا أمدح أبيات قيلت ما أنشدناه أبو أحمد عن مهلهل بن يموت عن أبيه عن الجاحظ :

اختر فناء[1] بنى عمرو فانهمُ   أولو فضولٍ وأقدارٍ وأخطار
إن يُسألوا الخيرَ يعطوه وإن جهدوا   فالجهدُ يخرج منهم طيبَ أخبار
وإن توددتهم لانوا وإن شتموا   كشفت أذمار سر غير أسرار[2]
هينون لينون أيسار ذوو يسر   أبناء مكرمة أبناء إيسار
من تلق منهم تقل لاقيتُ سيدهم   مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وهى على الحقيقة أمدح أبيات قيلت . وقالوا أمدح بيت قيل قول الخنساء فى أخيها :

أغر أبلج تأتمُّ الهـداةُ به   كأنه علـمٌ فى رأسـه نارُ

أخبرنا أبو أحمـد حدثنا الانبارى عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دعامة عن صالح بن محمد بن المسيب قال سمعت المفضل الضبي يقول أتانى رسول المهدى فقال أجب فهالنى ذلك فمضيت معه حتى دخلت وعنده على بن يقطين وعمر بن بزيع والمعلى مولاه فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرنى بأمدح بيت قالته العرب فتحيرتَ ثم جرى على لسانى قول الخنساء :

وإنَّ صخراً لمولانا وسـيدنا   وإن صخراً اذا يشتو لنحـارُ
أغر أبلج تأتمُّ الهـداةُ به   كأنه علـمٌ في رأسـه نارُ

فقال أخبرت هؤلاء فأبوا علىَّ فقلت ياأمير المؤمنين كنت أحق بالصواب فقال يامفضل أسهرتنى أبيات ابن مطير الاسدى :

وقد تغدرُ الدنيا فيضحى غنيها   فقيراً ويغنى بعد بؤس فقيرها

(١) في النسخ «ثناء» مكان «فناء» . (٢) بعض العجز غير موجود هنا فاستدركناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تكدرَ عيشهُ وأخرى صفا بعد اكدرار غديرُها
فلا تَقربِ الامرَ الحرامَ فانه حلاوتها تفنى ويبقى مريرها

ثم قال حدثني يامفضل فقلت أي الأحاديث يشتهي أمير المؤمنين قال أحاديث الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل مأخوذ بعشرة آلاف درهم فقال ياعمر بن بزيع أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء مارضيت ان جعلت أخاها جبلاً حتى جعلت فى رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة . واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقرِ فرداً فى مكارمه من نسل شيبانَ بين الطلح والسلم
كأنه الشمسُ في البرج المنيفِ به على البرية لا نارٌ على علم

وتبعته فقلت :

خيرُ الورى لخيارِ الناس كلهم وشرهم لشرارِ الناسِ سوارُ
منبه الذكرِ معروفٌ طرائقه كالشمس لا علمٌ في رأسه نار

ومن جيد ماقيل في النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إنى إذا خفيَ الرجال وجدتنى كالشمس لا تخفى بكل مكان

وقال بشار : أنا المرعث لا أخفى على أحدٍ ذرت بي الشمسُ للقاصى وللدانى

وقلت : أتأملُ ان تنالَ ندى كريمٍ نداهُ أولٌ والغيثُ ثانى
ويجرى والمجرة فى عنانٍ فلا يخفى على ناءٍ ودان
تصورَ في القلوب فليس ينأى على نأى المحلة والمكانِ
إذا عبسَ الزمانُ فملْ اليهِ تجده البشرَ فى وجه الزمانِ

وقلت : تريدون أن أخشى وأخضعَ للأذى وجار ابن عيسى كيف يَخشى ويخضعُ
فتًى بأسه كالدهر مأمن ملجأ ولا فيه إقصارٌ ولا عنهُ مرجعُ
أغرُّ شهيرٌ فى البلادِ كأنما به البدرُ يعلو أو سنى الصبح يسطع

ومثله قول القاسم بن حنبل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوهِ بنى سِنانٍ   لو انك تستضىءُ بهم أضاؤا
لهم شمسُ النهار إذا استقلت   ونور لا يغنيه العماء
همُ حلوا من الشرفِ المعلى   ومن حسب العشيرةِ حيث شاؤا
فلو أنَّ السماءَ دنت لمجد   ومكرُمة دنت لهم السماء

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الحطيئة :

متى تأته تَعشو الى ضوءِ ناره   تجد خيرَ نار عندها خيرُ موقد

وقالوا أمدح المدح مايكون بالتفضيل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان أكرم من فلان ، ومن أجود ماجاء فى ذلك قول أبى تمام :

كم من وساع الخطو فى طلب الندى   لما جرى وجريت كنت قطوفا (١)
أحسنتما صفدى ولكن كنتَ لى   مثلَ الربيع حياً وكان خريفا
وكلا كما اقتعد العلا فركبتها   في الذروة العليا وكان (٢) رديفا

وقال : كوا كبُ مجدٍ يعلم المجدُ أنها   إذا طلعتْ باءتْ بصفر كوا كبه

وقال ابن الرومى :

تلوح في دولة الأيام دولتهم   كأنها مِلةُ الاسلام في الملل

وقلت: نصرت على الاعداء فليهنك النصر   ودانتْ لك الدنيا وذَلَّ لك الدهرُ
فأنت كاقبال الشبيبةِ والصبا   تطيبُ بك الدنيا و ينعمرُ العمرُ
وليس كرامُ الناسِ إلا كوا كبا   على صفحتى ليلٍ وأنت لهم بدرُ
وفى الناس أجوادٌ كثيرٌ وإنما   أولئك أثماد وأنت لهم بحرُ
فان أظلم الأحداث واسودَّ ليلها   فهم شفقٌ فيها وأنت بها فجرُ

---

(١) فى ديوان أبى تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندى والندى   لما جرى وجريت كان قطوفا

(٢) فى الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسمٍ فخراً على المجد والعلا فان العلا روضٌ وأنت به زهر
غدت أرضنا منكم سماءً مظلّةً لها أنجمٌ من زهر أخلاقكم زهرُ

وبعد بيت الحطيئة :

وأنت امرؤٌ من تعطه اليوم نائلاً بكفيك لم يمنعك من نائل الغد
ترى الجودَ لايدنى من المرء حتفه كما البخل للانسان ليس بمخلد

ومثله قول ليلى الاخيلية فى توبة (١) :

فلا يبعدنك اللهُ ياتوب إنها لقاءُ المنايا دارعاً مثل حاسر
فنعمَ فتى الدنيا وان كان فاجراً وفوقَ الفتى ان كان ليس بفاجر
فتًى كان أحيا من فتاة خريدةٍ وأشجعَ من ليثٍ بخفاق خادر
فتى ينهل الحاجات ثم يُعلها فيطلعها عنه ثنايا المصادر

يقول لايمنعه قضاء الحاجة الأولى عن قضاء الأُخرى كما قال الآخر :

وأرضعُ حاجةً بلبانٍ أخرى كذاك الحاجُ ترضعُ باللبانِ

يقول فيرفعها المثنون عليه حتى كأنها ثنية رجع :

فأقسمُ أبكى بعد توبةَ هالكاً وأفعلمن نالت صُروفُ المقادرِ

وكان بيت الأعشى :

تشبُّ لمقرورين يَصطليانهـا وبات على النار النـدَى والمحلقُ

يستحسن حتى قال الحطيئة * متى تأته تعشو إلى ضوء ناره * على أن قول الأعشى * وبات على النار الندى والمحلق * من أجود الـكلام وأبلغه ، والمحلق الممدوح ، ومثله قول حماس بن ماثل :

فقلتُ له أقبل فانكَ راشـدٌ وإنّ على النارِ النـدَى وابن ماثل

وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الأخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

---

(١) كانت ليلى الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تعد في الشعر بعد الخنساء . وتوبة هو ابن الحمير العقيلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن ابراهيم فأنشده رجل :

أمرٌ مالك قاصرٌ فقره على نفسه ومشيعٌ غِناهُ

فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فتى إذا عدت تميم معا سادتها عدوه بالخنصرِ
ألبسه اللهُ ثيابَ العلا فلم تطل عنهُ ولم تقصرِ

فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :

أعدد ثلاثَ خلالٍ قد عُرفنَ له هل سَب من أحد أو سُبٌّ أو بخلا

فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فناظنى فقلت هات فقال نعم المدح الغريب الذى لم يؤت مثله :

لله درُّ أبي المغيثِ فانه حسنُ الفعالِ ضعيفُ خبطِ الدرهم

وقريب من هذا قول أبى البحترى * حتى توهمناه مخروق اليد * وفى خلاف قوله * فلم تطل عنه ولم تقصر * قول ابن الرومى :

مدحتُ سليمانَ المغلب مِدحةً تجاوزُ حدَّ الحسنِ لوكان يَشكرُ
فعمى عنها ناظراهُ كأنما بعوراءِ عيني جده كان ينظر
سبغت عليه حلية ليس عيبها سوى أنها ظلت تطول وتقصر

يهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وسمعت عم أبى يقول أمدح شيء قيل قول الأول :

قوم سنان أبوهم (١) حينَ تنسبهم طابوا وطابَ من الأولاد ما وَلدوا
لو كان يَقعدُ فوقَ الشمسِ من كرمٍ قومٌ بعزهم أو مجدهم قعدوا
محسدونَ على ما كانَ من نعمٍ لاينزعُ اللهُ عنهم ماله حُسدوا

فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده .

ومنها قول أبى تمام :

---

(١) فى بلوغ الأرب « أبوهم سنان » .

لولا التخوفُ للعواقبِ لم يزل　　للحاسدِ النعمى عـلى المحسود
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ　　ما كان يُعرفُ طيبُ عرف العود

وقال البحترى :

ولن يستبين الدهر موضع نعمةٍ　　إذا أنتَ لم تدلل عليها بحاسد

وقال : محسدون كأن المكرماتِ أبتْ　　أن توجدَ الدهرَ إلا عند محسود

وقال غيره : محسدونَ وشرُّ الناسِ منزلةً　　من عاشَ فى الناس يوماً غيرَ محسودِ

وسمعته يقولَ من أوائل المدح الجيد الذى لا نظير له قول أمية بن أبي الصلت فى عبد الله بن جدعان [1] :

عطاؤكَ زينٌ لامرىءٍ ان حبوته　　ببذل [2] وما كلُّ العطاء يَزينُ
وليس بشينٍ لامرىءٍ بذلُ وجهه　　اليكَ كما بعضُ السؤال يَشين

وقال زهير :

من يلقَ يوماً على عِـلاته هَرِماً　　يلقَ السماحةَ منه والندَى خُلقا
لو نال حىٌّ من الدنيا بمكرمة [3]　　أفقَ السماءِ لنالت كفه الافقا
قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ فى هَرِمٍ　　والسائلونَ الى أبوابه طُرقا

وروى بعض الرواة للنابغة وروى لسعيد :

والله والله لنِـعمَ الفتى　　الا عرجُ لاالنكس [4] ولاالخامل
الحـارب الوافرُ والجـابر الـــمحروب والمرجل والجامل [5]
والطاعنُ الطعنةَ يومَ الوغى　　ينهل منها الاسـلُ الناهـل

---

(١) تقدم أنه كان من الأجواد .　(٢) كذا في ديوانه المطبوع ، وفى النسخ « بشيب » .　(٣) وفي رواية « بمنزلة » .

(٤) النكس : الضعيف .　(٥) فى الأصل «المرحل والخامل» بمهملات .

والقائل القولَ الذى مثـلـه　　يمرع [1] منـهُ البلدُ المـاحل
والغافرُ الذنبَ لأهل الحجا　　والقاطعُ الأقرانَ والواصـل

وقال بعض الاسلاميين وأحسن :

خُلقتْ أناملهُ لقائِم مُرهَـفٍ　　ولبثٍّ فائدةٍ وذروة منـبر
يلقى الرماحَ بوجهه وبصدره　　ويقيمُ هامتـه مقام المغـفر
ويقول للطرفِ اصطبر لشبا القنا　　فهدمت ركن المجد ان لم تعقر
واذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مُقبلٍ　　متسربلٍ سربالَ ليل أغـبر
أوما إلى الـكرماءِ هذا طارقٌ　　نَحرتنيَ الاعداءُ ان لم تنحر

وسمعت الشيـخ أبا أحمـد يقول أمدح شيء قاله محدث قول مروان بن أبي حفصة [2] في معن بن زائدة الشيباني [3] :

بنـو مطرٍ يوم اللقـاء كأنهم　　أسودٌ لهـا في غيـل خفان أشبلُ
هم المـانعونَ الجارَ حتى كأنمـا　　لجـارهم بين السما كين مَنزلُ
بهاليلُ في الاسلام سادوا ولم يكن　　كأولهم في الجـاهليـة أول
همُ القومُ ان قالوا أصابوا وان دُعوا　　أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
ثلاثٌ بأمثال الجبـالِ حبَاهمُ　　وأحلامهم منها لدى الوزن أثقلُ
ولا يَستطيعُ الفاعلونَ فعالهم　　وإن أحسنوا في النائباتِ وأجملوا

ثم أخبرنا المفجع أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغني أن يحيى بن خالد البرمكي قال لشراحيل بن معن بن زائدة أي شـعر قاله ابن أبي حفصة في أبيك أشعر قال قوله :

---

(١) مرع الوادى مثلثة الزاء مراعة : أكلأ ، والمريع : الخصيب ـ القاموس .

(٢) هو الشاعر اليمامى الذى أعطاه الرشيد سبعين ألف درهم لامدحه بقصيدته السبعين التى مطلعها * اليك قصرنا النصف من صلواتنا *

(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور .

نعمَ المناخُ لراغبٍ أو راهبٍ ممن تصيبُ جوائح الازمانِ
معن بن زائدةَ الذى زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبانِ
مطر أبوكَ أبو الاهلة والذى بالسيف حاز هجاينَ النعمان
نفسي فداءُ أبي الوليد إذا علا رهج السنابك والرماحُ دوانى

فقال يحيى أنت لا تعلم ماقيل في أبيك أين أنت عن قوله :

بَنو مطرٍ يومَ اللقاءِ كأنهمْ أسودٌ لها في غيل خفان اشبلُ

وأنشد الأبيات المتقدمة وزاد :

تشابَهَ يوماهُ علينا فأشكلا فما نحنُ ندرى أىّ يَوميه أفضلُ
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه وما منهما إلا أغرُّ محجل

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن على عن أبيه عن اسحق الموصلى أخبرنا أبو يوسف القاضي ـ وكان عديل الرشيد في طريق الحج ـ قال اعترضه اعرابي فانشد أبيات فَزبرهُ (١) وقال ألم أنهكم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقل لكم امدحوني بمثل قول القائل « بنو مطر يوم اللقاء كانهم » وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو يوسف فقلت له فيمن قيلت ؟ قال فى أب هذا الشاب الذى يسير فى ظل القبة فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن معن بن زائدة قال اسحق فسمعت شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندى من الدنيا بحذا فيرها .

وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر (٢) وقال لو استعمل الانصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمدٍ جادت لنا يدهُ لم يُحمد الاجودان البحرُ والمطرُ
وإن أضاءت لنا أنوارُ غُرته تضاءلَ النيران الشمس والقمرُ
وإن مضى رأيه أو حدُّ عزمته تأخر الماضيان السيفُ والقدر

---

(١) الزبر : الانتهار والمنع والنهي . (٢) هو أحمد بن أبي طاهر ، قال هذا الشعر في عبيدالله بن عبدالله بن طاهر على ماف جنى الجنتين فى تمييز نوعي المثنيين للمحبى .

من لم يكن حذراً من حدّ صولته ... لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر
حلو إذا أنت لم تبعث مرارته ... فان أمرّ فحلوٌ عنده الصبر
سهل الخلائق إلا أنه خشنٌ ... لَيْنٌ المهزة إلا أنه حجر
لاحيةٌ ذكرٌ في مثلِ صَولته ... ان صال يوماً ولا الصمصامةُ الذكرُ
إذا الرجالُ طغت أراؤهم وعموا ... بالأمر رُدَّ اليه الرأيُ والنظر
الجودُ منه عِيانٌ لا ارتيابَ به ... إذ جودُ كلِّ جواد عنده خبر

ومن المديح القليل النظير قول على بن محمد بن الأفوه :

أوفوا من المجدِ والعلياءِ في قُللٍ ... شُمٍّ قواعدهنَّ البأس والجودُ
سبط اللقاءِ إذا شمت مخائلهم ... بُسل اللقاء إذا صيد الصناديد
مُحسدون ومن يَعلقْ بحبلهم ... من البرية يُصبحْ وهو محسود

وقال الفرزدق وهو أجود ماقيل فى الجود عوداً على بدء :

له راحةٌ بيضاءُ يندى بنانها ... قليل إذا اعتل البخيل اعتلالها
جواد إذا أعطتك يوماً يمينه ... وعُدتَ غداً عادت عليك شمالها

ونحوه قول الأعرابى في عبد الملك :

ولقد ضَربنا في البلادِ فلم نجد ... أحداً سِواكَ الى المكارم يُنسبُ
فاصبر لعادتنا التي عوَّدتنا ... أولا فأرشدنا الى من نَذهبُ

وقول الآخر وهو من أجود ماقيل فى حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيتكمُ بقية حيِّ قيسٍ ... وهضبته التى فوقَ الهضابِ
تُبارونَ الرياحَ إذا تبارت ... وتمتثلونَ أفعالَ السحاب
يذكرنى مقامي فى ذراكم ... مقامي أمسِ فى ظلِّ الشباب

ومن عادة الناس أن يتكرهوا ماهم فيه من العيش وماهم عليه من الأحوال ، وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه فى ظل الشباب وهو من أجود ماقيل فى هذا المعنى .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة المعروف بالمكوك في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دُلف ... بين مبداه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلفٍ ... ولّت الدنيا على أثَره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإنما ازدراه لدمامته وعمشه فقال له أبو دلف أما تسمع مايقول الناس فيك ان الشعر لغيرك لأن ألفاظه ألفاظ كاتب متأدب قال الامتحان يزيل الظنة عني وما أظلم من استبرأ فكيف رأى الأمير في الامتحان قال نعطيك صدوراً لتردفها بأعجاز قال ما اشتططت ولا كلفت إلا الذي من نكب عنه حق عليه القول فدعا أبو دلف بدواة وقرطاس وكتب :

ريعت لمنشورٍ على مفرقه ... ذم له عهد الصبا حين انتسب

اهدام شيب جُدد في رأسه ... مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لي في ذلك من الأجل قال شهر قال فأنطلق بهما إلى رحلي قال ليس الامتحان للشاعر في بيته بمزيل للظنة عنه ولكن تبوأ حجرة من القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كرته فلما رجع دخل عليه عليّ والدرج بيده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك النقص من الاعجال قال اليك تساق الرفاق ثم أنشدني بيتي أبي دلف(١) ثم قال :

أشرقنَ في أسودَ ازرينَ به ... كان دُجاه لهوى البيض سَبب (٢)

فاغتضن أيام الغواني والصبا ... عن ميت مطلبه فن الأدب

فنازل لم يبتهج نزوله ... وراحل أبقى جوى حين ذهب

لم أرَ كالشيب وقاراً يُحتوَى ... وكالشباب الغضّ ظلاً يُستلب

كان الشبابُ لمةً أزهي بها ... وصاحباً حراً عزيز المصطحب

إذ أنا أجري واثباً في غيه ... لا أعتب الدهرَ إذا الدهرُ عتب

---

(١) في نسخة «ثم أنشد يمر في بيتي» .

(٢) روى صاحب الأغاني هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الربربَ عن أطفاله ... بأعوجى دلفيّ المنتسب
مطرد يرتج فى أقطاره ... كالماء جالت فيه ريح فاضطرب
تحسبه أقعد فى استقباله ... حتى إذا استدبرتهُ قلتَ أكب
وهو على إرْهاقه وطيه ... يقصرُ عنه الحزمان واللبب
تقولُ فيه جَنبٌ اذا انثنى ... وهو كمثل القدح مافيه جنب
يخطو على عوج يناهبن الثرى ... لم يتوا كل عن شظا ولا عصب
تحسبها ناتئة حين خطا ... كأنها واطئةٌ على نكب
يرتاد بالصيد فعارضنا به ... أوابدالوحش فأجدى واكتسب
لايبلغُ الجهدَ به راكبه ... ويبلغُ الريحَ به حين طلب
إذا تظنينا به صدقنا ... وان تظنى فوته الطرف لزب
ثم انقضى ذاك كأن لم تبقه ... وكل بُقيا فالى يوم عطب
وخلفَ الدهر على أعقابه ... فى القدح فيه وارتجاع ماوهب
فحمل الدهر ابن عيسى قاسما ... ينهض به فراج همّ وكرب
كرونق السيف انبلاجا بالندى ... أو كغراريه على أهل الريب
لاوسنتْ عينٌ رأت غُرتهُ ... واستيقظت نبوته من النوب
لولا الأميرُ لغدونا همَلاً ... لم يمتثل مجد ولم يرع حسب(١)
ولم يقم بيأس يوم وندى ... ولا تلاقى سبب إلى سبب
تكادُ تبدى الارضُ ماأضمره ... إذا تداعى خيله هلا وهب
ويستهلُّ أملاً وخيفةً ... إذا استهلَّ وجههُ وان قطب
وهو وان كان ابنُ فرعى وائلٍ ... فبسماعيه ترقى فى الحسب
وبعلاهُ وعلا آبائه ... تحوى غداةَ السبق أخطار القصب
ياواحد الدنيا ويا باب الندى ... ويامجير الرعبِ فى يوم الرهب

---

(١) فى نسخة زيادة «أو نسب» ولعلها إشارة لنسخة فيها كذلك .

لولاك ماكان سدى ولاندى ولاقريش عُرفت ولاالعرب
خذها امتحاناً من مليء بالحجا لكنه غيرُ مليء بالنشب
وقرَّ بالأرض أواستقر بها أنتَ عليها الرأسُ والناسُ ذنب

قال فجعل ينشد وأبو دلف يرجف (١) إليه حتى مست ركبتاه ركبتيه فلما بلغ قوله * لكنه غيرملىء بالنشب * قال لاملأنى الله إن لم أملأك ياغلام كم فى بيت المال ؟ قال ماقبضته من عامل الجبل وهومائة ألف درهم قال أعطه إياهاوقليل له ذلك ، قال فأقبل عليه عقيل أخوه يعذله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين ظهرانى قواده وأمرائه ولا وجه لما لايرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال إليك عنى والله لو شاطرته عمرى لكان ذلك دون مايستحقه علىّ .

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبي حفصة :

كفى القبائلَ معنٌ كلَّ معضلة يُحمى بها الدينُ أو يُرعى بها الحسبُ
كنز المحامدِ والتقوى ذخائرُه وليس من كنزه (٢) الاوراق والذهب
أنت الشهابُ الذى يرمي العدوُّ به فيستنيرُ وتخبو عنده الشهب
بنو شريك همُ القومُ الذين لهم في كل يوم رهان تحرزُ القصب
ان الفوارسَ من شيبانَ قد عُرفوا بالصدق ان نزلوا والموتِ ان ركبوا
قد جرَّب الناسُ قبل اليومِ أنهم أهلُ الحلومِ وأهل الشغب ان شغبوا
قل للجواد الذى يسعَى ليدركه أقصر فمالكَ إلا الفوتُ والطلب

قوله فمالك إلا الفوت والطلب من أحسن معنى وأجوده وأبينه بياناً وأشده اختصاراً وهو من قول زهير :

سعى بعدهم قومٌ لكى يُدركوهمُ فلم يفعلوا أولم يلاموا فلم يألوا

وقال طريح (٣) :

---

(١) عله « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) فى الاصل (كثرة) (٣) هو طريح بن اسماعيل الثقفى ، أكثر شعره في مدح خليله الوليد بن يزيد الأموي .

قد طلب الناسُ ما طلبتَ فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفعك الله بالتكرم والتقوى فتعلو وأنت مقتصد

وقلت في قريب منه :

إذا عنَّ مجدٌ أو تعرضَ سُؤددٌ تسامى له ضخمُ الهموم هُمام
إذا اهتزَّ للهيجاءِ فهو مُهندٌ أواهتزَّ للافضال فهو غمام
تواضعَ وهو النجم عِزاً ورفعةً وخفَّ على الأرواح وهو شمام (١)
ارجيهِ يوماً أو ألاقيهِ ساعةً فيخصب لي عامٌ ويمرء عام
يُريدونَ منه أن يَضِنَّ وانما أرادوا جُودَ الغيم وهو رُكام
ولاعيبَ فيه غير أن ذوى الندَى خِساسٌ إذا قيسوا به ولئام
بلغتَ من العلياءِ مافاتهم معا كأن لم يروموا مابلغتَ وراموا
فمن مُبلغ عنى الاكارمَ انهم اذا استيقظوا للمكرمات نيام

وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي العميثل (٢) فى عبدالله بن طاهر (٣)

قالت ركمتَ فقلتُ إن وراءكم ان قد كبرت ومن يعمَّر يركع
وعهدتنى أمضى لشأنى مطلقاً فبليتُ بعدك بالنسا والأجدع
يامن يؤملُ أن تكون خِلاله كخلال عبد الله أنصت واسمع
فلأنصحنك فى المشورةِ والذى حجَّ الحجيجُ اليه فاقبل أودع
أصدق وعفَّ وجدوأنصت واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

---

(١) جبل . (٢) هو عبد الله بن خليد شاعر مؤدب . (٣) عبدالله بن طاهر الخزاعى الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود

وفى سفرة أبى تمام هذه ألَّف الحماسة فانه حكم عليه البرد هنالك ووقع على خزانة كتب فاختار منها الحماسة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، وسمعه المتنبي فأراد أن يعيب على قالبه [١] فأتى بمالا ينطق [٢] به اللسان ولاينطوى عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة فى المديح قول ابن الرومى :

هو الغرة البيضاءُ من آل هاشم وهم بعده التحجيلُ والناسُ أدهم

ومن الأبيات الجامعة لمانى الحسن قول البحترى :

ذات حسن لواستزادت من الحُسـن اليه لمـا أصابت مَزيدا
فهى الشمسُ بهجةً والقضيب الـلدن [٣] ليناً والريمُ طرفاً وجيدا

وقال فى هذه القصيدة :

واذا ماعددت يحيي وعمرا وإياساً [٤] وعامراً ووليـدا
وعبيداً ومسهراً [٥] وجديا وثدولاً وبحـتراً وعثودا
لم أدع من مَناقبِ المجد مايقـنع من همَّ أن يكون مجيـدا

وقلت فى المديح :

حليفُ عَلاء ومَجد وفخرٍ وبأس وجودٍ وخَير وخِير
أضاءَ فأطرقَ ضوء الشموس وتم فأغضي تمـام البـدور

وقلت في المديح أيضا :

من الغرّ لاحوا أشمساً ومضواظبى وصالوا أسوداً واستهلوا سواريا

ومن المديح البليغ قول الأوّل :

متبذل في الحيِّ وهو مبجل متواضعٌ فى القومِ وهو مُعظم

وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبى تمام في قوله :

---

(١) لعله «قائله» . (٢) فى نسخة «ينطلق» . (٣) فى النسخة المطبوعة من ديوان البحترى «الغض» مكان « اللدن» . (٤) فى النسخة المطبوعة من البحترى «أبانا» مكانَ «إياساً» . (٥) في الأصل « ظامراً » مكان « مسهراً »والتصحيح من ديوان البحترى المطبوع .

إذا أحسن الأقوامُ أن يتطاولوا ... بلا مِنة أحسنتَ أن تتطولا
فعظمتَ عن ذاك التعظم منهم ... وأوصاك نبل القدر أن تتنبلا

وقال البحترى فى التواضع مع علو الرتبة :

دنوتَ تواضعاً[١] وعلوتَ قدرا ... فحالاك انحدارٌ وارتفاعُ [٢]
كذاك الشمسُ تبعد أن تسامى ... ويدنو الضوءُ منها والشعاع

فأتيت بهذا المعنى فى بيت :

تواضع إذا العلاء بضبعه ؟ ... كما انحطَّ ضوءُ البدر وارتفعَ البدر

وأجود ما قيل فى صفة الرجل الحازم الجلد من قديم الشعر قول لقيط بن يعمر [٣] :

فقلدوا أمرَكم للهِ درُّكم ... رحبَ الذراع بأمر الحق[٤] مضطلعا
لا مترفاً ان رخاءُ العيش ساعده ... ولا إذا عض مكروهٌ به خشعا
ما انفكَّ يحلب هذا الدهر أشطره ... يكون مُتبعاً طوراً ومُتبعا
لا يطعمُ النومَ إلا ريث يبعثه[٥] ... همٌّ يكادُ حشاه يحطم الضِّلعا
حتى استمرَّ على شزر مريرته ... مستحكم الرأى لا قحماً ولا ضرعا

ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولستُ بمفراحٍ إذا الدهرُ سرنى ... ولا جازع من صَرفه المتقلب

وقول دريد بن الصِّمة [٦]

ينازلُ اخدانَ الرجال وانه ... لجــد ثناء ثم يزدد[٧]
ويخرج من العزاء الشدة مصدقا [٨] ... وطول السرى درى عضب مهند

---

(١) في النسختين «وضوعاً» وهو خطأ (٢) الذى في الديوان المطبوع :

دنوت تواضعاً وبعدت قدراً ... فشأناك انحدار وارتفاع

(٣) الايادى شاعر جاهلىّ ، ومطلع هذه القصيدة «يادارَ عمرةَ من محتلها الجرعا» .

(٤) وفى رواية «بأمر الحرب» . (٥) فى النسخ تصحيف . (٦) أصله من هوازن ، كان شجاعاً من الأبطال الشعراء ، أدرك الاسلام ولم يسلم .

(٧) كذا .(٨) كذا وفي غيره « ونخرج منه ضُرة القرِّ جُزأة » .

هذا البيت أجود ماقيل فى سعة الخلق من قديم الشعر :

كَميشُ الازار خارجٌ نصفُ ساقه صبورٌ على العزاء[(١)] طلاعُ انجد
قليلُ التشكى للمصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديث فى غد
إذا سارَ بالارضِ الفضاءِ تزينت لرؤيته كالمأتم المتبدد
فلا يبعدنك اللهُ حياً وميتاً ومن يعله ركنٌ من الارض يبعد

موضع هذه الابيات من باب المراثى وأنما أوردتها هنا لأن قوله فيها «قليل التشكى للمصيبات» شبيه بما تقدم من قول الآخر: * ولا جازع من صرفه المتقلب *

ومن شعر المحدثين قول أبى تمام :

وعزت بالسبع الذى بزئيره أمست وأصبحت الثغورُ عزيفا
قطب الخشونة واللبان بنفسه[(٢)] فغدا جليلاً فى العيونِ لطيفا
هزته معضلةُ الأمورِ وهزها وأُخيفَ في ذات الآله وخيفا
يقظان أحصدت التجارب جزمه[(٣)] شزراً وثقف عزمه تثقيفا
وسلكن من أترابه الشعل التى[(٤)] لو أنهن طبعن كن سيوفا

وإنما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن وكان أبو تمام كثير الاناخة عليه وهو قوله في مرثيته :

ماء من العبرات حدى أرضه لو كان من مطر لكان هزيما
وبلابل لو أنهن مآكل لم تخطىء الغسلين والزقوما
وكرمي بر وعسى لو أنه ظل لكان الحر واليحموما

ونقل البيت الأول أنو تمام الي موضع آخر فقال :

مطر من العبرات حدى أرضه حتى الصباح ومقلتاى سماؤه

---

(١) لعله «الضراء» . (٢) وفي ديوان أبى تمام المطبوع :

قطب الخشونة باللبان معاقباً فغدا جليلاً فى القلوب لطيفا

(٣) في الديوان « عقده » . (٤) فى الديوان «واستل من آرائه الشعل التى» .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى ووغى ومبدى غارة ومعيدا
أيقنت أن من السماح شجاعة تدمى وان من السماحة جوداً
ومكارماً عتق النجار تليدة إن كان هضب عمايتين تليدا
متوقد منه الزمان وربما كان الزمان بآخرين بليدا

وقال البحتري :

أغر لنا من جوده وسماحه ظهير عليه مايخيب وشافع
ولما جرى للمجد والقوم خلفه تغول أقصى جهدهم وهو وادع
وهل يتكافا الناس شتى خلالهم وما يتكافى في اليدين الأصابع
إذا ارتد صمتا فالرؤس نواكس وإن قال فالأعناق صور خواضع
وأغلب ماينفك من يقظاته ربايا على أعدائه وطلائع
جنان على ما جرت الحرب جامع وصدر لما يأتى من[1] الدهر واسع
جدير بأن ينشق عن ضوء وجهه ضبابة نقع تحته الموت ناقع
تذود الدنايا عنه نفس أبية وعزم كصدر[2] الهندواني قاطع
بعيد مقيل السر لا يدرك التي يحاولها منه الأريب المخادع
ومنكتم التدبير ليس بظاهر على طرف الرائي الذي هو تابع
ولا يعلم الأعداء من فرط عزمه متى هو مصبوب عليهم فواقع

لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب الرأى ومضاء العزيمة والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الأبيات ولا أعرف أحداً يستوفى مثل هذه المعاني في أكثر مدائحه إلا البحتري .

وقال بعضهم أجود ماقيل في صفة الرجل الحازم قول زينب بنت الطثرية :

إذا جد عند الجد أرضاك جده وذو باطل إن شئت ألهاك باطله

(١) في الديوان (به) . (٢) في الديوان (كحد) .

يَسرُّكَ مظلوماً ويُرضيك ظالمـاً ۝ وكل الذى حملته فهو حامله

ومثله قول الآخر :

أخو الجد إن جدَّ الرجالُ وشمروا ۝ وذو باطلٍ إن كان فى الناس باطلُ

ومن المديح المفرط قول منصور النمرى في هارون :

إذا ماعددت الناسَ بعد محمدٍ ۝ فليس لهارونَ الامامِ نظيرُ

فضله على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وهذا مكروه جداً وأكره منه قول أبى نواس :

تنازعَ الأحمدان الشبهَ فاشتبها ۝ خَلقاً وخُلقاً كما قُـدَّ الشراكان

فجعل النبي ﷺ ومحمـد بن هارون سواءً في الخلق والخلق .

وبعد بيت النمرى أبيات جياد منها قوله :

منيع الحمى لـكنّ أعناقَ ماله ۝ بظل الندى يسطو بها ويسور

كأنه من قول كثيِّـر :

غمرُ الرداءِ إذا تبسمَ ضاحكاً ۝ غلقت لضحكته رقابُ المـال

وهذا من قول الأخطل :

وقفتُ على حاليكما فاذا الندَى ۝ عليك أميرَ المؤمنين أميرُ

خرجتُ أجرُّ الذيلَ حتي كأننى ۝ عليك أميرَ المؤمنين أمير

يروحُ ويغدو ساجياً في وقاره ۝ على أنه يوم المرام ذكير

وليس لأعباءِ الأمور إذا عرت ۝ بمكترث لـكن لهنَّ قهور

يرى ساكنَ الأوصال باسط جهده ۝ يريك الهوينا والأمورُ تطير

ولا أعرف فى هذا المعنى أجود من هذا البيت .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول النمرى فى هارون :

إن المـكارمَ والمعروفَ أوديةٌ ۝ أحلك الله منها حيثُ تجتمعُ (١)

---

(١) تقدم هذا البيت بصدر «خليفة الله إن الجود أودية» .

أخذه من قول أبي وجزة السعدى [١] :

أتاكَ المجدُ من هنّا وهنا وأنتَ لهُ بمجتمع السيول

وأخذه ابن أمية الكاتب فقال في غزل :

تركت فيك التي . . . . ؟ وأنت منها بمجمع الطرق

ونقلته إلى الهجاء فقلت :

أتغدو بمستن العيون مخيا وأنتَ بعيبِ العالمين موكل

وفى قصيدة النمرى أبيات قليلة النظير منها قوله :

مستحكم الرأى مُستغن بوحدته عن الرجال بريب الدهرِ مضطلعُ

يقرى العدوَّ المنايا والقناة ندى من كل ذاك القرى أحواضه ترع

إذا بلغنا جمالَ الأرض لم ترنا للحادثات بحمد الله نختشع

لما أخذتُ بكفى حبلِ طاعته أيقنت أنى من الأحداث ممتنع

ان الخليفةَ هارونَ الذى امتلأت منه القلوبُ وجارت تحته ترع

ان أخلف الغيثُ لم تخلف مخائله أوضاقَ أمرٌ ذكرناه فيتسع

أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولى عن المبرد وغيره قال شكا منصور إلى العتابى طلقاً استمر بامرأته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابى دواؤه معك أقرب منها وقل «هارون» فان أمرها يسهل فغضب منصور فقال له لا تغضب فأنت قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيثُ لم تخلف مخائلُهُ أوضاق أمرٌ ذكرناه فيتسع

فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المبتغى نجومَ السماء بسعيٍ أمَمْ

سمعت بمكرمةِ ابن العلاء فأنشأت تطلبها لست ثم

إذا عَرضَ الهمُّ في صدره لها بالعطاءِ وضرب البُهُم

---

(١) هو يزيد بن عبيد أبو وجزة ، من التابعين .

فقل للخليفةِ إنْ جئتهُ نصيحاً ولاخيرَ فى المتهم
اذا أيقظتك جسامُ الأمور فنبه لهـا عمراً ثم نَمْ
فتى لاَيبيتُ على رمقه ولايشربُ المـاءَ إلا بدم
يحبُّ العطاءَ وسفك الدماءِ فيغدو على نِعمٍ أونِقم

وقال البحترى :

اذا المهتدى بالله عُدَّتْ خلالُهُ حسبتَ السماءَ كاثرتك نجومُها
وقلت : كم غاية لكمُ تقاصرَ دونها مَنْ رامها فكأنه مارامها
يعلو كرام العالمين وأنما يعلو كرامُ العالمين لئامَها
واذا تسامى الأكرمون الى العلا نالوا مناسمها ونلت سنامها
أمِنَ المكارم أن يُبدَّدَ شملها لمـا رأتك نظامَهُ ونظامها
ذلت له نُوَبُ الزمان وأصبحت فى عقوتيه جبالها آ كامها

وقال البحتري :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت أما كنها قلت النجوم قبورها
إذا ماتت الارضُ ابتدوها كأنما اليهم حياها أوعليهم نشورها
ودون علاهم للسامين برزخٌ إذا كلفته العير طال مَسيرُها
بتدبير مأمونٍ على الأمر رأيهُ ذكيرٌ وأمضى المرهفات ذكورها
وذوها جسرٍ لايحجبُ الغيبُ دونه تريه بطونَ المشكلات ظهورها

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن عبدالله بن الحسن عن البحترى قال سمعت ابراهيم ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفا الى أنه أنشده يوماً عبدالله بن أيوب التيمى شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

ترى ظاهرَ المأمونِ أحسن ظاهر وأحسن مماقد [1] أسرَّ وأضمرا
يناجى له نفساً تريع بهمة إلى كل معروفٍ وقلباً مُطهرا .

(١) زدنا «قد» على النسخ لاقامة الوزن .

ويخشع إجلالاً له كلُّ ناظرٍ ويأبى لخوف الله أن يتكبرا
طويلُ نجاد السيف مضطمر الحشا طراه طراد الجيش حتى تحسرا
رفل إذا ماالسلمُ رفل ذيله وان شمرت يوماً له الحرب شمرا

فقال الفضل مابعد هذا مدح وماأشبه فروع الاحسان بأصوله.

ومن المدح القليل النظير قول أمامة بنت الجلاح الكلبية : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدثنى محمد بن ناجية الرصغانى قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر فطلبنى السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت عليَّ الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد مرتاداً رجلاً عزيزاً منيع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهيت إلى بنى شيبان ابن ثعلبة فدفعت إلى بيت مشرف بظهر رابية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط ورمح مركون يلمع سنانه فنزلت عن فرسى وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فردَّ على نساء من وراء السجف يرمقننى من خلل الستور بعيون كعيون أخشاف الظباء فقالت إحداهن اطمئن ياحضرى فقلت وكيف يطمئن المطلوب أو يأمن المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه والخوف غالبه دون أن يأوى إلى جبل يعصمه أو معقل يمنعه فقالت ياحضرى لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولايجوع فيه كبد مادام لهذا الحى سبد أو لبد هذا بيت الأسود بن قنان اخوانه كلب وأعمامه شيبان صعلوك الحى فى ماله وسيدهم فى فعاله لاينازع ولايدافع له الجوار وموقد النار وطلب الثار وبهذا وصفته أمامة بنت الجلاح الكلبية حيث تقول :

إذاشئتَ أن تَلقى فتىً لو وزنته بكل معدىٍّ وكل يَمانى
وفى بهم حلماً وجوداً وسُؤدداً وبأساً فهذا الاسودُ بنُ قنان
فتىً كالفتاة البكر يسفر وجهه كأن تلالي وجهه القمران
أغر أبر ابني نزار ويَعربٍ وأوثقهم عقداً بقول لسان

وأوفاهمُ عهـداً وأطولهم يداً وأعلاهمُ فعلاً بـكل مكان
وأضربهم بالسيف من دون جاره واطعنهم من دُونهِ بسنان
كأن العطايا والمنايا بكفه سحابان مقرونان مؤتلفان

فقلت الآن ذهبت عني الوحشة وسكنت الروعة فأنى لي به قالت ياجارية أخرجي فنادي مولاك فخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيهة حتى جاءت وهو معها في جمع من بني عمه فرأيت غلاما حسناً (١) اخضر شاربه واختط عارضه وخشن جانبه فقال أي المنعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت ياأبا مرهف هذا رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب في ذمتك وقد ضمنا له ما يضمنه لمثله مثلك فقال بلّ الله فاك قال فأخذ بيدي وجلس وجلست ثم قال يابني أبي وذوي رحمي أشهدكم أن هذا الرجل في ذمتي وجواري فمن أراده فقد أرادني ومن كاده فقد كادني ومايلزمني من أمره من حال إلا ويلزمكم مثله فليسمع الرجل منكم مايسكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه . فما رأيت جوابا قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ماهي أول منة مننت بها علينا ولا أول يد بيضاء طوقتناها وما زال أبوك قبلك في بناء الشرف لنا ودفع الذم عنا فهذه أنفسنا وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لي قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سنح لي السلطان ما أملت فانصرفت الى أهلي .

ومن المديح البارع قول الأخطل :

شمسُ العداوةِ حتى يستقادَ لهم (٢) وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدروا

أخذه خارجة بن مليح المكي وأحسن :

آل الزبير نجومٌ يستضاء بهم إذا احتبى الليلُ في ظلمائه زهروا
قومٌ إذا شومسوا لجَّ الشماسُ بهم ذاتَ الاباءِ وان ياسرتهم يسروا

---

(١) في الأصل « حين » .

(٢) في الأصل (بهم) والتصحيح من شعر الأخطل المطبوع .

ومنه قول كثير في عبد الملك :

أبوك الذى لمـا أتى مرج راهط ... وقد ألبوا من جمعهم ما تألبا
تسنأ للأعداء حتى إذا أتوا ... لمـا شاء منهم طائعين تحببا

وقال البحترى :

حرونٌ إذا عازته فى مُلمة ... فان جئته من جانب الذل أصحبا

ونحوه : كريمٌ يغضُّ الطرفَ فضلُ حيائه ... ويدنو وأطرافُ الرماح دوانى
وكالسيفِ ان لاينته لانَ متنهُ ... وحدّاه ان خاشنته خشنان

ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل فى ظلمائه زهروا * قول الأشجع :

إذا غاب عنا الفجرُ خضنا بوجهه ... دُجى الليلِ حتى يَستنيرَ لنا الفجرُ

وقال خارجة أيضا :

ويسفر للسارى إذا جنَّ ليله ... سـبيل المطايا بالوجوه السوافر

وقال ادريس بن أبى حفصة :

لمـا أتتك وقد كانت منازعة ... وافي الرضا بين أيديهـا باقياد
لهـا أمامك نورٌ تستضيء به ... ومن رجائك فى أعقابها حادى
لهـا أحاديثُ من ذكراك تشغلها ... عن الرتوع (١) وتلهينا عن الزاد

ولا أعرف فى معناها مثلها :

إذا أشرقت في جنح ليـل وجوهُهم ... كفى خابطَ الظلماءِ ضوءُ المصابح
وان ناب خطبٌ أو ألمت مُلمةٌ ... فكم ثمَّ من آسي جراحٍ وجارح

ومن أجود ماقيل فى صفة الرجل الجواد قول أبى الأسد الدّينوَرىّ :

ولائمـة لأمتك يافيضُ في النـدَى ... فقلتُ لها لن يَقدحَ اللومُ فى البحر
أرادت لتثنى الفيضَ عن عادة الندى ... ومن ذا الذى يَثنى السحابَ عن القطر

---

(١) وفى نسخة (الربوع) .

مواقع جودِ الفيضِ في كلِّ بلدةٍ   مواقع ماءِ المزنِ في البلد القفر (١)

ولا أعرف في معناها مثلها . وقلت :

تقضى مآربه من كلِّ فائدةٍ   لـكن من المجد ماتقضى مآربُهُ
أفاده العزَّ آباءٌ ذوو كرم   وزادهُ الخلقُ المحضر جانبه
لقد فضلتَ كرامَ الناس كلهم   فهم مناسمُ مَجد أنت غاربه
ياليتَ شعرى هل يَسطيعُ شـكرَكم   دهرٌ مساعيـكم فيه مَناقبه
وحينَ أرضيتم كنتم نوافله   وأنتم حين أسخطتم نوائبه
منـكم على الدهر عينٌ لاتناومه   وللحوادث قِرن لاتغالبه

ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول الأشجع (٢) في جعفر بن يحيي :

يرومُ الملوكُ جدى جعفر   ولا يَصنعونَ كما يَصنعُ
وكيف ينالونَ غاياتِه   وهم يَجمعونَ ولا يَجمع
وليس بأوسعهم في الغنى   ولـكنَّ معروفَه أوسع
فما خلفه لامرىء مطمعٌ   ولا دونه لامرىء مقنع
إذا رفعت كفه معشراً   أبى العزو الفضل أن يوضعوا
ولا يرفعُ الناسُ من حطهُ   ولا يضع الناسُ من يَرفعُ
رأيتُ الملوكَ تغضُّ العيون   إذا مابدا الملكُ الاتلع
بديهتهُ مثلُ تدبيرِه   متى هجتهُ فهو مُستجمع

أخذ قوله «بأوسعهم في الغنى» من قول الأول :

له نارٌ تشبُّ بـكلِّ أرضٍ   إذا النيرانُ جللتِ القناعا
وما ان كان أكثرهم سواداً   ولـكن كان أرحبهم ذراعا

---

(١) يكرر المصنف بعض الأبيات في مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمى ، مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيي فقربه من الرشيد فأثرى ، ورثى الرشيد بعد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيتك في حال تكونُ بها   أدنى إلى كلّ خيرٍ منك في العدم

ومن أجود ماقيل فى الصلة على بعد الدار قول نهشل بن جرى :

جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه   بنى الصلت إخوان السماحة والمجد
أتانى وأهلى بالعراق نداهُمُ   كما صاب غيثٌ من تهامةَ في نجد
فما يتغير من زمانٍ وأهله   فما غير الأيام مجد كم بعدى

فأخذه البحترى أخذاً مارأيت أعجب منه وقد وجه اليه بنو السمط برمى حمص إلى منبج فقال :

جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه   بنى السمطِ إخوانِ السماحةِ والمجد
همُ حضرونى والمهامهُ بيننا   كما ارفضّ غيثٌ من تهامةَ فى نجد .

إلا أن قوله * هم حضرونى والمهامه بيننا * أبدع وأحسن من قول نهشل * أتانى وأهلى بالعراق نداهم * وأخذه ابن المولى فقال :

فرحتُ بجعفر لما أتانا   كما سُرَّ المسافرُ بالايابِ
كممطورٍ ببلدته فأضحى   غنياً عن مطالعةِ السحاب

وأخذه أبو السمط بن أبى حفصة فقال فى عبد الله بن طاهر :

لعمرى لَنعمَ الغيثُ غيثٌ أصابنا   ببغدادَ من أرضِ الجزيرة وابلُهْ
ونِعمَ الفتى والسدُّ بيتى وبينه   بسبعينَ ألفاً صبحتنى رسائله
فكنا كحىّ صبَّح الغيثُ دارَهُ   ولم يحتمل أظعانه وجمائله

وأخذه أبو تمام فقال :

لم أستطع سيراً لمدحةِ خالدٍ   فجعلتُ مِدحَتهُ اليه رسولا
فليرحلنّ اليك نائلُ خالدٍ   وليكفينّ رواحلى الترحيلا

وأخذه أبو صفان فقال في أحمد بن محمد بن توابة :

نفسى فداءُ أبى العباس من رجل   لم ينسنى قطُّ فى نأيٍ ولا كَثَب

يقرى وبالرقةِ البيضاءِ منزلهُ من بالعراقينِ[١] من عُجمٍ ومن عرَب
أغنيتنى عن رجالٍ أنت فوقهم فى المكرماتِ ودونَ القوم فى النشب

وأصل ذلك كله من قول جرير : أخبرنا أبو أحمد عن على بن سليمان الأخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بعث عبد العزيز بن مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريده فأتاه نعيه فقال جرير يرثيه :

بنفسي امرأً والشامُ بينى وبينهُ أتتنى ببشرى بردُهُ ورسائله

قال أبو أحمد قال أبو الحسن لايجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية هكذا ، معناه أفدى .

أتى زمنُ البيضاءِ بعدك فانتحى على العظم حتى ماتقوم حوافله
فيومانِ من عبد العزيزِ تفاضلا ففي أىِّ يوميه تلومُ عواذله
فيوم تحيط المسلمين جياده ويوم عطاه ما يفرّحُ نائله

ومن المديح البارع قول ابراهيم بن العباس :

أسدٌ ضارٍ إذا هيجته وأبٌ بَرٌّ إذا ما قدرا
يعلمُ الا بعدَ إن أثرى ولا يعلمُ الأدنى إذا ما افتقرا

ومن بليغ المديح ماأنشدناه أبو أحمد فى جملة خبرأخبرناه عن أبيه عن أحمد ابن أبي طاهر النديم عن عبد الله بن السرى عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله ابن زيد القسرى كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده سماطان من وجوه الناس إذ أقبل شاب لم أر مثل جماله وكماله فقال أصلح الله الأمير إنى امرؤ فدحته كربة وأوحشته غربة ونأت به الدار وأقلقه الأمعار وحل به عظيم خذله أخلاؤه وشمت به أعداؤه وجفاه القريب وأسلمه البعيد فقمت مقاماً لا أرى فيه معولاً ولا جازى نعمه إلا رجاء الله تعالى وحسن عائدة الأمير وأنا أصلح الله الأمير ممن لا تجهل

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وعراق العرب وعراق العجم . كما فى جنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين للمحبي .

أسرته ولا تضيع حرمته فان رأى الأمير أن يسد خلتي ويجبر خصاصتي فعل فقال ابن هبيرة ممن الرجل ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

فزارةُ بيتُ المجد والعزّ فيهم ... فزارةُ قيسٍ حسبُ قيسٍ فعالها

لها العزة القعساءُ والشرفُ الذي ... بناهُ لقيسٍ في القديم رجالُها

وهل أحدٌ ان مدّ يوماً بأنفه ... إلى الشمس في جوّ السماء ينالها

لهيهات ما أعيا القرون التي مضتْ ... مآثرُ قيسٍ واعتلاها خصالها

فقال ابن هبيرة إن هذا الأدب حسن مع ما أرى من حداثة سنك فكم أتت لك ؟ قال تسع وعشرين ـ فلحن الفتى ـ فتبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال ألحن أيضاً مع جميل ماأتى عليه منطقك ، شبته بأقبح عيب (١) فأبصر الفتى ماوقع فيه فقال إن الأمير أصاحه الله تعالى عظم في عيني وملأت هيبته صدري فنطق لساني بمالا يعرفه قلبي . فقال له ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أوده ويحضر بها سلطانه ويزين بها مشهده ويتبوأ بها على خصمه أو يرضى أحدكم أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكاره (٢) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم فان كان سبقك لسانك وإلا فاستعن على اصلاحه ببعض ما أوصلناه اليك ولا يستحيي أحدكم من التعلم فانه لولا هذا اللسان لكان الانسان كالبهيمة المهملة قاتل الله الشاعر حيث يقول :

ألم ترَ مفتاحَ الفؤادِ لسانُه ... إذا هو أبدى ما يقولُ من الفم

وكائنْ ترى من صامتٍ لك معجبٍ ... زيادتُه أو نقصهُ في التكلم

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ ... فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدّم

ومن بارع المديح :

ولي منك موعودٌ طلبتُ نجاحَهُ ... وأنتَ امرؤٌ لا تخلف (٣) الدهرَ موْعدا

وعوَّدتني ان لاتزال تُظلني ... يدٌ منك قد قدّمتَ من قبلها يدا

(١) كذا والمعنى ظاهر . (٢) الاكار : الحراث . (٣) في الأصل «يخلف» .

فلو أن مجداً أو ندى أو فضيلةً تُخلدُ شيئاً كنتَ أنتَ المخلدا

ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصُّولى عن أبى العيناء عن الأصمعى للصموت الكلابى وقال مرة للصموت الكلابية امرأة :

لله دَرُّكَ أىُّ جنةِ خائف ومتاع دُنيا أنتَ في الحدثان

متخمط يطأ الرحال غُلبَّةً (١) وطأ الفنيق (٢) دوارج القردان

وتفرج البابَ الشديدَ رتاجُه حتى يكونَ كأنه بابان

وتبعه أبو تمام فقال فى ابن أبى داود :

فلتبك الاحسابُ أى حياةٍ وحيا أزمةٍ وحيةِ واد

عاتق مُعتقٌ من اللوم (٣) إلاَّ من مقاساة مغرمٍ أو نجادِ

ومن أجود ماقيل فى صفة الكمال قول كشاجم :

ومهذبِ الألفاظ مَنطقهُ مافيه من خَطلٍ ولا مَينِ

ماشئتَ من ظَرفٍ ومن شيم مافى محاسنهن من شين

ما كان أحوج ذا الكمال الى عيبٍ يوقيه من العين

قد أحسن وظرف ولم يقصر فى تقليل الحز واصابة المفصل . ومثله قوله :

يا كاملَ الآدابِ مُنفردَ العلا والمكرمات ويا كثير الحاسدِ

شَخصَ الانامُ الى كمالك فاستعذ من شر أعينهم بعيبٍ واحدِ

وقال ابن الرومى يمدح بعض العمال وقد نكب :

لا يستطيعك بالتنقص حادثٌ وأبى لك التكميلُ أن تتزيدا

وكأنى بك قد نحوتَ محمدٍ فى النائبات كما دعوت محمدا

فطلعتَ كالسيف الحسام مجرداً للحق أو مثل الهلال مجددا

---

(١) المتخمط : القهار الغلاب . والغلبة بضمتين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبى تمام « الهون » .

شهد النهار وكشفه غُمم الدجى ... ان الزمانَ مُبيضٌ ماسودا

ومثله قول الآخر :

فما كنت إلا السيف جُرِّدَ في الوغي ... وأُغمِد في الهيجا ورُدَّ الى الغمد

ومن أبلغ المديح :

بديهته وفكرتهُ سواءٌ ... إذا ماناَبهُ الخطبُ الكبيرُ

وصدرٌ فيه للهمِّ اتساعٌ ... إذا ضاقت من الهمِّ الصدور

ومن أبلغ المديح قول البحترى :

أخذوا النبوةَ والخلافةَ واثتنوا ... بالمكرُماتِ كثيرِها وقليلها

واذا قريشٌ فاضلتك فَضلتها ... بأبى خلائفها وعم رسولها

وجوادِها ابن جوادِها وكريمها ابن كريمها [1] ونبيلها ابن نبيلها

لو سارت الأيامُ فى مسعاتهم ... لتنالها لتقطعت فى طولها

رفعتهمُ الآياتُ فى تنزيلها ... وقضت لهم بالفضل في تأويلها

واذا انشعبت أخذتَ خيرَ فروعها ... واذا رجعت أخذتَ خيرَ أصولها

وقلت : لئن قلَّ أربابُ المكارم والعلا ... ليحيى كثيرٌ في العلا والمكارم

يذكرنى جودَ الغمائم جودُهُ ... وشكرى له شكرَ الثرى للغمائم

تخال به بدراً مع الليلِ باهراً ... يلوحُ على عرف من الليل فاحم

يديل من الأيام والدهر منصف ... بعزم على الأيام والدهر حاكم

يبزُّ من الانجاد كل مساور ... ويعلو من الامجاد كل مكارم

بخلق كمتن الصخر فى كف لامس ... وطور كجرى الماء فى عين حائم

ورأيٍ كصدر الراغبيةِ شارع ... وعزم كحدِّ المشرفية صارم

على بلدة يسقى الضراغمَ ماؤها ... ويسقي بها الالى دماء الضراغم

ومن بارع المديح قول أبى تمام :

---

(١) فى ديوان البحترى «وشريفها ابن شريفها» مكان «وكريمها ابن كريمها» .

رأيت لعياشٍ خلائفَ لم تكن لتكملَ إلا في اللباب المهذب
له كرمٌ لوكان في الماء لم يَغِض وفي البرق ماشامَ امرؤٌ برقُ خلب
أخو عزَمات بذلُه بذل مُحسنٍ إلينا ولكن عُذرُه عُذرُ مذنب
يَهولُك أن تلقاه في صدر مَحْفلٍ وفي نحر أعداءٍ وفي قلب مَوكب
وماضيق أخطار البلاد أضاقني اليك ولكن مذهبي فيك مذهبي
وهذي ثيابُ المدح فاجرر ذيولها عليك وهذا مركبُ الحمدِ فاركب

وقد أحسن التنوخي في أبيات له منها :

وفتية من حمير حمر الظبي بيض المطايا حينَ يسودُّ الأمل
شموس مجد في سموات علا وأسد موتٍ بين غابات أسل

وقلت : ماالمجدُ الا سماءٌ أنت كوكبها والجود إلا غمامٌ أنت سلسله
فكل سابقٍ قوم أنتَ سابقهُ وكل فاضلِ حزب أنت تفضله
بالعقل تحكمهُ والأمرِ تبرمُهُ والعرض تمنعهُ والمال تَبذلهُ

وللمحدثين أبيات بارعة سائرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيامُنا مصقولةٌ أطرافها بك والليالي كلها أسحارُ

مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثنا شيخ ابن حاتم العكلي حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولي بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل أهلي وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هي عذبة الماء باردة الهواء قليلة الأدواء قال كيف ليلها قال سحر كله قال صدقت إنها لطيبة قال لك طابت وبك كملت واين بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء فياف فيح بين قيصوم وشيح . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

يارُبَّ ليل سَحَرٌ كله مفتضح البدر عليل النسيم

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى   فيه فتهديه لنار الهموم

وقال ابن الرومى * كأن أيامهن كالبكر * وقلت :

أيامُنا فى جواره بكرٌ   وليلنا فى فنائه سحر

ومنها قول أبى نواس :

أنت الخصيبُ وهذه مصرُ   فتدفقا فكلاكما بحر

وقوله : وليس على الله بمستنكرٍ   أن يجمعَ العالمَ فى واحد

وقوله : فتى يشترى حسنَ الثناءِ بماله   ويعلمُ أن الدائرات تدورُ

فما جازه جودٌ ولا حل دونه   ولكن يصيرُ الجودُ حيثُ يصير

وقول أبى العتاهية :

أتته الخلافةُ منقادة   اليه تجرُ أذيالها

ولم تكُ تصلحُ الا لهُ   ولم يكُ يَصلحُ إلا لها

ولو رامها أحدٌ غيره   لزلزلتِ الأرضُ زلزالها

وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وأنى واسماعيل يومَ وفاته   لكالغمد يوم الروع فارقهُ النصلُ

فان أغش قوماً بعده أو أزورهم   فكالوحش يدنيها من الأنس المحل

الأنس جمع مثل خدم . وقول بعض الاعراب فى معن بن زائدة :

أنتَ الجواد ومنك الجودُ أوله   فان فُقدتَ فما جودٌ لموجود

أضحت يمينك من جود مصورة   لا بل يمينك منها صورةُ الجود

من نور وجهك تضحى الأرض مشرقةً   ومن ثنائك يجرى الماءُ فى العود

وقول البحترى :

وقد قلتُ للمعلى إلى المجد طَرفَهُ   دَعِ المجدَ فالفتحُ بنُ خاقان شاغله

صفت مثلَ ماتصفو المدامُ خلاله   ورقت كما رق النسيمُ شمائله

والعرب تتمدح بطول القامة فمن أجود ماقيل فيه قول أبى تمام :

أناس (١) إذا يدعي نزال إلى الوغى ... رأيتهم رجلى كأنهم ركب
من المطريين الأولى ليس ينجلى ... بغيرهم للدهر صرف ولا كرب (٢)
جعلت نظام المكرمات فلم تدر ... رحا سؤدد إلا وأنت لها قطب
إذا افتخرت يوماً ربيعة أقبلت ... مجنبتى مجد وأنت لها قلب

ومن أجود ماقيل في قدم الشرف ووضوح النسب قول أبي تمام :

نسب كأن عليه من شمس الضحى ... نوراً ومن فلق الصباح عمودا
عريان لا يكبو دليل من عمى ... فيه ولا يبغى عليه شهودا
شرف على أولى الزمان وإنما ... خلق المناسب مايكون جديدا
لو لم تكن من نبعة نجدية ... علوية لظننت عودك عودا
مطر أبوك أبو أهلة وابل ... ملأ البسيطة عدة وعديدا
ورثوا الابوة والحظوظ فأصبحوا ... جمعوا جدوداً فى العلا وجدودا
أكفاءة تلد الرجال وانما ... ولد الحتوف أساوداً وأسودا

أخذه السرى فقال فى المهلبي :

نسب أضاء عموده فى رفعه ... كالصبح فيه ترفع وضياء
وشمائل شهد العدو بفضلها ... والفضل ماشهدت به الأعداء

وهذا من قول البحترى :

لا أدعى لأبى العلاء فضيلة ... حتى يسلمها اليه عداه

وقلت : قد نلت بالرأي والتمييز منزلة ... مانالها أخواك البحر والمطر
وبالتكرم والافضال مرتبة ... لم يعطها خادماك السيف والقدر
قالوا أيمطر من محل ألم به ... فقلت قد تمطر الانهار والغدر
مال يبدده فى جمع مكرمة ... فالمجد مجتمع والماء منتشر
كروضة أخذت بالغيث زخرفها ... فالروض منتظم والغيث منتشر

---

(١) فى ديوان البحترى « كماة إذا » . (٢) فى نسخة « لزب » وهي الشدائد .

مناقبٌ ما يكادُ الدهرُ يهدمها كأنها أُصَلٌ للدهر أو بُكَرُ
فابشر فانك رأسٌ والعلا جسد والمجدُ وجهٌ وأنتَ السمعُ والبصر
لولاك لم تك للأيام منقبةٌ تسمو اليها ولا للدهر مفتخر
وقلت : هل أنت إلا البدر تم تمامُه والغيث با كرَ وبلهُ وسجامُه
والسيفُ أرهفَ للمضاءِ غراره والرمح قوَّمَ للقاء قوامه
أنت الربيعُ الغضُّ رقَّ نسيمه واخضرَّ روضته وصاب غمامه
خُلق كنشرِ الروضِ طل نباته أو مثل صرفِ الراح فُضَّ خِتامه
للأولياء رخاؤه ورخاؤه وعلى العداة سمومه وسمامه
يامن أدل على الزمان زمانُه وزرى على أيامه أيامه
يدنو فيغمرُ كلَّ شيءٍ فضله كالخصب يُنعش كل خلق عامهُ
ما ان يزال من المآثر والعلا في موكب منشورة أعلامه
عالٍ تَسَوَّرَ فوق قِمة سؤدد أوفى على قمم النجوم سَنامه
يبدو فيبدى الصبحُ غُرةَ وجهه والليل قد قبض العيونَ ظلامهُ
سبق الجيادَ فما يُشقُّ غُبارُه وعلا القرينَ فما يُرام مرامه
ولئن أبرَّ على الحسام عزيمةً فكما أبرَّ على القضاء حُسامه
وكأنما أقلامُه أسيافُهُ وكأنما أسيافه أقلامه
ماالمجد الا العقد جودك شذره (١) ونداك لؤلؤهُ وأنت نظامه
والجودُ في يدك اليمين عِنانهُ والبأس في يدك الشمالِ خطامه
مازال فوتك في اللواء موليا مولى المخافة خلفه وأمامه
فاعمر على زمن أغر محجل قد تمَّ فيك على الورى إنعامه

وقال آخر وأحسن :

---

(١) الشَّذْر : قطع من الذهب تلقط من معدنه بلا إذابة ، أوخرزٌ يفصل بها النظم ، أوهو اللؤلؤ الصغار ــ كما فى القاموس .

كم صغروا منهمُ واللهُ يكافؤهم نعماء ماصغرت إلا لأنْ عظموا

وقال أبو يعقوب الخزيمى :

فلو لم يكن إلا بنفسك فخرُها لكان لها يوم الفخارِ بك الفضل
جريتَ على مهلٍ فأتعبت من جرى فلا تعبٌ يدنى اليك ولا مهل
ويبـذل دنياهُ ويمنع دينـهُ فلا مثلَ ذا بذلٌ ولا مثلَ ذا بخل

وقلت : وقفتُ على يحيى رجائى وانما وقفتُ على صوبِ الربيع رجائيا
اذا مااللیالى أدركت ماسعت له تمطيت جدواه ففقت الليـاليا
اذا غاب جاء المزن في الجود سابقا وان آب جاء المزن فى الجود تاليا
إذا الغيثُ باراه ثنى الغيثَ مقصرا أوالبرق جاراه ثنى البرق كابيا
فتى لم نزنه بالقوافى وانمـا حططنا اليه كي تزينَ القوافيا
من الغرّ لاحوا أشمساً ومضواظبي وصالوا أسوداً واستهلوا سواريا
رأيت جمالَ الدهر فيك مجـدداً فـكن باقياً حتي ترى الدهرَ فانيا

وقلت : في فتيـة أخلاقُهم وفعـالهم عِرسٌ تـكامل حسنها وعرائس
حَلّ السرور حبـاهمُ فى مجلس للمجد والعلياء فيـه مجالس
فهمُ إذا نظروا الصديق كوا كبٌ زهرٌ وإن نظروا العدوّ حنادس
أوقيـل تلتف الجياد بمثلها فهم ضراغم والعـداة فرائس
فالليل منهم شامسٌ والصبح منـهم دامسٌ والدهرُ منهم وارس

وأظن ابن الرومى سبق إلى معنى قوله :

نفائس ماله أدناه مجنى من الأيدى جميعاً والأمانى
كذاك فوارضُ الثمراتِ تدنو لجانيها فتمكن كلّ جانى

وأخبرنا أبو أحمد عن العبشمى عن المبرد قال أتى شاعر أبا البخترى وهب ابن وهب وكان من أجود قريش كان إذا سمع المادح له ضحك وسرى السرور بجوانحه وأعطى وزاد فأنشده هذا الشاعر :

لكلّ أخي فضلٍ نصيبٌ من العلا ... ورأسُ العلا طراً عقيدُ الندى وهبُ
وما ضرّ وهباً عيبُ من جحد الندى ... كما لا يضر البدرَ ينبحه الكلب

فثنى له الوسادة وهشّ اليه ورفده وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد خلق الله اغتباطاً لم يخدمه أحد من غلمان أبي البخترى ولا عقب له ولا حل فانكر ذلك مع جميل مافعل به فعاتب بعضهم فقال إنما نعين النازل على الاقامة ولا نعين المرتحل على الفراق فبلغ ذلك جليلا من القرشيين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد أحسن من رفد سيدهم .

ومن بليغ المعانى في المديح قول ابن الرومي :

لما من عاثر لك يا ابن يحيي ... يموتُ الكاشجونَ وأنت تحيا
على أن المماتَ لكل حيٍّ ... وقيتَ به من الحدثان محيا

وقال خلف بن خليفة :

ان استجهلوا لم يغرب الحلمُ عنهمُ ... وإن آثروا أن يجهلوا عظم الجهلُ
همُ الجبلُ الأعلى إذا ماتنا كرت ... ملوكُ الرجالِ أو تخاطرت البزلُ
مواعيدُهم فعلٌ إذا ماتكلموا ... بتلك التى أن سُميت وجب الفعل
ألم تر أن القتلَ غالٍ إذا رضوا ... وإن غضبوا فى موطنٍ رخص القتلُ

وقلت: لقد علمت يحيي موافية العلا ... فضائل آباء تلتها فضائله
فحاز طريفَ المجدِ بعدَ تليدهِ ... رفيع يطول النجمَ حين يطاوله
فتى غُرّةُ الايام حسنُ صنيعه ... وتيجانُها أخلاقُهُ وشمائله
وماهو إلا المزن تصفو خلاله ... ويملو مبواه ويبكرُ هاطله

﴿ الفصل الثانى من الباب الأول فى الافتخار ﴾

قالوا أفخر بيت قالته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناسَ كلهم غضابا

وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأخطل من أتانى منكم بصدر هـذا البيت « والعود أحمد » فله عشرة آلاف درهم فما كان فيهم مجيب فأدخل أعرابى من عذرة اليه فأنشده :

فان كان منى ما كرهتَ فاننى أعودُ لما تهواهُ والعودُ أحمدُ

فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم تصب ما أردتُ فأنشد :

جزينا بنى شيبانَ قِدماً بفعلهم وعُدنا بمثل البدءِ والعودُ أحمد

قال لم تصب ماأردت فأنشد :

وأحسن عمرٌو فى الذى كان بيننا فان عاد بالاحسان فالعودُ أحمد

فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرنى عن أهجى بيت قالته العرب قال قول جرير :

فغضَّ الطرفَ انك من نمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

ولو وضعت فقاحُ بنى نميرٍ على خُبثِ الحديد إذاً لذابا

قال فأخبرنى عن أمدح بيت قالته العرب قال قول جرير :

ألستم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمينَ بطونَ راح

قال فما أفخر بيت قالته العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبتَ الناس كلهمُ غضابا

قال فما أغزل بيت قالته العرب؟ قال قول جرير :

ان العيونَ التى فى طرفها مرض (١) قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يَصرعنَ ذا اللب حتى لا حَراكَ بهِ وهُنَّ أضعفُ خلق الله أركانا (٢)

---

(١) وفى رواية « حور » . (٢) فى هامش النسخ « انسانا » اشارة لنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها   طي التجار بحضرموت برودا

قال فما أقبح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم تَرَ أنَّ جِعْثِنَ وَسْطَ سعد   تُسمى بَعدَ قِصّتها الرحابا [(١)]

ترى برَصاً بأسفل [(٢)] إسكتيها   كعنفقةِ الفرزدق حينَ شابا

قال فما أهجن بيت قيل قال قول جرير :

طرقتك صائدةُ القلوبِ وليس ذا   حين الزيارة فارجعي بسلام

قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا ولكن ترد علينا أقاويل الشعراء فلم أرَ شعراً أرق في الوزن ولا أملأ للفم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في هذا العام له وأضاف عبد الملك اليها مثلها وكتب إلى عامله باليمامة أن ينصف من خصم تظلم منه .

وقد قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأتم فأحسنتم فأثنيتُ جاهداً   وان عدتمُ أثنيتُ والعودُ أحسن [(٣)]

وقال ابن المعتز أوغيره :

خليليَّ قد طاب الشرابُ المبرَّدُ   وقد عُدتُ بعدالنسك والعودُ أحمد

وقال ابن حبيب دخل رجل من بنى سعد على عبد الملك بن مروان فقال له ممن الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غَضبتْ عليك بنو تميم   حسبتَ الناس كلهم غضابا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى   وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

---

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدر كناها من النقائض .

(٢) في النقائض (بمجمع) مكان (بأسفل) .   (٣) لعله «أحمد» .

ثياب بني عوف طهارى نقية ... وأوجههم عند المشاهد غران

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

فلا وأبيك ماظلمت قريع ... بأن يبنوا المكارم حيث شاؤا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

قوم همُ الأنف والأذنابُ غيرهمُ ... ومن يسوّى بأنف الناقة الذنبا

قال اجلس لاجلست والله لقد خفت أن تفخر عليّ .

وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول الفرزدق :

ترى الناسَ ماسرنا يَسيرونَ خلفنا ... وان نحنُ أومأنا الى الناس وقّفوا

ورواه لنا أبو علي بن أبي حفص «أربأنا» قال والارباء الاشارة إلى خلف والايماء إلى قدام، والناس يجعلون هذا البيت لجميل في قصيدته التي يقول فيها :

وكانت تحيدُ الأسدُ عنا مَخافةً ... فهل يقتلني ذو بنانٍ يطرفُ

لقد أخلفت ظني وكانت مخيلة ... وكم من مخيل يرتجي ثم يخلفُ

إذا انتهبَ الأقوامُ مجداً فاننا ... لنا مغرفا مجدٍ وللناسِ مغرفُ

وضعنا لهم صاعَ القصاصِ رَهينةً ... بما سوفَ نوفيه اذا الناسُ طففوا

ترى الناسَ ماسرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحنُ أومأنا إلى الناس وقفوا

وكان جميل جيد الافتخار قال :

والشاعر المبتلى ألشاعرون به ... كي يلمسوه [1] وأين اللمس من زحل

وعند الناس قصيدته الفائية أحسن وأجلس من قصيدة الفرزدق . وأخذ بعضهم قوله * وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف * فقال وأحسن :

ظننت به ظناً فقصرَ دونهُ ... فيارُبّ مظنونٍ به الخيرُ يخلفُ

وما الناس بالناسِ الذين عرفتهم ... وما الدار بالدار التي كنت أعرف

وما كلُّ من تَهواه يهواك قلبه ... وما كلُّ من أنصفته لك منصف

---

(١) في الأصل « يلمس » .

أخبرنا أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر بن العسى عن العسى قال من أحسن ماامدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عَشيرتي بمنهضم حقي ولا قارع سني
ولا مسلم مولايَ عند جناية ولاخائف مولاى من شرما أجني
وإن فؤادى بينَ جنبيَّ عالمٌ بما أبصرت عيني وماسمعت أذني
وفضلني في الشعر واللب أنني أقولُ على علمٍ وأعلمُ ما أعني
فأصبحتُ إذ فضلت مروانَ وابنه على الناس قد فضلت خير أبٍ وابن

وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود ما مدح به الرجل نفسه ، قال أبو هلال وهو لمسكين الدارمي :

ورُبَّ أمورٍ قد بريت لحالها وقومت من أصلابها ثم رشتها
أقيم بدار الحزم مالم أهن بها فان خفتُ من دار هوانا تركتها
وأصلحُ جل المال حتى تَحسبني بخيلاً وان حقٌّ عراني أهنتها
ولستُ بولاج البيوتِ لفاقَة ولكن إذا استغنيتُ عنها ولجتها
إذا قصرت أيدى الكرام عن العلا مددتُ لها باعاً طويلا فنلتها
وعوراءُ من قيل امرىء ذى عداوة تصاممتُ عنها بعد أن قد سمعتها
رجاء غدٍ أن يَعطفَ الودُّ بيننا ومظلمة منى بجنبي عركتها

غيره : ومالىَ وجهٌ فى اللئامِ ولا يدٌ ولكنّ وجهى في الكرامِ عريضُ
أصحُّ (١) إذا لاقيتهم وكأنني إذا أنا لاقيتُ اللئامَ مريض

وقلت في معناه :

وخِلِّ الجهولَ وبُغضى له فانى لبيب أُحبُّ اللبيبا
يصادفني الضيف طلقاً ضحوكا وان كنتُ لم أر بدعا عجيبا
وأستعملُ الحلمَ مالم أكن أصبتُ من الذلِّ فيه نصيبا

---

(١) في الأصل « أصيح » وهو تصحيف لافائدة في كثرة التنبيه على مثله .

من الحلم ضربٌ إذا رُمته   لقيت من الذل فيه ضروبا

وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هفان * فان تسألي عنا فانا حلى العلا * ثم قال ليس لقوله * فانا حلى العلا * نظير ، وأنشدنا له :

لعمرى لئن بيعت في دار غربة   ثيابيَ (١) إذ ضاقت عليّ المآكل

فما أنا إلا السيف يأكلُ جفنه   له حِليةٌ من نفسهِ وهو عاطل

وقد زاد في هذا البيت على النمر بن تولب في قوله وهو أول من أتى بهذا المعنى :

فان تكُ أثوابي تمزق عن بلى   فاني كمثل السيف في خلق الغمد

ولأبي هفان أيضاً :

تعجبت دُرٌّ من شيبي فقلتُ لها   لاتعجبي من بياض الصبح في السدف

وزادها عجباًان رحتُ في سَمَلٍ (٢)   ومادرت دُرٌّ أن الدرّ في الصدف

فرأيت في هذا المعنى تكلفا فقلت :

عيرتني ان رحتُ في سَملٍ   والدرُّ لا تزرى به الصدف

وله أيضا في هذا المعنى :

يُعيرني عربي رجالٌ سفاهةً   فعزيتُ نفسى مصدراً ثم موردا

بأني مثل السيف أحسن مايُرى   وأهيب ما يُلقى إذا هو جُردا

في ألفاظه فضول لا يحتاج اليها . ومثله في المعنى قول على بن الجهم أورده في مصراع وهو * والسيف أهيبُ مايُرى مسلولا *

ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام :

فقل لزهير إن شتمت سَراتنا   فلسنا بشتامين للمتشتم

ولكننا نأبى الظلامَ ونعتصى   بكل رقيقِ الشفرتين مصمصم

وتجهلُ أيدينا ويَحلمُ رأينا   ونَشتمُ بالأفعالِ لا بالتكلم

هذا أحسن من كل شيء في الافتخار ، وقريب من هذا المعنى قول

---

(١) في النسخ « ثيابي إذا » . (٢) سمل الثوب سمولاً : أخلق فهو ثوب سَمل .

لقيط بن زرارة :

أغركُ أنى بأحسنِ شيمةٍ بصيرٌ وأنى بالفواحش أخرق
وانك قد ساببتنا فغلبتنا هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أحذق

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهرى عن عمر بن شبة قال يروى أنه قيل للفرزدق أى بيت قالته الشعراء أفخر ؟ قال قول امرىء القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكننى أسعى لمجدٍ مُؤثَّلٍ وقد يُدرك المجدَ المؤثلَ أمثالى

قيل له فأيها أحكم قال قوله :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به والبرُّ خيرُ حَقيبةِ الرجلِ

قال فأيها أرق قال قوله :

وما ذَرفت عيناكِ إلا لتضربى بسهميكِ فى أعشارِ قلبٍ مقتلِ

قال فأيها أحسن قال قوله :

كأن قلوبَ الطيرِ رَطباً ويابساً لدى وكرِها العنابُ والحشفُ البالى

وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول كعب بن مالك الأنصارى :

وببئرِ بدرٍ اذ يَرُدُّ وجوهكم جبريلُ تحتَ لوائنا ومحمد

ومن بليغ (١) الافتخار قول الجحاف :

صبرت سليمٌ للطعان وعامر واذا جَزِعنا لم نُجد من يَصبرُ
نحن الذين اذا عُلوا لم يَضجروا يومَ اللقاَ واذا عَلوْا لم يفخروا

وقال ضمرة بن ضمرة :

أذيقُ الصديقَ رأفتى واحاطتى وقد يشتكى منى العداةُ الاباعدُ
وذى تِرَةٍ أوجعتهُ وسبقته فقصر عنى سَعيهُ وهو جاهدُ

(قصر وهو جاهد) بليغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

---

(١) فى نسخة (ومن أبلغ) .

ومن جيد الافتخار بالجود وطيب النفس به قول بعض العرب :

تُسائلني هوازنُ أينَ مالي ... ومالي غير ما أنفقتُ مال

فقلتُ لها هوازن انَّ مالي ... أضرَّ به الملماتُ الثقال

أضر به نَعَمْ ونَعَمْ قديماً ... على ما كان من مال وبالُ

المعنى حسن جداً ، وفي الألفاظ تكرير شائن .

أبلغ ما افتخر به في كثرة العدد قول الأول :

ما تطلعُ الشمسُ إلا عند أولنا ... ولا تغيبُ إلا عند آخرنا

وقول أبي جندب :

فلو نُزاد ألفَ ألفٍ لم نزد ... ولو فَقدنا مثلهم لم نفتقد

وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه عن أبيه عن ابن الكلبي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين وأصح الروايتين قال بلغني أن عبدالرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجا في الجاهلية فاذا أنا بشاب حسن العينين وضيء وبشيخ يسابّه قال فسبه الفتى ثم ان الشيخ عيره بأن أمه من بني الاصفر فخزى الفتى فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل ارقال الناقة الصعبة حتى أخذت بمنكبي الشيخ وهزته وقالت :

سائل وخَلل في إياد بنِ معدّ ... هل كانتِ الرومُ عبيداً لاحد

همُ الربيعُ والسَّنام المعتمد ... والذُّروة العلياءُ والركن الأشد

وأنت حرمىٌّ لئيمٌ المستند ... عُصارة اللؤم التي فيها تلد

فسألت عن الشيخ فقيل المغيرة بن عبد الله المخزومي وسألت عن الشاب فقيل ورقة بن نوفل ، ثم مررت من فوري حتى آتي مِنَى فاذا رجل على جمل عظيم لا يمر بقوم إلا هجاهم لأنه مر بالأوس والخزرج فهجاهم لاهجوته فنظر إلى قباب بيض في شرقي الجبل فقال لمن هذه فقيل لقرد بن تميم من هذيل فأمها وقال :

هل ههنا من ولد قرد من أحد ... أعطيهم من رجزي اليومَ وغد

فخرج أبو جندب وهو يقول :

نِعمَ غلامٌ منهمُ جَـلدعتد   انى وربّ الراقصات في السند

ينفرن من وقع العصى والقـدد   انى لذو اليوم وذو أمس وغـد

وابن هُذيل وابن أشـياخ معد   ثم لفهم ولفهـمٍ العـدد

فلو نزادُ ألفَ ألف لم نزد   ولو فقـدنا مثلهم لم نفتقـد

فارجع إلى معزاك تيساً ذاجيد   أوفى على رأس يقاع فصخد

قال فحلفت انى لا أهجو أحداً مادام أبو جندب حياً .

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل * الاكثرين حصي والاطيبين ثرى * واحتج السموأل لقلة العدد فأحسن :

تُعيرُنا أنا قليـلٌ عَديدنا   فقلت لهـا إن الـكرامَ قليلُ

وما قـلَّ من كانت بقاياه مِثلنا   شبابٌ تسامى للعـلا وكهولُ

وما ضرَّنا انا قليـلٌ وجارُنا   عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليـل

وهذه قصيدة فى الافتخار ليس لها نظير وإنمـا تركت إيرادها كلها لشهرتها .

ومن أجودماافتخر به محدث قول أبي تمام :

لنا جَوهرٌ لو خالطَ الأرض أصبحت   وبطنـانها منـه وظهرانها تِبرُ

مقاماتنا وقفٌ على الحِلم والحجـا   وأمردُنا كهلٌ وأشيبنا حَـبرُ

اذا زينةُ الدنيا من المـالِ أعرضت   فأزينُ منها عندنا الحمدُ والشكر

ليفخر بجـود من أرادَ فانه   عوانٌ لهذا الخلق وهو لنا بِـكر

جرى حاتمٌ في حلبة منه لو جرى   بها القطرُ يوماً قيلَ أيهما القطر

فـتى ذخر الدنيا أناس ولم يزل   لهـا باذلاً فانظر لمن بقىَ الذخر

ومنها : كماةٌ اذا طل الكماةُ لدى الوغى   وأرماحهم حُمرٌ وألوانهم صفر

بخيل لزيد الخيـل فيها فوارسٌ   إذا نطقوا في مسهب خرسَ الدهر

طوى بطنها الآساد حـتى لوانه   بدالك ماشككتَ فى أنه ظَهر

صبيته ما أن تحدثُ نفسها . بما خلفها ما دامَ قدامها وتر
فان ذَمَّتِ الاعداءُ سوءَ صباحها . فليس يؤدى شكرها الذئب والنسر
مساع يضل الشعر فى طرق وصفها فما يهتدى إلا لأصغرها الشعر
وقوله: مضوا وكأن المكرمات لديهم لكثرة ما أوصوا بهنَّ شرائعُ
بهاليلُ لو عاينتَ فَيضَ أكفهم لأيقنتَ أن الرزقَ فى الارضِ واسعُ
وأى يدٍ فى المجدِ مُدَّتْ فلم تكن لها راحةٌ من جودهم وأصابع
أصارت لهم أرضَ العدوِّ قطائعا نفوسٌ لحدِّ المرهفاتِ قطائع
اذا ما أغاروا فاحتووا مالَ معشر . أغارت عليهم فاحتوته الضنائع
فيعطى الذى يعطيهم الجود والقنا أكف لارث المكرمات موانع
يمدون بالبيض القواطع أيديا وهنَّ سواء والسيوفَ القواطع

وقلما تجد فى الافتخار شعراً يدانى هاتين القطعتين . وقلت :

خليلىَّ باعُ الدهر بالعرف ضيقٌ على كل ذى عقل وبالنكر واسعُ
وواقع نعماه عن الحرِّ طائر وطائر بلواه على الحر واقعُ
متى ما يصبنى بالقوارع طرفهُ أصابته هماتى وهُنَّ قوارع
وهماتٌ مثلى للخطوب جوالبٌ كما أنهنَّ للخطوب دوافع
تريك اشتعالاً بالنجوم طوالعاً وهُنَّ إذا لاحت نجومٌ طوالع
وتزرى على البيضِ الطوالع ان مضت وهن على العلات بيضٌ قواطعُ
تخافنى الأيامَ فهى تخيفنى والنكس تهديدٌ إذا ريع رائع
ولو كن فى عينى لما قذيت بها فكيف ترى أنى إذا صلنَ خاشع
أتطلعُ منها فى دياري طوالعٌ بسوءٍ وهماتى عليها طلائع
يقارعُ منى باسلاً ذا حفيظة يقومُ ازاء النصر حين يُقارع
فتى بأتمِّ الفضل ليس بقانعٍ ولكن بأدنى بُلغة العيشِ قانع
فما صحبته للأنام صنيعةٌ ويصحبهم منه وفيه صنائع

ولم يتواضع فى مصاداة منــة وكل مصادى منــة متواضع
له شرف فى آل ساسان باذخ وذكر بأطراف البسيطة شائع
إلى أن قلت: تؤدبه الايام حين تضره وكم ضرر المرء فيه منافع
وما ضاع مثلى حيث حلت ركابه بلى حيث ضاع المجد مثلى ضائع
ومثلى مخضوع له غير أنه إذا كان مجهول الفضائل خاضع
ومثلى متبوع على كل حالة فان ينقلب وجه الزمان فتابع

وقال ديك الجن (١) يفتخر بكلب:

كلب قبيلى وكلب خير من ولدت حواء من عرب غر ومن عجم
وعيرتنا وما ان طل را ؟ كل وحدك والدين لم يرم ؟
غلاة موتة والاشراك مكتهل والدين أمرد لم يبفع فيحتلم
ان تعبسى لدم منا هريق بها فقد حقنا دم الاسلام فابتسمى
أقعد وقم عالماً ان لو تطوقها بغير أحمد لم تقعد ولم تقم
أقام حصن عليهم حصن مكرمة يرتج طوداه من نعمى ومن نقم
إذا غدت خيلهم تستنجد المطى ؟ لنجدة عدت الآجال فى الحوم
كم عرضوا أيدياً بيضاً مكرمة للعدم من طول ما انتاشوا من العدم
أسديرون الردى المفضى بأنفسهم إلى الثرى عمراً يفضى إلى الهرم

وقال الجانى:

ونحن سننا الصبر فى كل موطن وحطت مساعينا على حطط الفخر
وقال: بنا يستشار العز عن مستقره وعن سخطنا تدنى ألوف المتالف

وقال ابن المعتز:

فقرى فتى وشبابى كهل و كل فضل لى عليه فضل
أشكى لجودى حين يشكى البخل

---

(١) هو عبد السلام بن رغبان الكلبي ، من الشعراء المجيدين فى العصر العباسي.

وقرأت لقابوس بن وشمكير (١) الختلى (٢) رسالة فى الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهي : الانسان خلق ألوفا وطبع عطوفا فما بال الاصبهذ لا يحيل عوده ولا يرجى عوده ولا يخال لفيئه مخيلة ولا تحال عن تنكره محيلة أمن صخر تدمر قلبه فليس يلينه العتاب أم من الحديد جانبه فلا يحيله الاعتاب أخلاق من صفاقة الدهر حجر بنوه فقد نبا عليه غرب كل حجاج أومن قساوته إباء مزاج آبائه فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذى يعد الوهم فهما وهذا التمييز الذى يحسب الجهل علما وهذا الرأى الذى يزين له قبح العقوق ويمقت اليه رعاية الحقوق وما هذا الاعراض الذى صار ضربة لازب والنسيان الذى أنساه كل واجب أين الطبع الذى هو للصدور صدود وللتألف ألوف ودود وأين الخلق الذى هو في وجه الدنيا البشر وفى مبسمها الثنايا الغر وأين الحياء الذى يحكي به الكرم وتحلى لمحاسنه الشيم كيف يزهد فيمن ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليمتثل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف يهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له فى الانقياد كبعض خدمه إذا رأت منه هشاشة أعشبت وان أحست منه بجفوة أجدبت وكيف يستغنى عمن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالى والأيام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طلبه وجده فى مراصدها وكيف يعرض عمن تعرض رفاهة العيش بإعراضه وتنقبض الأرزاق بانقباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهى على من تحقر فى عينه الدنيا وترى تحته السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبك فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت بعزته المجرة وآثرت لمحاسنه أوضاح الثريا بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء وفصل تراكيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخمد ضياء الشمس والقمر وكفاهما عناء السير

---

(١) فى النسخ (وشيمكر) .

(٢) لعله (الجبلي) . وقابوس هو الملقب بشمس المعالي الأمير الأديب المنشىء .

والسفر وسد مناخر الرياح الزعازع وأطبق أجفان البروق اللوامع وقطع ألسنة الرعود بسيف الوعيد ونظم صوب الغمام نظم الفريد ورفع عن الارض سطوة الزلازل وقضى مايراه على القضاء النازل وعرض الشيطان بعرض الانسان وكحل العيون بصور الغيلان وأنبت العشب على البحار وألبس الليل ضوء النهار أو لم يعلم أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال ومنابذة من هذه صورته خبال وأن من له هذه المعجزات يشترى رضاه بالنفس والحياة ومن يأتي بهذه الآيات يبتغى هواه بالصوم والصلاة ومن لم يتعلق منه بحبل كان بهما لا شية به ومن لم يأو منه الى ظل ظليل ظل صريعاً لاعصمة له ولم لا يسترد عازب الرأى فيعلم أنه مالم يعاود الصلة مأفون ويستعيد غائب الفكر فيفهم أنه ان أقام على الفرقة مغبون أظنه يقدر أن الاستغناء عنى هو الغناء والغنى ولا يظن أن الالتواء علىّ هو البلاء والبلى ويخال أنه مكتف بماله وعرضه ومتعزز بسمائه وأرضه ولا يشعر أنى كل لبعض وطول في عرض وأن قوة الجناح بالقوادم دون الخوافى وعمل الرماح بالأسنة دون العوالي، ليس إلحاحى على سيدى مستعيداً وصاله ومستصلحا بالالحاف خصاله وعدى عليه هذه العجائب لاستمالته من جانب الى جانب لأنى ممن يرغب فى راغب عن وصلته أو ينزع الى نازع عن خلته أو مؤثل حالا عند من ينحت أثلته(١) ومقبل بوده على من لا يجعله قبلته فانى لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمى لما وضعت عليها جانبا وان السماء لا تتوق الى تقبيل هامتى لما رفعت اليها طرفا ولكنى أكره أن يعرى نحره من قلادة الحمد ويجنب جنبيه اكليل المجد ويظل وجه الوفاء بقبضه على يده مسودا وركن الاخاء بفته فى عضده منهدا ولا يعجبنى أن يكسو ضوء مكارمه كلف الخمول ويأذن لطوالع معاليه بالافول فان فضل سيدى الخمود على الوجود والعدم على الوجود ونزل من شامخ الى خفض ومن حالق الى دحض وجاهر بهجره وأصر على صرمه ومال إلى الملال ولم يصل نار الوصال حلت عنه معقود خنصرى وشغل عن الشغل به

---

(١) سقط من النسخ « أسلته » .

خاطري بل محوت ذكره من صفحة فؤادي وأعددت وده فيما سال به الوادي :

وفي الناس ان رثّت حبالك واصلٌ   وفي الارضِ عن دارِ القلى متحوّل

وفي بعض ألفاظ هذه الرسالة تكلف إلا انى أوردتها لعلو معانيها .

وقال بعضهم :

ومن يفتقر منا يسلّ حسامهُ   ومن يفتقر من سائر الناس يسألُ

وقال ابن المعتز [1] :

سألتكما باللهِ ماتعلمانني   ولا تكتما شيئاً فعندكما خبري
أأرفعُ نيرانَ القرى لعفاتها   وأصبرُ يومَ الروعِ في ثغرة الثغر
وأسألُ نيلاً لا يُجادُ بمثلهِ   فيفتحهُ بشرى ويختمه عذرى
ويارُبَّ يومٍ ما توارى نجومهُ   مددتُ إلى المظلوم فيه يدَ النصر

وقال : وقمت الى القوم الصفايا بمنصلي   فصيرتها مجداً لقومي وأحسابا

وأنشدنا أبو القاسم عن العقدى عن أبي جعفر لعبدالعزيز بن زرارة [2] :

قد عشتُ في الدهرِ أطواراً على طُرُقٍ   شتى فصادفتُ فيه اللينَ والقطعا
لا يملأُ الامرُ صدرى قبلَ موقعه   ولا يضيقُ به ذَرعى إذا وقعا
كلاً لبستُ فلا النعماءُ تبطرنى   ولا تخشعتُ من لأوائها جَزعا

وسألنى بعض أدباء البصرة فقال ماأدل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ فقلت قول الأُقيبل القيني :

إذا لم أجد بُداً من الأمرِ خلتنى   كأنَّ الذى يأبى علىَّ يسيرُ

فقال ماعدوت مافى نفسي . ومثله قول أبي النشناش :

على أيّ شيء يصعبُ الامر قد ترى   بعينك ان لابدَّ أنك راكبه

---

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسى ، أولع بالشعر ونبغ فيه ، قتل سنة ٢٩٦ .   (٢) هو القائد الشجاع فى زمن معاوية ، قتل فى احدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتى العرب .

وفى ألفاظ هذا البيت زيادة . وقلت فى معناه :

علامَ تَستصعبُ الأمــــرَ لاترى منهُ بُدا
بادر وخــلِّ الهوينا وجــدَّ كيا تجـدا
فلن تلاقَ جــداً حتى تلاقَ كدا

ومن بليغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وليس لسيفى فى العظام بقيةٌ ولاالسيفُ أسوى وقعه من لسانيا

وهي من قول حسان * ويبلغ مالا يبلغُ السيفُ مذودي *

وقلت : ولى لسانٌ إذا أطلقتهُ عرضا سعى مساعيَ ضرغامٍ وثعبان
وقد نمتنى أمجادٌ جحاجحةٌ من نجل ساسان تزهو نجل ساسان
همُ الكوا كبُ فى أطرافِ داجية أو العنان على أثباج أعنانِ
قومٌ إذا ما أتوا بالسوءِ ما اعتذروا ولا يمنونَ إن منوا باحسانِ
وقلت : من يكن صائلاً بمثلِ لسانى لم يضرهُ أن لم يَصُلْ بسنان

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدى عن أبي جعفر عن المدائنى قال قلت لرجل من جذام وأكثر من وصف ملوك الحيرة : لوكان هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن كان هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصر أولئك الكرم ولئن كان هؤلاء خصوا بالاسلام لقد خص أولئك بالانعام ولئن حازهؤلاء شرف اليوم وغد لقد سبق لأولئك شرف هو باق على الأبد ولو علا فعل هؤلاء على الهواء لجارت مكارم أولئك أعنان السماء ومن يقرن بالبلد الخراب اليباب بلداً تحل به السحاب في كل مغدى ومآب .

ومن جيد الافتخار قول مبشر بن هذيل الشمخى :

ألم تعلمى ياعَمركِ الله أننى كريمٌ على حين الكرامُ قليل
وانى لا أخزى إذا قيل مُملقٌ جوادٌ وأخزى أن يُقالَ بخيلُ
فان لم يكن عظمى طويلاً فاننى له بالخصال الصالحاتِ وصول
وإن ألكُ قَصْداً في الرجالِ فاننى إذا حلَّ أمرٌ سَاحتى لجليل

إذا كنتُ فى قومٍ طوالٍ فضلتهم ... بعارفة حتى يُقالَ طويل
ولا خيرَ فى طولِ الجسومِ وعرضها ... إذا لم تزنْ طولَ الجسومِ عقول
ولم أرَ كالمعروفِ أمّا مذاقهُ ... فحلوٌ وأما وجهـهُ فجميل

وقلت : غناىَ غنى نفسى ومالى قناعتى ... وكنزىَ آدابى وزينى عفافيـا
وفخرىَ إسلامى وذخرى أمانتى ... وجندىَ أشعارى وسيفى لسانيا
ولى عزماتٌ كالسيوفِ قواضبا ... إذا عَنَّ خطبٌ والحتوف قواضيا
وتغشى صدورَ النائبات صدورُها ... كما غشيت سُمرُ العوالى التراقيا
ألا لايذمّ الدهرَ من كان عاجزاً ... ولا يعذل الاقدارَ من كان دانيا
فمن لم تبلغهُ المعـالىَ نفسُـه ... فغـير جـديرٍ أن ينالَ المعاليا

ولا أعرف فى افتخار الجاهلية أجود ولا أبلغ من قول عمرو بن كلثوم [(١)] :

ونحنُ الحاكمونَ إذا أُطعنا ... ونحن العانفونَ إذا عصينا
ونحنُ التاركونَ لما سخطنا ... ونحن الآخذون لمـا رضينا

وقد أحسن ابراهيم بن العباس فى قوله :

إمّا ترينَى أمامَ القوم متبعاً ... فقد أرى من وراء[(٢)] الخيل أتبع
يوما أنيخُ فلا أدعى على نشب ... واستبيحُ فلا أبقى ولا أدعُ
لا تسألى القومَ عن حىّ صحبتهمُ ... ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا

وقال : أميلُ مع الذمامِ على ابن عمى ... وأقضي للصديق على الشقيقِ
أفرقُ بين معروفى ومَنى ... وأجمع بين مالى والحقوق
فاما تلفنى حُراً مطاعا ... فانك واجدى عبدَ الصديق

وهذا من قول الأول :

---

(١) فى الاصـل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقحمة . وهو صاحب المعلقة المشهورة ، كان سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها ، مات قبل الاسلام بنحو نصف قرن . (٢) فى الأصل « ورائي » .

وإنى لعبدُ الضيفِ مادامَ ثاويا وما فيَّ إلا ذاك من شيمة العبدِ

وقال الآخر * وعبد للصحابة غير عبد * .

وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل فى الافتخار قول الآخر :

أبَنى حنيفة أحكموا سُفهاءَكم إنى أخافُ عليكمُ أن أغضبا

قوله * أخاف عليكم ان أغضب * بليغ فى الوعيد وفى دلائل القدرة على مايسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهددفيه بالهجاء ولو كان لمن يتمكن من القتل والاسر والنكاية لكان أفخر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابى قوما فقال : مانالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا وطئناه بأخامص أقدامنا وان أقصى مناهم لأدنى فعالنا . وقال أبو دلف العجلى :

وكن على الدَّهرِ فارساً بطلا فانما الدهرُ فارسٌ بطلُ

لأبدَّ للخيلِ ان تحولَ بنا والخيلُ أرحامنا التى نصلُ

فمرةً بالجبين ننقلها ومرةً بالدماء تنتقل*

حتى ترى الموت تحتَ رايتنا تطفأ نيرانُها وتشتعل

﴿ الباب الثالث من الباب الأول فى التهانى ﴾

لم تكن من الاقسام التى كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام الشعر فى الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبب والمراثى حتى زاد النابغة فيها قسما سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين بلغ مبلغه فيه إلا البحترى فانه قد أجاد القول فى صنوفه وأحسن وأبلغ ولم يذر لاحد مزيداً حتى قال بعضهم هو فى هذا النوع النابغة الثانى . ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب(١) الى التهانى ومهما جاء عنهم من شكلها شيء فهو عندالعلماء معدود في جملة المديح مثل قول أبي الصلت الثقفي يذكر سيف بن ذى يزن واتيانه بالفرس ومحاربته بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفقا   في رأس غمدان دار منك محلالا
تلك المكارمُ لاقعبانَ من لبن   شيبت بماء فعادت بعدُ أبوالا (٢)

أخذه بعض شعراء الجبل فقال في بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً   في شاذ مهرودع غمدانَ لليمن
فأنت أولى بتاج الملكِ تقصدُهُ   من هوزة بن عليّ وابن ذى يزن

ولست أختار من التهانى بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً :

لازلت مبشر أعياد وتطويها   تمضى بها لك أيام وتثنيها
مستقبلاً غرة (٣) الدنيا وبهجتها   أيامها لك نظمٌ في لياليها
العيد والعيـــد والأيام بينهما   موصولةٌ لك لاتفنى وتفنيها
ولاتقضتْ بك الدنيا ولابرحت   تطوى بك الدهر أياماً وتطويها
ليهنك النصرُ والأيامُ مقبلةٌ   اليك بالفتح معقودٌ نواصيها
أمست هرقلةُ تدمي من جوانبها   وناصرُ الملكِ والاسلامِ مدميها
ان الخليفةَ سيفٌ لايجردُهُ   إلا الذى يملك الدنيا وما فيها
ماقارعَ الدين والدنيا عدوهمـا   بمثل هارون راعيته وراعيها

وقلت : ما لليالى والأيامِ منقبةٌ   غراءُ تسمو بها إلا مَساعيـكا
ربى يبقيـك ماتهوَى على فرح   كما يلقيك ماتهوَى ويعليـكا
لألف فصل لهذا الفصل تبلغـه   باليمن والخير تبليه وينميكا
ولاتزالُ لك الأيامُ موطأة   تمضى قضاياكَ منها فى أمانيـكا

---

(١) فى الاصل « ينتسب » . (٢) فى الاصل « شيبابماء فعادابعدأبوالا » .
(٣) في النسخ « لغرة » .

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ماقيل فى التهنئة بالنوروز قول هارون بن علىّ لعلى بن محمد الحوارى :

عليّ ياذا الجودِ والمعالى　　يامعدنَ الانعامِ والافضال
يامن به نيطت عُرى الآمال　　فحكم الآمال في الاموال
جودٌ بلا منّ ولا اعتلالِ　　مبتدأ يُغنى عن السؤال
قابله النوروزُ بالاقبالِ　　ونِعَمٌ تأتى على اتصال
محروسة مأمونة الزوالِ　　شبهك فى تصرُّفِ الاحوال
فليلهُ أزهرُ ذو اشتعالِ　　كأنه وجهك فى الجمال
وصبحهُ بالمال ذو انهمال　　يحكي ندى كفك ذا الأسيال

جرى بماء وجرت بمال

ومنها : قولٌ غدا يوفى على الأقوالِ　　كمثل ما توفي على الرجال
فاشتبهَ ألاجوادُ بالبخال　　وعدت[1] مسروراً رضى البال
في نعمةٍ ضافية الاذيالِ　　بعزٍّ ذى العزة والجلال

وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن بليل :أنا وإن كنت فى عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل الخاصة ويرتفعون عن الدخول فى جملة العامة فانى فى وسط القلادة منهم وبمكان من نظام نعمتك التى تجمعهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم تزل تجرى لهم السنة [2] على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتابهم بالاهداء اليهم وقبول ماأهدوه منهم ليعرف مكان التشريف في مرتبته من مكان المنحطّ عن منزلته وموضع النعم من المنعم عليه فى التقدم بقبول مايهديه اليه و كل يهدى على قدر بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكه ومايحويه ملكه وتبلغه مقدرته وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) فى النسخ « عدت » بدون واو (٢) فى النسخ مهملة من النقط .

العبيد والحشم وأهدى ما يقصر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجعلت هبتى مع الثقة بمنزلك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أبياتا اقتصرت فيها على الدعاء لك والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحي لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقرِ لازالت مِن الله نِعمةٌ ... تجدِّدُها الأيام عندك والدهرُ
ولازالتِ الأعيادُ تمضي وتنقضي ... وتبقى لنا أيامُك الغُررُ الزُّهر
فانك للدنيا جمالٌ وزينةٌ ... وإنك للأحرارِ ذخرٌ هو الذخر
رأيت الهدايا كلها دونَ قدرِه ... وليس لشيءٍ عند مقداره قدر
فلا فضلَ إلا وهو من فضل جُوده ... ولا برٌّ إلا دونَهُ ذلك البرُّ
فأهديتُ من حَلْي المديح جواهراً ... منصلةً يزهي بها النظمُ والنثر
مدائح تبقى بعد مانفد الدهر ... وتبهى بها الأيامُ مااتصل العمر
شكرتُ لاسماعيل حُسنَ بلائهِ ... وأفضل ماتجزى به النعمُ الشكرُ

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال دخلت على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه كتابك وشعرك الى أبي الصقر - يعنى الكتاب والشعر الذى تقدم - فكتب وأنا حاضر الى الحسن بن مخلد : أيها السيد النجيب عشت أطولَ الاعمار في زيادة من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لاتقضى حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى ولا يمرُّ بك يوم إلا كان موفياً على ماقبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال الاتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة فى هذا اليوم والتمست التأسى بهم فى الاهداء اليك وان قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتنى ان أهديت نفسى فهى لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفى الى كرائم مالى فوجدتها منك فكنت ان أهديت شيئاً كمهدى مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقتضى نفسه بشكرك وفرغت الى مودتى وشكرى فوجدتهما لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين واني ان جعلتهما هديتي لم أجدد لهذا اليوم براً ولا لطفاً ولم أقس منزلة شكرى بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على مالم تبلغه الطاقة ولم أسلك[١] سبيلا ألتمس بها ماأعتد به فى مجازاتك الاوجدت فضلك قد سبقنى اليها فقدم لك الحق وأحرز لك السبق فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك تفى مايجب لك والعذر فى العجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أُهدِ نفسى فهو مالكها ... ولهُ أصونُ كرائمَ الذُّخرِ
او أهدِ مالاً فهو واهبهُ ... وأنا الحقيقُ عليه بالشكر
أو أهدِ شُكرى فهو مُرتهنٌ ... بجميلِ فعلك آخرَ الدهر
والشمسُ تَستغنى إذا طلعت ... أن تستضىء بسنة البدر

ثم قرأه على فقلت أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبى طاهر هذه المعانى بأعيانها قال والساعة عملتها وليس بيننا حشمة . ولا أعرف لهاتين الرسالتين فى هذا الباب نظيراً فى رقة معانيها وحسن تخريجها ، ورسالة سعيد بن حميد أكثرهما معانى.

وأول من افتتح المكاتبة في التهانى بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سفط ذهب فيه قطعة عود هندى فى طوله وعرضه وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بألطاف العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حقٌّ فهو لاشكَّ فاعلهْ ... وإن عَظمَ المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نُهدِى إلى اللهِ مالَهُ ... وإن كان عنهُ ذاغنىً فهو قابِله
ولو كان يهدَى للقليل بقدرهِ ... لقصر عن البحر عنك ونائله
ولكننا نُهدى إلى من نُجلهُ ... وإن لم يكن في وُسعنا مايُشاكله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعانى وكتب إلى ابن صالح بن يزداد : النفس لك والمال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدى لك فى هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للاتباع الأولياء باهدائهم إلى السادة العظماء وكرهنا أن نخليه من سننه[٢] فنكون من المقصرين أو ندعى أن

---

(١) في الاصل «أسألك» . (٢) في النسخ مهملة من النقط .

في وسعنا مايفي بحقك علينا فنكون من الكاذبين فاقتصرنا على هدية تقضي بعض الحق وتقوم عندك مقام أجمل البر وهي الثناء الجميل والدعاء الحسن فقلت : لازلت أيها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل الكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المعلى بن أيوب للمعتصم: النفس لأمير المؤمنين والمال منه وليس فيما أوجبه الحق نقيصة ولا على أحد فيه غضاضة ، وباقيه من كلام أحمد بن يوسف ، والدعاء الذى فى آخره لعلى بن عبيدة الريحانى لم يزد سعيد بن حميد فيه شيأ .

وأحسن ماسمعت من الدعاء قول على بن هرون بن يحيي المنجم : أمتع الله الأمير بما خوله واستقبل به من العمر أسره وأطوله وملاه من العز أمده وأكمله وألبسه من الانعام أسبغه وأجزله ومهد له من العيش أرغده وأفضله وجمع له من الخير آخره وأوله .

وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد فصول فى التهانى قليلة النظير منها ما كتب يهنىء بالوزارة : انا أهنىء أطال الله بقاء سيدى الوزارة بالقائها الى فضله مقادتها وبلوغها فى ظله ارادتها وانحيازها الى ذراه واضحة المجد والفخر وتوشحها من كفايته بغرة سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن أثره عليها وعطفه حنان الفكر اليها حتى قرت لديه قرارها وأتقبت بيديه نهارها بعد أن هفا قلبها إشفاقا من استشراف أيادى النقص لها وحرج صدرها من تحدث احلاس الجهل بها ولاغرو فهى وليدة ذراه قد آلت لاتخطت خطته وعاهدت لابرحت ساحته فالحمد لله الذى أقر عين الفضل ووطأ مهاد المجد وترك الحساد يتعثرون فى ذيول الخيبة ويتسقطون فى فضول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيل بقاءه ويحرس عزه وينصر لواءه فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور المحامد بتفويض الصدر الى ولينه بحقين قديم وحديث وبفضلين مكتسب وموروث .

وكتب : الاستاذ الربيع الذى يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ويدوم زهره من حيث يتعجل ثمره لازالت الايام مسعودة بقرعها الى انفاده وتقديره والأزمان محسودة بانحيازها الى امضائه وتدبيره فما اكتسى الدهر حلة أبهى من حصول عنانه في يديه ومثوله من جملة العبيد لديه لازال آمراً ناهياً سامياً عالياً تتهنأ الاعياد بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذ عيد الزمان وربيع الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معتز اليه معتز بما لديه فغيثه متشبه بكفه واعتداله مضاة لخلقه وزهره مواز لنشره وان تسعد به سعادات لا يبلغ حدها ولا يحصر عدها وهو أطال الله بقاءه يحظر المهاداة بما يحضر ما خلا الكتب التى لايترفع عنها كبير ولا يمتنع منها خطير لازال جنابه مورداً بالعلم ومتحملا عنه بالغنم .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشراً حلله التى استعارها من شيمته ومبدياً حليه التى أخذها من سجيته ومستصحباً من أنواره ما اكتساه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جودة وانعامه مؤكداً الوعد بطول بقائه حتى يتحلى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من المنازل أسماها ويرى السادة الفتيان قد افتقروا سعيه واقتفوا هديه وأسعده سعادة تستوفى معها الهمة وما ترتقى اليه والأمل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد تهنأ سيدى الموهبة التى ساقها اليه ومد رواقها عليه إذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لاتكون كذلك وقد صدرت عن مالك الأرض وولى البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدبر الخافقين أدام الله سلطانه وأيد أعوانه مكنوفة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتبائه وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وحلت من سيدى محل الايجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق فعرفه الله ميامن أغزر شريعة بأشرف ذريعة وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة .

وكتب فى فصل له يهنىء فيه عضد الدولة وقد ولد له ابنان توأمان: وصل كتاب الأمير بالبشرى التي أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنعت العارفة فيها أن تسنح موحدة حتى تيسرت منحتان في موطن وانتظمت موهبتان فى قرن وطلع من النجيبين أبى القاسم وأبى كالنجار أدام الله عزهما طالعا ملك ونجما سعد وشهابا عز وكوكبا مجد فتأهلت بهما رباع المحاسن ووطئت لهما أكناف المكارم واستشرفت اليهما صدور الاسرة والمنابر ، وفهمته وشكرت الله تعالى شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة ودعا الامانى فأجابته مصحبة وحمدته حمداً مكافئاً جسيم ماأتاح وعظيم ماأفاد واكتنفنى من السرور مافسح مناهج الغبطة وسهل موارد وسعت ماورد اتساعه شرحت صدور الأولياء بمسارها وأزعجت قلوب الاعداء عن مقارها وسألت الله اتمام ماأدناه من الاميرين السيدين من سعادة لايهتدى اليها الاختيار علوا ولاترتقي اليها الافكار سموا وسلطان تضيق البحار عن اتساعه وتنخفض الافلاك عن ارتفاعه وتبليغهما[1] أفضل ماتقسمه السعود وتعلو به الجدود حتى يستغرقا مع السابقين أخويهما مساعي الفضل ويشيدا قواعد الفخر ويرحما صروف الدهر ويغبطا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .

وله تهنئة بتجدد رتبة : وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشير أن آنسها الله وحرسها بذكر مالقاه كرم مولانا ورقاه اليه من مراتب تشريف لاتكمل القرائح لاقتراحها واستدعائها ولاتتسع الخواطر لالتماسها واقتضائها فحمدت الله ولىّ الحمد والشكر وأخذت بالحظ من قوة القلب وانشراح الصدر وسألته أن يطيل بقاء مولانا فى العز الزاهن والسلطان القاطن ويعرف الاستاذ بركة مادرعه من شرف لايرحل مقيمه ولايتحيف عميمه انه فعال لما يريد .

وكتب فى تهنئة بالسلامة من الغرق : لولا ان الله تعالى عز اسمه حمانى عن سماع المكروه إلا فى ضمان المحبوب حتى تقدم نبأ التبشير ذكر السبب المحذور لما

---

(١) هذه الكلمة غير منقوطة في النسخ .

وجدت فى التماسك به بصيرة ولا من ترك التهالك ذخيرة إلا أن لطف الله وعطفه عجلا الى خبر البشرى فانتفت الروعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل استمرارها فتلقيت جميل صنع الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ماقوبلت به النعم وشكرت الرغائب والقسم .

وللبحترى تهنئة للمتوكل ببلوغ المعتز يقول فيها :

يا كالىءَ الاسلامِ في غفلاتهِ ومقيمَ نهجيْ حجه وجهادهِ
يهنيك فى المعتزّ بشرى بينت فينا فضيلةَ هديهِ ورشادهِ
قد أدركَ الحلمَ الذى أبدى لنا عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلادُ ملكك مخبرٌ بقريبِ عهدٍ كان من ميلاده
تمت لنا النعماءُ فيك تمتعا [1] بعلوِّ همته ووَرْي زناده
وبقيتَ حتى تستضيءَ برأيه وترى الكهولَ الشيبَ من أولاده

وقلت فى تهنئة بمولود :

قد زادني عدد الكرام كريمُ محض صريحٌ فى الكرام ضميمُ
عالى المحلة لا يزالُ كأنه للعز قرنٌ والسماك نديم
فلأمره التتميم [2] كيف تصرفت حالاته ولشأنه التفخيم
فابشر فقد وافاك يوم رزقته حظٌّ بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهرُهُ بنمائه حتى يكرَّ الدهرُ وهو أروم
إن الهلالَ يصيرُ مدة كاملاً ويعد سد الليل وهو بهيم
وهو الوجيهُ إذا تبدّى وجههُ وغداً إذا نزل المظيم عظيم
وجهٌ كتنوير الرياض وتحته خلقٌ لمحسودِ الرياح وخيم
فلأهله شرفٌ به متوطدٌ ولديهمُ شرفٌ أشمُّ عميم
فاقرر به عيناً فان خلالهُ تصفو وتسلسُ أو يقال نسيم

(١) فى ديوان البحترى « تمت لك النعماء فيه ممتعاً » . (٢) فى الاصل مهملة .

وحده التصميم حين تلاحقت أقرانه ولشاده التقديم

ومن أعجب ماجاء فى التهنئة والتعزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو أحمدعن الصولى قال قيل للرشيد ان عبدالملك بن صالح يُعِدُّ كلامه فأنكرالرشيد ذلك وقال بل هو طبع فيه حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل قل له : ولد لأمير المؤمنين فى هذه الليلة ابن ومات لهابن ففعل الفضل ذلك فدنا عبدالملك فقال : ياأمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ولا ساءك فيماسرك وجعلها واحدة بواحدة ثواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشيد : أهذا الذى زعموا أنه يصنع الكلام مارأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة . وقلت فى تهنئة بمولود :

فاستقبل الخيرَ فى نجيب ... عما يَعيبُ الورى نزيه
شمسُ نهارٍ وبدرُ ليلٍ ... يَملك أبصارَ ناظريه
يملأها [١] بهجة اذا ما ... كشفَ عن وجهه الوجيه
رُزقته كاملاً سوياً ... تكثر علات عائبيه
جنى لذيذ المذاق حُلوٌ ... يقربُ من كفّ مجتنيه
وعن قليلٍ يصيرُ شهما ... يشقى به جد كاشحيه
ألا فعش فى ضمانِ خيرٍ ... حتى ترى الشيبَ من بنيه

وقلت فى تهنئة باملاك :

تحكى لك الاملاكُ عما تحبه ... فانك قد فصلتَ بالتبر جوهرا
فصيرتهُ للدهرِ عقداً مفصلا ... وطيرتهُ في الأفق نَشراً مُعطرا
هو اليمنُ لم يعدمك محبوبةً دنت ... ومكروهة شطت وصعباً تيسرا

ومن عجائب المعانى تهنئة لأبى اسحق الصابى مشوبة بالعقد [٢] لرجل زوج أمه: قد جعلك الله وله الحمد من أهل التحصيل والرأى الأصيل وخلوص اليقين فكما انك لاتتبع الشهوة فى محظور تحله فكذلك لاتطيع الأنفة في مباح تحظره ويأوى

(١) فى الأصل « بملاذها بهجة » . (٢) في الأصل « بالعقربة » .

الينا من ايقاعك العقد بين الوالدة ـ نفس الله لها فى مدتك وأحسن بالبقية منها امتاعك ـ وبين فلان ماعلمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توخيتها ومشقة فيها تجشمتها وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك بارضائها وعصيت هواك لرأيها فنحن نعزيك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأنبت والسلام. قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى عليا وفاطمة عليهما السلام في بيت فردعليهما الباب وقال «جدعَ الحلالُ أنفَ الغيرة».

وهنأ بعضهم بخروج اللحية وهو أبو نصر بن هبة الله: الحمد لله الذى له عند خلقه فى الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التى ينتقلون بينها والمراتب التى يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائد من نعمه توافق مصالحهم وتطابق حوائجهم فى تصاريف نشوهم الطفولية والايفاع والشبيبة والاجتماع والبلوغ والاكتهال والانتهاء والكمال وجعل لكل واحد منهم فى كل حد من الحدود وسنٍّ من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنفاً من اللون والصورة ومسافة فى السعى والهمة وغاية في الطلب والبغية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محظوطاً من الاضطراب بزيادة فى بعض ذلك يُعطاها قبل بلوغ أدواته منتهاها يناقص سائره وينافى نظائره فيفتح بالزيادة فى الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته حتى اذا تعالى فى المراتب أمد النهاية وتوافت اليه أقسامه فى الكفاية كمل الله احسانه اليه وأتم إنعامه عليه ولله المنة والفضل وبه القوة والحول، الحمد لله الذى كساك باللحية حلة الوقار وردّاك بها رداء الابرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع أهل الهوى ماجلك من الهيبة البهية وألبسك من لباس ذوى اللب والروية وألحقك فى متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعيا ويستغنى عمن يصحبه حافظاً وجعلك بما جمل من صورتك وكمل من اداتك وآلتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونفى عنك ذلة الاحتقار من أهل المراتب والاخطار تستوى معهم في المجالس الحافلة

وتجرى مجراهم فى المشاهد الجامعة مسموعاً قولك اذا قلت مصغى لك اذا نطقت آمناً من انصراف الأبصار عنك لقرب ولادك ونبوّ الاسماع من حديثك لقلة الثقة بسدادك وجارياً مجرى جلة الرجال على الجملة الى أن تكشف مخابرك بالمحنة وتعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكما مقام يخلو فيه كل واحد منكما من رفد يمده وناصر يؤيده يملكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه من مواليد اليه من ترك ابقائه فى السطوة عليه ولو كان عاريا من هذه الكسوة الشريفة والحلية النفيسة لسبقت اليه بالازدراء الأعين وبالاستصغار القلوب والألسن وبالطمع أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لايحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من حريمه قدرة على مايدهاه منها وتلك نعمة من الله حباك بمزيتها في جمال غشاك وكمال أتاك فليصدق بها اعترافك وشكرك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاءً لحق الله عليك واستدراراً للمزيد في احسانه إليك .

وكتب الصاحب تهنئة بتزوج أم وتعزية بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجرى على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها تتفاوت بيننا بما يسوء ويسرّ وينفع ويضرّ وبلغنى من نفوذ قضاء الله فى شيخك رحمه الله تعالى ماأزعجنى وأبهم طرق السلوة دونى وان كان من خلفك غير خارج عن رؤية الاحياء ولا حاصل في زمرة الأموات والله يأسو كلمك ويسد ثلمك وقد فعل ذاك بأن أتاح الله لك بعد أبيك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً وإيثاراً لك وبراً وقد لعمرى وفقت حين وصلت بحبلك حبله وأسكنت الكبيرة حرسها الله ظله لئلا تفقد من الماضى عفا الله عنه إلا شخصه فالحمد لله الذى أرشدك لما يعيد الشمل مجتمعا بعد فراقه والعدد موفوراً بعد انتقاصه حمداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك موادالوحشة ويكفيك ثواب ملقضيته من الحق وتحملته فيه من الارق انه فعال لما يريد .

وكتب تهنئة بقدوم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بهاءها وزادها محاسن ترفل فى حللها وتتبختر فى حليها واكتنفها بميامن يمرع جنابها ويفتح بالخيرات أبوابها مااستأنف جل اسمه من النعمة الشاملة والمنة الكاملة في

تقريب ركاب مولانا أطال الله بقاءه وكبت أعداءه وكب حساده وزادهم رغماً بزيادته تعالى إياه نعما لا يرحل مقيمها ولا يتحيف عميمها ما اختلف العصران وتعاقب النيران واستقبل به في وفدته ماينقاد له أقصر الاسار ويحتوى عليه أربعة غايات الاختيار بمنه وجوده.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يبلغ نداه ولا ينفصل أخراه من أولاه حتى يستغرق نعمهُ ويستوفى فواضله وقسمه وأنى ذلك وهى متطرفة إلى غير غاية وممدودة إلى غير نهاية لا يتخطى إلى شكر بعضها إلا بتجدد أمثاله من جملتها وترادف نظائره من جماعتها والحمد لله الذى أعطى كثيراً وقبل من الشكر قليلا وأوجب به مزيدا والصلاة على نبيه محمد وآله وسلم كثيراً وهو حسبنا ونعم الوكيل.

﴿كتاب المبالغة﴾

في أوصاف خصال الانسان المحمودة من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل وما يجرى مع ذلك وهو:

﴿الباب الثانى من كتاب ديوان المعانى﴾

سمعت الشيوخ رحمهم الله تعالى يقولون أجود بيت قالته العرب قول مسلم ابن الوليد [1]:

---

(١) هو الملقب بصريع الغوانى، تأدب في الكوفة وعظم شأنه في الشعر، مات بجرجان.

يجودُ بالنفس إن ضَنّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ

وأول من جاء بهذا المعنى علقمة بن عبدة : [١]

تجودُ بنفسٍ لايجادُ بمثلها فانتَ بها يومَ اللقاءِ خصيب

وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني من جاد بنفسه عند اللقاء وبماله عند العطاء فقد جاد بنفسيه كلتيهما . وقال اعرابي : من جاد بماله فقد جاد بنفسه وإن لايكن جاد بها فقد جاد بقوامها . وقال علي بن الجهم [٢] :

طلبت هديةً لك باحتيالى على ما كانَ من حسى ونسى
فلما لم أجدْ شيئاً نَـفيساً يكونُ هدية أهديتُ نفسي

وكتب العباس بن حرب إلى بعض الأمراء وأهدى اليه هدية : لا أعلم بمنزلة توحشه من الأمير أعزه الله ولا توحشه مني انا موقر من بلائه وفي الطاعة له كيده وفي المودة له كنفسه وفي الخاصة كأحد أهله وإنما ألطفه من ماله وقد بعثت اليه مايصلح ليومه وأهديت له نفسي التي هي لبذلته وخدمته . وقال أبو تمام :

ولو لم يكن فى كفهِ غيرُ نفسهِ لجادَ بهـا فليتقِ اللهَ سائـلُهْ

وقد أنكر خلف بن خليفة اهداء النفس : قدم أخ له من سفر فاقتضاه خلف الهدية فقال أهديت نفسي فقال خلف :

أتانا اخٌ من غَيبةٍ كان غابها وكنتُ إذا ماغابَ أنشدُه الركبا
فقلتُ لهُ هـل جئتنا بهـديـةٍ فقال بنفسى قلتُ أتحفْ [٣]
هيَ النفسُ لاآسى عليها إذا نأتْ ولا أتمنى ما حييتُ لهـا قُربا
إذا هي وافت من ثمانينَ قامةً فلا السهلَ القاها الالـهُ ولا الرحبا

---

(١) هو علقمة الفحل من بنى تميم ، شاعر جاهلى ، كان معاصراً لامرىء القيس.

(٢) كان معاصراً لأبي تمام ، نشأ ببغداد وخص بالمتوكل العباسى ، ثم غضب عليه فنفاه الى خراسان ، ورحل إلى حلب فقتل فيها . (٣) كذا فى النسخ ولعله سقط «بها الثريا» أو نحوه ولم نجدها فى الأغانى ولا الخزانة .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة [١] كأنه حين يعطى المال يغنمه * أجود من قول زهير * كأنك معطيه الذى أنت سائله * لأن الغنيمة [٢] حلاوة ليست للعطية . وأجود ماقيل عندى قول أبي العتاهية [٣] :

لو قيلَ للعباسِ ياابن محمدٍ قل «لا» وأنت مخلدٌ ماقالها

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدى حدثنا محمد ابن حبيب ، وعن الصولى أيضاً عن ابراهيم ، بن المعلى عن ابن حبيب قال قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباس ياابنَ محمد قل «لا» وأنت مخلدٌ ماقالها
إن السماحةَ لم تزل معقولةً حتى حللتَ براحتيك عِقالَها
وإذا الملوكُ تسايرت فى بلدةٍ كانوا كواكبها وكنت هلالَها

فلم يثبه فقال :

هززتُك هزّةَ السيفِ المحلى فلما ان ضربتُ بك انثنيتُ
فهبها مِدحةً ذهبت ضَياعاً كذبتُ عليك فيها وافتريتُ

فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال والله لأجهدن فى حتفه قال فمر أبو العتاهية باسحق بن العباس فقال لهاسحق أنشدنى شيئاً من شعرك فانشده :

ألا أيها الطالبُ المستغيثُ بمن لا يفيدُ ولا يَرفدُ
الا تسأل الله من فضله فان عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال ردّ وأحشاؤه تُرعَد
كأنك من خشيةٍ للسؤالِ في عينه الحيةُ الاسودُ

---

(١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدى ، ومعن بن زائدة ، وهارون الرشيد ، توفى سنة ١٨١ (٢) في النسخ «الغنيمة» .

(٣) هو اسماعيل بن القاسم : اشتغل بالشعر ومذاهب الفلاسفة ، ويغلب على شعره الزهد .

ففرٌّ إلى الله من لُؤمهم فانى أرى الناسَ قد أصلدوا
وإني أرى الناسَ قد أبرقوا بلؤمِ الفعالِ وقد أرعدوا

ثم مضى فقيل لاسحق ماهذا الشعر إلا فى أبيك فقال اسحق أولى له أن عرض نفسه وأحوج أبى العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقعدته . ومثل قوله * كذبت عليك فيها وافتريت * قول على بن جبلة وقال له أبو دلف أن تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال الهدم أيسر من البناء ثم قال :

أبو دلف كالطبل يَذهب صوتُهُ وباطنهُ خلوٌ من الخير أخربُ
أبا دلف ياأ كذبَ الناسِ كلهم سواى فاني فى مديحك أ كذبُ

وأخذ البحترى قوله * كانوا كوا كبها وكنت هلالها * فقال فى المتوكل :

اذاغبتَ عن أرضٍ ويممتَ غيرها فقد غابَ عنها شمسها وهلالهُا
غدت بك آفاقُ البلادِ خَصيبةً وهل تمحلُ الدنيا وأنتَ ثمالها (١)

فأما قوله : كأنك من خشية للسؤال فى عينه الحيــة الاسود

فمن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجهُ ليل مظلم وحفيفُ نافحة وكلب موسد
وأخوك محتملٌ عليك ضغينة وخسيفُ قومك لائمٌ لا يَحمدُ
والضيفُ عندك مثل أسودَ سالخ لا بل أحبهما اليك الأسود

ومن جيد ماجاء فى خلاف ذلك من الحث على الانفاق ومجانبة الامساك قول ديك الجن :

قالوا السلامُ عليكِ ياأطلال قلتُ السلامُ على المحيل مُحال
عاج الشقىّ مراده دِمَن البلى ومرادُ عيني قلة وحجالُ
لأنادمن (٢) الراحَ وهي زلال ولأطرقنَّ البيتَ فيه غزال
ولأتركن حليلها وبقلبهِ حُرقٌ وحشوُ فؤاده بكبال

(١) في الأصل «ثمارها» . (٢) في الأصل (لاغاد من) .

وليشفين (١) حبي فمٌ وحنى يد ... وكلاهمـا لى باردٌ سلسال

ماذا الغنى والبخل مالك من غنى ... وكذاك ياذا المال مالك مال

أطلقْ يديكَ فان بين يديك ما ... يرديهما ووراءَ حالك حال

قد تسلم الأوكالُ وهى موا كل ... للترهاتِ وتقتـلُ الأبطال

ورجالُ هذى النائباتِ وان رأوا ... شـظفاً من الأيام فهى رجال

وقلت : ماذا يسرُّك من مال تجمعهُ ... أوما يغمك منـه اذ تفرقهُ

ولم يكن لك مالٌ يوم تكسبهُ ... لـكنه لك مالٌ يوم تُنفقـه

تحبٌّ من أجلهِ الدنيا وتورثها ... وسوف توبقك الدنيا وتوبقه

سترتـهُ عن عيونِ الناسِ كلهم ... ولستَ تعـلم أن الدهرَ يرمقه

ان لم تبكر اليهِ فى نوائبهِ ... فسوف يطرقهُ ركضاً فيرهقه

وقد أحسن القائل :

اذا أعجبتك خصالُ امرىء ... فـكنهُ تـكن مثلَ مايعجبك

فليس على الجودِ والمكرمات ... حجابٌ إذا جئتهُ يحجبك

هو المـالُ ان أنت لم تخترب ... أباحَ لك الدهرُ مايخربك

وإذا كان أفضل الجود ماكان مع الحاجة على حسب مامدح الله تعالى به الانصار فقال (وَيُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ) وأجود ماقيل قول عروة بن الورد(٢):

فلا تشتمنى ياابنَ ورد فانني ... تعودُ على مالى الحقوقُ العوائدُ

ومن يؤثر الحقَّ النؤوبَ يكن به ... خَصاصةُ جسم وهو طيان ماجد

وقال عبد الملك بن مروان ماوددت ان أحـداً من العرب ولدنى إلا قائل هذه الأبيات .

---

(١) فى الأصل (ولا يشفى) . (٢) هو شاعر جاهلى كان فارساً جواداً ، قال عبد الملك بن مروان : من قال أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد .

ومن جيد ماقيل في الايثار على النفس قول عبيد الله بن عبدالله بن طاهر كتبه عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبى دهرُنا اسعافَنا فى نفوسنا　　فأسعفنا فيمن نُحبُّ ونكرمُ
فقلت له نعماكَ فيهم أتمها　　وَدَعْ أمرَنا ان المهمَّ المقدم

وهذا غاية لأنه جعل أمر الممدوح أهمّ له من نفسه واصلاح شأنه .

ومن جيد ماقيل في جود على قوم دون قوم قول البحترى :

سحابٌ عدانى جودُهُ وهو هامر　　وبحرٌ خطانى فيضه وهو مفعم
وبرقٌ أضاء الأرضَ شرقاً ومغربا　　وموضعُ رجلى منهُ أسودُ مظلمُ

ومن أجود ماقيل فى كبر الهمة قول بعض العرب :

لهُ هِممٌ لا مُنتهي لكبارها　　وهمتهُ الصغرى أجلُّ من الدهرِ
له راحةٌ لو أن معشارَ جُودها　　على البرِّ كان البرُّ أندى من البحر

أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعتْ فى فؤادهمم　　ملءُ فؤادِ الزمانِ إحداها

وموضع التقصير فيه أن الأول جعل همته الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبي احدى هممه ملء فؤاد الزمان فاذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .

ومما يذكر فيوصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسري فتطأطأ فى طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت اليه مخدة فجعلها على رأسه وكسرى يرمقه فلما سأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلتين عجيبتين وضع المخدة على رأسك وإنما أعطيتها لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندى وأما تطأطئى في الطاق الكبير فان همتى أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم اليه جيشاً أزاح بهم الحبشة عن بلده .

ومن بليغ ماقيل فى كبر الهمة قول على بن محمد البصري :

قلبي نظيرُ الجبلِ الصعب　　وهمتي أكبرُ من قلبي
فاستخر اللهَ وخذ مُرهَفاً　　وافتك بأهل الشرقِ والغربِ
ولا تمت ان حضرت ميتةٌ　　حتى تميتَ السيفَ بالضرب

ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام :

رأى ابن دهرٍ عَرَقا في خيلِهِ　　أعلم منه بحداء ابله (١)
قد لعبت أيدي النوى بشملِهِ　　ممتعاً مضطلعاً بحملِهِ
مُنصلتاً كالسيفِ عند سلِهِ　　مولودةٌ همتهُ من قبله
قد دانَ ذو الفضل له بفضلِهِ　　كالصابِ من يذقه لا يستحلِهِ
إلا بأن يسكن تحتَ ظله

وقال : همةٌ تنطحُ النجومَ وجدٌّ　　ألف للحضيضِ فهو حضيضُ

أبلغ ماقيل في يمن النقيبة (٢) قول الاعشى :

ولو رحت في ظلمةٍ قادحاً　　حصاةً بنبع لأوريتَ نارا

الحصاة مع النبع لا تورى قال فأنت من يمن نقيبتك لو قدحت بهما لأوريت .

وقال بعض الأعراب :

يذكرني سعداً دعاءٌ بالقرى　　لو أشرف القومُ على أرضِ العدى
واختلطَ الليلُ بألوان الحصى　　وأرسلوا سعداً الى الماء سرى
من غير دلو ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً : وقلت :

ليس للعين وراء شأوه　　الى العلى والمكرماتِ مطرح
قد شح بالعرض وجاد باللهى　　فحوى المجد بما جاد وشح
فاذا همّ بأمرٍ ناله　　فسواءٌ جدّ فيه أو مزح

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقيبة : النفس ، يقال فلان ميمون النقيبة إذا كان مبارك النفس .

وقلت : إذا مابدت فيناعطاياهُ عقبت ... وكم بادىء المزنِ غير معقب

ولما يغرره تقلب دهره ... فقلت لعلّ الدهرَ لم يتقلب

ويدنو له المطلوبُ حتى كأنما ... كواكب ضوءالصبح في كل مطلب

أبلغ ماقيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :

سأشكرُ عمراً إن تراخت مَنيتي ... أيادىَ لم تُمنن وإن هى جلتِ

فتى غير مفراحٍ إذا الخيرُ مسهُ ... ولامظهر الشكوى إذا النعلُ زلتَ

رأى خلتي من حيثُ يخفى مكانُها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

قوله « قذى عينيه » لايقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الانسان إذا قذيت عينهصرف الهمة إلى تفقدتها من غير اشتغال بشيء غيرهاوهو على قوله «من حيث يخفي مكانها » أبلغ لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة .

ومما هو فى هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :

إذا ليلةٌ نابتك بالشكوِ لم أبت ... لشكواك إلا ساهراً أتململُ

كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى ... طُرقتَ به دونى فعينى تهمل

وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول عباس بن مرداس السلمى (١) :

أشدُّ على الكتيبة لا أبالى ... أحتفى كان فيها أم سواها

قالوا أربعة من الشجعان تتبين دلائل الجبن فى شعر ثلاثة منهم فمن الثلاثة عنترة (٢) فى قوله :

فاذا شربتُ فاننى مستهلكٌ ... مالى وعرضى وافرٌ لم يكلمِ

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى ... وكما علمتِ شمائلى وتكرمي .

---

(١) هو الشاعر الفارس كان سيدا في قومه أدرك الجاهليةوالاسلام وأسلم قبل الفتح وكان ممن ذم الخمر فى الجاهلية .

(٢) هو عنترة بن شداد العبسى من شعراء الطبقة الأولى كان حليما على شدة بطشه اجتمع بامرىء القيس ، وقصته المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تركتُ مجندلا ... تمكو فريصته كشدق الأعلم
هلاَّ سألتِ الخيل يابنة مالكٍ ... إن كنتِ جاهلة بما لا تعلمي
يخبرك من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم
ومدجج كره الكماة نزاله ... لا ممعن هرباً ولا مستسلم
سبقت يداى له بعاجل طعنة ... ليس الكريم على القنا بمحرم[1]
نبئت عمراً غير شاكر نعمتي ... والكفر مخبثة لنفس المنعم

ثم قال: إذ يتقون بي الاسنة لم أخم ... عنها ولكني تضايق مقدمي

قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتذر بتضايق المقدم. وكان عنترة هجيناً أمه أمة فاستعبده أبوه، وهذه كانت العرب عادتها في الهجناء فكان يرعى ثم اتخذ سلاحا وصنع مهراً فأغارت طيء على عبس فسبوا أهله وجيرانه فركب مهره واتبع القوم ثم جنبهم حتى أتى من أمامهم فما زال يطعن في أعين القوم حتى ردوا عليه أباه وأمه ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لا انصرف بأهلي وأترك جيراني فكر عليهم فقتل منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كر فيقول لا يحسن العبد الكر وإنما يحسن الحلب والصر يقرعهم بذلك إذ كانوا قد استعبدوه فاستلحقه أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان عنترة يسمى الفلحاء وكانت أمه حبشية تسمى زبيبة وقال النبي ﷺ «ماسمعتُ بأعرابي فاشتهيتُ أن أراه إلا عنترة».

والآخر قول عمرو بن معد يكرب[2] في قوله:

ولقد أجمع رجليَّ بها ... حذرَ الموتِ وإني لفرور
ولقد أعطفها كارهة ... حينَ للنفسِ من الموت هرير
كل ماء لك مني خلق ... وبكل أنا في الروع جدير

فقال «وإني لفرور» وقال بعض أهل الأدب إنما هو «لقرور» بالقاف

---

(١) روى «ورشاش نافذة كلون العندم».

(٢) هو فارس اليمن، صاحب الغارات المشهورة.

لأن الشجاع لايمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله «كل ماذلك مني خلق» على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات فحال الثبات قوله «ولقد أجمع رجلي بها» والحال الأخرى حال للفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالا واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك مني خلق وإنما دل على اصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة إنما ذلك هوج والشجاعة ان يتقدم وغالب ظنه ان يظفر فاما أنه اذا علم أنه اذا أقدم هلك ثم أقدم فان ذلك جنون لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهلك وإنما الشأن في أن يحمد غب إقدامه وفي قريب من ذلك قوله :

فجاشت إليَّ النفسُ أولَ مرة فرُدت على مكروهها فاستقرتِ

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب الكذبة الصلعاء روى لنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدي كرب وخالد بن الصعقب الهندي في جماعة بالكناسة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بني نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصعقب فحملت عليه فطعنته فأرديته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد حلاً أبا ثور فان قتيلك هو المحدّث فقال عمرو ياهذا إذا حدثت بحديث فاسمع فانما نرهب هؤلاء المعدية . مسترعفين أي متقدمين ، وقوله حلا أبا ثور أي قل ان شاء الله ويقال حلف ولم يتحلل أي لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك مايزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الغيلان والسّعالي حتى زعم تأبط شرا انه طلب نكاح السعلاة في قوله :

وادهمَ حببت (١) حلبابه فياجارتا أنت مااهولا

فطالبتها بضعها فالتنت بوجه تهول واستغولا

---

(١) في النسخ زيادة (قد) قبل (حببت) .

وكنت إذا ماهممتُ اعتزمت　　وأخرى اذا قلتُ أن أفعلا

وقال آخر :

أخو قَفرات حالفَ الجنَّ واتقى　　من الانسِ حتى ماتقضت رسائله

له نسبُ الانسيِّ يعرفُ نجله　　وللجنِّ منــهُ خَلقه وشمائله

وقال عبيد بن أيوب :

فللهِ درُّ الغولِ أي رفيقــه　　لصاحب قفرٍ خائفٍ متقفر

وكان كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطاناً يعلمه الشعر منهم الفرزدق كان يكنى شيطانه أبا لبيني وذكر أنه ذهب الى جبل فناداه فجاء مثل الذباب فدخل في حلقه فقال قصيدته التي أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعزف *

وقال أبو النجم :

وجدت كلَّ شاعرٍ من البشر　　شيطانه انثى وشيطانى ذكر

وزعموا أن عروة بن عُتبة صرخ بقومه فأسمعهم من مسيرة ليلة . ورووا أن لقمان بن عاد لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والانثى والذر اذا دب على الصفا فى الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبى حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها عليك . وسأل الحجاج (١) قاضاً عن اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنتمة فقال له رجل من أولاد أبى موسى الاشعرى في أى كتاب وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن العاص . ودخل عبد الله بن الزبير يوما على معاوية فقال اسمع أبياتاً قلتها :

اذا أنتَ لم تنصف أخاكَ وجدتَهُ　　على طرفِ الهجرانِ ان كان يعقلُ

ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تضيمه　　اذا لم يكن عن شفرةِ السيفِ مزحلُ

ثم دخل معن بن أوس المزنى فأنشد * لعمركَ ما أدرى وانى لأوجلُ * حتى صار إلى البيتين فقال معاوية ماهذا ياأبا بكر فقال أنا أصلحت المعانى وهو

---

(١) فى الأصل « الحجاج بن حنتمة » .

ألف الكلام وهو بعد ابن ظُرى وما قال من شيء فهو لى وكان عبد الله بن الزبير مسترضَعاً في مزينة :

والثالث عمرو بن الاطنابة (١) حيث يقول :

وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانكِ تحمدى أو تستريحى

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي حدثنا العتبي عن أبيه قال دخل الحارث بن نوفل بابنه على معاوية فقال ماعلمت ابنك؟ فقال القرآن والفرائض فقال روه من فصيح الشعر فانه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة والشجاعة ولقد رأيتنى ليلة صفين ومايحبسنى إلا أبيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لى عفتى وأبى بلائى ... وأخذى الحمدَ بالثمن الربيح

واعطائى على المكروهِ مالى ... وضربى هامةَ الشيخ المشيح

وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانكِ تحمدى أو تستريحى

لأدفعَ عن مآثرَ صالحاتٍ ... وأحمى بعدُ عن عرضٍ صحيح

بذى شطبٍ كلونِ الملح صافٍ ... ونفسٍ لاتقرُّ على القبيح

قالوا والذى يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشدُّ على الكتيبةِ لا أبالى ... أحتفى كان فيها أو سواها

وهذا على مذهب من ذكرنا قبلُ هوج ، والذى يدل على أن التثبت والتأنى وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وفارس فى غمارِ الموتِ مُنغمس ... إذا تألى على مكروهه صدقا

غشيتهُ وهو فى جأواء باسلة ... عضباً أصابَ سواءَ الرأس فانفلقا

بضربةٍ لم تكن منى مخالسةً ... ولا تعجلتها جبناً ولا فرَقا

فذكر أن مخالسة الضرب من الجبن . وأحسن ماقيل في التقدم فى الحرب قول زهير :

(١) الخزرجي المشهور .

ليث بعثر يصطادُ الرجالَ إذا ... ماالليثُ كذب عن أقرانهِ صدقا
يطعنهمُ ماارتموا حتى إذا طعنوا ... ضارب حتى إذا ماضاربوا اعتنقا

وصفه بالتقدم على كل حال . وقل أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين ابن حُمام (١) :

تأخرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجد ... لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدما
فلسنا على الاعقاب تدمى كلومُنا ... ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ذكر أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يعيش به عزيزاً أو موت يموته شريفاً.

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي قال قال المهدي لابن داب أنشدني أحسن ماقيل في وصف الفتي الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعثَ قد قدَّ السفارُ قميصه ... يجر شواء بالعصا غير منضج
دعوت إلى ما نابني فأجابني ... كريمٌ من الفتيان غير مزلج (٢)
فتى يملأ الشيزى (٣) ويروى سنانهُ ... ويضربُ في رأس الكميِّ المدجج

فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول كعب بن مالك :

نصلُ السيوفَ إذا قصرن بخطونا ... قدماً ونلحقها إذا لم تلحق

ورأي بعض العرب سيفاً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه نصله بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين .

وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحرب قول أبي تمام :

خطوٌ ترى الصارمَ الهنديَّ منتصراً ... به من المارنِ الخطيِّ منتصفاً

---

(١) هو ابن ربيعة سيد بني سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضيم ، يعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين ، ونقل في الأغاني أنه ادرك الاسلام .

(٢) مزلج كمعظم : الناقص والدون من كل شيء . (٣) الشيزى بالكسر خشب أسود للقصاع أو هو الأبنوس .

يقول لسعة الخطو ينتصف صاحب السيف من صاحب الرمح .

وقالوا أشجع ماقيل قول الشاعر :

أقولُ لنفسٍ لا يجادُ بمثلها أقلي شكوكا إنني غيرُ مدبر

وأجود ماقيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبي تمام :

قلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددُ

إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا من اليقين دُروعاً مالها زردُ

ناءٍ عن المصرحِ الادنى فليس لهم إلا السيوفُ على أعدائهم مدد

وأجود ماقيل في وصف الفتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين قول مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد الشيباني :

لولا يزيد لأضحى الملكُ مضطرداً أو مائلَ الرأسِ أومسترخىَ الطولِ

حاط الخلافةَ سيفٌ من بنى مطر أقام قائمهُ من كان ذا مَيل

سدَّ الثغورَ يزيد بعد ماانفرجت بقائم السيف لا بالختل والحيل

موف على مهج في يوم ذي رهجٍ كأنه أجلٌ يسعى إلى أمل

ينالُ بالرفق مايعيا الرجالُ به كالموتِ مستعجلاً يأتى على مهل

يكسوالسيوف نفوس[1] الناكثين به ويجعل الهام[2] تيجان القنا الذبل

يغدو فتغدو المنايا في أسنته شوارعاً تتحدى الناسَ بالأجل

قد عودَ الطيرَ عاداتٍ وثقنَ بها فهن يَتبعنهُ فى كلِّ مرتحل

إذا انتضى سيفهُ كانت مسالكهُ مسالكَ الموتِ في الأبدان والقلل

الزائديُّون قومٌ فى رماحهم خوفُ المخيفِ وأمنُ الخائفِ الوجل

كبيرُهم لاتقومُ الراسياتُ له حلماً وطفلهمُ في هدى مكتهل

إسلم يزيدُ فما فى الملكِ من أوَدٍ إذا سلمتَ ولا في الدينِ من خلل

(١) في هامش نسخة « دماء » مكان « نفوس » اشارة لنسخة فيها كذلك . وهى موافقة لما فى ديوان مسلم. (٢) في النسخ « الهامة » .

وانخر فمالك في شيبانَ من مثل كذاك مالبنى شيبانَ من مثل
لله من هاشم فى أرضه جبلٌ وأنتَ وابنك ركنا ذلك الجبل

وقوله : سلَّ الخليفةُ سيفاً من بنى مطر يمضى فيخترقُ الاحشاءَ والهاما
كالدهر لا ينثنى عمايهمٌ به قد أوسعَ الناسَ إنعاماً وارغاما
تظلّ المال والاعداء من يده لازالَ للمالِ والاعداءِ ظلاما
إذا بدا رفع الاستار عن ملك تكسى العيون به نوراً واظلاما
تمضى المنايا لما تمضى أسنته كأن فى سرجه بدراً وضرغاما

وله أيضا :

يلقى المنية فى أمثال عدتها كالسيل يقذفُ جلموداً بجلمود
كالليثِ بل مثلهُ الليثُ الهصورُ إذا غنى الحديد غناءً غير تغريد

وقالوا أشجع بيت قاله محدث قول أبى تمام :

فما بلّ فى مستنقع الموتِ رجله وقال لها من تحتِ أخمصك الحشرُ
وقد كان فوتُ الموت سهلاً فردّهُ عليهِ الحفاظ المرُّ والخلقُ الوعرُ
غدا غدوةً والحمد نسجُ ردائهِ فلم ينصرف إلا وأكفانُهُ الأجر

أخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل :

لا أبتغى اللحدَ ولا أبغى الكفنْ من هاهنا محشرُ عوفِ بن قطنْ

وأجود ماقيل في سكون الجأش في الحرب قول البحترى :

لقد كانَ ذاكَ الجأشُ جأش مسالمٍ على أنَّ ذاك الزىَّ زىُّ محاربِ
تسرَّعَ حتى قالَ من شهدَ الوغى لقاء عداء [1] أم لقاء حبائب
وصاعقة في كفه ينكفى بها على أرؤسِ الاقران خمس سحائب

وهذا البيت أجود ماقيل فى معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب سحائب تجود على مؤملين بغيتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

---

(١) فى النسخ « أعداء » والوزن لايستقيم بها .

(أصدق بيت قالته العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء قال قال الاصمعي أصدق بيت قالته العرب وأحكمه قول الحطيئة :

من يفعل الخيرَ لا يَعدم جوازِيَهُ   لا يذهبُ العرفُ بين الله والناس

وقال المحدث في معناه * ماضاع عرف وان أوليته حجراً * وقال الافوه[1] :

والخيرُ تزدادُ منهُ ما كفيتَ[2] بهِ   والشرُّ يكفيكَ منهُ قلما زاد

وقيل خير من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيد الله الابرصي :

الخيرُ يبقى وان طالَ الزمانُ به   والشرُّ أخبثُ ماأوعيتَ من زاد

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا عمر بن شبة حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث بحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب :

ألا كلُّ شيء ماخلا اللهَ باطلُ   وكلُّ نعيم لامحالةَ زائلُ

وكل أناس سوفَ تدخلُ بينهم   دويهيةٌ تصفرُّ منها الانامِلُ

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو زيد حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن عثمان بن مظعون كان في جوار الوليد بن المغيرة وكان لايؤذى كما يؤذى أصحابه يعني من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فبرىء منه فلما جلس مع القوم ولبيد ينشدهم * ألا كل شيء ماخلا الله باطل * فقال عثمان صدقت ثم أنشد لبيد رأس البيت * وكل نعيم لامحالة زائل * فقال عثمان كذبت فأسكت القوم ولم يدروا ماأراد ثم أعادثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال لبيد ماهكذا كانت مجالسكم فنزا رجل من قريش فلطم عين عثمان فأحضرت فقال

(١) هو صلاءة بن عمرو الاودي أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمائها وسادتها وفرسانها .   (٢) وفي رواية «لقيت» .

له الوليد كنت فى ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذى لقيت عينك غنيا فقال بل كنت الى الذى لقيت فقيراً وعينى التى لم تلطم الى مثل مالقيت صاحبتها فقيرة فقال ان شئت أجزتك ثانية فقال لا أرب لى في جوارك ، وأول هذه القصيدة :

ألا تسألان المرءَ ماذا يُحاولُ　　أنحبٌ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ
حبائلُهُ مبثوثةٌ بسبيله　　ويَفنى اذا ماأخطأتهُ الحبائلُ
اذا المرءُ أسرَى ليلة ظنَّ أنهُ　　قضي عملاً والمرءُ ماعاشَ عامل

وأجود من هذا سبكاً ورصفاً قول الصلتان :

نرُوحُ ونَغدُو لحاجاتنا　　وحاجةُ من عاش لاتنقضي

وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سماه أنشدنا أصدق بيت قالته العرب قال الناس يقولون * كل امرىء فى شأنه ساعى * وأنا أقول :

كأن مُقلّا حين يغدو لحاجةٍ　　الى كلّ من يلقى من الناس مذنبُ

وأصدق بيت قاله محدث قول البحترى :

نصليك فى الأكرومتين فانما　　يسودُ الفتى من حيثُ يسخو ويشجع
زرعتُ رجاءً فى ذراك مُبكراً　　وجلُّ حصادِ المرءِ من حيثُ يزرعُ

أجود ماقيل فى القناعة قول الشاعر :

إذا سُدَّ بابٌ عنك من دونِ حاجةٍ　　فدعها لأخرى لينٌ لك بابُها
وان قرابَ البطنِ يُغنيك ملؤه　　ويكفيك سوآت الأمور اجتنابها

أخذه ابن الرومى فقال وأحسن :

إذا ماشئت أن تعرفَ　　يوماً كذبَ الشهوه
فكل ماشئت يغنيكَ　　عن العذبةِ والحلوه
وطأمن شئتَ يغنيك　　عن الحناء في الذروه
فكم أنساك ماتهوا　　ه نيلُ الشيء لم تهوه

وقال ابن هرمة :

إذا مطمعٌ يوماً غزاني غزوتهُ ... كتائب ناس كرّها واطرادها
أمصّ ثمادى والمياه كثيرة ... أعالج منها حضرها واكتدادها
وأرضى بها من بحر آخر أنه ... هو الرأى ان ترضى النفوس ثمادها

وأبرع بيت قيل من قديم الشعر قول أبي ذؤيب :

والنفسُ راغبةٌ إذا رغبتها ... وإذا تردُّ الى قليلٍ تقنع

وقد أحسن أبو العتاهية فى قوله :

أنت محتاجٌ فقيرٌ أبدا ... دون ماترضى بأدنى مالديك

وذمَّ بعضهم القناعة فقال هى خلق البهيمة ، معناه أنها إذا وجدت أكلت وان لم تجد باتت على الخسف ليس لها مِحالة دون الانطواء على الجوع ولا نكير دون الاقرار بالهزل كما قيل :

ولا يقيم على ضيمٍ يُرادُ به ... إلا الأذلاَّن عير الحى والوتدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ برمته ... وذا يُشجُّ فلا يَرثى له أحدُ

وإلى هذا المذهب ذهب على بن محمد فى قوله :

إذا اللئيمُ مطَّ حاجبيه ... وذادَ عن حريم درهميه
فاترك عنانَ البخل فى يديه ... وقم الى السيفِ (١) وشفرتيه
واستنزل الرزقَ بمضربيه ... إن قعدَ الدهرُ فقم اليه

وقلت : سأستعطفُ الأيامَ حتى تردَّنى ... إلى جانب منها يلينُ ويسهل (٢)
وأقنعُ لا أن القناعة لى هوى ... ولكنَّ صونَ العرض بالحر أجمل

وقال ديك الجن :

لاتقم للزمانِ في منزلِ الضيـ ... ـم ولا ترتبطكَ رقةُ حالِ
وإذا خفتَ ان يراهقك العد ... مُ فسد بالمثقفات العوالى
وأهن نفسكَ الكريمةَ للمو ... ت وقحم بها على الأهوال

(١) في الأصل « وقم بالسيف » . (٢) فى الأصل « تلين وتسهل » .

فلعمرى للموتُ أجملُ بالحرِّ من العيشِ ضارعاً للرجال
أى ماءٍ يجولُ في وجهك الحرِّ إذا ما امتهنتهُ بالسؤال
ثم لا سيما وقد عصفَ الدهرُ بأهل الندَى وأهل النوال
فقليلٌ من الورَى من تراهُ يُرتجى أن يصونَ عرضاً بمال

وفى المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أنشدنا أبو بكر بن دريد أنشدني أحمد بن المعذل[1] لأخيه عبد الصمد[2] :

رأت عدمى فاسترابت رحيلى سبيلك إن سواها سبيلى
يرجى اليسار لها بالقفول لعلَّ المنيةَ قبل القفولِ
لعمر التى وعدتك الثراءَ بجدوَى الصديقِ وبر الخليلَ
لقد قذفتْ بك صعبَ المرامِ واستجملت لك غير الجميل
سأقنى العفاف وأغنى الكفاف فليسَ غنى النفس جودُ الجزيل
ولا أتصدى لشكر الجوادِ ولا استعدٌ لذمِّ البخيل
وأعلمُ أن بناتِ الرجاءِ تحلُّ العزيزَ محلَّ الذليل
وأن ليس مستغنياً بالكثيرِ من ليسَ مُستغنياً بالقليل

قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا لرأيته نبي الشعر. وقال البصير :

قلتُ لأهلى وراموا أن أميرهمُ بماء وجهى فلم أفعلْ ولم أكدِ
لا تجمعوا ان تهينونى وأ كرمكم ولا تمدُّوا الى نيل اللئامِ يدى
تبلغوا وادفعوا الحاجاتِ ما اندفعت ولا يكن همكم فى يومكم لغد
فربَّ ملتمسٍ ماليس يُدركهُ ومدركٌ ماتمنى غير مجتهد

أبلغ ماقيل في مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أغار هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقوها فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبدالله ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه فنهاه دريد فبينما هما كذلك رأوا غبرة

(١) فى الأصل «ابن المعتزل» . (٢) من شعراء العصر العباسي نشأ في البصرة .

فقالوا لرقيبهم ماترى قال خيلاً كالعقبان عليها فوارس كالصبيان فقال فزارة ولا بأس ثم رأوا غبرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلا كأن قوائمها تنقلع من صخر قال تلك عبس والموت فلما خالطوهم قتل عبد الله فقال دريد :

أمرتهمُ أمرى بمنعرجِ اللِّوَى فلم يستبينوا الرشد إلا ضُحى الغدِ
فلما عصونى كنتُ منهم وقد أرى غَوايتهم أنى [(١)] بهم غير مهتدى
وما أنا إلا من غَزيةَ ان غوت غويتُ وان تَرشُد غَزيةُ أرشُد

وأسر دريد ثم نجا فغزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه . ووجه المبالغة فى هذا الكلام أنه أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غى وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد كراهة الخروج من هواه وترك مطابقته على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبى ربيعة وروى لغيره :

وذى ودّ أملتُ اليه نصحاً وكان لما أشيرُ به سميعا
أطافَ بغيهِ ونهيتُ عنها وقلتُ تجنبِ الامرَ الفظيعا
أردتُ رشادَهُ جَهدى فلما عصى وأبى ركبناها جميعا

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الحسن بن محمد المهرى عن التوَّزى :

تنخلتُ آرائى وسقتُ نصيحتى إلى غير طلقٍ للنصيح ولاهشّ
فلما أبى نصحى سلكتُ سبيلهُ وأوسعتهُ من زور قولٍ ومن غشّ

وقال آخر :

ألم تعلما ياابنى رجاجةَ أننى أغشُّ اذا ماالنصحُ لم يُتقبل

ومن جيد ماقيل فى النصيحة قول مخيس بن أرطاة :

عرضتُ نصيحةً منى ليحيى فقال غششتنى والنصحُ مرٌّ
ومابى أن أكونَ أعيب يحيى ويحيى طاهرُ الاخلاق بَرٌّ
ولكن قد أتانى أنَّ يحيى يُقالُ عليه فى نقعاء شرٌّ

---

(١) فى النسخ « أو أننى غير » .

فقلتُ له تجنبْ كلَّ شىء ... يُقالُ عليك إن الحرَّ حرُّ

ومثل ماتقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :

إن أخا الصدقِ الذى لن يخدعك ... ومن يضرُّ نفسهُ لينفعك
ومن اذا صرفُ زمانٍ صدعك ... شتتَ شملَ نفسه ليجمعك
وان غدوتَ ظالما غدا معك

فسَّروه يكفك عن الظلم ، وليس كذلك لأن معنى الأبيات لا يقتضيه وانما أراد أنه يعاونك على الظلم على حسب ماقال عمر بن أبى ربيعة « ركبناها جميعا »

وقال ابن ميارة فى النضيحة :

نصحتك يارباحُ بأمرِ حزم ... فقلت هشيمةٌ من أهل نجد
نهيتك عن رجال من قريش ... على محبوكةِ الأصلابِ جرد
ووجداً ماوجدتُ على رباح ... وما أغنيت شيئاً غير وجدى

وقال العباس بن جرير :

إرعَ الاخاءَ أبا محمـــد الذى يصفو وصنهُ
واذا رأيتَ منافساً . في نيل مَكرُمَة فكنهُ
ان الصديقَ هو الذى ... يرعاك حينَ تغيبُ عنه
وإذا كشفتَ غطاءَهُ ... أحمدتَ ما كشفتَ عنهُ
مثل الحسام إذا انتضا ... هُ أخو الحفيظةِ لم يخنه
يسعى لما تسعي له ... كرماً وإن لم تستعنه

ومن أبلغ ما قيل فى ارضاء الرجل عن أخيه قول الراجز :

لم أقضِ من صحبةِ زيدٍ أربى ... فتىً اذا نبهتهُ لم يَغضبِ
أبيض بسام وإن لم يعجبِ ... ولا يَضن بالمتاع المحقب
موكل النفسِ بحفظِ الغيب ... أقصى رفيقين له كالاقرب

وهذا خلاف ماقيل ☼ من غاب غاب نصيبه ☼ وقلت فى قريب منه :

بذلتُ من شكرىَ مالم يبذل   لماجد أجملَ إذ لم أجمل
يحمل من ثقلىَ مالم يحمل   فعزَّ في عينىَ حين ذَلَّ لى
إن جمالَ الحرِّ فى التجمل   وقد يكونُ العزُّ فى التذلل
والمجد شهد يجتنى من حنظل

ومن قديم ماجاء فى هذا النحو قول أوس :

وليس أخوكَ الدائم العهد بالذى   يلومُكَ إن ولى ويرضيكَ مُقبلا
ولـكنهُ النائى إذا كنتَ آمنا   وصاحبك الادنى إذا الأمرُ أعضلا

أبلغ ما قيل في التأنى وأجوده وأشده اختصارا ما أنشدناه أبو أحمد للمرار الفقعسى :

تقطع بالنزول الأرض عنا   وبعد الأرض يقطعه النزول

وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إنَّ هذا الدِّينَ مَتِينٌ فأوغِلْ فيه بِرفقٍ فان المنبتَّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى » وتقول العرب شر السير الحقحقة ، وهى شدة السير . وقلت فى نحو قول المرار :

وحطَّ بها أكوار خوص لواغب   يقللُ إكثار التذميل ذميلها
نغض عبرة حلَّ الفراقُ عقالها   وأقلقَ هجران الحبيبِ مقيلها
فلا غروَ إن فاضت دموعُ متيمٍ   على الدار يسقى ظلهنَ طلولها

ومن المشهور فى التأنى قول القطامي :

قد يُدركُ المتأنى بعض حاجتهِ   وقد يكونُ مع المستعجلِ الزللُ

وقال غيره :

ومستعجل والمكثُ أدنى لرشدهِ   ولم يدر مايلقاه حين يُبادرُ

وقيل لبعض العلماء لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لـكان متكلفا مردوداً وكثيراً مايقع « كل » فى الشعر قلق المكان كوقوعه فى بيت ابن طباطبا :

فيالائمي دعني أغالى بقيمتي   فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يحسنونهُ

ولا أعرفُ أن «كلا» وقع فى بيت أحسن منه فى بيت أبى العتاهية :

أعلمت عُتبةُ أننى منها على أجل مطل
وشكوتُ ماألقى اليها والمدامعُ تستهل
حتى إذا برمتْ بما أشكوكما يشكو الأذل
قالت فأى الناسِ تعرفُ ماتقولُ فقلتُ كل
ومن الذى يهوى فلا يزهى عليه ولا يذل

وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدتُ العقلَ نوعين فمطبوعٌ ومسموعُ
ولا ينفعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوع

أجود ماقيل فى الاختيار قول ابن المعدل أظنه :

إذا لم تقدحى زَنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريّ

وأول الأبيات :

رأتنا أمُّ عمرو فازدرتنا ونقضُ الحرب منظرُهُ زرىٌّ
إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الورىّ
سلى بى تخبرى أنى طروب الى الايسار أبلجُ بُخترىٌّ
وانى حين تختلف[1] العوالى الى الابطال أكيس قسورىٌّ
كلينى للندَى والبأسِ انى بكل بسالة وندًى حرِىٌّ

ومثله قول الآخر :

زِنى القومَ حتى تعرفى عندَ وزنهم اذا رُفِع الميزانُ كيفَ أميلُ

وقال النبي ﷺ (أخبر تقله) معناه اختبر من شئت تجد دون ماتظنه فيه وتطلع على ماتكره منه فتبغضه ، وليس في جميع ماقيل في هذا المعنى أبلغ منه ولا أوجز وقد شرحه ابن الرومي فقال :

---

(١) فى الأصل «يختلف».

دعتني الى فضلِ مَعروفكم ... وجوهٌ مناظرُها معجبه
فأخلفتمُ ما توسّمته ... وقلَّ حميدٌ على التجربه
وكم لمعة خلتها رَوْضَةً ... فألفيتها دِمنةً مُعشبه
ظلمتكمُ لاتطيبُ الفروعُ ... إلا وأعراقها طيبه
وكنت حسبت فلما حسبت ... عفى على الحساب مع المحسبه
فهل تعذروني كعذريّكم ... بأنّ أصولكم المذنبه
جزيتُ موازينكم بالسواء ... وعُذرٌ بعذر فلا مَعتبه

وقد قال الناس : الطمأنينة قبل التجربة حمق ؛ والمثل السائر * لاتحمدنّ امرأً حتى تجربه * سمعت عم أبي يقول ماسمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد * الشكر كفؤ النعمة * ولا أطرف من قول البحترى * الشكر نسيم النعمة * وأنا أقول لم يسمع أجمع فى الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيد وقيمة العارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ماقيل فى الشكر من الشعر قول يحيى بن زياد الحارثي أنشدناه أبو أحمد عن الصولى :

حلفت بربِّ العيسِ تهوِى بركبها ... الى حرمٍ ماعنه للركبِ معدِلُ
لما بلغ الانعامُ في الفضل غايةً ... تفضلُ إلاغاية الشكر أفضل
ولا بلغت أيدى المنيلين بَسطةً ... من الطولِ إلا بسطةُ الشكر أطول
ولا ثقلت في الوزنِ أعباءُ منة ... على المرء إلا منة الشكر أثقل
فمن شكرَ المعروفَ يوماً فقد أتى ... أخا العرفِ من جنس[1] المكافاة من عل

وقال الآخر : فعلتَ خيراً كثيراً ... وأنت أكثرُ منه
ونحنُ أكثرُ منه ... لشكرنا لك عنه

وأجود ماقيل فى عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

---

(١) فى نسخة « حسن » مكان « جنس »

سعيتُ ابتغاءَ الشكر فيما صنعت بى ... فقصرت مغلوباً وإنى لشاكر

قوله وإنى لشاكر مع قوله مغلوباً أحسن الموقع ، وهو مأخوذ من قول الآخر:

فراق حبيب لم يَبِنْ وهو بائنٌ

لأنك تولينى الجميلَ بداهةً ... وأنت لما استكثرت من ذاك حاقر

فأرجعُ مغبوطاً وترجعُ بالتى ... لها أولٌ في المكرُماتِ وآخرُ

وقول الآخر :

ولو أن لى في كلّ منبتِ شعرةٍ ... لساناً يبثّ الشكر فيك لقصرا

وقول دعبل :

هجرتُك لاعن جفوةٍ وملالة ... ولا لقلى أبطأتُ عنك أبا بكر

ولكننى لما أتيتك راغباً ... فأفرطتَ فى برّى عجزتُ عن الشكر

فالآنَ[1] لا آتيك إلا معذراً ... أزورُك في الشهرين يوماً أو الشهر

فان زدتَ فى برى تزايدتُ جفوةً ... فلا نلتقى[2] حتى القيامة والحشر

وقول أبي نواس :

قد قلتُ للعباسِ مُعتذراً ... من ضعف شُكريه ومعترفا .

أنتَ امرؤٌ قلدتنى نعماً ... أوهت قوَى شُكرى وقد ضعفا

لاتسدينّ الىَّ عارفةً ... حتى أقومَ بشكر ما سَلفا

وهو أول من أتى بهذا المعنى إلا أنه عبر عنه عبارة طويلة ، وأحد أدواء الكلام فضل ألفاظه على معانيه . وقال البحترى :

هاتيك أخلاقُ اسماعيل فى تعب ... من العلا والعلا منهنّ في تعب

أدأبتُ شكرى فأمسى منك فى نصب ... اقصر فمالى فى جَدواك من أرب

لاأقبلُ الدهرَ نيلاً لا يقومُ لهُ ... شُكرى ولو كان مسديهِ إلىَّ أبى

لما سألتك وافانى نداك على ... أضعاف شكرى فلم أظفر ولم أخِب

---

(١) أصله « فمن الآن » . (٢) فى الأصل « نكتفي ».

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداهُ باعُ شكرى قصورَ الزجِّ عن زلقِ اللسان
وآسى أن تطولَ يداى منهُ إلى ما لا يُطاوِلُهُ لسانى
كأن ندى يديه عناقُ بين فليس يَسرُّنى إلا شجانى
لهجتُ بذكره لأبينَ عنه فضاقَ بوصفه ذرُعُ البيان
حنانى ثقله ولو أنَّ قوساً تلقى منكبيّ لما حنانى
فها أنا منه مفتقرٌ وغانٍ وقلبي فيه منطلقٌ وعانٍ

وقال البحترى :

إنى هجرتك إذ هجرتك وحشةً لا العودُ يذهبها ولا الابداءُ
أخجلتنى بندى يديك فسوَّدت مابيننا . تلك اليدُ البيضاء
وقطعتنى بالجودِ حتى أننى متخوفٌ أن لا يكون لقاء
صلةٌ غدت فى الناسِ وهي قطيعةٌ عجباً وبرٌّ راحَ وهو جفاء
ليواصلنك ركبُ شعرٍ سائر يرويه فيك لحسنهِ الأعداء
حتى يتم لك الثناء مخلداً . أبدا كما تمت لك النعماء
فتظلُّ تحسدك الملوكُ الصيد بى . وتظل تحسدنى بك الشعراء

وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرنى سوء رأيك فيَّ فما أهتدى لطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا تقطعنى من حسن رأيك فأضوى ولا تسقطنى عن حيطتك فأتوى . وقريب من المعنى الأول قول البحترى :

مَنْ مُعينى منكم على ابنِ فُراتِ ومكافاةِ ما أنالَ واسدَى
كلما قلتُ أطلقَ الشكرُ رقى رجعتنى لَهُ أياديه عبدا

سمعت عم أبي يقول ماسمعنا بالرضا بالقسمة والشكر أحسن من قول صالح بن مسمار: ماأدرى النعمة الله فيما بسط عليَّ أفضل أم نعمته فيما زوى عنى فجعل مامنعه نعمة والناس يجعلونه محنة ونقمة . وكتب بعضهم فى المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافاقة إلى طولك فليست لى طاقة بما حملتنيه من برك وما أجد لنفسى معقلا ولا أعرف لها متعللا إلا فى الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فجبر نقيصته بالاعتراف والتقصير واعتمد من شكره على تصريف المعاذير . وكتب إلىّ بعض الأصدقاء وصل كتابك مقرونا بالتوقيع فى معنى المعيشة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيدا والهمة سامية تمسح وجه النجم وتقبل عارض الشمس وتمسك بعنان البدر فآذن بعمارة الجاه وتكفل برفع القدر وضمن أعلاء الأولياء وكبت الحساد وكب الأعداء إلى غير ذلك من أنس أورده وسرور جدده ووحشة صرفها وكربة كشفها ، وفهمته وتأملت التوقيع فتصور لى الغناء بصورته وقابلنى بصدق مخيلته وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنحت عن ساحتى خطوته وهذه نعم أعيا بذكرهافكيف أطمع فى أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص الىّ منها وأنا معترف بذلك اعتراف الروض بحقوق الأنواء إذا تحلى بيواقيت الأنوار ولآلىء الأنداء .

وجعل جعفر بن يحيى البرمكي الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا المبرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه اليها على باب الأصمعى فدفع إلى خادم له كيساً فيه ألف دينار وقال انى سأنزل فى رجعتى الى الاصمعى ثم سيحدثنى ويضحكنى فاذا ضحكت فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى حُباً مكسور الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار ورآه على مصلى بال وعليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعي شيئاً مما يضحك الثكلان والغضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل يسايره من استرعى الذئب ظلم ومن زرع سبخة حصد الفقر إنى والله لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما حفلت بنشره له باللسان وأين يقع مديح اللسان من آثار العيان ان اللسان قد يكذب والحال لا يكذب ولله در نصيب حيث يقول :

فعادوا فأثنوا بالذى أنتَ أهلهُ ... ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

ثم قال أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
قد أتى جعفر فى هذا الفصل من المعانى بما لم يأت به أحدقبله وشرحه شرحاً ليس مثله لأحد سواه . وقالت الحكماء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .

وقد أجاد ابن الرومى فى هذا المعنى فقال :

حال تبيحُ بما أوليتَ من حسنٍ ... وكل ماتدعيه غيرُ مردود

كلى هجاءٌ وقتلى لايحلُّ لكم ... فما يداويكمُ منى سوى الجودِ

وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ومما يجرى فى باب الشكر وهو من أبدع ماقيل فى معناه ماأنشدناه أبو أحمد قال أنشدنا الصولي قال أنشدنا أحمد بن اسماعيل الخطيب لنفسه :

وانى وان أحسنتُ فى القولِ مرّةً ... فمنك ومن آثارك امتاز هاجسى

تعلمتُ مما قلتهُ وفعلتهُ ... فأهديتُ غصناً من جناى لغارسى

أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الاصبهانى :

لاتُنكرن اهداءَنا لك منطقاً ... منك استفدنا حُسنهُ ونظامهُ

فاللهُ جلَّ وعزَّ يشكرُ فعلَ من ... يتلو عليه وَحْيَهُ وكلامهُ

وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم غارة لك في المكارم ضخمةٍ ... غادرت فيها ماملكتَ قتيلا

فرأيتَ أكثرَ مابذلتَ من اللهى ... نزراً وأصغرَ ماشكرت جزيلا

وقد أحسن ابن الرومى :

هاجرتُ عنك الى الرجا ... ل فكانَ عرفهمُ كنكرك

ورجعتُ من كثبِ اليـ ... ـكَ مفرغاً نفسى لِشكرك

ولما أروم بما أقو ... ل زيادةً فى رفع ذكرك

لكنه حقٌ أو ... فيه عوانك بعد بكرك

كم نعمةٍ لك ملء فكري لا تلاحظها بفكرك

(أحسن ما قيل فى الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن ابن الرياشى عن أبيه عن الأصمعى قال قال أبو عمرو أحسن ماقيل فى الصبر قول أبى خراش[1]:

تقولُ أراهُ بعدَ عروة لاهيا . وذلك رزءٌ لو علمت جليل
فلاتحسبى أنى تناسيتُ عهدهُ ولكنّ صبرى ياأميمُ جميل

وبعده : ألم تعلمى ان قد تفرقَ قبلنا خليلا صفاءٍ مالكٌ وعقيلُ

وقال الأصمعيأحسن ما قيل فيه مع الشرح قول أبي ذؤيب :

وتجلدى للشامتين أريهمُ أنى لريبِ الدهرِ لا أتضعضعُ
حتى كأنى للحوادثِ مروةٌ بصفا المشعر كل يوم تقرع

وقوله: وإنى صبرتُ النفسَ بعدَ ابن عنبس وقد لجَّ من ماء الشؤون لجوجُ
لأحسبَ جلداً أو لينبأ شامتٌ وللشرِّ بعد القارعات فروج

وأجود ماقاله محدث فيه قول ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب رواية ابن الرومي عن أبيه الرومي :

أرى الصبرَ محموداً وفيه مذاهب فكيف إذا مالم يكن عنهُ مَذهبُ
هناك يحقُّ الصبرُ والصبرُ واجبٌ وما كان منهُ كالضرورةِ أوجب
فشدٌ امرؤٌ بالصبر كفاً فانه له عصمةٌ أسبابها لا تقضب
هو المهربُ المنجي لمن أحدقت به مكارهُ دهرٍ ليس عنهنّ مهربُ
لبوسُ جمال جُنةٌ من شماتة شفاءُ أسي يثنى به ويثوب
فياعجباً للشيء هذى خلالهُ وتاركُ مافيه من الحظّ أعجب
وقد يتظنى الناسُ ان أساهمُ وصبرهمُ فيه طباعٌ مركب
وانهما ليسا كشيء مصرّفٍ يصرفهُ ذو نكبة حين ينكب
فان شاءَ أن يأسى أطاعَ لهَ الأسى وان شاء صبراً جاءهُ الصبر يجلب

---

(١) هو خويلد بن مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو ، أسلم وعاش الى زمن عمر.

وليسَ كما ظنوهما بل كلاهما ... لكل لبيبٍ مُستطاعٌ مسبب
يصرفه المختار منها فتارةً ... يرادُ فيأتى أو يزادُ فيذهب
إذا احتج محتجٌ على النفس لم يكد ... على قدر مايمنى له يتعتب
وساعدها الصبرُ الجميلُ فأقبلت ... اليها له طوعاً جنائب تجنب
وإن هو مناها الاباطيلَ لم تزل ... تقاتلُ بالغيب القضاء فتغلب
فتضحى جزوعاً ان أصابت مُصيبة ... وتمسى هلوعاً إذ تعذر مطلب
فلا يعذرنَّ التارك الصبر نفسه ... بأن قيل إن الصبر لا يتكسب

ومن أجود ماقيل فى ذم الحقد قول ابن الرومى :

الحقد داءٌ دفينٌ لا دواءَ له ... يبرى الصدور إذا ما جمرُهُ حرثا
فاستشفِ منه بصفح أو معاتبةٍ ... فانما يبرىء المصدورَ ما نفثا
واجعل طلابك بالاوتار ماعظمت ... ولا تكن لصغير الأمر مكترثا

ثم قال يمدحه :

وخيرُ سجياتِ الرجالِ سجيةٌ ... توفيك ما تسدى من القرضِ والفرضِ
وما الحقدُ إلا توأمُ الشكر في الفتى ... وبعضُ السجايا ينتسبنَ إلى بعض
فحيثُ ترى حقداً على ذى اساءةٍ ... فثمَّ ترى شكراً على حسنِ القرض
ولولا الحقودُ المستكناتُ لم يكن ... لينقض وتراً آخرَ الدهرِ ذو نقض

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح فى قوله : إن كنت تريد الحقد بقاء الخير والشر عندى أنهما الباقيان . وأجمع كلة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر مظنة النصر . وقال الآخر : الصبر مطية لا تكبو وإن عنف عليه الزمان . وسمعت عم أبى يقول : الصبر شرية تشمرارية[1] وقال * نفرج أيام الكريهة بالصبر * وقال آخر : * وهل جزعٌ يُجدى علىَّ فأجزعُ * فجعل الصابر الصبر ضرورة لعلمه أن الجزع غير مجد . وقلت :

(١) الشرى : شجر الحنظل و الأرى : العسل .

قالوا صبرتَ وما صبرتُ جلادةً لكن لقلةِ حيلتى أتصبرُ

وليس فى الحيوان شىء أصبر من الحمار والجمل وذلك أنهما يحملان الحمل الثقيل على الدبر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب « أصبر من ذى ضاغط » وهو أن يضغط موضع الابط أصل الكركرة حتى يدميه . ويقولون :

أصبرُ من عود بجنبيه جلب قد أثر البطانُ فيه والحقب

قاله جلجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن ابان بن عيينة بن حصن :

أصبرُ من ذى ضاغطٍ مُعَرَّكِ ألقى بوانى صدره للمَبركِ

ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من القشف واليبس . وقالوا حيلة من لاحيلة له الصبر . وسمعت والدى يقول لعن الله الصبر فان مضرته عاجلة ومنفعته آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة فى العاقبة ولعلها تفوتك لعارض يعرض وكنت قد تعجلت الضرر من غير أن تصل الى نفع . فنظمته بعد ذلك وقلت :

الصبرُ عمن تحبه صبرُ ونفعُ من لامَ فى الهوى ضرر
من كان دون المرادِ مُصطبراً فلستُ دون المرادِ أصطبر
منفعة الصبرِ غيرُ عاجلةٍ وربما حالَ دُونها الغير
فقم بنا نلتمس ما آربنا أقامَ أولم يقم بنا القدر
ان لنا أنفساً تسودنا أعانهن (١) الزمان أو يذر
وابغ من العيشِ ماتسرُّ به ان عذل الناس فيه أوعذروا

وقال أبو هلال أجمع كلمات سمعناها فى الحلم ماسمعت عم أبى يقول الحليم ذليل عزيز وذلك أن صورة الحليم صورة الذليل الذى لاانتصار له واحتمال السفه والتغافل عنه في ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الحليم مطية الجهول لاحتمال جهله وتركه الانتصاف منه . وقال الأوَّلِ :

---

(١) فى الاصل «اعانهن من» ولعل «من» زائدة .

وليس يتمُّ الحلمُ للمرءِ راضياً اذا كان عندَ السخطِ لايتحلمُ
كما لايتمُّ الجودُ للمرء موسراً اذا كان عندَ العسرِ لَايتكرمُ

ولهذا قال شيخ من الاعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذى تصبر عليه وقال الشاعر :

لن يدرك المجدَ أقوامٌ وان كرُموا حتى يذلوا وإن عَزّوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مُسفرةً لاصفح ذُلٍّ ولكن صفح أحلام

وسمعته يقول الحلم عقال الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطع عنه أسبابها وان أجاب اتصلت بأمثالها . وأنشدوا فى هذا المعنى :

وتخرج نفسُ المرءِ عن وقع شتمةٍ ويشتمُ ألفاً بعدها ثم يَصبرُ

ولاأعرف في الحلم معنى أحسن من معنى معاوية في قوله انى لأرفع نفسي أن يكون ذنبٌ أورثه من حلمي وماغضبى على من أملك أوماغضبي على من لاأملك . يريد انى اذا كنت مالكا للمذنب فانى قادر على الانتقام منه فلم ألزم نفسي الغضب وان لم أكن أملكه فليس يضره غضبى فلم أغضب عليه فأضر نفسى ولاأضره . وقال الشاعر فى الحلم والاغضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :

مغض على العوراء لو لاالحلمُ غيرهُ انتصارُه

وأسمع بعضهم الشعبيَّ فقال له ان كنتَ صادقا فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك . وهذا أعجب ماجاء فى هذا الباب وأحسنه . وأجود شيء قيل فى الحلم من الشعر ماأخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن دريد أخبرنا أبو عثمان عن الأخفش قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسمعه فقال الخليل :

سألزمُ نفسى الصفحَ عن كلِّ مُذنبٍ وان كثرت منهُ علىَّ الجرائمُ
وما الناسُ إلا واحدٌ من ثلاثة شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مُقاومُ
فأما الذى فوقى فأعرفُ فضلهُ وأتبعُ فيهِ الحقَّ والحقُّ لازم
وأما الذى مثلى فان زلَّ أو هفا تفضلتُ إنَّ الفضلَ بالعزِّ حاكم
وأما الذى دوني فان قالَ صُنتُ عن إجابتهِ عرضي وان لامَ لائمُ

قسم هـذا الشاعر ثم فسر فأحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ماروى في الحلم ماأخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال جيء قيس بن عاصم بابن له قتيلاً وابن أخ له كتيفا وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته فلما فرغ من حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :

إنى امرؤٌ لا يعترى خُلُقى ... دَنَسٌ يفَـيِّرُهُ ولا أفنُ
من مِنقر فى بيتِ مَكرُمَـةٍ ... والفرعُ يَنبتُ فوقهُ الغصن
خطباءُ حـينَ يقولُ قائلهم ... بيضُ الوجوهِ مصاقعٌ لسنُ
لايفطنونَ لعيبِ جارهم ... وهمُ لحفظِ جوارهم فطن

ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ماقيل فى ذلك قول مروان بن أبى حفصة [1] :

ثلاثٌ بأمثـالِ الجبـالِ حباهمُ ... وأحلامهم منها لدَى الوزنِ أثقلُ

وقد ذكرناه . والعرب تسمى العلم حلماً قال المتلمس :

لذى الحلم قبل اليوم ماتقرَع العصا ... وما علـم الانسانُ إلا ليعلمـا

ومن أشرفِ نعوت الانسان أن يدعى حليما لأنه لايدعاه حتى يكون عاقلاً وعالماً ومصطبراً محتسباً وعفوّاً وصافحاً ومحتملا وكاظماً ، وهذه شرائف الاخلاق وكرائم السجايا والخصال . وقد خولف هؤلاء فقيل فى خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسنٍ ماأقبحَ الجهـلَ بالفـتى ... ولَلحلمُ أحياناً من الجهلِ أقبحُ
إذا كانَ حلمُ المرءِ عَونَ عدوِّهِ ... عليه فانّ الجهلَ أعفى وأروحُ

وقال غيره :

قليلُ الأذى إلا عن القرن في الوغى ... كثيرُ الأيادى واسعُ الذرعِ بالفضل
ويحـلم مالم يجلب الحـلمُ ذلةً ... ويجهلُ ماشدت قوى الحلم بالجهـل

وقال غيره :

---

(١) في النسخ «حفص» في مواضع .

ترفعتُ عن شتم العشيرةِ انني رأيتُ أبي قد كفّ عن شتمهم قبلى
حليمٌ إذا ما الحلمُ كان جلالةً وأجهلُ أحياناً إذا التمسوا جهلى

وقال غيره : * إذا الحلم لم ينفعك فالجهل أحزم * وقالوا ليس شيء خيراً من الحق إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن ماجاء فيه قول بعضهم :لوأن المسيء لى عبد لأخ لى لرأيت تغمده والصفح عنه إجلالاً لقدر مولاه واعظاماً لحق صاحبه فأنا بالصفح عن عبد الله أولى .

وفي ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما ينفكُّ من سعدٍ الينا قطوعُ الرحم بادية(١) الأديم
ونغفرها كأن لم يفعلوها وطولُ العفو أدربُ(٢) للظلوم

أجود ماقيل فى المشهورة قول بشار أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا الغلابى حدثنا محمد بن عبد الرحمن التيمى قال دخل بشار على ابراهيم بن عبدالله ابن الحسن بن الحسين فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير برأى يستعمله فى أمره فلما قتل ابراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه قالها فى أبى مسلم، أولها:

أباجعفرٍ ما كلُّ عيشٍ بدائم وما سالمٌ عما قليلٍ بسالم
على الملك الجبارِ يقتحمُ الردى ويصرعُهُ فى المأزقِ المتلاحم
كأنك لم تسمع بقتلِ متوجٍ عظيم ولم تعلم بهلك الأعاجم
تقسم كسرَى رهطهُ بسيوفهم وأمسى أبو العباسِ أحلام نائم
وقد ترد الأيام عزاً وربما وردن كلوماً باديات الكشائم
ومروانُ قد دارت على نفسه الردى لاجرامه لابل قليل الجرائم
وأصبحت تجرى سادراً في طريقهم ولا تتقى أشباه تلك الفقائم
تجردتَ للاسلامِ تعفو رسومه وتعرى مطايا لليوث الضراغم
فمازلتَ حتى استنصر الدين أهله عليك فعاذوا بالسيوف الصوارم

(١) فى النسخ غير منقوطة . (٢) لعله (آدب) .

لحى الله قوماً رأسوك عليهم ... ومازلتَ مرؤساً خبيثَ المطاعم
أقول لبسام عليه جلالةٌ ... غـداً أريحياً عاشقاً للمكارم
من الفاطميين الدعاة إلى الهدى ... جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطم
سراجٌ لعينِ المستضيء وتارةً ... يكونُ ظلاماً للعـدوِّ المزاحم
إذا بلغَ الرأى المشورةَ فاستعن ... برأى نصيح أو نصيحةِ حازم
ولا تجعلِ الشورى عليك غضاضةً ... فان الخوافي قوةٌ للقوادم
وما خيرُ كفٍّ أمسك الغلُّ أختها ... وما خيرُ سيفٍ لم يؤيد بقائم
وخلِّ الهوينا للضعيفِ ولا تكن ... نؤوماً فانَّ الحزمَ ليس بنائم
وحارب إذا لم تعطَ إلا ظُلامة ... شبا الحرب خيرٌ من قبول المظالم

هذا ما أورده أبو هلال العسكرى وفى بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهي :

فأدن على الشورى المقرب نفسه ... ولا تُشهدِ الشورى امرأً غير كاتم
فانك لا تستطردُ الهمَّ بالمنى ... ولا تبلغُ العليا بغير المكارم
وما قارعَ الأقوامَ مثلُ مشيع ... أريبٍ ولا جلى العمى مثلُ عالم

وما خير كف ـ البيت . قال أبو بكر فحدثنى الجمحى قال سمعت المازنى يقول سمعت أبا عبيدة يقول ميمية بشار هذه أحب إلىَّ من ميميتى جرير والفرزدق . وقيل لبشار ما أحسن أبياتك فى المشورة فقال المستشير بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه فقيل له هذا والله أحسن من شعرك . ومن الأفراد التى لا شبيه لها قول عبدالملك بن صالح في ذم المشورة : مااستشرت أحداً إلا تكبر على وتصاغرت له ودخلتنى الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون مهيب فى الصدور فاذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فتضعضع شأنك ورجفت بك أركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وما عز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحائه . فذم المشورة كما ترى وهي ممدوحة بكل لسان .

وقال روميٌّ لفارسيٍّ نحن لا نملّك من يشاور فقال الفارسى نحن لا نملك من

لا يشاور ،وقد أجمع الناس ان الفرس أعقل من الروم .

ومن أوجز ما قيل فى الطمع قول بعضهم إذا طمعت ملت . ويقولون الطمع طبع، والطبع الدنس وأنشد :

لاخيرَ في طمـع يدعو إلى طَبع ... وغُفةٌ من قوام العيش تكفينى

والغفةُ القوت وأصلها الفأرة [1] وسميت بذلك لأنها قوت للسنور . وأنا أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطنة[2] :

ألا نُمَى عميرة أن رأتنى ... عزفت النفس عما لم ينالا

أحزم كلمة سمعناها عن العرب قولهم« إن ترد المـاء بماء أكيس » معناه ينبغى أن تحتفظ بمـا عنـدك حتى تصل إلى غيره ولا تلق مافى يدك رجاء لمـا هو أكثر منه فلعلك لاتناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قولهم « لايرسل الساق إلا ممسكاً ساقا » أى لايترك معتمداً إلا اذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لايترك ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أنَّى أتيحَ لها حرباء تنضبة [3] ... لايرسل الساقَ إلا ممسكاً ساقا

أجود ماقيل في الحياء قول الخنساء :

ومخرقٌ عنه القميص تخالُهُ ... بين البيوتِ من الحياءِ سَقيما

حتى إذا رفعَ اللواء رايتهُ ... تحت اللواءِ على الخميسِ زعيما

أخذه بعضهم وأحسن :

يشبهون سيوفاً فى صرامتهم ... وطول أنضيةِ الأعناقِ والقمم

اذا غدا المسكُ يجرى فى مفارقهم ... راحوا كأنهمُ مرضى من الكرم

---

(١) فى الأصل تصحيف فى بعض الـكلمات ، والتصحيح من القاموس .

(٢) كان قائداً شجاعا ، شهد وقائع خراسان سنة ١٠٢ وأصيبت عينه فجعل عليها قطنة فعرف بها . وفي الاصل (ثابت بن فطنه) .

(٣) فى أمثال الميدانى «بلت بأشوس من حرباء تنضبة » .

وقال غيره :

كريمٌ يغضّ الطرف فضلُ حيائه ويدنو وأطرافُ الرماح دوان

وكالسيف إن لاينته لان مسهُ وحدّاه ان خاشنته خشنان

وقال أبو دهبل :

تَزْرُ الكلامِ من الحياءِ تخالهُ صمتاً وليس بجسمه سقم

عقمَ النساءُ فلا يلدن شبيههُ إن النساءَ بمثله عقم

غيره : انى كأنى أرى من لاحياءَ لهُ ولا أمانةَ بين الناسِ عُريانا

أجود ماقيل فى تفضيل الجدعلى العقل والاخبار بأن الحظ والعقل لايجتمعان قول الاول:

ومالبُّ اللبيبِ بغير حظ بأغنى فى المعيشة من فتيل

رأيتُ الحظَّ يسترُ عيبَ قومٍ وهيهاتَ الحظوظُ من العقول

والعرب تقول «اسع بجَدٍّ أودع» .

أجود ماقيل في التنزه والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاء أن تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعا . فجعل اليأس ممـا فى أيدى الناس سخاءً لأن النفس إذا سخت وسمحت لم تتطلع إلى مال الغير كما انها اذا ضاقت وحرصت تاقت الى ماليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي حازم فقال:

ومنتظر سؤالك بالعطايا وأفضل من عطاياه السؤال

اذا لم يأتك المعروفُ طوعاً فدعهُ فالتنزه عنه مالُ

وما أحسب انى سمعت في هذا المعني أحسن من هذا وقلت :

ألا إنّ القناعةَ خيرُ مال لدى كرمٍ يَروحُ بغيرِ مال

وان تصبر فانّ الصبر أولى بمن عثرت به نوَب الليالى

تجمل إن بُليتَ بسوءِ حالٍ فانّ من التجملِ حسن حالِ

أجود ماقيل فى مضاء العزم وثبوت الرأى والفطنة من الشعر القديم قول أوس بن حجر :

الألمعيُّ الذي يظنُّ بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

وقالت الحكماء لاينتفع الرجل بعلمه حتى ينتفع بظنه . وكان عمر رضى الله عنه يقول إذا أنا لم أعلم مالم أرماعلمت مارأيت . وقلت :

أما نك مصروفٌ الى كلِّ راهبٍ ... وسيبك موقوفٌ على كل راغب

تباشرتِ الدنيا بجد واك واكتفت ... فلم تتباشر بالغيوثِ الصوائب

تبسمَ منك الدهرُ عن زائن (١) له ... وعين عليه فى اختلافِ النوائب

بصيرٌ له دونَ العواقبِ فكرةٌ ... تكشف عن رأى وراءَ العواقب

ليشكركَ مجدٌ لاتزال تحوطهُ ... وتحميهِ بالنصلينِ عزمٍ وقاضب

كأنى اذا أمسكتُ منك بعُروةٍ ... أخذت باهدابِ الغيومِ السواكب

وليس فى المضاء والعزيمة أجود من قول أبى تمام :

وركب كأطراف الاسنةِ عرسوا ... على مثلها والليلُ تسطو غياهبه

لأمر عليهم ان تتمَّ صدورهُ ... وليس عليهم أن تتمَّ عواقبه

مأخوذ من قول الأول :

غلام وغى تقحمها فأودى ... وخانَ بلادَهُ الزمنُ الخؤون

وكان على الفتي الاقدامُ فيها ... وليس عليه ماجنتِ المنون

وقوله : وقدعلمَ الافشينُ وهوالذى به ... يُصانُ رداء الملك من كل جانب

بأنك لما استخذل الأمر(٢) واكتسى ... اهابى سيفى فى وجوه التجارب

تجللتهُ بالرأى حتى أريته ... به ملءَ عينيه مكانَ العواقب

سللت له سيفين رأياً ومنصلاً ... وكلٌّ لنجمٍ فى الدجنةِ ثاقب

وكنت متى تهزز لخطب تغشه(٣) ... ضرائب أمضى من رقاق المضارب

وقال : وسارت به بين القنابل والقنا ... عزائمٌ كانت كالقنا والقنابلِ

---

(١) في هامش النسخة (راقب له) اشارة لنسخة فيها كذلك .

(٢) فى الديوان (النصر) . (٣) في الأصل (لحظ تعيشه) .

ومن جيد ماقيلَ فى كتمان السرّ قول الأول :

تلاقت حيازيمى [١] على قلب حازم ... كتوم لما ضمت عليه أصابعهْ
أواخى رجالاً لستُ أطلعُ بعضهم [٢] ... على سرّ بعضٍ ان قلبى واسعه [٣]

وقال الآخر: سأكتمه سرى وأحفظُ سرّهُ ... ولا غرنى أنى عليه كريمُ
عليم فينسى أوجهول يذيعهُ ... وما الناس إلا جاهل وعليم

والمثل السائر :

إذاضاقَ صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسهِ ... فصدْرُ الذى يستودَعُ السر أضيقُ

أحسن ماقيل فى العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :

وأفضلُ قسم الله للمرءِ عقلهُ ... فليسَ منَ الخيرات شيءٌ يقاربه
إذا كملَ الرحمنُ للمرء عقله ... فقد كملت أخلاقه وضرائبه
يعيشُ الفتى بالعقل فى الناسِ انه ... على العقل يجرى علمهُ وتجاربه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة ... فذو الجدِّ فى عقل المعيشة غالبه
يزين الفتى في الناس صحة عقله ... وان كان محظوراً عليه مكاسبه
ويزرى الفتى [٤] فى الناس قلةُ عقله ... وان كرمت أعراقه ومناسبه

ونحوه قول الآخر :

ولم أرَ مثلَ الفقر أوضع للفتى ... ولم أرَ مثلَ المالِ أرفع للنذل
ولم أرَ من عدمٍ أضرّ على الفتى ... إذا عاشَ بين الناسِ منعدم [٥] العقل

وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم رايةالعقل والبيان ترجمان العلم. أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الواحدأخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابى قال قال قُس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه [٦] وأفضل العلم وقوف

---

(١) في الأصل (حياديمى) . (٢) في النسخ (بينهم) .
(٣) فى النسخ (ذاسعة) . (٤) سقط « الفتى » من النسخ .
(٥) فى الأصل (من عدم) . (٦) فى نسخة (نفسة) .

المرء عند علمه وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه وأفضل المـال ماقضيت منه الحقوق . ومن العجب أن العزب تمثلت فى جميع الخصال بأقوام جعلوهم أعلى مافيها فضربوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة فقالوا أحلم من الأحنف ومن قيس بن عاصم وأجود من حاتم ومن كعب بن أمامة وأشجع من بسطام وأبين من سحبان وأرمي من ابن تقن وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا أعقل من فلان فلعلهم لم يستكملوا عقل أحد على حسب ماقال الاعرابى وقد قيل له حدّ لنا العقل فقال كيف أحده ولم أره كاملاً في أحد قط .

ووصف بعضهم الحجاج بالعقل وعكس أمره آخر فوصفه بالحمق قال عتبة بن عبد الرحمن رأيت عقول الناس تتقارب إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية ، ثم قال أبو الصفدى كان الحجاج أحمق بنى مدينته في بادية النبط ثم حماهم دخولها فلما رحل عنها دخلوها من قرب . وقال يونس بن حبيب كان والله يفتق ولا يرتق ويخرق ولا يرفق ، وقال بعضهم مادخل العراق أكثر أدباً من الحجاج فلما طال مكثه فى ولايته واشتد فى سلطانه وترك الناس الرد عليه فسد أدبه ، وقال له عبد الملك ان الرجل لايكون عاقلاً حتى يعرف نفسه وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره عن نفسك فقال أنا حديد حقود ذو قسوة حسود ، فانتحل الشر بحذافيره وجمعه بزوبره . ومن العجب أنهم قالوا من عرف نفسه نجا وقد عرف الحجاج نفسه وهو هالك . وقالوا العاقل لايخبر بعيب نفسه وقال بعضهم لايعرف الرجل حقيقة ماإشتمل عليه من العيب كما أن آكل الثوم لايجد رائحته من نفسه وقلت في ذلك :

لو تمّ شيءٌ منَ الدنيا لذى أدبٍ ... لا نضاف مال إلى علمى وآدابى

فتمَّ جاهىَ عنـدَ الناسِ كلهم ... وطابَ عيشىَ في أهـلى وأصحابى

عز الـكمالُ فلا يحظى بهِ أحدٌ ... فكلُّ خلـقٍ وان لم يدرِ ذو عاب

وقال اسماعيل بن غزوان كل علم لايكون فى مغرس عقل وبيان لا يكون في نصاب علم وخلق لايجرى على عرقه فليس له ثبات إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود :

على اعراقهِ يجرى المذكى وليس على تكلفهِ وجهده

وقال بعض الملوك لحاجبه : أدخل عليّ رجلاً عاقلاً فأدخل عليه رجلاً قال بم عرفت عقلهقال رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن فى الشتاء واللبيس (١) في الحر والجديد فى القر . وما قيل في علامة العاقل أعجب إليّ من قول الأول : علامة العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه حافظاً للسانه مقبلاً على شانه . وقال بعضهم إنما تنفع التجارب من كانعاقلاً . ومما يدخل فى الباب ماأخبرنا أبوأحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه قال لم يقل أحد فى التفرج بالمنادمة إلى الاخوان والتسلى بمنامحة أهل الحفاظ بمثل قول بشار حيث يقول :

وأبثثتُ عمراً بعضَ مافيجوانحى وجرعتهُ من مرِّ ما أتجرعُ
ولابدَّ من شكوى إلىذىحفيظة إذا جعلت أسرارُ نفسى تطلع

ومن أجود ماقيل فى ترك الشيء اذا أدبر قول بعض الاعراب :

إذا ضيعتَ أولَ كل أمر أبت اعجازُهُ إلا التواءً
وإن حملتَ أمرك كلَّ وغد (٢) ضعيف كان أمرُكما سواءً
وإن داويتَ دنيا بالتناسي وباللبان أخطأت الدواءً

وقال الأعشى :

إذا حاجةٌ ولتك لا تستطيعها فخذطرفاً من غيرها حين تسبقُ
فذلك أحرى أن تنالَ جسيمها وللقصد أهدى فى المسير وألحقُ

ومن أجود ماقيل فى المهابة من قديم الشعر ماينسب إلى الفرزدق وهو لغيره في على بن الحسين رضي الله تعالى عنهما :

يغضى حياءً ويغضي من مهابته فما يكلمُ إلا حينَ يبتسمُ

جعله مهيباً فى السكون والاغضاء ولو جعله مهيباً مع الصولة والبطش لماكان

---

(١) فى النسخ غير منقوطة، واللبيس: الثوب قد أكثر لبسه فأخلق كما فى القاموس .

(٢) في الأصل « رغد » .

كذلك فهو بليغ جداً . وأنشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر فى بعض العلماء هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجوابَ فما يراجعُ هيبةً والسائلونَ نوا كسُ الاذقان
هدى التقىّ وعزُّ سلطانِ النهى وهو المهيبُ وليس ذا سلطان

ومن أحسن تشبيه جاء فى الهيبة قولهم (كأن على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب تسكن جوارحه فكأن على رأسه طائراً يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :

أضمرُ في القلبِ عتاباً لهُ فان بدا أُنسيتُ من هيبته

ومثل هذا في النسيب كثير وشبيهه قول الأول :

أهابُكَ إجلالاً ومابكَ قُدرةٌ عليَّ ولكن ملءُ عينِ حبيبها .
وماهجرتك النفس أنك عندها قليلٌ ولا أن قلَّ منك نصيبها

لا ترى أجود من قوله « ملء عين حبيبها » ولا أحسن ولا أبلغ ولعلك لا تجد لفظة تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأ العين . وهيبة تملأ الصدر . وقال * وتملأ عين الناظر المتوسم * وقال ابن الرومى :

فى فتيةٍ من ولدِ المنصورِ أملأُ للعين من البدورِ

وقال آخر * إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما * وقد أجاد أبو تمام في صفة الهيبة والمخافة فقال :

ثَبتُ المقامِ يرى القبيلةَ واحداً ويُرى فتحسبهُ القبيلُ قبيلا

وقال :

قدأترعت منه الجوانح هيبةً (١) بطلت لديها سورةُ الأبطال
لو لم يزاحفهم لزاحفهم لهُ ما فى قلوبهم من الأوجال

ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيشٌ إذا غدوتُ وحيداً ووحيد فى الجحفل الجراء

---

(١) فى ديوان أبى تمام « رهبة » .

وقلت فى نحو ذلك :

قبيلكمُ فى العزّ يعلو قبائلاً ... وواحدكم فى المجد يكثر معشرا

وقال الأشجع فى ابراهيم بن نهيك وقد ولى المعونة :

شدّ الخطامَ بأنفِ كلّ مخالفٍ ... حتى استقامَ له الذى لم يخطم

لايصلح السلطان إلا هيبةً ... تلقى البرىءَ بفضلِ جرمِ المجرم

منعت مهابتك النفوسَ حديثها ... بالشىء تكرهه وإن لم تعلم

ونهجتَ من حزمِ السياسة منهجاً ... فهمت مذهبهُ الذى لم يفهم

وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن العبشمى عن المبرد :

وأتيت حياً فى الحروب محلهم ... والجيش باسم أبيهم يستهزم

يقول به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :

لبيك وكيف خيل ليل مغيرة ... تساقى الحمامَ بالردُّدينية السمرِ

لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة ... دعوها وكيفا والجياد بهم تجرى

ومثله قول الآخر :

سماؤك تمطر الذهبا ... وحربك يلتظي الهبا

وأى كتيبة لاقتك ... لم تستحسنِ الهربا

فجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته ولا تخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية .

ومماهو بليغ فى باب المهابة قول الاشجع :

وعلى عدوك ياابنَ عمّ محمد ... رصدان ضوءُ الصبح والاظلامُ

فاذا تنبهَ رعتهُ وإذا هدى [1] ... سلت عليه سيوفك الاحلامُ

فنقله أبو نواس إلى غزال فقال :

قاسيتُ فيهِ الهمومَ والألما ... وصرتُ فيه بينَ الورى علما

أكونُ يقظان فى تذكرهِ ... حتى إذا نمتُ كانَ لى حلما

(١) فى الأصل « هدى » .

ومما هو أبلغ من ذلك كله قول النبي ﷺ « نُصرت بالرُّعب » وماوصف أحد هيبة صاحب السلطان اذا بدا كما وصفها البحتري في قوله :

اذا مامشى بين الصفوفِ تقاصرت رؤسُ الرجال عن أشم سميدع
يقومون من بُعدٍ اذا أبصروا بهِ لأبلج موقورِ الجلالةِ أروع
ويدعونَ بالاسماءِ مثنى وموحداً اذا حضروا بابَ الرّواق المرفع
وان سار كفَّ اللحظ عن كل منظر سواه وغض الصوتُ عن كل مسمع
فلستَ ترى إلا إفاضةَ شاخص اليهِ بعينٍ أومشير بأصبع

وقوله: تراءوك من أقصى السماطِ فقصروا خُطاهم وقد جازوا الستورَ وهم عجل
ولما قضوا لصدرَ السلامِ تهافتوا على يدِ بسام سجيتهُ رسل
إذا أسرعوا في خطبة قطعتهمُ جلالةُ طلقِ الوجهِ جانبهُ السهل
اذا نكسوا أبصارَهم من مَهابة ومالوا بلحظ خلتَ انهم قبل

وقال أبو بكر الصولي وهو من البليغ :

اذا مابدا والقومُ فوقَ سروجهم تناثرتِ الاشرافُ منهم على الارض

وقال البحتري :

ومبجل وسطَ الرجالِ خفوفهم لقيامِه وقيامهم لقعودهِ
فاللهُ يكلؤهُ لنا ويحوطهُ ويعزهُ ويزيدُ في تأييده

أبلغ ماجاء في وصف العلم قول علي رضي الله تعالى عنه : قيمة كل امرىء مايحسنه .
وشذ به بعضهم فقال: قيمة كل امرىء علمه .

ولا أعرف في مدح العلم وعدّ خصاله أبلغ من كلامه رضي الله تعالى عنه خاطب به كميل بن زياد أثبته لك هنا وان كان مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد ابن الزيداني حدثنا علي بن حكيم الاذري حدثنا الربيع بن عبد الله المدني حدثنا عبد الله بن حسن عن محمد بن علي عن آبائه عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي علي رضي الله تعالى عنه فلما أصحرنا قال يا كميل ان هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها

فاحفظ عنى ماأقول لك : الناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأووا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دين تدان به تكتسب به الطاعة فى حياتك وجميل الاحدوثة بعد وفاتك والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل مات خزان المال والعلماء باقون مابقى الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة هاه ان ههنا لعلماً جماً لو أصبت له حملة بلى أصبت لقناً[(١)] غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أومنقاداً لحملة الحق لا بصيرة له فى احنائه فيقدح الشك فى قلبه عند أول عارض من شبهة ، أولا ذا ولا ذا فمنهوم باللذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة الدين أقرب شبهاً بهم الانعام السائمة اللهم بلى لاتخلو الأرض من قائم بحجة إما ظاهر وإما خائف لئلا تبطل حجة الله وتبيانه وكم وأين أولئك الأقلون عدداً الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعوها أسماع نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلانوا مااستوعده المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة الى دينه هاه شوقاً الى رؤيتهم .

ومما حث به على تحفظ العلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ما إذا غرقت بسفينتك سبح معك ، وقال الخليل :

افخر وكاثر بالقريحة إنها فخر المكاثر
واعلم بأن العلم ما أوعيت فى صحف الضمائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ماضمنته صحف الضمائر » كان

---

(١) اللقن : السريع الفهم ـ كما فى القاموس .

أجود ، وقال غيره :

استودعَ العـلم قرطاساً فضيعـهُ ... وبئس مُستودَعُ العلمِ القراطيسُ

وقلت : تقل غناء عن جهولٍ مغمر ... دفاتر تلقى فى الظروفِ وترفعُ

تروح وتغدو عنـده في مضيعـةٍ ... وكائن رأينا من نفيسٍ يضيـعَ

ومن المختار فى طلاقة اللسان قول الآخر :

اذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف ... لعىّ ولم يثن اللسانَ على هُجر

يصرّفُ بالقولِ اللسانَ كما انتحى ... وينظرُ فى اعطافِه نظرَ الصقر

ونحوه : لا خـيرَ في حشوِ الـكلا ... م اذا اهتديتَ الى عيوبه

وأجود ماقيل في إقامة الاعراب وترك التغيير ماأنشدناه أبو أحمد عن الصولى :

ويعجبنى زىُّ الفتى وجمـالهُ ... ويسقط من عينىً ساعةَ يلحنُ

عـلى أن للاعرابِ حداً ورُبمـا ... سمعت من الاعراب ماليس يحسنُ

ولا خيرَ فى اللفظ الـكريه استماعه ... ولا فى قبيح اللحن والقصدُ أزينُ

سمعت أبا أحمد يقول أحسن ماسمعت فى السؤال قول عبدالله بن العباس وقد سئل بم أدركت هذا العلم قال بلسان سؤول وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا الحسن بن على بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا على بن موسى الرضى حدثنى أبى حدثنى أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن الحسن رضى الله تعالى عنهم قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فانه يؤجر فيـه أربعـة السائل والمستمع والعالم والمحب لهم » وأجود ماجاء في السؤال من الشعر ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الانبارى عن أبيه :

شـفاء العىّ فى طولِ السؤالِ ... وعـدلك في المقالِ وفى الفـعالِ

وبحثك في الأمورِ عن المعانى ... وتخريج المقالِ من المقال

وقـولك بالصواب اذا أنارت ... شواهدهُ ورفضـك للجدال

وصمتك حـينَ تسمعُ من حكيم ... ليفهمك الصحيـحَ من المحـال

أجود ماقيل في صفة اللسان وأتمه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أحمد بن عيسى العكلى حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يابنى اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومعز يرد الأحزان وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يذهب بالضغين ومُلهٍ يوقف الاسماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به للكلام ماأخبرنا به أبو أحمد حدثنى أبى حدثنا أحمد ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام فى مجلس سعيد بن عبدالعزيز التنوخى وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر انك إنما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وماأنبأ عن شيء فهو أكبر منه .

ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو عبد الرحمن الأموى قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ماأخبرنا به أبوأحمد أخبرناأبى أخبرناأحمد بن أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثنى عمرو بن هاشم البيروتى قال تحدثنا بباب الأوزاعى وفينا اعرابى من بنى عليم بن ضاب لايتكلم فقيل له بحق ماسميتم خرس العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء فى أذنه وأن الحظ فى لسانه لغيره وإنما جعل للمرء أذنان ولسان ليكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعى فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثنى أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن اسماعيل الأموى حدثنى إسماعيل

ابن عبيد الله قال قال جدى : الصمت منام العاقل والنطق يقظته ولا منام الا بيقظة ولا يقظة إلا بمنام. قال أبو هلال : وأنا أقول الصمت يورث الحبسة والحصر وإن اللسان كلما قلب وأدير بالقول كان أطلق له : أخبرني بعض أصحابنا قال ناطقت فتى من بعض أهل القرى فوجدته ذليق اللسان فقلت له من أين لك هذه الذلاقة قال كنت أعمد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت فلم أجر على ذلك مدة حتى صرت إلى ماترى . وسمى البيان سحراً لدقة مسلكه وأول من نطق به رسول الله ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البيان : حدثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد العقدى أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائنى قال قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زياد عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن الاهتم أخبرنى عن الزبرقان بن بدر فقال مطاع فى أذنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان : إنه ليعلم منى أكثر من هذا ولكنه حسدنى . فقال عمرو : أما والله يارسول الله انه لزمر المروءة ضيق العطن أحمق الوالد لئيم الخال وما كذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الأخري رضيت فقلت أحسن ما أعلم وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم فقال رسول الله ﷺ (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) وانما تعجب رسول الله ﷺ من نقضه وإبرامه في حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مراماً وأعجز مطلباً وقد أشبعنا القول فيه فى كتاب صنعة الكلام .

ومما يدخل فى بابه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنى الطيب بن محمد الباهلى قال موسى بن سعيد بن عن أحمد بن يوسف الكاتب قال دخل خالد بن صفوان التميمى على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بنى الحارث بن كعب فقال له ماتقول في أخوالى قال هم هامة الشرف وخرطوم الكرم وغرس الجود إن فيهم لخصالاً مااجتمعت في غيرهم من قومهم انهم لأطولهم أمماً وأكرمهم

شيماً وأطعمهم طعماً وأوفاهم ذمماً وأبعدهم هماً هم الجمرة فى الحرب والرفد فى الجدب والرأس فى الخطب وغيرهم بمنزلة العجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت فزاد أخواله في الفخر فغضب أبو العباس لاعمامه فقال أفخر ياخالد فقال أعلى أخوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعمامه فقال وكيف أفاخر أقواماً هم من بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد دل عليهم الهدهد وغرقتهم الفأرة وملكتهم امرأة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال وحدثنى ابن المزرع قال سمعت عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو تفكر فى جمع معايبهم واختصار اللفظ فى مثالبهم بعد ذلك المدح المهذب سنة لكان قليلاً فكيف على بديهة لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الاصغر ، وقيل المزاح سباب النوكي . وأجود ماقيل في تخوف عاقبته قول أبي نواس :

انه نار وقدح القادح وأى جد بلغ المازح

ومثله : صارَ جداً مافرحت به رُبَّ جدٍ جَرَّهُ لعبُ

وقلت : غضبت للمزح ولم تنظر فى موقعهِ المزح فى موضعهِ كالجدّ فى موضعهِ

أجود ماقيل في التظافر والتعاون قول قيس بن عاصم المنقرى يوصى ولده وقومه وجدت في كتاب غير مسموع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وعاينته وقال يابنى أوصيكم بتقوى الله وليعطف الكبير منكم على الصغير ولايجهل الصغير حق الكبير وأكرموا مسلمة بن عبدالملك فانه نابكم الذى عنه تعبرون ومجنكم الذى به تستجيرون ولاتقطعوا من دونه رأياً ولاتعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن يوسف فانه الذى وطأ لكم المغابر وذلل لكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتظافر وإياكم والتقاطع والتدابر . فقال قيس بن عاصم لبنيه :

بصلاحِ ذاتِ البينِ طولُ بقائكم إن مُدَّ فى عمرى وإن لم يُمدَدِ

حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسوَّد منكم وغير مسوَّد

إن القداحَ إذا جُمعنَ فرامها بالكسر ذو حَنق وبطش أيّد
عزت ولم تُكسر وإن هى بُدِّدَت فالوهنُ والتكسيرُ للمتبدد

ثم قام على بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد حضر من الأمر ماتريان فان كان في نفوسكما شيء من بيعة الوليد نزعتماه وجعلتما الأمر حيث شئتما قالا بل رضينا أكمل الناس لها وأقواهم عليها قال أما والله لو غيرها قلتما لتما قبلي ثم رفع طرف فراشه فاذا تحته سيف مجرد فقال للوليد لأعرفنك إذا أنامت تعصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاء شمر وابرز والبس جلد النمر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . ثم لم يزل متمثلا بقول الشاعر :

وهل من خالد اما هلكنا وهل بالموتِ ياللناسِ عار

ثم قال الحمد لله الذى لا يبالى أصغير هلك فى ملكه أم كبير ثم قضى . فقال هشام ابن عبد الملك :

وماكان قيسٌ هلكه هلكُ واحدٍ ولكنه بنيانُ قومٍ تهدما

فسمعها الوليد فتطير منها فرفع يده فلطمه وقال إنك أعور مشؤوم هلا قلت كما قال التميمى :

إذا سيدٌ منا ذرا حدٌّنا به تخبط فينا ناب آخر مقرم

فسمع مسلمة الصيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم الأعشي ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندى الذى يقول :

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه ... بحلمي عنه وهو ليس له حلم
إذا سمته وصل القرابة سامني ... قطيعتها تلك السفاهة والظلم
وأسعى لكي أبني ويهدم مصالحي ... وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم
يحاول رغمي لايحاول غيره ... وكالموت عندي أن ينال له رغم
فان أنتصر منه أكن مثل رائش ... سهام عدو يستهاض بها العظم
فبادر منى النأى والمرء قادر ... على سهمه مادام في كفه السهم
فان أعف عنه أغض جفناً على القذى ... وليس له بالصفح عن ذنبه علم
حفظت الذي قد كان بيني وبينه ... وهل يستوي حرب الأقارب والسلم
فما زلت في لين له وتعطف ... عليه كما تحنو على الولد الأم
لأستل منه الضغن حتى سللته ... وإن كان ذا ضغن يضيق به الحزم

فقالوا ياأمير المؤمنين من قائل هذه الأبيات فما أحسنها وأرضاها قال معن ابن أوس المزني .

ومن أجمع ماقيل في المعروف قول النبي ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرني عم أبي عن أبيه قال قال العتابي كنت واقفاً بباب المأمون أنتظر من يستأذنه لي فأقبل يحيى بن أكثم فقمت اليه فقلت استأذن لي على أمير المؤمنين فقال لست بحاجب فقلت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بي غير سبيلي قلت ان الله قد أتحفك بجاه وهو مقبل عليك بالزيادة ان شكرت وبالنقصان ان كفرت وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أدعو الى ازدياد نعمتك وتأبى على ولكل شيء زكاة وزكاة الجاه رفد المستعين وقد قال رسول الله ﷺ (أفضل المعروف فضل جاهك تعود به على من لاجاه له) فقعدت ودخل فما لبث ان خرج الحاجب يسأل عني فدخلت فقال حدثنا أبو نصر التمار عن سفيان بن عيينة عن ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وجعفر الطيار وعمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنهم أجمعين فتذاكروا المعروف فقال على : المعروف حصن من الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر ماأضاعه جحود الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجلته هنأته واذا صغرته عظمته واذا سترته تممته ان بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم وبيان ذلك أن لهم ذكره وسناه وفخره فمهما أتيت من معروف فانما أتيته لنفسك .وقال عمر إن لكل شيء أنفاً وأنف المعروف السراح . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيمَ أنتم » فقالوا نتذاكر المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروفُ كاسمه وأولُ من يدخلُ الجنةَ المعروفُ وأهلهُ » .

ومن أجود ماقيل في بذل المعروف وان كان قليلاً ماأخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو الى رجل فى حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك الى رضوانه وجنته . أما بعد فانك كنت روضة من رياض الكرم تبتهج النفوس بها وتستريح القلوب اليها وكنا نعفيها من النجعة استبقاءً لزهرتها وشفقة على نضرتها وادخاراً لثمرتها حتى مرت بنا فى سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سنيّ يوسف اشتد علينا كلبها وأخلفتنا غيومها وكذبتنا بروقها وفقدنا صالح الاخوان فيها فانتجعتك وأنا بانتجاعي بك كثير الشفقة عليك مع علمي بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استحى من اعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر همته وأنا أقول في ذلك :

ظل اليسارِ على العباس ممدودُ ... وقلبهُ أبداً بالبخلِ معقود
انّ الكريمَ ليخفى عنك عسرتهُ ... حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله عللٌ ... زرقُ العيونِ عليها أوجهٌ سود
اذا تكرهت أن تعطي القليلَ ولم ... تقدر على سعةٍ لم يظهر الجود

بثٌّ النوالَ ولا يمنعك قلتهُ فكل ماسدٌّ فقراً فهو محمود

قال فشاطره ماله حتى بعث اليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله . ومن مليح ماجاء في هذا المعنى قول ابن الرومي :

أبا عمروٍ لك المثلُ المعلى وجدٌّ عدوك الترب الذليلُ
رأيت المطلَ ميداناً طويلاً يروضُ طباعَهُ فيه البخيل
فما هذا المطالُ فدتك نفسي وباعك بالندَى باعٌ طويل
أظنك حينَ تقدرُ لي نوالاً يقلّ لديك لى منهُ الجزيل
فلا تقدر بقدرك لى نوالاً ولا قدرى فيحقرُ ماتنيل
وأطلق ماتهمّ به عساهُ كفافى أيها الرجلُ النبيل
وإلا فالسلامُ عليكَ منى نبت دارٌ فاسرعَ بى الرحيل
إذا ضاقت على أمل بلادٌ فما سدت على عزمٍ سبيل

وقال غيره :

وما الجودُ عن فقرِ الرجالِ ولا الغنى ولكنهُ خيمُ الرجال وخيرها

ومن عجيب المعانى فى عظم السؤال وموازنته للنوال بل رجاحته عليه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال دخل كوثر بن ذفر بن الحارث الكلابى على يزيد بن المهلب فقال له أيها الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف شيئاً إلا وهو يصغر دونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب أن لا تفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظتنى فقال قد أمرت لك بها وشفعتها لك بمثلها فقال أماما سألتك بوجهى فأقبله منك وأما ما ابتدأتنى به فلا حاجة لى فيه . قال ولم وقد كفيتك مؤنة السؤال ؟ قال لأنى رأيت الذى أخذت منى بمسألتى إياك بوجهى أكثر مما نالنى من عرفك وكرهت الفضل على نفسي . فقال له يزيد أسألك بحقك على لما رأبتنى أهله من انزال الحاجة بى إلا قبلتها فقبلها .

وسأل العتابي رجلاً فحصر وأقل فقيل له قد أقللت فقال وكيف لا أقل ومعي ذل المسألة وحيرة الطلب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لآخر متى يكون البليغ عيياً قال إذا سأل حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الأحول : ما استكثرت بذلاً بذلته قط لأني أرى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت معروفاً قط لأني أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :

فانك لا تدري إذا جاءَ سائلٌ ... أأنتَ بما تعطيهِ أم هو أسعدُ

عسى سائلٌ ذو حاجةٍ ان منعتهُ ... من اليومِ سؤلاً أن يكون لهُ غدُ

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بصرنا سبل الحمد ووقفنا على طرق الذم لنضع كلاً منهما في موضعه ونستعمله في حينه ونلحقه بمستحقه إذ ذكر من أحبه فقال (نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) ووصف من مقته فقال (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ) فذم قوله وفعله وعاب شيمته وخلقه وهتك بالشتم عرضه وسود بالذم وجهه جزاءً بما اكتسب من ذميم الفعال ووفقاً لما أطلقه من اسم المقال نكالاً من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير الداعي إلى الله باذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿هذا كتاب المبالغة﴾

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المعاتبات ﴾

فمن أوائل ذلك ماأخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فِراقٌ جميلٌ خيرٌ من صُحبةٍ على دَخَنْ » والدخن والدخل الفساد والمدخول الفاسد وقد دخل فسد ، وروى (على دخل) ومن قديم ماجاء في ذلك قول أبي ذؤيب :

تُريدينَ كيما تجمعيني وخالداً ... وهل يُجمعُ السيفانِ ويحك في غمد

يقول لأم عمرو امرأة من هذيل وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو — وقيل وهب بن جابر — هويها فامتنعت عليه فخرج يوماً يتصيد فختل ظبية فلما أخذها أنشد :

فمالكِ ياشبيهةَ أمّ عمرو ... اذا عاينتنا لا تأمنينا
فعينك عينها اذ تنظرينا(١) ... وجيدُك جيدُها لو تنطقينا
وساقك ساقها (٢) ولأمّ عمرو ... خدلجة يضيقُ بها البرينا
ورأسك أزعر ولأم عمرو ... غدائر ينعفرنَ وينثنينا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصلته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما أينع وترعرع رغبت اليه واطرحت وهباً وخشي أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) «تنظرينا» غير موجودة في الاصل . (٢) (ساقها) غير موجودة في الأصل .

وجعل يرسل اليها خالد بن ابراهيم [١] فلم تلبث أن علقت خالداً وتركت أباذؤيب فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفسكَ فاحفظهاولاتُبْد [٢] للعدى ... من السرِّ ما يُطوَى عليه ضميرُها
رعى خالدٌ سرِّى ليالىَ نفسُهُ ... توالى على قصدِ السبيلِ أمورها
فلما تراماهُ الشبابُ وغيهُ ... وفى النفس منهُ غدرةٌ وفجورها [٣]
لوى رأسهُ عنى ومال بودِّهِ ... أغانيجُ خودٍ كان فينا يزورها
تعلقهُ منها دلالٌ ومُقلةٌ ... تَظلُّ لأصحابِ الشقاءِ تُديرها
وما أنفسُ الفتيانِ إلا قرائن ... تبينُ ويبقى [٤] هامها وقبورها

فأجابه خالد :

لايبعدن اللهُ حلمك اذ غزا ... وسافرَ والاحلام جمٌّ عثورُها
لعلك إما أمُّ عمرو تبدلت ... سواكَ خليلاً شاتمى تستخيرها [٥]
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها ... فأول راض سُنة من يسيرها

وهذا جوابٌ لانرى أقطع منه لأنه ذكر أنه انما جوزى بمثل فعله :

فان التى فينا زعمتَ ومثلها ... لفيك ولكنى أراكَ تجوزها [٦]

---

(١) خالد هـذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمـه ، على ماقى ديوان أبى ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (بن ابرا هيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد ابن محرِّث من بنى تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر مفلق ، أدرك الجاهلية والاسلام قدم المدينة على النبي ﷺ وهو فى مرضه فمات قبل وصوله بليلة وشهد دفنه ، وتوفى فى خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم رجلا ؟ قالوا حياً قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) فى نسخة «تفش» .

(٣) فى ديوان أبى ذؤيب «فتنة وفجورها» . (٤) في الاصل (ويثنى).

(٥) تستخيرها : تستعطفها وأصله أن الغزال والعجل يخور إلى أمه فتجيبه، معناه تطلب منها أن تجيبك . (٦) تجوزها أي تعـدل عنها . وفي الديوان (تجورها) .

ألم تنقذها من ابنِ عُويمر ... وأنت صَفيُّ نفسه وسجيرها
فان يك يشكو من قريب مخانة (١) ... فتلك الجوازى عَقبها و نُصورها

وفيه يقول أبو ذؤيب :

يُرَى ناصحاً فيما بدا فاذا خلا ... فذلك سكينٌ على الحلقِ حاذق

ثم ان وهباً بعث ابنه عمراً فوهب لها ذات يده فواصلته وكان لعمرو علانيتها ولخالد سرها فجاء خالد ليلاً وعمرو معها على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً فركب في جمع فتبعوه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه :

لعمرو أبي الطيرِ المربة غدوة ... على خالدٍ ان قد وقعنَ على لحم
كليه وربى لن تعودى بمثله ... عشيةَ لاقته المنيةُ بالردم
فانك لو أبصرتِ مصرعَ خالدٍ ... منعت (٢) الستارَ بين أظلم فالحزم
علمت بأن البابَ ليست ؟ ... ولا البكر لاضمت يداك على غنم
ضروب لهاماتِ الرجالِ بسيفهِ ... إذا التفتِ الأبطالُ مجتمع الحزم

ومن قديم العتاب الممزوج بالشكوى قول جميل :

لحى اللهُ من لاينفعُ الودُّ عندهُ ... ومن حبلهُ إن مُدَّ غير متين
ومن هو إن تحدث له العينُ نظرةً ... تقضب لها أسباب كل قرين
ومن هو ذو لونين ليس بدائم ... على العهدِ خوانٌ لكل أمين
ومن هو عند العينِ أما لقاؤهُ ... فحلوٌ وأما غيبهُ فظنون

وكتب بعض الكتاب : لو كنت أعلم أنك تعتب إذا عاتبتك سلكت فى ذلك مذهباً لاأبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة فى غير شكوى والتعريف فى غير تعنيف والاحتجاج فى غير تنكيت ولا توقيف ولكن شر القول مالا يسمع وليس لقائله فيه منتفع وأشبه البر بالعقوق مااستكرهت

(١) فى ديوان أبى ذؤيب (وان كنت تشكو من خليل مخانة) وفي النسخ نقص كلمات فى الابيات أستدركناها من الديوان . (٢) فى النسخ غير منقوطة ؛

عليه النفوس ، وقد قال الشاعر :

وليس بمغن فى المودةِ شافعٌ إذا لم يكن بينَ الضلوعِ شفيعُ

وكتب الكرخي : قد واصلت أياماً تباعاً غدواً إليك ورواحا حتى ملنى البكور وسئمنى التهجير وشكانى الطريق ولحانى الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب وتستقبلنى ردة البواب :

ولاخيرَ فى ودّ امرىء متكارهٍ عليك ولا فى صاحبٍ لاتوافقه

وهذا ذرء[1] عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمانه الصبر فان عطفك حفاظ فأهل الفضل والبر أنت وإلا فانى على العهد الذى كان بيننا ولا أقول كما قيل :

فما ملنى الانسانُ إلا مللتهُ ولافاتنى شيءٌ فظلت له أبكى

ولا أقول كما قيل :

وإنى على عهدِ الأخلاءِ دائم ولستُ إذا مالَ الصديقُ على حرفِ

إذا أنالم أصفح وأغضض على القذى فلا انبسطت فى الحادثاتِ إذاً كفى

ومن ألطف الكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إلىّ أبو فلان كتاباً منك فيه ذرء عتاب كان أحلى عندى من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب فلك العتبي ولبيلك وسعديك داعياً مستجاباً له وعاتباً معتذراً اليه ولو شئت مع ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك ألزم لقلت ولكنى أسامحك ولاأشاحك وأسلم لك ولا رادك لأن أفعالك عندى مرضية وشيمك لدىّ مقبولة ولولا أن للحجة موقعها لقصرت العنان عما أجريت اليه من هذا العتاب وكففت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقلت :

إذا مرضتم[2] أتيناكم نعودكمُ وتذنبونَ فنأتيكم ونعتذرُ

ولا ترى كلاماً ألطف من هذا ولا أحسن فى معناه . وكتب بعضهم لست أقتضي الوفاء بكثرة الالحاح فأثقل عليك ولا أقابل الجفاء بترك العتاب فأغتنم

---

(١) فى القاموس : ذرءٌ من خبر: شيء منه. (٢) فى الاصل (إذا مرضنا) .

القطيعة منك والمثل السائر « ويبقى الود ما بقى العتاب » . وقلت :

أمنعاً إذا جئتكم أستعير . فكيف إذا جئت أستوهب
ومثلى إذا كان في معشر فالعز عندهم منكب
يقرب مثلى إذا ما نأى ويكرم مثلى إذا يقرب
عتبتك للود لا للقلى وواصل صديقاً ماتعتب

ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

اذا رأيت ازوراراً من أخى ثقة ضاقت على برحب الارض أوطانى
فان صددت بوجهى كى أكافئه فالعين غضبى وقلبى غير غضبان

وقد أحسن العباس بن الأحنف فى قوله :

كنا نعاتبكم ليالى عودكم حلو المذاق وفيكم مستعتب
فالآن اذ ظهر التعتب منكم ذهب العتاب وليس عنكم مذهب

ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطال فلا خلود لحاجة مقضية أو بر ينفع
واعلم بأنى لأسر بحاجة إلا وفى عمرى بها مستمتع

ومن جيد المعاتبات قول أبى تمام فى أبى دلف :

يا أيها الملك النائى بغرته (١) وجوده لمرجى (٢) جوده كثب
ليس الحجاب بمقص عنك لى أملاً ان السماء ترجى حين تحتجب
مادون بابك لى باب ألوذ به وما وراءك لى مثوى ومطلب

وقوله فى أبى سعيد :

لعمرك لليأس غير المريث خير من الطمع الكاذب
وللريب تحصره بالنجاح خير من الأمل الخائب

وقال يعاتب موسى بن ابراهيم الرافعى فى ضنه عنه بجاهه :

---

(١) في الاصل « برؤيته » . (٢) كذا فى ديوان أبى تمام ، وفى الأصل « لمراعى » .

سأقطع أرسانَ العتابِ بمنطقٍ قصيرُ عناءِ الفكر فيه يطولُ
وانّ امرأً ضنت يداهُ على امرىءٍ بنيلِ يدٍ من غيره لبخيل

أخذه من قول مسلم:

وأحببتُ من حبها الباخلينَ حتى رمقتُ ابن سلم سعيدا
اذا سئل عرفاً كسا وجهه ثياباً من البخل صفراً وسودا (١)
يغارُ على المالِ فعلَ الجوادِ وتأبى خلائقه أن يسودا (٢)

وقول أبي تمام:

لآل وهبٍ أكفٌ كلما اجتديتْ فعلنَ في المحلِ مالم تفعلَ الديمُ
قومٌ تراهم غيارَى دُونَ مجدهم حتى كأنَّ المعالى عندهم عرم
ومنها: دنيا ولكنها دنيا سَتنصرمِ وآخرُ الحيوانِ الموتُ والهرم
ومنها: فلا تقل قدمٌ أزرى ببهجته لبس العلا طللا يزرى به القدم

وقد أحسن ابن الرومي وأجاد في قوله لقوم إستعان بهم فأعانوا خصمه:

تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا نبالَ العدى عني فكنتم نصالها
وقد كنت أرجو منكم خيرَ ناصرٍ على حين خذلانِ اليمين شمالها
فان أنتمُ لم تحفظوا لمودتى ذماماً فكونوا لاعليها ولا لها
قفوا موقفَ المعذور منى بمنزلٍ وخلوا نبالى للعدى ونبالها
هى النفسُ إما أن تعيشَ عزيزةً وإلا فغنمٌ أن تزولَ زوالها
عفاءٌ على ذكر الحياة إذا حمت على المرء إلا رفقها وسمالها

وهذا مثل قوله أيضاً:

عفاءٌ على الدنيا إذا مستحقها بغاها ولن يرجى لديه منوعها

وسأل بعض الرؤساء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال:

أتبخلُ بالقرطاسِ والخطِّ عن أخٍ وكفاكَ أندى في العطايا من المزنِ

---

(١) في ديوان مسلم المطبوع «ثياباً من اللؤم حمراً وسودا». (٢) في الديوان «أن يجودا».

فلا يكن المبذول للوم[١] سمعه   وقرطاسه بين الصيانة والحزن

وهى طويلة. وقال جحظة يعاتب على شدة الحجاب :

الله يعلم أننى لك شاكر   والحر للفعل الجميل شكور

لكن رأيت بباب دارك جفوة   فيها لصفو صنيعة تكدير

مابال دارك حين تدخل جنة   وبباب دارك منكر ونكير

غيره : [٢]سأترك هذا الباب مادام إذنه   على ما أرى حتى يلين قليلا

إذا لم أجد يوماً إلى الاذن سلما   وجدت إلى ترك المجىء سبيلا

وقول أبى تمام * ان السماء ترجى حين تحتجب * مأخوذ من قول الأول :

وإنى لأرجوكم على بطء سعيكم   كما في بطون الحاملات رجاء

وقد أحسن أبو تمام في معاتبة ابن أبى دواد واستبطائه إياه فى قوله :

رأيت العلا معمورة منك دارها   إذا اجتمعت يوماً[٣] وقر قرارها

وكم نكبة ظلماء تحسب ليلة   تجلى لنا من راحتيك نهارها

فلا جارك العافي تناول محلها   ولا عرضك الوافي تناول غارها

فلا تمكنن المطل من ذمة الندى   فبئس أخو الأيدى الكبار[٤] وجارها

فان الأيادى الصالحات كبارها   إذا وقعت تحت المطال صغارها

ومانفع من قد بات بالأمس صادياً[٥]   إذا ماسماء اليوم طال انهمارها

وخير عدات المرء[٦] محتضراتها   كما أن خيرات الليالى قصارها

وما العرف[٧] بالتسويف الا كخلة   تسليت عنها حين شط مزارها

---

(١) (للؤم) ساقطة من الأصل فاستدركناها من ديوان ابن الرومى المخطوط .

(٢) نسبها ابن خلكان لأبى العميثل ، وفيه (يخف) مكان (يلين) و (اللقاء) فى موضع (المجىء) .   (٣) فى ديوان أبى تمام « جاشاً » .

(٤) في ديوان أبى تمام « الغزار » .   (٥) فى الأصل « ضارياً » .

(٦) فى ديوان أبى تمام « الحر » .   (٧) في الديوان «وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ماشاء وفي قوله أيضاً لمالك بن طوق وقد حجبه :

قل لابن طوقٍ رحا سعدٍ إذا خبطت — نوائبُ الدهرِ أعلاها وأسفلها
أصبحتَ حاتمها جوداً وأحنفها — حلماً وكيسها علماً ودغفلها
مالي أرى الحجرةَ الفيحاء[1] مقفلةً — عني وقد طالَ ما استفتحتُ مقفلها
كأنها جَنةُ الفردوسِ معرضةً — وليس لي عملٌ زاكٍ فأدخلها

وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته .

وكتب الصاحب أبو القاسم [2] إلى بعضهم يعاتبه في صغر كتابه اليه : كتابي وعندي نعم من أعظمها خلوص ودك وبقاء عهدك ورد لي كتاب حسبته يطير من يدي لخفته ويلطف عن حسي لقلته وعهدي بك تروى إذا سقيت وتجزل إذا أعطيت فما الذي أحالك وبدل حالك أملال أم كلال أم اقلال وليس عندي أنك تملُّ صديقاً صدوقاً وشفيقاً شفيقا ولا عندي انك تكل ولو ملأت الأرض كلاماً وشحنت صفحات الجوِّ نظاما ولا عندي انك تقلُّ وبحر فضلك فياض وثوب علمك فضفاض فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر على هجرتك كما تمتعت بصلتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت ووصلت وصددت وأكره أن أطيل وقد قصرت وأكثر وقد أقللت فتسأمني كما سئمت عادتك وتتركني وقد تركت شيمتك فأحب أن تطالعني بأخبارك وعوارض أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنتَ عاتبتَ الصديقَ ولم يكنْ — يودُّك لم يعتبك حينَ تعاتبه
ومن يرعَ شرقيَّ البلادِ سَوامهُ — وغربيها يملكه ؟ صاحبه
ومن يخلط الماءَ الزُّلالَ بآجنٍ — من الماء تخبث ما تطيب مشاربه

وكتبت جواباً عن كتاب نقصت فيه من الخطاب : وقفت على الفصل المؤذن بالجفاء المشتمل على سوء الجزاء وعلى ما احتواه من دنيء الخطاب ووضيع الدعاء

---

(١) في ديوان أبي تمام «البيضاء» . (٢) هو الصاحب بن عباد الوزير البليغ المشهور .

وعجبت كيف حططت الدعاء من رتبته المعروفة وخفضت الخطاب عن درجته المألوفة وأنت على منزلتك لم تزدد نقيرا وأنا فى درجتى لم أنقص قطميرا فكيف لو زدت زادك الله بصراً بحالك وعليك وأراك من عيبك مالا يتصور لديك وكفاك من شر نفسك ماهاصر عليك من كيد عدوك وشماتة حسودك ولا أختار لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد : من بلغ رتبة فتاه أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يصر الهلال بدراً ولا الشبل ليثاً ولا الغصن ساقا ولا القطوف معتاقا . والعرب تسمى الكبر تيهاً وهو الحيرة لأن صاحبه لا يهتدى لرشاد ولا يصل إلى سداد ولولم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلى بقبح سمته ورسمه لكان العاقل حقيقاً بتركه وخليقاً برفضه ، وقد قيل ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر صديق فاياك أن تحرم نفسك بكبرك الذى يضرك ولا ينفعك ويحطك ولا يرفعك استفادة الاخوان الذين هم أبلغ فى الخير والشر من البيض الحداد وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والتلاد فان ذلك غبن كبير وحرمان جسيم ، وقد قال الأول :

مابالُ من أولهُ نطفةٌ   وآخره جيفةٌ يفخرُ

ولبعض بنى هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى :

ولربَّ مولى لايغضُّ جماحَهُ   طولُ العتابِ ولاعناءُ العذَّل
يطغى عليك وانتَ تلاُمُ شعبه   والسيف يأخذ من بنانِ الصيقل
ضاقَ الزَّمانُ فضاقَ فيه تقلبي   والمـاءُ يجمع نفسه في الجدول

وقال بعضهم في يزيد بن المهلب :

فمن يلازم النازلونَ محلهُ ؟   فمنزلكم للحمدِ والشكرِ منزلُ
رأى الناسُ فوقَ المجد مقدارَ مجدكم   فقد يسألوكم فوقَ ما كان يسأل
وقصر عن مسعاكمُ كلُّ آخرٍ   وما فاتكم ممن تقدَّمَ أوَّل

بلغتُ الذى قد كنتُ آمله لكم ... وان كنتُ لم أبلغ بكم ماأؤمّل
ومالىَ حقٌّ واجبٌ غير أننى ... اليكم بكم فى حاجتى أتوسّلُ
فان أنتمُ أنعمتمُ وبررتمُ ... فقد يستتمُّ النعمةَ المتفضل
وان كنتمُ أوليتمونى تفضلاً ... جميلاً فانَّ العودَ بالفضلِ أفضل
وكم مُلحفٍ قد نالَ منكم رغيبةً ... ويمنعنا من أن نُلحَّ التجمل
وعودتمونى قبل أن أسأل الغنى ... ولا يكمل المعروفُ والوجه يبذل

وقال ابن الرومى :

من الحيف تخسيسُ[(١)] النوال ومطله ... فعجلْ خسيساً أوفأجّل موفرا
وكن نخلةً تلوى وتسنى عطاءها ... وإلا فكن عفصاً أقلّ ويسرا

وقال : ياشبيهَ البدرِ فى الحسن ... وفى بُعدِ المثال
جُدْ فقدْ تنفجرُ الصخرةُ ... بالماءِ الزّلال

وله فى المعاتبات مالا أعرف لغيره ـ قال :

ياابن الوزير الذى تمّتْ وزارتهُ ... لاتجمعنّ علىّ العارَ والنارَا
ان كنتُ أحسنتُ فى وصفى مآثركم ... فأثّروا فىّ بالاحسان آثارا
وإن أكن قلت مالا أستحقُّ به[(٢)] ... منكم ثواباً فردّوهُ وماسارا
انّ المديحَ اذا ماسارَ مُنفرداً ... من الثوابِ كسى من قالهُ عارا
فقد يعزُّ بليغ فى بلاغته ... وقد يظنُّ سوى المختار مختارا
أسهبتُ فيكم لكى أعلى فطأطأنى ... تقصيركم بى فقد أزمعت إقصارا
انّ السلاليمَ لاتبنى أطاولها ... يوماً ليهبطَ بانيهنّ اغوارا
لكنْ ليصعدَ امجاداً تشرّفهُ ... حتى يمدَّ اليها[(٣)] الناس أبصارا
وقد هبطتُ بما شيدتهُ لكمُ ... من حالقٍ ولعلَّ الله قد خارا

---

(١) فى الأصل « تطفيف » وفى ديوان ابن الرومي « تخسيس » .

(٢) فى الديوان «أوكنت قدقلت مالاأستحق به» . (٣) فى الديوان (إليه) .

كم هابطٍ صاعدٍ من بعد مهبطه[١] وغائرٍ منجدٍ من بعد ما غارا
ثقلت في كِفَّة الميزان فانكدرت تهوى وشال خفاف الناس[٢] أقدارا
صبراً فكم ناهضٍ من بعد وقعته يوماً وكم واقع من بعد ما طارا
لابنى سمير[٣] صروفٌ غير غافلةٍ يُحسنَّ نقضاً كما أُحسنَّ امرارا
وقال: وتابع بعد الفتح قوماً سبقتهم فلمْ أنافي نماكَ ردفٌ وهم صدرُ
ولم يصفُ من شيءٍ صفاءَ طويتى فلم شربهم صفوٌ ولم مشربي كدر
وما جاء مدحٌ مثلَ مدحيَ فيكمُ فلم كسبهم مدٌّ ولم مكسبي جزر
ومالىَ لا أنفكُّ أنحى مسنداً ولى منكمُ ظهرٌ وما مثلكم ظهر
لعمرى لقد غوثت غيرَ مقصرٍ لتجبر من مالى وقد أمكنَ الجبر
وكم قائلٍ أبلغتَ فيما تقوله فقلت له غنيتُ لو ساعدَ الزمر
وقلت: قد كنتَ توليني الحسنى وتُكرمني وكنت أشكرُ ما تأتى من الحسن
فما بدا لك في جُودٍ ومكرمة تجرى من المجد مجرى الروح في البدن
ارجع الى الحالة الأولى فإنَّ لنا شكراً يكونُ لها من أوفَرِ الثمن
وحسنَ أحدوثة لو كنتَ تبصرها حسبتها غُرَّةً في جبهة الزمن
أزكي من المسك في أصداغ غانيةٍ كأنها قمرٌ أوفى على غصن

وللصاحب بن عباد في الاستزادة والعتاب أبيات لم يمر بي من شعره أجود منها فمنها:

سيشهد أبناء المفاخرِ كلهم بأن مضيعَ الأكرمين مُضيَّع
يزعزعك الواشونَ عن حومةِ العلا وكان بعيداً أن يزعزعَ لعلع

وقد طرف البحتري في قوله يستبطىء محمد بن العباس الكلابي:

المئةُ الدينارِ منسيةٌ في عِدَةٍ أشبعتها خلفا
لاصدق اسماعيل فيها ولا وفاء ابراهيم إذ وَفى

---

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (هبطته). (٢) في الديوان (القوم).

(٣) ابنا سمير: الليل والنهار لأنه يسمر فيهما أي يتحدث — كما في جنى الجنتين.

إن كنت لاتنوى نجاحاً لها ... فكيفَ لا تجملها ألفا

وقوله : عمرتَ أبااسحقَ مُصلح العمرُ ... ولا زال مَزهواً بأيامك[1] الدَّهرُ

فأنتَ ندى نحيا به حيث لا ندى ... وقطرٌ يرجَّى جودُهُ حيثُ لاقطر

على أنني بعدَ الرِّضا مُتسخطٌ ... ومستعتبٌ من خطةٍ سهلها وعر

وقد أوحشتني ردَّةٌ لم أكن بها ... بأهلٍ ولا عندى بتأويلها خبر

فلم جئت طوعَ الشوقِ من بعدغايتى ... الى غيرِ مشتاق ولم ردَّنى بشر

وما باله يأبى دخولى وقد رأى ... خروجيَ من أبوابهِ ويدى صفر

ومن جيد ماقيل فى حسن الاقتضاء قول أبى تمام :

وإذا المجدُ كان عونى على المر ... ء تقاضيتهُ بتركِ التقاضى

وقول الآخر : أروح بتسليم وأغدو بمثله ... وحسبك بالتسليم منى تقاضيا

وفى خلاف ذلك قول بعضهم : ثقتى بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمي بشغلك يحدو على اذ كارك . ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

أنتَ أمضى من أن تحرِّكَ للمجـد ... ولكنْ شراهةُ الشعراء

وفى خلافِ ذلك قول الآخر :

أروحُ وأغدو نحوكم فى حوائجى ... فأصبحُ منها غدوةً كالذى أمسى

وقد كنتُ أرجو للصديقِ شفاعتى ... فقدصرتُ أرضي أن أشفعَ فى نفسى

وقول الآخر: وَلَلموتُ خيرٌ من حياةٍ زهيدةٍ ... ولَلمنعُ خيرٌ من عطاءٍ مكدَّر

ومن مليح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابى ليس باستبطاء وامسا كي ليس باستغناء ولكن كتابى تذكرة لك وامسا كي ثقة بك . وكتب عثمان الى على رضى الله تعالى عنهما : أمابعد فقد بلغ الماء الزبى والحزام الطبيين وطمع فىّ من لا يدفع عن نفسه:

فان كنتُ مأ كولاً فكن خيرَ آكل ... وإلا فأدركنى ولما أمزَّق

ومما جاء في ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعي القلى وسبب

---

(١) فى ديوان البحترى « بأيامك » .

السلوان وباعث الهجران. وقال بعضهم: العتاب يبعث التجنى والتجنى ابن الحاجة والحاجة أخت العداوة والعداوة أم القطيعة. وقال بعضهم: سبيل من يأخذ على أيدى الاحداث أن لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى القحة. وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فاذا انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة. وقال آخر: حرك اخوانك ببعض العتاب لئلا يستعذبوا أخلاقك وأغض عن بعض ماتنكر منهم لئلا يوحشهم الحاحك. وهذا أقصد ما قيل فى هذا المعنى. وكتبت فى فصل لى: العتاب مقدمة القطيعة وطليعة الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور برؤية أحبابك وانتقل عنه قبل أن ينتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بداً فاقتصد فيه ولا تكثر منه فان الكثير من المحبوب مملول فكيف من المكروه والاقتصاد فى المحمود ممدوح فكيف من المذموم. وقال ابن الرومي:

أرَقِّه ما أرَفهُ فى التقاضى ... وليسَ لديكَ غيرُ المطلِ نقدُ
خلا وعد مددت اليه كفى (١) ... فأعرضَ دونهُ مطلٌ يمدُّ
إذا إنجازُ وعدك كانَ وعداً ... فيكفينى من الوعدينِ وعد

وقال: سألتُ قفيزين من حنطةٍ ... فجدتَ بكرٍّ من المنع واف
وأتبعتَ منعك لى بالحجابِ ... مهلاً هُديتَ ففى المنع كافِ
كأنى سألتك حبّ القلوبِ ... ذاك الذى من وراءِ الشغاف

وقد أجاد الآخر حيث يقول:

وكنْ عندَ مانرجوهُ منك فاننا ... جميعاً لما أوْليتَ من حسنٍ أهلُ
ولا تَعتذرْ بالشغل عنا فانما ... تناطُ بك الآمالُ ما اتّصلَ الشغلُ

---

(١) فى ديوان ابن الرومى المخطوط «مددت اليه عينى».

﴿الفصل الثانى من الباب الثالث فى الهجاء﴾

قالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

فغضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا أنهم افتدوامنه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حمر النعم؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم ؟ قال قول الحارث بن ظالم :

وما قومى بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرِّقابا

فو الله ياأمير المؤمنين إنى لألبس العمامة الصفيقة فيخيل لى أن شعر قفاى قد بدا منها . وقول قيس بن الخطيم[1] :

همنا بالاقامة ثم سرنا مسيرَ حُذيفةَ الخيرِ بن بدرِ[2]

فما يسرنا أن لنا بها أوبه سود النعم . فقال هانىء بن قبيصة أولئك نحن ياأمير المؤمنين ، قال ماقيل فيكم؟ قال قول جرير :

فغضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

والله لوددنا أننا افتديناه بأملاكنا ، وقول زياد الأعجم :

لعمرك مارماحُ بنى نميرٍ الصدور ولا قصار ؟

فو الله مايسرنا به حمر النعم . قال أبو بكر وذكر أن جريراً لما قال :

والتغلبيُّ إذا تنحنحَ للقرى حكَّ استهُ وتمثَّلَ الأمثالا

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالاتها ، اشتهر بتتبعه قاتلى أبيه وجده حتى قتلهما وقال فى ذلك شعراً ، أدرك الاسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) فى النسخ تصحيف صححناه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طعن أحد فى استه لم يحكها .

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدى عن أبى جعفر عن المدائنى قال مرت امرأة ببنى نمير فتغامزوا اليها فقالت يابنى نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر : يقول الله تعالى (قُلْ لِلمُؤْمِنِينَ يَغضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) وبقول الشاعر : * فغض الطرف إنك من نمير * فخجلوا وكان النميرى إذا قيل له ممن أنت ؟ قال من نمير فصار يقول من بنى عامر بن صعصعة.

ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو :

ولو ترمى بلؤم بنى كليبٍ   نجوم الليل ما وضحتْ لسارى
ولو يرمى بلؤمهم نهار   لدنَّسَ لؤمهم وضحَ النهار

وهذا مثل قول الآخر :

ولو أنَّ عبدَ القيس ترمى بلؤمها   على الليل لم تبدُ النجومُ لمن يرى

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

تبيتونَ فى المشتى ملاءً بطونكم   وجاراتكم غرثى يبتنَ خمائصا

وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهى لعمى ولم يمت ـ وعمه عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط ـ وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا عفيف وأنت عاهر وأنا وفىٌّ وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ربيعة . فتداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثمائة من الابل مائة يطعمها من تبعه ومائة يعطيها الحاكم ومائة يعقرها إذا حكم . فأبى هرم ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبيا أن يرحلا فخلا بعلقمة وقال له : أترجو أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أندى الناس كفاً وأشجعهم لقاءً لسان رمح عامر أذكر فى العرب من الأحوص وعمه ملاعب الأسنة وأمه كبشة بنت عروة الرحال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفحياء وأمك من

النخع وكانت أمه مهيرة وأم علاثة[1] من النخع ، ثم خلا بعامر فقال له أعلى علقمة تفخر أأنت تناوئه أعلى ابن عوف بن الأحوص أعف بني عامر وأحلمه وأسوده وأنت أعور عاقر مشؤوم أما كان لك رأى يزعك عن هذا أكنت تظن أن أحداً من العرب ينصرك عليه . فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قال أنتما كركبتي البعير فرجعا راضيين . والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أنتما كركبتي الجمل لقال كل منهما أنا اليمنى فكان الشر حاضراً . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما بعد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت؟ فقال اعفني يا أمير المؤمنين فلو قلتها لعادت جذعة فقال عمر صدقت مثلك فليحكم . فارتحلوا عن هرم لما أعياهم نحو عكاظ فلقيهم الأعشى منحدراً من اليمن وكان لما أرادها قال لعلقمة اعقد لي حبلاً قال أعقد لك من بني عامر قال لا تغني عني قال فمن قيس قال لا قال فما أنا رائدك . فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف تجيره من أهل السماء؟ قال ان مات وديته فقال الأعشى لعامر أظهر انكما حكمتماني ففعل فقام الأعشى فرفع عقيرته في الناس فقال :

حكمتموه فقضى بينكم ... أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ... ولا يبالي غبن[2] الخاسر
علقم ما أنت[3] الى عامر ... الناقض الاوتار والواتر
واللامس الخيل بخيل إذا ... ثار عجاج الكبه الثائر
ساد وألفى رهطه سادة ... وكابراً سادوك عن كابر

وشد القوم على الابل المائة فعقروها وقالوا عامر وذهبت به الغوغاء وجهد علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعشى فقال الأعشى :

أتاني وعيد الحوص من آل جعفر ... فيا عبد عمرو لو نهيت الأحاوصا

(١) بياض في الأصل ، وذكر القصة صاحب الأغاني بغير هذه الرواية . (٢) «غبن» ساقطة من الأصل فاستدركناها من بلوغ الأرب . (٣) في الأصل « لا لنت » .

فما ذنبنا أن جاشَ بحر ابن عمكم   وبحرك ساجٍ لايوارى الدّعامصا
كلا أبويكم كانَ فرع دعامةٍ   ولـكنهم زادوا وأصبحتَ ناقصا
تبيتونَ في المشتى ملاءً بطونـكم   وجاراتـكم غرثى يبتنَ خمائصا
يراقبن من جوع خلالَ مخافةٍ   نجومَ العشاء القائمات القوامصا
رمى بك فى أخراهمُ تركك الندى   وفضـل أقواماً عليك مراهصا
فعضّ حديدَ الارض ان كنت ساخطاً   بفيك وأحجارَ الكلاب الرّواهصا

فبكى علقمة لمـا بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه فى العار . والعرب تعير بالبكاء ، قال مهلهل :

يبكى علينا ولا نبكى على أحدٍ   لنحنُ أغلظُ أكباداً من الابل

وقال جرير :

بكى دوألٌ لايرقأ اللهُ دمعهُ   ألا انما يبكى من الذلّ دوأل

وكان الحطيئة مع علقمة وليد مع عامر (١) فقال الحطيئة :

ياعام قد كنتَ ذاباع ومكرمة   لو أنّ مسعاةَ من جاريتهُ أمم
جاريت قرماً (٢) أجادَ الأحوصان به   ضخم الدسيعة فى عرنينه شمم
لا يصعبُ الأمرُ إلاحيث يركبه (٣)   ولا يبيتُ على مالٍ له قسم

وقال: فماينظر الحكام في الفصل بعدما (٤)   بداواضــح ذو غُـرّةٍ وحُجول

---

(١) كذا في النسخ ؛ وفى طبقات الجمحي (وكان الحطيئة مع علقمة بن علاثة حين نافر عامر بن الطفيل) . (٢) وفي رواية (جاريت فرعا) وفي ديوان الحطيئة :

جاريت قرماً أجادالاحوصان به   جزل المواهب فى عرنينـه شمم

والأحوصان : الاحوص بن جعفر بن كلاب ـ واسمه ربيعة وكان صغير العينين ـ وعمرو بن الاحوص ، كما فى جنى الجنتين في المثنيين للمحبي .

(٣) فى طبقات الجمحى وديوان الحطيئة (إلا ريث يركبه) .

(٤) في الأصل (بعدها) والتصحيح من ديوان الحطيئة .

وهاتان القصيدتان جيدتان بارعتان فى معنيهما ولكن الناس استخفوا قول الأعشى * علقم لا لنت الى عامر * فمر على ألسنتهم وسقط شعر الحطيئة .

أخبرنا أبو على بن أبي جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبوعبيدة العسكرى حدثنا محمد يعنى ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمعى قال قال عبد الملك ابن مروان لأمية (١) مالك وللشاعر إذ يقول :

اذا هتفَ العصفورُ طارَ فؤادهُ   وليثٌ حديدُ الناب عند الثرائد (٢)

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهلا درأته عنه بالشبهات ؟ قال كان أهون عليّ من أن أعطل حداً من حدود الله تعالى فقال يابنى أمية أحسابكم أحسابكم أنسابكم أنسابكم لا تعرضوا للهجاء (٣) فان للشعر مواسم لا يزيدها الليل والنهار إلا اجدة (٤) والله ما يسرنى أنى هجيت ببيت الأعشى حيث يقول :

تبيتونَ في المشتى ملاءً بطونكم   وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ولى الدنيا بحذافيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضاً لقول ابن حرثان :

على مكثريهم حق من يعتريهم (٥)   وعندَ المقلينَ السماحةُ والبذل

هكذا رواه لنا والبيت لزهير . وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الحطيئة فى الزبرقان بن بدر :

دَعِ المكارِمَ لا ترحلْ لبغيتها   واقعد فانك أنتَ الطاعمُ الكاسى

وأخبرنى أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إياس ويحيى ابن زياد وحماد عجرد وجعفر بن أبى وزة فى مسجد الكوفة فامتروا (٦) فى أهجى بيت قالته العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق فى جرير :

---

(١) في الاصل (لابنه) (٢) عجز البيت في الأصل غير منقوط فصححناه من الامالى والعقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) فى الاصل (للفصحاء)
(٤) فى الاصل (حيرة) . (٥) في الأغانى « رزق من يعتريهم » .
(٦) فى الأصل غير منقوطة .

أنتم قرارةُ كل معدن سوءةٍ ولكلِّ سائلةٍ تسيلُ قرار

أخذه أبو تمـام فقال :

وكانت زفرةٌ ثمّ اطمأنت كذاك لكلِّ سائلةٍ قرارُ

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير :

مازال فينا رباطُ الخيل معلمة وفى كليبٍ رباطُ اللؤم والعـار

قومٌ إذا استنبحَ الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولى على النار

قالت بنو تميم ماهجينا بشيء هو أشد علينا من هـذا البيت . وهو يتضمن وجوهاً شتى جعلهم بخلاء بالقرى وجعل أمهم خادمتهم يأمرونهـا بكشف فرجها ، وجعلهم يبخلون بالمـاء أن يطفئوا به النار فيأمرونها بأن تطفئها ببولها بينهم وبين المجوس لتعظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نارهم من قلتها كانت تطفئها ببولها .

وقالت بنو مشاجع ماهجينا بشعر أشد علينا من قول جرير :

وبرحرحانَ غداةَ كبلَ معبد نكحتْ نساؤهمُ بغيرِ مهور

وقالت بنو كليب ما هجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

ألستَ كليباً إذا سيمَ سوءةً أقرَّ كاقرارِ الحليلةِ للبعـلِ

وقالوا بل أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح :

تميمٌ بطرقِ اللؤمِ أهـدى من القطا ولو سلكت سُبلَ المكارمِ ضلت

وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجرير أو لمن فى طبقته لحكم على جميع مافي معناه وبعده وهو أبلغ ماقيل فى الاحتقار والتقليل والجبن :

ولو أن حرقوصاً على ظهر نملةٍ تشدُّ على صفى تميم لولّتِ

ولو جمعت يوماً تميمٌ جموعَها على ذرةٍ معقولةٍ لاستقلتِ

ولوأنَّ أمَّ العنكبوتِ بنتْ لها مظلتها يومَ الندى لاستظلتِ

ولو أنَّ برغوثاً يرقى مسكه إذا نهلت منه تميم وعلتِ

وأبلغ ماقيل فى الخمول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافيةٌ　　من خلقهِ خَفيتْ عنهُ بنوأسد
قـومٌ أقامَ بدارِ الذُّلِّ أولهم　　كما أقامتْ عليه خدمةُ الوتدِ (١)

وقال ابن الأعرابى قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تنشده العاتق فى خدرها فلا يقبح بها مثل قول أوس :

إذا ناقة شعرت برحل ونمرق　　الى حكم تعدى فضل ضلالها

وقال ابن الأعرابى وأنا أقول مثل قول جرير :

ولو انَّ ثعلبَ جَمعتْ أحسابها　　يومَ التفاخرِ لم تزنْ مثقالا

وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابى :

اللؤم أكرمُ من وبر ووالدهِ　　واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
قومٌ إذا جرجان منهم (٢) أمنوا　　من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وقال النجاشى (٣) فى بنى العجلان :

قبيلة لايغدرونَ بذمةٍ　　ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماءَ إلا عشيةً　　إذا صَدَرَ الورَّادُ عن كلِّ منهل

فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشدوه :

إذا الله عادَى أهل لؤمٍ ورقةٍ　　فعادى بنى العجلان رهطَ ابن مقبل

فقال عمر إن كان مظلوماً استجيب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لايغدرونَ بذمةٍ　　ولايظلمونَ الناسَ حبةَ خردل

فقال ليت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :

ولايَردونَ الماءَ إلا عشيةً　　إذا صدرَ الوُرَّادُ عن كلِّ منهل

---

(١) سقط من النسخ بعض عجز البيت فاستدركناه من العقد الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ماحر جانيهم » .

(٣) فى الأصـل هنا « النحاس » وفى موضع آخر (النخاش) والصواب « النجاشى » وهو شاعر أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه على مافى بلوغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل للـكاك ـ يعنى الازدحام ، قالوا وقد قال :

تعاف الـكلاب الضاريات لحومهم ويأ كلن من عوف وكعب ونهشل

قال أحيا[١] القوم فتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال :

وما سُمى العجلان إلا لقيلهم خُذِ القعبَ واحلبْ أيها العبدُ واعجل

فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بعث إلى حسان فسأله فقال ماهجاهم ولـكن سلح عليهم فتهدد النجاشى وقال ان عدت قطعت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى المـاء بإبله ومثل قوله :

* تعاف الـكلابُ الضارياتُ لحومهم * قول البحترى :

وردَّدتُ العتابَ عليك حتى سئمت وآخرُ الودِّ العتابُ

وهانَ عليك سخطى حينَ تغدو بعرضٍ ليسَ يأكلهُ الـكلاب

ومن التناهى فى الاحتقار والخمول قول بعضهم[٢] :

قالوا الأشاقر تهجوهم فقلت لهم ما كنتُ أحسبهم كانوا ولا خلقوا

قومٌ من الحسبِ الزاكى بمنزلةٍ كالفقع بالقاع لا أصلٌ ولا وَرَقُ

انَّ الاشاقرَ قـد حلوا بمنزلةٍ لو يرهبونَ بنعـلٍ عنـدنا علقوا

لا يكثرُون وإن طالتْ حياتهـمُ ولو تبولُ عليهـم فأرةٌ غرقوا

وقول الآخر * لو يحلوا بالحرير ما وجدوا * وقول الآخر ، أستغفر الله من قوله :

يكادُ من رقةٍ ولؤم يخفى على البارئ القديم

وقول أبى الهيذام :

ياجعفرَ بن القاسم بن محمدٍ مالى أراك عن الندى معزولا

إنى أقولُ مقالةً تجرى بها لو كنتَ من كرم لـكنت قليلا

وقول أبى تمـام :

ما كنت أحسبُ أنَّ الدَّهرَ يمهلنى حتى أرى أحداً يهجوه لا أحد

(١) فى الأصل «أحية» (٢) نسبت فى العقد باختلاف فى بعض الألفاظ لزياد الأعجم .

ونحوه قوله: هبْ من له شيءٌ يريدُ حجابهُ   ما بالُ لا شيءٍ عليهِ حجاب

وقال ☼ وأنت أنزر من لا شيء في العدد ☼

ومن مشهور ماقيل في بلوى الأخيار بالأشرار قول الأول :

فلو أنى بليتُ بهاشميّ   خؤلته بنو عبد الدانى
صبرتُ على عداوته ولكن (١)   تعالى فانظرى بمن ابتلانى

وشكا رجل إلى أبي العيناء رجلاً فقال فاك دخل فى العدد وخرج من العدد ، يقول هو يعد فى الحساب ويخرج من عدد التحصيل ، وهو من قول القائل :

خرجنا الغداةَ إلى نزهةٍ   وفينا زياد أبو صعصعه
فستةُ رهطٍ به خمسةٌ   وخمسةُ رهطٍ بهِ أربعه

وقلت فى معناه :

أنظر اليهمْ ولا تعجبك كثرتهم   فانما الناسُ قلوا كلما زادوا
ولا يهولنك من دهمائهم عددٌ   فليسَ للناس فى التحصيل أعدادُ
عجبتُ من زُهدهم فيما يزينهمُ   والناسُ مذ خلقوا فى الخيرِ زهادُ

ومن التناهي في صفة الخمول قول عبد الصمد فى أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

سألنا عن ثمالةَ كلَّ حيٍّ   فقالَ القائلونَ ومن ثماله
فقلتُ محمدُ بنُ يزيد منهم   فقالوا زدتنا بهم جهاله

ومن الاستحقار الشديد قول مسلم :

أمويسُ قل لى أينَ أنتَ من الورى   لاأنتَ معلومٌ ولا مجهولُ
أما الهجاءُ فدقَّ عرضك دونهُ   والمدحُ عنك كما علمتَ جليل
فاذهب فأنتَ طليقُ عرضك إنهُ   عرضٌ عززتَ به وأنتَ ذليل

فجعله دون الهجاء والهجاء فوقه فلا يهجى لضعته وقلته .

ومن ههنا أخذ ابراهيم بن العباس قوله :

---

(١) وفى نسخة « لهان عليَّ ماألقى ولكن » .

فكنْ كيفَ شئتَ وقلْ ماتشا ... وأبرقْ يميناً وأرعد شمالا
نجابك لؤم منجى الذباب ... حمته مقاذيرهُ أن ينالا

وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة فان لايرادها ههنا معنى كبيراً وذلك أنى لست أجد خيراً منها فى معناها وأجود، وقد شرطت أن لاأضمن هذا الكتاب الا كل جيد اللفظ بارع المعنى ، وأنت أيضاً إذا احتجت اليه تتناوله من قرب .

وأنشد الجاحظ :

ووثقتَ أنك لاتسبُّ ... حماكَ لؤمكَ أن تُسبَّا

وقال الآخر : بذلةٍ والديك كسيتَ عزاً ... وباللؤمِ اجترأتَ على الجوابِ

وقال غيره : دناءَةُ عرضك حصنٌ منيع ... تقيك اذا ساء منك الصنيعُ
فقلْ لعدوِّكَ ماتشتهى ... فأنتَ الرَّفيعُ المنيعُ الوضيعُ

وقلت : لست الوضيعَ ولا الصغيرَ وإنما ... أنتَ الوضيعُ عن الوضيع الأصغر
لاتفخرنَّ وإنْ غدوْتَ مقدَّما ... فعلى جبينك سيمياء مؤخر

وقال أبو نواس :

ماكان لو لم أهجهُ غالب ... قامَ لهُ هجوى مقامَ الشرفْ
يقولُ قد أسرفَ في هجونا ... وإنما زادَ بذاك السرفْ
غالبُ لاتسعي لتبنى العلا ... بلغتَ مجداً بهجائى فقف
قد كنتَ مجهولاً ولكننى ... نوَّهْتُ بالمجهولِ حتى عرف

فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم ، وقوله :

وما أبقيتُ من غيلانَ إلا ... كما أبقتْ من البظرِ المواسى

ومن قديم الهجاء لمن لايقع فى حياته وفى موته فجيعة قول بعضهم :

وأنتَ امرؤٌ منا خلقتَ لغيرنا ... حياتك لانفعٌ وموتك فاجعُ

وقال ابن الرومى :

فلا تخش من أسهمي قاصداً ... ولاتأمننَّ من العائرِ

ولـكنْ وقاكَ معرّاتها تضاؤلُ قَدرِكَ في الخاطرِ

وقال غيره :

إني هجوتُ بكلّ لفظٍ مقذعٍ زيداً وكان لهُ الهجاءُ مديحا

وقلت : ياأبا القاسم هل أبصرت شبهاً لك فى قبحك

ونظيراً لك فى شؤمك أو لؤمك أو شحك

إن من شبهك الكلب فقد بالغَ فى مدحك

وقلت : أهنتَ هجائى ياابنَ عروةَ فانتحى علىَّ ملامُ الناسِ فى البعدِ والقرب

وقالوا أتهجو مِثله في سُقوطهِ فقلتُ لهم جريتُ سيفي على كلبِ

وقال ابن الرومى :

خسأت كلباً مَرَّ بى مَرَّةً فقال مَهلاً يا أخا خالدِ

حسبكُم خزياً بنى آدم شركتكم إياه في الوالد

ومثله ماأنشدناه أبو أحمد قال أنشدنى ابن لنكك [1] لنفسه :

وعصبة لما توسَّطتهمْ صارت [2] علىَّ الأرضُ كالخاتم

كأنهمْ من سوءِ أفهامهمْ لم يخرجوا بعدُ إلى العالم

يضحكُ إبليسُ سروراً بهم لأنهم عارٌ على آدم

وقلت : قلتُ للكلبِ حين مَرَّ بىَ اخسأ فـكأنى كويتُ قلبـك كيا

أترى اننى أعدُّك كلباً أنتَ عندى إذا نبحتَ الثريا

ومن التناهى في الاستصغار والخمول قول زياد الأعجم :

إذا ماانتقى اللهَ امرؤٌ وأطاعَهُ فليسَ به بأسٌ وان كان من جَرْمِ

ولو جمعتْ جَرْمٌ على رأسِ نملةٍ لباتوا شِباعاً يضرطون من الشحم

ومن بليغ ماجاء فى الاستصغار مارواه قدامة قال قال محمد بن ناشد سألنى

---

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجى أهل زمانه بالمقطعات .

(٢) في رواية « ضاقت » .

فلان عن رجل فقلت يساوى فلسا، فقال قد زدت فى قيمته درهمين .

ومن أبلغ ماقيل في الهجاء قول ذى الرّمة :

وأمثلُ أخلاقِ امرىءِ القيسِ أنها صلابٌ على طول الهوانِ جلودها
وماانتظرتْ غيابها لملةٍ (١) ولااستؤمرت (٢) فى حلّ أمر شهودها
اذا امرئياتٌ حللن (٣) ببلدة من الأرض لم يصلح طهوراً صعيدها

وقال غيره: لعمركَ ماتبلى سرابيلُ عامرٍ من اللؤم مادامتْ عليهِ ظهورها

وقال أبو سعيد المخزومى :

ياثابت بن أبى سعيدٍ إنها دوَلٌ وأحراها بأنْ تتنقلا
هلا جعلتَ لنا كحرمةِ دعبل فى استِ امّ كلبٍ لاتساوى دعبلا

وقالوا أهجى بيت قاله محدث بيت حماد فى بشار :

نُسبتَ إلى بردٍ وأنتَ لغيره فهبك لبرد نلت أمك (٤) من برد

وأخبرنى أبو أحمد أخبرنى أبو الحسن الصيمرى عن أبى العلاء قال حماد عجرد

* نسبت إلى برد وأنت لغيره * قال بشار تهيأ لحماد فى هجائى فى هذا البيت

خمسة معان أوردها جرير فى الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لماَ وضعت على الفرزدق ميسمى وضع البعيث جدعت أنف الأخطل

ومن أجود ماهجى به الدعش قول دعبل فى مالك بن طوق :

الناسُ كلهمُ يسعى لحاجتهِ مابينَ ذى فرح منها ومهموم
ومالكٌ ظلَّ مشغولاً بنسبتهِ يرمُّ منها خراباً غير مرموم
يبنى بيوتاً خراباً لاأنيسَ بها مابينَ طوقٍ إلى عمرٍو بنِ كلثوم

---

(١) فى الشعر والشعراء (لعظيمة) . (٢) فى الشعر والشعراء (استؤذنت) .
(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك)
فاستدركناها من الأغانى وهى بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد) .

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوى (١) :

لو أنَّ موتى تميم كلهم نشروا   وأنبتوك لقيل الأمرُ مصنوعُ
إنَّ الجديدَ إذا مازيدَ في خَلَقٍ   تبينَ الناسُ أنَّ الثوبَ مرقوعُ

وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قبحتْ مناظرُهمْ فحينَ خبرتهم   حسنتْ مناظرهم لقبح المخبرِ

ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أويغدروا   أويبخلوا لم يحفلوا
وغَدَوْا عليك مرجّلين   كأنهم لم يفعلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع فى الأمهات والاخوات .

ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف لنْ تلقي لهم شبهاً   إلا التيوس على أقفائها الشعرُ
ان نافروا نفروا أوكاثروا كثروا   أوقامروا الزّنجَ عن أحسابهم قمروا
كأنَّ ريحهمُ فى الناس إذ خرجوا   ريحُ الكلاب اذا مامسها المطر (٢)

قد استوفى المعنى عند قوله (ريح الكلاب) ثم قال (اذامامسها المطر) فجاء بتتميم حسن .وقالوا اقول جرير * نتفت شواربهم على الابواب * وقالوا اقول حسان:

أبوكَ أبو سُوءٍ وخالك مثلهُ   ولستَ بخيرٍ من أبيك وخالكا
وإنَّ أحقَّ الناسِ ان لا تلومَهُ   على اللؤم من ألفى أباهُ كذلكا

ومن الافراط فى صفة البخل قول ابن الرومى فى سليمان بن عبدالله بن طاهر :

تجنب سليمان قفل الندَى   فقد يئسَ الناسُ من فتحهِ
فلو كانَ يملكُ أمرَ استه   لما طمعَ الحشُّ في سلحهِ

---

(١) فى الأصل (النبوى) ولعل صوابه (النسوى) نسبة الى نسا التى يجوز فيها نسوى ونسائى ؛ وهو ابراهيم بن إسماعيل بن يسار النسائى شاعر ابن شاعر .

(٢) في ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ماقيل في الهجاء باللؤم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بنى كليب ... نجومُ الليل ما وَضحتْ لسار
ولو لبسَ النهارُ بنى كليبٍ (١) ... لدَنسَ لؤمهم وضحَ النهار
وما يغدو عَزيزُ بنى كليبٍ ... ليطلبَ حاجةً إلا بجارِ

وقد مر البيتان الأولان فيما تقدم . ومن الافراط فى الهجاء قول الآخر :

لو اطَّلعَ الغرابُ على تميم ... وما فيها من السوآتِ شابا

وقول الآخر :

سَل اللهَ ذا المنِّ من فضلهِ ... ولا تسألنَّ أبا وائلهْ
فما سألَ اللهَ عبدٌ لهُ ... فخابَ ولو كانَ من باهلهْ

وقال الآخر : ولو قيلَ للكلابِ ياباهلى ... لأعْوَلَ من قبح هذا النسبْ

وأنشدنى أبو أحمد أنشدنى أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهى أبيات مشهورة أوردتها لأنى لست أجد مثلها فى معناها :

ولما رأيتك لافاسقاً ... تهابُ ولا أنتَ بالزّاهدِ
وليسَ عَدُوّك بالمتقى ... وليس صديقك بالحامد
أتيتُ بك السوقَ سوقَ الرَّقيقِ ... فناديتُ هل فيك من زائد
على رجلٍ غادرٍ بالصديق ... كفورٍ لنعمائهِ جاحد
فما جاءنى رجلٌ واحدٌ ... يزيدُ على درهم واحد
سوى رجلٍ حار منه الشقا ... وحلَّتْ به دَعْوةُ الوالد
فبعتك منهُ بلا شاهد ... مَخافةَ أدرك بالشاهد
وأبتُ الى منزلى سالماً ... وحلَّ البلاءُ على الناقد

وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ماقيل فى البخل قول ابن الرومى :

---

(١) فى الأصل « بنو كليب » والتصحيح من منتهى الطلب فى أشعار العرب .

يُقتّرُ عيسى على نفسهِ ... وليسَ بباقٍ ولا خالدِ
فلو يستطيعُ لتقتيرهِ ... تنفس من منخرٍ واحدِ
رضيتُ لتشتيتِ[1] أمواله ... يدى وارثٍ ليسَ بالحامد

والناس يظنون أن ابن الرومى ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ أن فلاناً كان يقير[2] احدى عينيه ويقول ان النظر بهما فى زمن واحد من السرف.

ومن الفرد الذى لا شبيه له قول بعضهم:

الى اللهِ أشكو اننى بتُّ طاهراً ... فجاءَ سلولىٌّ فبالَ على رجلى
فقلتُ اقطعوها باركَ اللهُ فيكمُ ... فانى كريمٌ غير مدخلها رحلى

وقلت: وقفت لديكمْ للسلام عليكمُ ... وقوفى على أطلالِ سلمى وعاتكه
يرومك تسليم العفاة كأنه ... بوادرُ طعنٍ فى الضلوع مواشكه
وما فيكمُ حرٌّ يكرمُ ضيفهُ ... ولكن إذا ما ساء أكرم نائله
وان كنتمُ ناساً وما أنتمُ بهِ ... فان القرودَ والكلابَ ملائكه

وليس في هذا الباب أبلغ من هذا ولا أعرقى سبقت اليه. وقال بعضهم:

سمعت المديح أناساً دون مالهم ... رد قبيح وقول ليسَ بالحسن
فلمْ أفز منهمُ إلا بما حملتْ ... رجلُ البعوضةِ من فخّارةِ اللبن

وهذا كما تراه بليغ جداً. وقال الآخر * يعطيك ماتعطيك مكحلة *

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر لدعبل:

أتقفلُ مطبخاً لا شيءَ فيهِ ... من الدّنيا تخافُ عليه أكل
فهذا المطبخ استوثقتَ منه ... فما بالُ الكنيفِ عليهِ قفلُ
ولكن قد بخلتَ بكلِّ شيءٍ ... فحتى السلح منكَ عليك بخل

وأنشدنا: وإنَّ لهُ لطباخاً وخبزاً ... وأنواعَ الفواكهِ والشراب
ولكن دُونَه حبسٌ وضربٌ ... وأبوابٌ تطابقُ دُونَ باب

---

(١) فى ديوان ابن الرومى المخطوط «لتفريق». (٢) في النسخ «يقتر».

يذودونَ الذُّبابَ بمرٌّ عنه ... كأمثالِ الملائكةِ الغضاب

وقال الخليل بن أحمد :

لا تعجبنَّ لخيرٍ زلَّ عن يدهِ [1] ... فالكوكبُ النحسُ يسقي الأرضَ أحيانا

وقال أبو تمام :

صَدَّقْ أليَّتَه [2] ان قال مُجتهداً ... «لا والرغيفِ» فذاك البر من قسمه
وان هممتَ به فافتكْ بخبزته ... فان موقعها من لحمِه ودمه
قد كانَ يعجبني لو أنَّ غيرتهُ ... على جرادقةٍ كانتْ على حرمه

وقال آخر : يَزْدادُ لؤماً على المديح كما ... يَزدادُ نتنُ الكلابِ بالمطر

وقلت : خُبزُ الأميرِ عشيَّةً ... يغدُو عليهِ يُلاعبه
وإذا بدَا لجليسهِ ... أفضى إليه يعاتبه
وتحوطُه أحراسُه ... وتذبُّ عنه كتائبه
فالزورُ يصفعُ عنده ... والضيفُ ينتف شاربه

وقال آخر: فتى لرغيفهِ فرط وشغف ... واكليلانِ من دُرٍّ وشذر
إذا كسر الرَّغيف بكى عليهِ ... بكا الخنساءِ إذ فجعتْ بصخر
ودونَ رَغيفهِ قلعُ الثنايا ... وحَرْبٌ مثل وقعةِ يوم بدر

وقال آخر: إنَّ هذا الفتى يصون رغيفاً ... ما إليه لآكلٍ [3] من سبيل
هو في سفرتين من أدمِ الطا ... ئف في سلتين في منديل
خُتمتْ كلٌّ سلة برصاص ... وسيورٍ قددنَ من جلد فيل
في جرابٍ في جوفِ تابوتِ موسى ... والمفاتيحُ عندَ ميكائيل

وقلت : لنا سيدٌ واحدٌ ماجدٌ ... يقتل في الجود آباءَه
لئيمٌ إذا جاءهُ طارقٌ ... فقد جاءَه كلٌّ ما ساءه

---

(١) فى الاصل غير منقوطة . (٢) أى قسمه .

(٣) في العقد الفريد « لناظر » وفى الأصل تصحيف صححناه من العقد .

وهل يطمعُ الناسُ في خبزه إذا كان يمنعهم ماءَه
فما ولغ الكلب في لؤمه لما زال يقذفُ أمعاءَه

وسمعت عن أبي حفص يقول قال جعفر بن محمد العسكرى أبلغ ماقاله محدث في البخل قول بعضهم :

الحابس الرَّوْثَ في أعفاج بغلته خوفاً على الحبِّ من لقطِ العصافير

وأجود ماقيل في البخل قول بعضهم :

وعدت فأكدت المواعيد بيننا وأقامت إقلاع الجهام بلا وبل
وأجررت لي حبلا طويلا تبعته ولم أدر أنَّ اليأسَ في طرف الحبل

وقال أبو نواس :

رأيتُ قدور الناس سوداً من الصلى[1] وقدر الرَّقاشين زهراء كالبدر
يُبيتُها للمعتفى بفنائهم ثلاثا كنقط الثاء من نقط الحبر
إذا ماتنادوا للرَّحيل سعى بها أمامهمُ الحوليّ من ولد الذر
ولو جئتها ملأى عبيطاً[2] مجزراً لأخرجت مافيها على طرف الظفر

غيره: يحصنُ زَاده عن كلِّ ضرس ويعمل ضرسه في كلِّ زاد
ولا يَرْوِى من الآداب[3] شيئاً سوى بيت لأبْرَهَةَ الايادى
قليلُ المالِ تُصلحهُ فيبقى ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد

وقلت في مثله :

يطعمُ دُونَ الشبع أولادَهُ ويختمُ البُرْمَةَ والجفنه
لم يَرْوِ إلا خبراً واحداً قد تَذْهبُ البطنةُ بالفطنة

وقال آخر: ظلمتك اذ سألتك ماءَ كرم وماءُ الكرم للرَّجلِ الكريم

وقلت : لك بُرْمَةٌ نَزَّهتها من أن تدَنسَ بالدَّسَمْ
بيضاءَ يُشرِقُ نورُها كالبدرِ في غَسقِ الظلم

---

(١) الصلى بالكسر: النار. (٢) لحم عبيط : أى صحيح طرى. (٣) في رواية «الاشعار»

لو كانَ عرضُك مثلها كنتَ المُمَدَّح في الأُمم
أو كانَ فعلك مثلَ قو لك كنتَ تاريخَ الكرم

ومن أبخل بيت قيل :

وما رَوَّحْتَنا لتذبَّ عنا ولكن خفتَ مرزئةَ الذباب

وقال أبو نواس يصف قدراً :

يغصُّ بحلقوم الجرادةِ صدرها وينضحُ مافيها بعود خلال
وتغلى بذكرِ النارِ من غير حرِّها وتنزلها عفواً بغير جعال (١)
هي القدرُ قدرُ الشيخ بكر بن وائل ربيع اليتامى عام كلِّ هزال

وقال ابن الرومي :

رأى البخلَ طباً فهو يحمى ويحتمى فلستَ ترى في بيته غير جائع

ومن أجود ماقيل في زيادة البخل والشح مع زيادة المال قول ابن الرومى :

إذا غمرَ المالُ البخيلَ وجدْته يزيد به يبساً وان ظنّ (٢) يرطب
وليس عجيباً ذاك منهُ فانّهُ اذا غمرَ الماءُ الحجارةَ تصلبُ

وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند . وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبى طاهر :

رغيفك في الحجابِ عليه قفل وحراسٌ وأبوابٌ منيعه
رأوا في بيتهِ يوماً رغيفا فقالَ لضيفه هذا وديعه

وأنشدنا عنه :

له حاجبٌ دونهُ حاجبٌ وحاجبُ حاجبهِ مُحتجب

وقال أبو تمام :

لاتكلفنَّ وأرضُ وجهك صخْرَةٌ في غيرِ منفعةٍ مؤونةَ حاجب

---

(١) في الأصل « جفال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال : الجعال بالكسر : خرقة ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يبساً وان ظن) فاستدركناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر: لاتتخذْ باباً ولا حاجباً ... عليك من وجهك حُجّابُ

وأنشدنا: أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة ... فركوبه ظهرَ المنابرِ أعجبُ

وعجبت أن جعل ابن حزم حاجبا ... سُبحانَ من جعلَ ابنَ حزم يحجب

وقال آخر: إحتجب الكاتب فى دَهْرِنا ... وكان لايحتجبُ الحاجب

القومُ يخلون بحجابهم ... فينكحُ المحجوبُ والحاجب

وقال آخر وأحسن:

وصاحبٌ أسرفتُ فى مدحه ... وبخلهُ يُسرعُ تكذيبي

حجابهُ ألزمنى منزلى ... وبخلهُ أحسنَ تأديبي

وقلت فى معناه:

مدحت فلم تصدق ولم تك مُذنبا ... ولكنّ دهراً لم يساعدك مذنب

وما الجهلُ إلا أن تقرّظَ معشراً ... خلائقهم يَشهدْنَ انك تكذب

وأنشدنا أبو أحمد:

لاخيرَ في صاعدٍ فأذكرُهُ ... والخيرُ يأتيك من يدى عمر

ليسَ لهُ ماخلا اسمهِ نسبٌ ... كأنّهُ آدمٌ أبو البشر

ومن أظرف ماقيل فى هذا الباب قول ابن الرومى:

لك وجهٌ كآخر الصكّ فيهِ ... لمحاتٌ كثيرة من رجال

كخطوطِ الشهودِ مشتبهاتٍ ... معلماتٍ أن لستَ بابن حلال

وقلت: إن كانَ شكلك غير مُتفق ... فكذا خلالك غيرُ مؤتلفة

من عصبةٍ شتى إذا اجتمعوا ... شبهت داركم به عرفه

صورتَ من نطف قداختلفت ... فأتتْ خلالك وهى مختلفه

فورِثتَ من ذا قبحَ منظرهِ ... وورثت ذاك خناه(١) أو صلفه

عيرتنى أنْ رُحتُ فى سَمل ... والدرُّ لاتزرى به الصدفه

(١) فى الأصل غير منقوطة.

وأجود ماقيل فى عظم الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حسان :

* جسم البغال وأحلام العصافير * وقال ابن الرومي :

طولٌ وعَرْضٌ بلا عقلٍ ولاأدبٍ ... فليسَ يحسنُ إلاوهو مَصْلوبُ

وقال وأحسن :

إذا فقتَ الذَّميمَ بحسن جسمٍ ... فلا يسبقك بالشيم الشريفة

فيصبح أفضلَ الرجلين نفسا ... وتصبح أعظمَ الرجلينِ جيفه

وأنشدنا أبو أحمد أنشدنى ابن لنكك لنفسه :

إثنان لم ينكرهما منكرٌ ... بغضُ أبى إسحقَ والموت

ويدعى العلمَ على أنهُ ... قد طارَ بالجهلِ لهُ الصوتُ

لا يلتقى والعلم فى مجلس ... أو يلتقى الادراكُ والفوتُ

وكتب ابن العميد :

وليت شعرى بأى حلى تصديت له وأنت لو توجت [1] بالثريا وتمنطقت بالجوزاء وتوشحت بالمجرة وتقلدت قلادة الفكة ما كنت إلا عطلاً ولو توضحت بأنوار الربيع الزاهر وشدخت فى جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح ثوباً وخضت أوضاح النهار خوضاً ما كنت إلا غفلا .

وأبلغ ماقيل فى صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبى حفص عن جعفر :

وثقيل أشدّ من غصص المو ... تِ ومن زفرةِ العذابِ الأليم

لوعصتْ ربَّها الجحيمُ لما كا ... نَ سواهُ عقوبةً للجحيم

وأبدع ماقيل فى هذا المعنى قول بشار :

ربما يثقلُ الجليسُ وإن كا ... نَ خفيفاً فى كفَّةِ الميزان

ولقد قلت حين طلّ على القو ... م [2] ثقيلٌ أربىَ على ثهلان

---

(١) في الأصل «توجهت» . (٢) في الأصل «ولقد قلت حين فى الأرض» وفي العقد الفريد «ولقد قلت إذ أطل على القوم» . وفيه «أباعمران» بدل «أباسفيان» .

كيف لم تحمل الأمانة أرض   حملت فوقها أبا سفيان

أخذه ابن الرومي فقال:

أنتَ فضلٌ وفضلةُ الشيء لغوٌ   ثم أردفتَ ذلةَ التصغير
حُقِّرَ الفضلُ ثم صُغِّرْتَ عنهُ   زادك اللهُ ياصغيرَ الحقير
ثم عَرَّجْتَ فاحتوالك انتقاصٌ   في اسم سوء وجسم سوء ضرير
ثم بردتَ فانتصفت من النا   ر ببردٍ يربى على الزمهرير
فقبولُ النفوس إياكَ عندى   آيةٌ فيك للطيفِ الخبير
إنَّ قوماً أصبحتَ تنفقُ فيهم   لعلى غاية (١) من التسخير
أو أناس غدوا وراحوا من الظَّرْ   فِ على حالةِ الفقير الوقير
فمتى ظفروا بزور ظريفٍ   أعجبتهم زخارفُ التزوير
كالأعاريب لم يروا درمك البـُرِّ   فهم يعظمونَ خبزَ الشعير
وكذا القومُ لم يروا لجة البحـــرفهم يكبرونَ ماء الغدير
ياثقيلاً على القلوب خفيفاً   فى الموازين دونَ وزن النقير
طر سخيفاً وقع مقيتاً فطوراً   كسفاة وتارةً كشبير

وله: وثقيل نسبحانهُ من ثقيل   وتعالى عن كلِّ مثلٍ وندٍّ
حمل الله أرضه ثقليها   وعلاها بثالث من أدِّ

وأجود ماقيل في تباعد الأشباه من الأقرباء (٢) ماأخبرنا به أبو أحمد عن الصولى قال سمعت المبرد يقول لم يقل فى تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول ابن أبي عيينة يهجو خالد بن يزيد المهلبي ويمدح أباه فى كلمة:

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضله (٣)   وأنتَ جرادٌ ليس يبقى ولا يَذَرْ
له أثرٌ فى المكرماتِ يسرُّنا   وأنت تعفي دائماً ذلك الأثر

---

(١) فى ديوان ابن الرومى المخطوط «لعلى خطة» وفى الأصل نقص كلمات إستكملناه من الديوان. (٢) فى نسخة « القرناء ». (٣) فى الأغانى (يعاش بوبله).

لقد قنعت قحطان خزياً بخالد ... فهل لك فيه يخزك الله يا مضر

فسمع المهدى بيته هذا فقال بل تكرمون وتؤثرون . وله فى مثل ذلك يقول فى قبيصة بن روح بن حاتم يفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :

أقبيص لست وإن جهدت ببالغ (١) ... سعى ابن عمك فى الندى داود (٢)

شتان بينك يا قبيص وبينه ... إن المذمم ليس كالمحمود

داود محمود وأنت مذمم ... عجباً لذاك وأنتما من عود

ولرب عود قد يشق لمسجد (٣) ... نصفاً وسائره لحش يهود (٤)

وقلت فى خلاف ذلك :

كم حاجة أزلتها ... بكريم قوم أو لئيم

فاذا الكريم من اللئيـ ... ـم أو اللئيم من الكريم

سبحان رب قادر ... قدر البرية من أديم

فشريفهم ووضيعهم ... سيان فى شرف ولوم

قد قل خير غنيهم ... فغنيهم مثل العديم

وإذا اختبرت حميدهم ... ألفيته مثل الذميم

لا (نفع فيه) (٥) للصغيـ ... ـر من الأمور ولا العظيم

أنظر الى كبر الجسو ... م ولا تسل رفع الجسيم

وقالوا أنصف بيت قيل فى الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

---

(١) فى الأغانى (بمدرك) . (٢) في الأغانى (ذي العلا داود) .

(٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدركناها من الأغانى .

(٤) فى النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغانى .

(٥) فى النسخ بياض ولعله سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو ما يقاربها وزناً ومعنى .

يقوله فى أبي سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :

أبوك أبٌ حرٌّ وأمك حُرَّةٌ وقد يلد الحرَّانِ غيرَ نجيب

فلا يعجبنَّ الناسُ منك ومنهما فما خَبَثٌ من فضةٍ بعجيب

وأخبرنا أبو على بن أبي حفص أخبرنا جعفر بن محمد قال أهجى ماقالت العرب قول الشاعر :

فصبراً على ذلّ ربيع بن مالك وكلُّ ذليل خير عادته الصبر

تحالفكم فقرٌ قديمٌ وذلة وبئسَ الحليفان المذلةُ والفقر

. . . . .

ومن غير هذا الفن ماأخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرح سمعتى أبو دلف أنشد :

لايمنعنك خفضُ العيشِ في دعَةٍ نزوع نفسٍ إلى أهل وأوطانِ

تلقى بكلّ بلادٍ إنْ حللتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ .

فقال هذا ألأم بيت قالته العرب . والنزوع ههنا رديء والجيد النزاع ، وانما جعل هذا البيت أبو دلف ألأم بيت قالته العرب لانه يدل على قلة رعاية وشدة قساوة ، وحنين الرجل الى وطنه من المناقب التي يعتد بها ويمدح لأجلها لما فيه من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكماء : حنين الرجل الى وطنه من علامات الرشدة . وقال بزرجمهر : من علامات العاقل بره باخوانه وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه ، وقال أعرابى : لاتشك بلداً فيه قبائلك ولا تجف أرضاً فيها قوابلك . وقالت العرب : أكرم الخيل أشدها جزعاً من السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس آلفهم للناس .

وقلت : إذا أنالاأشتاقُ أرضَ عشيرتى فليسَ مكانى فى النهي بمكين

من العقل أن أشتاقَ أوّلَ منزل غنيتُ بخفضٍ في ذراه ولين

وروض رعاهُ بالأصائلِ ناظرى وغصن ثناهُ بالغداةِ يمينى

وإنّى لاأنسى العهودَ إذا أتتْ بنات النوى دونَ الخليطِ ودونى
إذا أنا لم أرْعَ العهودَ على النوى فلست بمأمونٍ ولا بأمين

وسنذكر من هذا الباب طرفاً فيما بعد ان شاء الله تعالى [١] . ومما لاتكاد تجد أجود منه فى معناه ماأخبرنا به أبو أحمد عن الصولى قال دخل بعض الشعراء على بعض الأمراء ببرقعيد [٢] فجعل ينشده وجعل الأمير يعاتب جارية بين يديه ولا يسمع منه فخرج وهو يقول :

أدبٌ لعَمرُكَ فاسدٌ مما تُؤَدِّبُ بَرْقعيد
مَنْ ليس يعرف مايزيدُ فكيفَ يَعرفُ [٣] مانريد
منْ ليسَ يَضبطهُ الحديدُ فكيفَ يضبطهُ القصيد [٤]
مالى رأيتك مرسلاً أينَ السلاسلُ والقيود
أغلا الحديدُ بأرضكم أم ليسَ يصطك الحديد

وقلت فى المعنى الذى تقدم :

قلَّ خيرُ ابن قاسمٍ ففناهُ كعدمه
كادَ منْ خشية القرى يختبى فى حِرامه
جازَ في اللؤم حَدَّهُ كأبيه وعمه
كاد يعديك لؤمُهُ لو تسميتَ باسمه

وقلت: قرانا بقولاً إذ أنخنا ببابهِ فأصبحَ فينا ظالماً للبهائم
وقفنا عليه الرَّكبَ نسألهُ القرى ونحن على أعناق أغبر [٥] قائم

---

(١) وذلك في « القول في الحنين إلى الأوطان في الجزء الثانى ص ١٨٦» .
(٢) بليدة في طرف بقعاء الموصل . (٣) في معجم البلدان (يدرى) مكان (يعرف) . (٤) هذه الأبيات الثلاثة هى التى ذكرت فى معجم البلدان ، وأما البيتان الآتيان فلعلهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلكان في ترجمة يوسف البيامى . (٥) فى الأصل هنا (أعير) وسيأتى فى موضع آخر (أغبر) .

فصامَ وصوم الليلِ ليس بجائز ... وان جازَ في فقه [١] اللئام الاشائم

أجازَ صيامَ الليل حين استفزّهُ ... تعاورُ ضيفٍ فى دُجى الليلِ حائم

فبتنا أديمَ الليلِ نطوى على الطوى ... كأنا على غبراءَ من ظهر واشم

وأطعمنا لما مرقنا [٢] من الدُّجى ... دحاريجَ لاتنساقُ في حلق طاعم

مُدَوَّرَةً سودَ المتون [٣] كأنها ... خصى الزّنج لاحت تحت فيش قوائم [٤]

فأبشارها تحكى بطونَ عقاربٍ ... وارؤسها تحكى أنوفَ محاجم

ومن أعجب الهجاء هجو الرجل نفسه وهو مارويناه للحطيئة ثم قال ديك الجن :

أيها السائلُ عنى ... لستَ بى أخبرَ منّى

أنا إنسانٌ برانى الله في صورةِ جنى

بل أنا الاسمجُ فى العيــــن فدَع عنكَ التظنى

أنا لا أسلم من نفــــسى فمن يسلم منى

وهجا أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجل وعده أبو نواس وعداً ثم مطله :

وأحوس [٥] ولاجٌ علىَّ ورائحٌ ... رجاءَ نوال لو أعين [٦] بجود

زَوَيتُ [٧] له وجهاً قطوباً عن الندى ... وأيأستهُ من وعدهِ بوعيد [٨]

فان كنتَ لاعن سوء فعلك مقلعاً ... فدونك فاستظهر بنعل حديد

فمنديَ مطلٌ لايطير غرابه ... مطير ولا يدعى له بوليد

ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومى :

منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبرِ ... لشرّ منتظر ياشرَّ منتظر

---

(١) فى الأصل (نقد) مكان (فقه) الواردة فيما سيأتى .

(٢) في الأصل (فرقنا) . (٣) يريد الباذنجان . (٤) فى الأصل (قيس) .

(٥) في ديوان أبى نواس (وأخوس) بالخاء المعجمة ، ولعل مافي الأصل هو الأقرب . (٦) فى ديوان أبى نواس (لويعان) . (٧) فى الديوان (قطبت له) .

(٨) في الديوان (من نائل بوعيد) .

أنتَ اللئيم فان تصبر فمن قحة … على الهوان وإن تجزع فمن خور

رأيت عيبك شعرى حين تأمله … شبيه عضّ أخيك الكلب للحجر

فانظر إلى الكلب مرمياً لتعلم أن … لم تترك شبهاً منه ولم تذر

وقال ابن الزمكدم :

وليلٍ كوجهِ البرقعيدىّ ظلمة … وبرد أغانيه وطول قرونه

سريت ونومى فيه نومٌ مشرَّدٌ … كعقل ابن هرون ورقة دينه (١)

على أولق فيه اختبالٌ (٢) كأنه … أبو جابر فى خبطه وجنونه

ومن أبلغ ماقيل فى الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :

ولو أنها عصفورةٌ لحسبتها … مسوَّمةً تدعوا عبيداً وأزلما

أى لو رأيت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلا مسومة، ومثله قول عروة بن الورد:

وأشجع قد أدركتهم فوجدتهم … يخافون خطف الطاير من كلّ جانب

ومثله قول الآخر :

مازلت تحسب كلّ شىء بعدهم … خيلاً تكرُّ عليهم ورجالا

وقال أبو تمام :

موكل بفضاءِ الارضِ يشرفه … من خفة الخوف لا من خفة الطرب

وأبلغ ماقاله محدث فى ذلك قول ابن الرومى :

وفارس أجبن من صفره … يحول أو يعور من صفره

لو صاح فى الليل به صائحٌ … لكانت الأرض له طفره

يرحمه الرحمن من جبنه … فيرزق الجند به النصره

وقال فى سليمان بن عبدالله بن طاهر:

قرنُ سليمانَ قد أضرَّ به … شوقٌ إلى وجهه سيدنفه

لا يعرف القرن وجهه ويرى … قفاه من فرسخ فيعرفه

---

(١) في معجم البلدان (كعقل سليمان بن فهد ودينه). (٢) فى المعجم (فيه الهباب).

وقال فيه : هو الأسد الورد فى قصره   ولكنه ثعلب المعركة

ومن ظريف ماجاء في ذلك قول أبي الغمر هرون بن محمد من أهل آمل خرج عليه اللصوص فسلم اليهم متاعه وهرب : أنشدناه أبو أحمد عن الانبارى :

طلّت تشجعنى ضلاً بتضليل   وللشجاعة خطبٌ غير مجهول
هاتى شجاعاً بغير القتل مصرعه   أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً تكفل لى   بالنصر ماخاطرت نفسى لجبريل
إسمع أحدثك عن بأسى شكر؟   خلاف بأس المساعيز البهاليل
لما بدت منهم نحوى ؟   تسرع الذعر فى عرضى وفى طولى
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدى   وانصعت أطوى الفلاميلا إلى ميل
الله خلصنى منهم و ؟   حتى تخلصت مخضوب السراويل

وهذا خلاف ماقاله المتنبي :

وإذا لم يكنْ من الموت بدٌّ   فمن العجزِ أن تموتَ جبانا

وقال سعيد بن العاصى حين هرب مروان بن محمد :

لجَّ الفرارُ بمروانٍ فقلتُ لهُ   عادَ الظلومُ ظليماً همُّهُ الهربُ
أنى الفرار وترك الحربِ إذ كشفت   عنك الهوينا فلا دينٌ ولا حسبُ
فراسه الحلم فرعون العذاب وان   تطلبْ نداه فكابٌ دونهُ كلبُ

فشبهه بالنعامة فى الجبن وهو من أنفر الحيوان . وقال بعض العرب :

نِفرِجةٌ ينفرُ من ظلِّ الشجرْ   فؤادُهُ أنثى وضرسه ذكر

والنِّفرِجة الجبان . ومن جيد ماقيل فى النظير قول بعضهم :

الكوكب الذنبيُّ يخبر بالعجائبِ بعد سبعه
خلعوا عليه وبجلو   ه وصار فى عزٍّ ومنعه
وكذاك يُفعلُ بالجذو   ر لنحرها في يوم جمعه

وقريب منه : وزارة العباس منكوسةٌ   تقتلع الدّولة من أسها

كأنه حين غدا راكباً في خلعة يعجزُ عنْ لبسها
جاريةُ السوء إذا جربت ثيابَ مولاها على نفسها

وأكسل ما سمعناه ماأنشدناه أبو أحمد عن ابن عماد عن سليمان عن يحيى بن سعيد الأموى لبعضهم :

سألت الله أن يأتى بسلمى وكان اللهُ يفعل مايشاءُ
فيأخذها ويطرحها بجنبي ويرقدها وقد كشفَ الغطاء
ويأخذنى ويطرحنى عليها ويرقدها وقد قضىَ القضاء
ويرسل ديمةً سحا علينا فيغسلنا ولا يلقى عَناء

أخبرنا أبو أحمد عن أبي عمر عن ثعلب قال قلت لابن الأعرابى من أحمق الأعراب ؟ قال أعرابى سبق الناس الى الموسم وجعل يدعو الله لحاله وشأنه ويقول : اللهم اقض حاجاتى قبل أن يدهمكَ الوفد . قال ثعلب أفلا أدلك على أحمق منه الذى يقول :

خلقَ السماءَ وأرضَه فى ستة وأبوكَ يمدد حوضه فى عام

وسألنى بعض الأدباء من أهل البصرة فقال أى الشعراء أشد حمقاً ؟ قلت الذى يقول:

أتيهُ على إنس البلاد وجنّها ولو لم أجِدْ خلقاً لتهتُ على نفسى
أتيه فلا أدرى من التيهِ من أنا سوى مايقول الناس فىَّ وفي جنسي
فان صدقوا أنى من الانس مثلهم فما فىَّ عيبٌ غيرَ أنى من الانس

فقال ما عدوت ما فى نفسى . وقال بعضهم لابنه إياكَ والكبر وكيف الكبر مع النطفة التى منها خلقت والرحم التي فيها حملت والغذاء الذى به غذيت .

ومن بليغ ماجاء في ذم الكبر قول بعضهم : التواضع مع السخافة والبخل أحمد من السخاء والأدب مع الكبر والعجب . وقلت فى مثل هذا :

وعندَهمْ مُذنبٌ مُنيبٌ أحمد من محسن مدلّ

وأبلغ ما قيل في صلابة الوجه قول الأعرابي : لو دق بوجهه الحجارة لرضها

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلافك لم يكن ليكون إلا مشجباً في مشجب
ياليتَ لى من جلد وجهك رقعة فأقدّ منها حافراً للأشهب

والبيت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيته وجدت (لا) .

وقد أحسن ابن أبي العتاهية فى قوله :

قتلتْ (لا) فانها خلعتْ خلعةَ العدم[1]
فهى تستهلك الجميـــل وتأبى على الكرم

وقول أبي تمام :

وسابح هطل التعداء هتّان على الجزاء آمين غير خوان
أظمى الفصوص ولم تظمأ قوائمه فخل عينيك فى ظمآن ريان
فلو تراه مسيحاً فى الحصى ريم تحت السنابك من مثنى ووحدان
أيقنت ان لم تثبت أن حافره من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلاً ويهجو عثمان هذا :

عثمان لاتلهج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضهُ
بذْلك كله امساكه ويفوتُ بسطك فى المكارم قبضه
وكأن عرضك فى السهولة وجهه وكأنَّ وجهك فى الحزونة عرضهُ

وقال أبو الشمقمق :

صلابةُ الوجه سلاحُ الفتى ورِقّةُ الوجه من الحرفه
من كانَ صلباً وجههُ محكماً فأنت منــه الدّهر فى طرفه

ومن أبخل ماقاله محدث قول ابن طباطبا الأصبهانى يخاطب غلامه :

إجعل الزّوجَ من سراجك فردا واقتصد ياغلامُ والقصد أجدى

---

(١) فى الأصل (الحلم) .

إن يكنْ فقدك الضياء رديئاً … فاقتصادى للزر أردى وأردى

وقد غير هذا البيت فى وجوه الأبيات المقولة في البخل .

ومن أملح ماقيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :

إذا ماجئتَ أحمدَ مستميحا … فلا يغررْك منظرهُ الأنيقُ
لهُ خلقٌ وليسَ عليهِ خلقٌ … كبارقةٍ تروق ولاتريق

وممن ملح فى الدعوة رزين العروضى :

لقد جئت ياابنَ أبى تبّع … بأمِّ الدَّواهى لدى المجمع
حلفتَ بأنك[1] من حميرٍ … وليس اليمين على المدَّعى

وملح أيضاً فى قوله :

إن فخرَ الناسُ بآبائهم … أتيتهمْ بالعجب العاجب
قلتَ وأرغمت أباً خاملاً … أنا ابن أخت الحسن الحاجب

ومن أملح ماقيل فى إفشاء السر قول بعضهم :

أودَعتُهُ السرَّ فألفيتهُ … أنمَّ منْ كأسٍ على راح

وقال السرىُّ :

تثنى عنك فاستشعرتَ هجرا … خلالٌ فيك لست لها براض
وانك كلما استودِعْتَ سِراً … أنمّ من النسيم على الرِّياض

وقد أحسن كعب بن زهير غاية الاحسان فى قوله :

ولاتمسك بالعهد الذى عَهدَتْ … إلا كما يمسك الماءَ الغرابيل

وأخذه الحطيئة فقال :

أغربالاً إذا استودعتِ سِراً … وكانوناً على المتحدِّثينا

والكانون: الرجل الثقيل ، قال الشاعر :

ليتَ الكوانينَ فى زبل معلقة … تحتَ الثريا بحبل ثم ينقطع

(١) فى الأصل «حلفت بآبائك» .

وقد مر فيما تقدم بيت الحطيئة .

ومدح ابن الرومي ابن المدبر [(١)] فردمديحه فقال فيه :

رَدَدْتَ عليّ مدحى بعد مطل وقد دَنَّسْتَ ملبسه الجديدا
وقلت امدح بـه من شئتَ غيرى ومن ذا يقبل المدحَ الرَّدِيدا
ولاسيا وقـد أعلقتَ [(٢)] فيـه مخـازيك اللواتى لن تبيـدا

ثم أخنى عليـه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه الريح بالاهواز ضربة في وجهه مدحه بها البحترى مدحاً كثيراً فمن ذلك قوله :

ووجهٌ ضمان البشر فيه موقفٌ على النجح والحاجاتُ تترى عجالها
به من صفيح الهند وشمٌ تبينهُ صفيحةُ وضّاح يروق جمالها
متى ربدتها عزةٌ أو حفيظةٌ أعيد اليها بالسؤال صقالها
متى ترَها يوماً عليها دليلها تعجبك من شمس عليها هلالها

وذكرها ابن الرومى فأفحش في قوله :

بوجه أبى اسحق صدعٌ كعرضة له قصةٌ غير الذى هو يظهر
يخبر عنه أنه أثر ضربة ببعض سيوف الزَّنج حينَ يخبر
وماضربتهُ الزَّنجُ في الوجهِ بل رأى أبورهمُ فانشقَّ في وجههِ حرُ

في أبيات سخيفة فطلبه ابن المدبر أشد الطلب فلما ظفر به وأراد قتله أنشأ يقول:

حقَّكَ الصفحُ عن ذُنوبى وحقى أنَّ قتلى مُحَلَّلٌ لكَ طلقُ
فاعفُ عن عبدكَ المسىءِ ولا تبطلْ بما يستحقُّ ماتستحقُّ

فعفا عنه وأجازه . وقال يهجو بخيلاً :

نعماكَ عنـدى التى أقرُّ بها انك أصبحتَ لى من الغيرِ
وحبك الذمَّ لائقٌ بك ما أشبهَ خطم الخنزير بالقذر
أبديتَ فى أولياتِ لؤمك ما قذرتَ فى أخرياتهِ الآخرِ

---

(١) فى دائرة المعارف للبستانى (ابن المهدى). (٢) في الأصل (أعبقت) .

كالقطرانِ الذى يرى أبداً في رأسهِ مااقتنى من العكر

وهو من قول الناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن تجعل المعنى الدنىء رفيعاً والمعنى الرفيع وضيعاً . ومثل قول ابن الرومى قول الديلمى :

فى أوانِ الشبابِ عاجلنى الشيبُ وهذا من أوّل الدّنّ دُردى

وليس هذا بالمختار لابتذال لفظه . وقلت فى بخيل :

قفعَ البردُ ضيف عمرٍو فأضحى مثلَ من فيه ياأخى زمانه
بات للبرد في طهارةِ سوء ومن الجوع والطوى في بطانه
وهو قدماً للضيف جُوعٌ وقرٌّ ولمولاهُ ذِلّةٌ ومهانه
جمع الرأس بين رأسه ورجلى فكأنى فى بيته أرسانه ؟

وقلت : ضفت عمراً فجاءنى برغيف زادنى أكلهُ على الجوع جوعا
ثمّ ولى يقولُ وهو كئيبٌ لهف نفسى على رغيف أضيعا
كانَ خداعةَ الضيوفِ ولكنْ رُبما أصبحَ الخدوعُ خديعا
كنتُ أنزلته محلاً رفيعاً فغدا ذلك الرفيعُ وضيعا
عجباً منه إذ أتيحَ هجاهُ كيفَ لم يمتنع وكان منيعا

(اتفاق الأسماء والألقاب وتباعد مابينها فى الأخلاق)

قال الأوّل في ذلك :

يزيد الخير إنّ يزيد قومى سميك لايزيدُ ولاتزيد
يقودُ عصابةً وتقودُ أخرى فيرزق من يقودُ ومن تقودُ
شبيهك فى الولادَة والتسمي ولكن لايجودُ كما تجود

ومثله : عليٌّ وعبدُ اللهِ بينهما أبٌ وشتانَ مابين الطبائع والفعلِ
ألم ترَ عبدَ الله يلحى على الندى عليّاً ويلحاهُ عليٌّ على البخل

ومثله : فانْ يكُ نَجْرانا إلى جمع نسبة ففى الرأى والأخلاقِ مختلفان
ومأأنتَ مثلى في مقام أقومُهُ لدى البأس إلا أننا أخوانِ

آخر: لئن وصلتْ أُبوَّتنا انتساباً لقد قطعتْ مرارتنا العقولُ
أبوكَ أبي وأنت أخي ولـكنْ تباينت الطبائعُ والشكولُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قال لنا المـكتفى بالله يوماً ماأهتـك بيت من الشعر وأفجر قائل أتعرفونه ؟ فقال يحيي بن على المنجم قول أبى نواس:

ألا فاسقنى خمراً وقلْ لى هى الخمرُ ولاتسقنى سِراًّ إذا أمكن الجهرُ

فقلت له ان المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا اسقنى خمراً ، ولـكن الحسين بن الضحاك الخليع قد قال ماهو أهتك من هذا قال وماهو ؟ فأنشدته :

أتبعتُ سُـكراً بسكر وابتعتُ خمـراً بقمر

فقال هذا لعمرى أهتـك من ذاك . قال أبو هلال رحمه الله تعـالي : وأبلغ الهجاء مايكون بسبب الصفات المستحسنة التى تخص النفس من الحلم والعلم والعقل وما يجرى مجرى ذلك ، وليس الهجاء بقبح الوجه وضؤولة الجسم وقصر القامة ومافي معنى ذلك بليغاً مرضياً ؛ وينبغى أيضاً أن يتضمن الهجاء والمديح من نعوت المهجو والممدوح وأسمائهما وصفاتهما ماهما مشهوران به فاذا ذكر لم يخفيا .

أخبرنا أبوأحمد عن أبى بكر بن دريد عن أبي عثمان [1] عن التوزى عن أبي عبيدة قال مدح مصعب بن عمير الليثى عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال [2]:

سيروا فقد جن الظلام عليـكمُ فبئس امرؤ يرجو القرَى عندَ عاصم
دفعنا اليهِ وهو كالرخ خاطباً [3] فشدَّ على أكبادنا بالعمائم
ومالىَ من ذنبٍ اليهِ علمتهُ سوى أننى قد جئتهُ غير صائم
فلولا يدُ الفارُوق عندى رميتهُ بقافيةٍ يحدى بها في المواسم

---

(١) (أبى عثمان) غير موجودة فى الأصل فزدناها إعتماداً على ماورد فى أسانيد الـكتاب فى غير هذا الموضع . (٢) ذكر صاحب الاغاني ثلاثة أبيات منها منسوبة للحزين باختلاف في بعض الألفاظ . (٣) فى الاغانى « كالتيس طاعماً » .

فليتك من جرْم بن زبانَ أو بنى   نعيم أو النوكى أبان بن دارم

أناسٌ إذا ما الضيفُ حلَّ بدارهم   غدا جائعاً غرثان ليس بناعم

فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكثر من يسمى عاصما حتى يقول : عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال :

جنبتها عاصماً منْ أنْ تلمَّ به   أعنى ابنَ عمرو بن عثمان بن عفانا

إذا أناختْ به الضيفانُ طارقة   جاءتْ بنوهُ إلى الضيفان ضيفانا

فبلغه ذلك فقال: الآن طوقنى بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى . وقال بعضهم:

أرى ضيفك فى الدار وكرْبُ الموت يغشاهُ   على خبزك مكتوبٌ سيكفيكهمُ الله

وقال بشار (١):

وضيفُ عمرو وعمروٌ يسهران معاً   عمرو لبطنته والضيفُ للجوع

آخر: نوالك دونهُ خرطُ القتاد   وخبزك كالثريا فى البعاد

ولو أبصرتَ ضيفاً فى المنام   لحرَّمتَ المنامَ إلى التناد

أرى عمرَ الرغيف يطولُ جدّاً   لديك كأنهُ من قوم عاد

وما أهجوك أنك كفء شعرى   ولكنى هجوتك للكساد

وقال آخر: رأى الصيفَ مكتوباً فظنَّ لبخله   وتصحيفه ضيفاً فقامَ يواثبه

ورأيت فى ألفاظ هذا البيت زيادة فقلت:

قد كانَ للمال ربا فصار فى البخل عبدَهْ   وصحفَ الصيفَ ضيفاً فقامَ يلطمُ خده

وقال أبو نواس: * على خبز إسماعيل واقيةُ البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثنى محمد بن عمران بن مطر الشامى حدثنى خالى الحسن ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبى سهل فى صحن داره فاضطحبنا أربعين يوماً ومعنا أبو نواس فبلغت نفقته أربعين ألف درهم فقال أبو نواس بعد ذلك فيه :

خبزُ إسماعيل كالوشـــى إذا ماشقّ يرفا

---

(١) من المولدين ، كان رقيقاً ضريراً ، اتهم بالزندقة فضرب حتى مات .

عجباً من أثر الصنْـــعةِ فيه كيفَ يخفى
إنَّ رفاءك هذا ألطف[١] الأمة كفا
فاذا ألصق بالنصـــف من الحروف نصفا[٢]
ألطف الصنعة حتى ماترى مطعن أشفى[٣]
مثل ماجاء من التـنـــور ما غادر حرفا
ولهُ فى الماء أيضاً عملٌ أبدع ظَرْفا
مزجهُ العذب بماء الـــبئر كىْ يزداد ضعفا
فهو لا يسقيك منهُ مثل مايشرب[٤] صرفا

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعانى وهى كما تراها غاية . قال وقال فيه أيضا :

على خبز إسماعيل واقيةُ البخل ... فقدحلَّ فى دارالأمان من الأكل
وما خُبزُهُ إلا كعنقاءِ مَغْرِبِ ... تصوَّرُ فى بسطِ الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناسُ من غير رؤيةٍ ... سوى صورةٍ ما ان تمرُّ ولا تحلى
وماخبزُهُ إلا كآوى يرى ابنهُ ... ولم يرآوى فى الحزون وفي السهل[٥]
وماخبزه الا كليب بن وائل ... ليالىَ يحمى[٦] عزه منبت البقل
وإذ هو لايستبُّ خصمان عندهُ ... ولاالصوت مرفوعٌ بجدٍّ ولاهزل
فان خبزُ اسماعيـل حَلَّ به الذى ... أصابَ كليباً لم يكنْ ذاكَ عنْ ذلِّ
ولـكن قضاءٌ ليسَ يسطاعُ رَدُّهُ ... بحيلةِ ذى مكرٍ ولادهى ذى عقل

وكان الجاحظ يفضل قوله * وإذ هو لايستبُّ خصمان عندهُ * على قول مهلهل * واستبَّ بعدك يا كايبُ المنزل * وغير ذلك قال ابن الرومى :

(١) فى ديوان أبي نواس « أحذق الامة » . (٢) في الديوان « وإذا قابل بالنصف من الجردق نصفا » والجردق: الرغيف. (٣) فى الديوان (مغرز أشفى) . والاشفى بالكسر: المثقب. (٤) فى النسخ (يشرب) مكان (يسقيك) وبالعكس. (٥) في ديوان أبي نواس «فى حزون ولا سهل» . (٦) فى الديوان «ومن كان يحمي» .

وقينة أبرد من ثلجة تظل منها النفس في ضجة
كأنها من نتنها ثومة لكنها في اللون أترجه
تفاوتت خلقتها فاغتدت لكل من عطل محتجه (١)
كأنها والوشم في جلدها زرنيخة شيبت بليلنجه
خراجة للفسق دخالة تعجبها الدخلة والخرجه
كأنما فقحتها فخمة فت عليها مابث ثلجه

وهي أبيات سخيفة تركت أكثرها لسخفه . ونقل قوله * فهي لمن عطل محتجه * إلى موضع آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لا سقيت نعمى تسربلتها كم حجة فيها لزنديق

وقد أبدع أبو نواس في قوله يهجو جعفر بن يحيى :

قالوا امتدحت فماذا اعتضت قلت لهم خرق النعال وإخلاق السراويل (٢)
ذاك الأمير الذى طالت علاوته كأنه ناظر في السيف بالطول

وكان جعفر طويل الوجه والقفا . وقال فيه أيضا * قفا ملك يقضي الهموم على بثق *

وقلت : سوداء يذرف دمعها مثل الاتون إذا وكف
وكأنها من قبحها سلح العليل على الخزف

وقال أبو تمام :

فأشهد (٣) ماجسرت علي إلا وزيد الخيل دونك في الشجاعه
ووجهك إذ رضيت به نديما فأنت نسيج وحدك في القناعه
ولو بدلته وجها إذا لم أصل به نهاراً في جماعه

ومن أعجب ماقيل في كبر الأنف قول كشاجم :

لقد مر عبد الله في السوق راكباً له حاجب من أنفه وهو مطرق
رعيت له من جانب السوق مخطة توهمت أن السوق منها سيغرق

(١) في الأصل « فهي لمن عطل محتجة » . (٢) في ديوان أبي نواس « إبلاء السراويل » . (٣) في ديوان أبي تمام « فأقسم » .

فأقذر به أنفاً وأقذر بربّه على وجهه منه كنيفٌ معلقُ
وقال غيره: أنتَ في البيت وعرنيـــنك في البيت يطوفُ

ومن أقبح ماجاء فى قبح الاسنان قول جرير:

اذا ضحكت شبهت أنيابها العلى خنافس سودا فى صراة قليب

وانما خص الأنياب العلى دون السفلى لانها تبدو فى التبسم والتكلم وعند التثاؤب ، وهو كقول الآخر:

إذا كان يهدى برد أنيابها العلى لأفقرَ منى اننى لفقـــيرُ

فشبه أسنانها بالخنافس وسعة فمها بالقليب ، والصراة : الماء الفاسد فشبه به فساد نكهتها .وأخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر عن الرياشى عن ابن سلام قال دخلت ديباجة المدنيّـة على امرأة فقيل لهـا كيفْ رأيتها قالت لعنها الله كأن بطنها قربة وكأن ثديها دبة وكأن استها رقعة وكأن وجهها وجه ديك قد نفش عرفه يقاتل ديكاً .

ومن بديع الهجاء بالتبزق والتمخط والبخر قول ابن الرومى:

تحسبُ مزكوماً وان لم تزكـم من سدَّةٍ في أنفك المورَّمِ
محشرج الصدر برَطلىْ بلغم إنْ لم تنخع مَرَّةً تنخم
نخامةً كالضفـدع الموَشَّم دكـناء رقطـاء بقيح أودم
ممتخطاً بالـكوع أو بالمعصم تضرطُ من أنف وتفسو من فم
ذا نكهةٍ من لم تمته يصـدم حتى دعاك المـلأُ ارحم ترحم

وقال جحظة [1] في البخر:

تنفسَ فى وجهى فـكدتُ أموتُ وأعرَضَ عنى جانباً فحييتُ
ونسى ؟ حـتى حسبتُ بأننى وربـكما ياصاحـبىَّ خريتُ

وقال بعضهم فى سرعة الـكلام:

كأنَّ بنى رالانَ إذجاءَ جمعهمْ فراريجُ يلقى بينهنَّ سَويقُ

---

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي ،لقبه عبد الله بن المعتز بجحظة .

وقال دعبل في قصر الشعر :

فـوهاءُ شوهاءُ لهـا شـعرةٌ　　كأنها خمـلٌ عـلى مسح

وقال ابن المعتز فى أمرد ينتف :

وَخـدُّه مُشوكٌ مزوَّرُ　　التلويز كأنهُ فرنيـةٌ كثيرةُ الشونيز

وأنفهُ كسترةٍ مشرق الأفريز(١)　　تحسبهُ اذابدا سماجة النوروز

وقلت : لعبَ الزّمانُ بحسن وجه محمدٍ　　لعبَ الصبا بالرَّبع حتى أقفرا

قد كانَ معروفَ الجمالِ فلم يَزَلْ　　ينتابُهُ(٢) الحدَثان حتى أنكرا

عهـدى بهِ متكفرٌ متعصفر　　ثم اغتدى متصندلاً متزعفرا

وكأنما صـدغاهُ في وجناتهِ　　جعلانِ ينتابان سلحاً أصفرا

وقال ابن الرومي فى غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أنا كعبة النيك التى نصبتْ له　　فتلق منى(٣) حيث شئتَ وكبر

فتبيتُ بينَ مقابلٍ ومـدابرٍ　　مثـلَ الطريقِ لمقبـل أومدبر(٤)

كأجيرى المنـشار يجتـذبانهِ　　متنازعـينِ فى فليج صنوبر

ولاأعرفه سبق الى هذاالمعنى وهو من أظرف معنى وأعجبه .

وقال أيضاً وهو من ظريف المعانى :

رأيتُ فى دار حسين مشرعه　　وامرأةً قاعدة مربعة

لها بظورٌ فى استها مجمعه　　كأنها أترجةٌ مفقعه

وقال فى خصى أراد أن يتزوج بامرأة :

قل لنجح أخطأتَ بابَ النجاح　　إذ تعاطيتهُ(٥) بلا مفتاح

لستَ بالسابح المجيدِ فدع عنــك ركوبَ البحارِ للسباح

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (تحشى من الافريز) . (٢) في الأصل مبهمة من النقط . (٣) فى ديوان ابن الرومى (فتلق منها) . (٤) فى الديوان (ولمدبر) . (٥) فى ديوان ابن الرومى المخطوط (بل تعاطيته) .

فطع الحبّ بالخصيّ كما يفـــطع فقد المردى بالملاح
ليتَ شعرى بما تظنك تصبي قلب ودان يا كسيرَ النجاح
أبوجه كأنه وجهُ قردٍ حائل اللونِ جامد المصباح
نمشة فوق صفرة فتراه كونيم الذُّباب فى اللقاح
إنما أنتمُ فقاحٌ فمهلاً ماغناء الفقاح في الأحراح
إنّ من يعشق النساء بلا أبـــر كمثل الغازى بغير سلاح
لنْ يكونَ الطعانُ إلا برمح فدعوا[1] الطعن للطوال الرّماح
ثم قال: معشراً شبهوا القرود ولـكن خالفوها فى خفة الأرواح

وهى طويلة. ومن أعجب ماقيل فى البخر قول الخالدى في رجل حلق سباله بعد أن أطاله:

حلقتَ سبالك جهلاً بما يوارى من النـكرات القباح
فعذبتَ صحبك حتى المساء وعذبتَ عرسك حتى الصباح
فلا أبعد اللهُ ذاك السبال فقد كانَ ستراً على مستراح

وقال ابن السكن:

رجلٌ يعقّ الـكأس كلّ عشية ويعاقب المسواك كلّ صباح
وقلت: قال لى صاحبي وقد صفقته نفحات الـكروس من في وصيف
لعنَ اللهُ ليلة بتُّ فيها مع رفيقى كأننا فى الـكنيف

وقد أبدع ابن الرومى فى قوله:

فسا على القوم فقالوا له إنْ لم تقم من بيننا قمنا
فقال لاعدتُ فقالوا له من يسف فيه ذا كما كنا

وقال أيضاً يذكر قينة:

مسمومة[2] الرّيق إذا قبلتْ صحفت التقبيل تقتيـــلا

---

(١) في ديوان ابن الرومي (فاتركوا).

(٢) فى الاصل «مسحوقة» والتصحيح من ديوان ابن الرومى المخطوط.

قبلها جلمود عرارة يحسن للبخراء تقبيلا
فاحشة النقصان لكنها قد كملت بالبظر تكميلا
أزرى بها الله فلم يعطها إلا بطول البظر تفضيلا
إذا بدا الفيل وخرطومه قلنا أعارت بظرها الفيلا
غول يبيت الشرب من قبحها يرون في النوم التهاويلا
ما أحسن الأرقم طوقاً لها وأحسن الأسود اكليلا
قد عذب الله أمرأً نالها طورين تعجيلاً وتأجيلا
لها ضراط ريحه عاصف يطفىء في الليل القناديلا
حلت سراويلي على واسع ماخلته إلا سراويلا
أحلت تنكيلي بياب استها فكان للتنكيل تنكيلا
لو رامت التوبة لم تستطع لسنة الشيطان تبديلا
يابسة العود وقد ذللت قطوفها للنيل تذليلا

وهي طويلة عجيبة ليس لأحد في ملاحتها وعلو جودتها وكثرة معانيها شيء .

ومما قيل في طول اللحية قول ابن الرومي :

ولحية لو شاء ذو المعارج أغنى بها كواسد النواسج (١)
بنسج مسحين لخان الدارج (٢) وفرّق الباقي على الكواسج

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم تر أن الله أعطاك لحية كأنك منها قاعد في جوالق

وقال الآخر : ألم تر أن الله أعطاك لحية كأنك منها بين تيسين قاعد

وكان العوفي إذا كتب كتاباً أخذ لحيته تحت إبطه واذا كلمه انسان من الجانب الآخر التفت اليه فخلصت لحيته من تحت ابطه فمرت على الكتاب

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك في شعر ابن الرومي نقص كثير في الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) في الديوان (الدبزج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :

لحيةُ قاضى القضاةِ لوجهدتْ   مجهودَها لم تكنْ كمنفقته
إذا أرادَ الكرَى توسّدَها   فقد كفتهُ مكانَ مرفقته

وقال رقبة بن مصقلة لأبى شيبة القاضي : لوكانت لحيتك هذه من الذنوب لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .

وقلتُ : قلْ للمدلِّ بلحيةٍ موْفورَة   ومما ولحيةُ كلِّ ألحى جهلهُ
لايعجبنك طولُ نبذك إنَّه   من طال لحيتهُ تكوسج عقلهُ

وقد أجاد ابن الرومى وأبلغ وجمع فى أبيات من المعانى مالم يجمعه أحد في هذا الباب وهو قوله :

ان تطلْ لحيةٌ عليك وتعرضْ   فالمخالى معروفةٌ للحمير
علقَ اللهُ فى عذاريك مخلا   ةً ولكنها بغيرِ شعير
لو غدا حكمها علىَّ لطارتْ   في مهبِّ الرِّياح كلَّ مطير
ارع منها الموسى فانك منها   شهدَ اللهُ في أثام كبير
أيما كوسج رآها فيلقى   رَبَّهُ بعدها صحيحَ الضمير
هو أحرَى بأن يشكَّ ويغرى   باتهام الحكيم فى التقدير
ماتلقاك كوسجٌ قَطُّ إلا   جَوَّرَ اللهَ أيما تجوير
لحيةٌ أهملتْ فطالتْ وفاضتْ   فاليها تشيرُ كفُّ المشير
مارأتها عينُ امرىء مارأتها   قطُّ إلا أهلَّ بالتكبير
روعةٌ تستخفهُ لم يرعها   من رأى وجهَ منكر ونكير
فاتّق الله ذا الجلال وغير   منكراً منك ممكنَ التغيير
أوفقصر منها فحسبك منها   قيد شبرٍ علامة التذكير
لو رآها النبيُّ يوماً لأجرَى   فى لحى الناس سُنَّةَ التقصير
واستحبَّ الاحفاءَ فيهن والحلـ   ـقَ مكانَ الاعفاءِ والتوفير

أراد قول النبي ﷺ « أحفُوا الشَّوارِبَ واعفُوا عن اللحى[١] » .

وقلت : ان أبا عمرو له لحيةٌ بعيدَةُ البعضِ منَ البعضِ
مضى الى السوق وعُثنونه أقامَ فى البيتِ فلم يمض
وهو إذا ما مَرَّ فى سكةٍ يملأها بالطولِ والعرض
يَدُوسُها الناسُ بأقدامهم كأنها أرضٌ على الأرض

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجماز كان لبعض أصحابنا فى الظاهرة تل تراب فأتاه غلامه برجل يضرب له اللبن وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء القالب فقلت له ليس فى قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيتك فقال إنى سأخرجها من القالب قبل ضرب اللبن وإنما أردت أن أدفئها فيه قليلا ، قال فلما رأيت حمقه قلت يحتاج أن يضرب فى كل يوم ألف لبنة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .

وقال الناجم : لابن شاهينَ لحيةٌ طولُهُ شطرُ طولها
فهو الدَّهرَ كلهُ عاثرٌ فى فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعانى والشرط المتقدم لتركت التشنيع الملفوظ من المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية سخيف الشعر لسقطت عنهم فوائد كثيرة ومحاسن جمة موفورة فى مثل شعر الفرزدق وجرير والبعيث والأخطل وغيرهم ولو لم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها لكان تسمية أهل اللغة إياها بذلك خطأ وهذا محال[٢] .

ومما قيل فى الدمامة وقصر القامة ماينسب لأبى نواس وهو لغيره[٣] :

اذا استنَّ في قوهيةٍ متَبختِرا فقل جرذٌ يستَنُّ في لبنٍ محضِ

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبوداود والنسائى وغيرهم بألفاظ مختلفة ـ كما في كشف الخفا . ـ(٢) ولكن للكناية محاسن ، وفى معنى الحديث الشريف ان الله يكره الفحاش البذىء اللسان . (٣) نسبها القالى فى الامالى لرجل من أهل الكوفة : وفيها : إذا راح فى قبطية متأزراً فقل جعل يستن في لبن محض

فأقسم لو خرّت من استك بيضة   لما انكسرت من قرب بعضك من بعض

وقال غيره: ألا يا بيدق الشطرنج في القيمة والقامه

وقال آخر: يعثر الناس في الطريق من دمامته؟

وقال آخر: فقام الى الغلام أسى وغيظاً   بقدّ لم يزد فيه القيامُ

وقال ابن الرومي: أأنت تشتم عرضي   وأنت في طول أبري

وقال الناجم: ينقص الأحرار من شأنه   وهو أخو القلة والنقص

كأنه البرغوث لم يخطه   في صغر الجثمان والقرص

وقال: وعازب الرأي ضعيف مغرور   مكاثر في العلم وهو مكثور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر: كأنهم كلي غنم الأضاحي   إذا قاموا حسبتهم قعودا

وفي غير هذا المعنى قول الآخر:

إذا لبس البياض فعدل قطن   وأن لبس السواد فعدل فحم

وقال ابن الرومي في القبح والسواد:

وجهك يا جعفر من قبحه   أولى من العورة بالستر

كأنما تأوى اليه الدجى   إذا هي انقضت عن الفجر

وقال ابن طباطبا في مجدور:

ذو جدريّ وجهه   يحكيه جلد السمكه

أو جلد أفعى ساخت   أو قطعة من شبكه

أو حلق الدرع اذا   أبصرتها مشتبكه

أو سفر محبب   أو كرش منفركة

أو منخل أو عرض   رقعته منهتكه

أو حجر الحمام كم   من وسخ قد دلكه

أو كور زنبور اذا   فرّخ فيه تركه

أو كدر الماء اذا ظهر فيه حبكه
أو سلحة جامدة تنقر فيها الديكه
يبغضه من قبحه كل طريق سلكه

وقد أبدع ابن الرومي :

جُدَرِيٌّ ما شأنها وهي شينٌ ... كل أثرفي ذلك الوجه نقشُ
بدلتْ من ضفائر وقرونٍ (١) ... حملَ أنف فيه لفرخين عشٌّ

وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهرهُ وباطنه ... وأمرَّ مخبرهُ ومنظرهُ
شعرٌ تجدَّدَ في عوارضهِ ... مثل المكا الرطبِ تسفرُهُ

وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي عامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم فصادف على بابه عثمانيين أسودين كالفحم متعممين بعمامتين حمراوين فامتحنهما فوجدهما من الأدب خاليين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :

رأيتُ بباب الدار أسودَينِ ... ذَوَيْ عمامتين حمراوينِ
كجمرتينِ فوقَ فحمتينِ ... قد غادرَ الروض قرير العين
جدُّ كما عثمانُ ذو النورينِ ... فالهُ أنسلَ ظلمتين
ياقبحَ شينٍ صادرٍ عن زَينِ ... حدائد تطبعُ من لجين
ما أنتما إلا غُرابا بَيْنِ ... طيرا فقد وقعتما
ردا ذوي ا في المصرين ... المظهرين الحبَّ للشيخين
وخليا الشيعةَ للسبطين ... لاتبرما إبرامَ ربِّ الدين
ستعطيانِ في مدى عامين ... صكاً بخفينِ الى حُنين

وقال أبو تمام يهجو عياشاً بعد ما مات :

---

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كرت على اللؤم [١] بما ساده وساءه كرَّتك الخاسرَه
أسهرتَ عينَ اللؤم منذ انطوتْ عليك أثوابُك بالساهرَه
قد كانت الدُّنيا شفتْ لوعتي منك ولكن أُخذْتَ بالآخره
يا أسدَ الموت تخلصتهُ من بين لحيي أسد القاهره
أجارك المكروهُ من مثله فاقرة نجتك من فاقره

وقال فيه : وتضوُّر القبرُ الذى ضمنته [٢] حتى ظننا أنهُ المقبور

فأتيح لأبي تمام مخلد الموصلي فهجاه بعد موته فقال :

سقى حمارك ياطائيُّ غادته من المنى وقطمان من الكمر
حر الخلاق وبردُ الشعر اتلفه فجاءهُ الموتُ من حرٍ ومن حصر

ومما قيل فى البرد أيضاً قول بعضهم فى المبرد :

ويوم كنار الشوق فى القلب والحشا على أنَّهُ منها أحرُّ وأومد [٣]
ظللتُ به عند المبرِّد قائلا فما زلتُ فى ألفاظه أتبرد

وفلج أحد الشعراء فسئل عنه رجل فقيل له ما كان سبب فالجه ؟ قال أكل بيتين من شعره . ومن جيد ماقيل فى برد الغناء قول بعضهم :

كاد من برده يجمد روحي ضربَ اللهُ شقه بغنائه

وقال غيره : غنى لنا نصرٌ فقلنا له مصعبُ جرَّاك على السبع
وحركَ العودَ بأطرافه فكان يحتاجُ الى الصفع
فقمت من مجلسه هارباً أدعو على كفيه بالقطع

وقال كشاجم : ومغنٍّ بارد النغمة مختلّ اليدين
مارآه أحدٌ فى دارِ قومٍ مرَّتين
صوته أقطع للذات من صيحة بين

---

(١) فى ديوان أبي تمام (على البخل) . (٢) في الديوان (الذى أسكنته) .
(٣) الومد : الحرّ الشديد مع سكون الريح .

وقلت : قد أسمعتنا غناءً لا خلاقَ به كما تحرّك آذان السنانير
حتى إذا ارتفعت في الصوت لا ارتفعت أهدت لسمعي تهديرَ الخنازير
وكلما انخفضتْ فيه مزمزمة خلت الزّنابيرَ تشدو في القوارير
لا تحد عنه بأبوابٍ مصبعة نصبتهنَّ شراكاً للمدابير

وقال ابن الرومي :

واذا غنت ترى في حلقها كلّ عرقٍ مثلَ بيت الأرَضه

وقال الناجم : وقنية شتمها قنوتُ أحسن أصواتها السكوت
مفقودة الكل غير بطن مثقل فهي عنكبوت

وقال غيره : كأن أبا الحسين اذا تغنى يحاكي عاطساً في عين شمس
يلوك لسانه طوراً وطوراً كأنَّ بضرسه ضرَبانَ ضِرس

وقال المصيصي : وتحسب الندمان في حلقه دجاجةً يخنقها ثعلب
ماعجبي منه ولكنني من الذي يعجبه أعجب

وقلت في عواد : يقول لنا غيرما يضرب ويضربُ غير الذي نحسب
ككيسان يكتبُ غيرَ الذي يقول المحدّثُ والمكتب
فيكتبُ غيرَ الذي قاله ويقرأ غير الذي يكتب
فصمتاً إذا شئتَ اطرابنا فنحن إذا قلتَ لا نطربُ
ولا ماسي ؟ إذا جئتني فاني إذا جئتني أذهب

وقلت : تغنى لنا فجعلنا عليه عمائم تنزع جلدَ القفا
جعلنا اللطامَ لهـا لحمةً ونتفَ الشوارب فيها سدى

ومن جيد ماقيل في تغير وجوه الاحداث عند خروج اللحى قول البسامي :

قالوا تغيرَ عن ملاحته قلتُ الزّمان يريكمُ العبرا
يازهرةً ومحاسناً مُسخت ماذا لحاه الشعر لو شعرا
قد كانت الأبصارُ تجرحه واليوم يجرحها إذا حضرا

. وقال سعيد بن حميد :

فالآن حينَ بدَتْ بخدِّك لحيةٌ ذهبت بملحك ملء كفّ القابض

وقال ابن طباطبا : يامن يزيل خلقة الـر حمن عمـا خلقت

تب وخفِ اللهَ على كفك مما اجترحت

هل لك عذرٌ عنده إذا الوحوشُ حشرت

بلحية أن سُئلت بأيِّ ذنب نتفتْ

وقلت : حصلت فى سى ذا غلظة كأنني مشطُ ابنِ منصور

يالحيةً هتك أستارها بأصبع منه وأظفور

فخدُّه من سح ؟ تارةً وتارة من قشر بلور

فتارة كالمسك في لونه وتارة فى لون كافور

يعجبه المردُ فيحكيهمُ حـكاية زور من الزور

يقول ما أحسنَ ربُّ الورى إذ غرَسَ الظلمةَ فى النور

وقلت : من شقوة المردِ أن تبدو شواربهم مسودّةً قبلَ أن تبدوا عوارضهم

ياويحهم من لحى جدَّت مناقشهم فيهنَّ أو لعبتْ فيها مقارضهم

قد أتيت فى هذا الفصل على مافيه مقنع وبالله التوفيق .

﴿ الفصل الثالث فى الاعتذار ﴾

الاعتذار أيدك الله ذلة ولا بد منه لأن الاصرار على الذنب فيما بينك و بين خالقك هلـكة وفيما بينك و بين صديقك فرقة وعند سائر الناس مثلبة وهجنة فعليك به إذا واقعت الذنب وقارفت الجرم ولا تستنكف من خضوعك وتذللك فيه فربما استثير العز من تحت الذلة واجتنى الشرف من شجرة الندلة ورب محبوب فى مكروه * والمجد شهد يجتنى من حنظل * ومما خص به الاعتذار ان الحق لايثبت لباطله والحقيقة لاتقوم مع تخييله وتمويهه وان رده لايسمع مع الـكذب اللائح فى

صفحاته ، وقالوا المعاذير مكاذب، ويقولون مع ذلك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره ، ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذبياني في الاعتذار شعر فيه أجود منه ، ومما نرويه له فيه قوله حين سعى به المنخل اليشكري إلى النعمان وزعم أنه غشي المتجردة حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال:

وإذا لمستَ لمستَ أخثم[1] جاثما ... متحيزاً[2] بمكانه ملءَ اليد
وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدفٍ ... رابي المجسّةِ بالعبيرِ مقرمد
وإذا نزعتَ نزعتَ عن مستحصف ... نَزْعَ الحزوَّر بالرشاء المحصد

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوقر في نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قريع فأبلغوه أن النابغة ما زال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الايقاع بالنابغة فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه * نفس عصام سوَّدَتْ عصاما * فصار يتمثل به فيقال عصامي وليس بعظامي إذا كان يكسب المآثر لنفسه ولا يتكل على مآثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كن عصامياً لا عظامياً . فانطلق النابغة الى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم فحسدهم عليه فأمنه وراسله في المصير اليه فصار اليه وجعل يعتذر مما قرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله :

حلفتُ فلمْ أتركْ لنفسكَ ريبةً ... وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهبُ
لئنْ كنتَ قد بُلغتَ عني خيانةً ... لمبْلغُك الواشي أغشُّ وأكذب
ولستَ بمستبقٍ أخاً لاتلمُّهُ ... على شَعثٍ أيُّ الرجال المهذَّبُ

وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله :

وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُنهه ... أتاني ودوني راكسٌ فالضواجع[3]

---

(١) في الأصل «أجثم» . (٢) في الأصل (متحيراً) .
(٣) راكس : واد ، والضواجع : موضع .

فبتُّ كأنى ساورتنى ضئيلةٌ — من الرُّقش فى أنيابها السمُّ ناقعُ
أتانى أبيتَ اللعنَ انك لمتنى — وتلك التى تستك منها المسامعُ

إلى أن قال :

فان كنت لاذو الضغن عنى مكذّبٌ — ولا حَلِفى على البراءة نافعُ
ولا أنا مأمونٌ بشيء أقولهُ — وأنت بأمر لامحالةَ واقعُ
فانك كالليل الذى هو مدركي — وان خِلْتُ أنَّ المنتأى عنك واسع

وقال : أنبئت أنَّ أبا قابوس أوعدَنى — ولا قرار (١) على زأرٍ من الأسد
مهلاً فِداءٌ لكَ الأقوام كلهم — وما أثمِّرُ من مالٍ ومن ولد
لا تقذفَنِّى بركن لا كِفاءَ له — وان تأثّفكَ الاعداء بالرِّفد (٢)
ما قلت من سيء مما أتيت به — إذاً فلا رفعت سوطي الىَّ يدى
ها إنَّ ذى عذرة إلا تكن نفعت — فأنَّ صاحبها قد تاه في البلد (٣)

فخلع عليه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضرا مطرفة بالجواهر، وقد ذكرنا الحديث بطوله فيما تقدم . وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان البحترى : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى سمعت عبد الله بن المعتز يقول : لولم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية فى وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثلها وقصيدته فى صفة البركة * ميلوا إلى الدار من ليلى نحييها * واعتذاراته فى قصائده إلى الفتح التى ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلها ، وقصيدته فى دينار التى وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهى التى أولها * ألم تر تغليس الربيع المبكر * وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس فى زمانه فكيف وقد انضاف إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه فى قصائده . فمن اعتذاراته قوله فى قصيدته التى أولها * لوت بالسلام بنانا خضيبا * فقال فيها :

---

(١) في ديوان النابغة (ولا مقام) . (٢) أى احتوشوك فصاروا حولك كالاثافى ، والرفد جمع رفدة وهي العصبة (٣) فى ديوان النابغة (فان صاحبها مشارك النكد) .

فدّيناكَ من أيّ خطب عرا ونائبة أوشكتْ أن تنوبا
وإن كان رأيك قد حالَ فيّ فلقيتني[1] بعد بشرٍ قطوبا
يريبني الشيء تأتى به وأكبر قدرك أن أستريبا
وأكرهُ أن أتمادى على سبيل اغترار فألقى شعوبا
أكذّب نفسي بأن قد جنيت[2] وما كنت أعهد ظني كذوبا
ولو لمْ تكنْ ساخطاً لم أكنْ أذمُّ الزّمانَ وأشكو الخطوبا
أيصبحُ وردىَ في ساحتيك طرقاً ومرعاىَ محلاً جديبا
وما كانَ سخطك إلا الفراق أفاض الدُّموعَ وأشجى القلوبا
ولو كنتُ أعرف ذنباً لما تخالجني الشكُّ في أن أتوبا
سأصبرُ حتى ألاقي رضاك إما بعيداً وإما قريبا
أراقبُ رأيكَ حتى يصحّ وأنظرُ عطفك حتى يثوبا
وقوله: عذيرى من الايام رنقن مشربي ولقينني نحساً من الطير أشأما
واكسبني سخط امرىء بتُّ موهناً أرى سخطه ليلاً مع الليل مُظلما
تبلجَ عن بعض الرّضا وانطوى على بقية عتب شارفتْ أن تصرّما
إذا قلت يوماً قد تجاوزَ حدّها تلبثَ في أعقابها وتلوّما
وأصيدُ إن نازعْتَهُ الطرف[3] ردَّهُ كليلاً وإن راجعته القولَ جمجما
ثناه العدى عنى فأصبح معرضاً وأوهمه الواشون حتى توهما
وقد كان سهلاً واضحاً فتوعّرت رُباه وطلقاً ضاحكاً فتجهما
أمتخذٌ عندى الاساءة محسنٌ ومنتقمٌ منى امرؤٌ كان منعما
ومكتسبٌ فيّ الملامةَ ماجدٌ يرى الحمدَ غنماً والملامة مغرما
يخوفني من سوء رأيك معشرٌ ولا خوف إلا أن تجور وتظلما

---

(١) في الاصل (فأوليتنى) (٢) في ديوان البحترى (أكذب ظني بأن قد سخطت).
(٣) في ديوان البحترى (نازعته اللحظ).

أعيذك أن أخشاك من غير حادث   تَبيّن او جرم اليك تقدّما
ألست الموالى فيك نظم[1] قصائد   هي الأنجم اقتادتْ مع الليل أنجما
أعِدْ نظراً فيمَاتسخطتْ هلْ ترى   مقالاً دنيئاً أو فعالاً مُذَمّما
رأيتَ العراق نا كرتني وأقسمتْ   عليَّ صروف الدّهر أنْ أتشأما
وكان رجائي أن أؤوبَ مملكا   فصار رجائي أن أؤوب مسلما
حياء فلم يذهب بي الغيّ مذهبا   بعيداً ولم أركبْ من الامر معظما
ولم اعرف الذّنْب الذي سؤتني له   فأقتل نفسي حسرةً وتندما
ولو كان ما خبرتهُ أو ظننته   لما كان غرواً أن ألومَ وتكرما
أذكرك العهد الذي ليس سؤدداً   تناسيه والودَّ الصحيحَ المسلما
وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً   وأنجدَ في أعلى البلادِ وأتهما
أقرُّ بما لم أجنِه متنصلاً   اليك على أني أخالك ألوما
ليَ الذّنبُ معروفاً وان كنتَ جاهلا   به فلك العتبي عليَّ وأنعما
ومثلك من أبدى الفعالَ أعادةً   وان صنعَ المعروف زاد وتمّما

ونحن نقول ان لكل شيء ثمناً وثمن خضوع المعتذر قبوله . وكتبت: وسيلتي اليك الثقة بكرم أخلاقك وشرف أعراقك وقد طلبت المساحة منك بك وجعلت كرمك أقوى أسبابي اليك وقد خفضت لك جناح الذل في التنصل مما فرط فتفضل عليّ بالقبول لئلا يلحقني هجنتان هجنة تذللي لك وأخرى ردك لي . وقد قيل : ارض لطالب الخضوع ذنباً مذلة الاعتذار . وفي هذا المعنى ما كتب بعضهم: لما تعذر عليّ العذر جعلت معولي على فضلك أبلغ عذر أقدمه وأقوى سبب أؤكده . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكرى عن ابراهيم الندى قال قلت لرجل : ما حملك على بذلك وجهك في حوائج الناس ؟ قال اني لم أسمع شيئاً أحسن من بناء حسن على رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعة شفيع لطالب شاكر ولأني لا أبلغ

(١) في ديوان البحتري (غر قصائد)

المجهود ولا أسأل من لا يجود وليس صدق العذر عندى بدون انجاز الوعد ولا اكداء السائل بأغلظ من الاجحاف، بالمسؤول ولا أرى السر أغبالى بالمسألة بحسن ظنه بى أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذى يتحمله من لدى والعرب تقول ان مع الهيئة الخبيثة والفرصة خلسه فثب عند صدور الأمور ولاتتبع اعجازها .وقال ابن المعتز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار فى التقاضى قول بعضهم :

هززْتك لاأنى ظننتك ناسياً لوعدٍ ولا أنى أردْتُ التقاضيا
ولكن رأيتُ السيفَ فى حالِ سله الى الهزّ محتاجاً وان كان ماضيا

ومن مليح ما يجرى فى هذا الباب ماأخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبي عن أبيه عن شيخ من قريش قال قال رجل لسليمان بن عبد الملك : ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان تعف فأهل ذلك أنت وان تعاقب فأهل ذلك أنا ، فعفا عنه ، فأخذه بعض المحدثين فقال :

فان عاقبتنى فبسوءِ فعلى وما ظلمتْ عقوبةُ مستفيدِ
وان تغفر فاحسانٌ جديدٌ دعوتَ به الى شكر جديدِ

تم الباب والحمـد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونك . جمع الله شملك ووصل حبلك ومتعك بأحبتك وأعطاك مأمولك فى نفسك وأعزتك وأعاذك من قطيعة أحبابك وجنبك تجنب أودائك ولا جعل للهجر عليك سبيلا ولا للفراق عليك دليلاً لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرور قلبك فتعيش فى ضمان الفرح ويبوء حاسدك باعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .

العشق أدام الله توفيقك من شرائفِ أخلاقِ الفتيانِ وكرائم سجايا الشبانِ

يطلق لسان العيىّ ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم ويتحردون بذله اللئيم ويدعو الى استعمال الفتوة واظهار المروءة فى تنظيف اللباس وتحسين الرياش ويجدد حب المساعدة والائتلاف وكراهة التباين والاختلاف إلى غير ذلك من محمود الحال وممدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه حقه واسلك به طرقه وتأمل ماأهديت اليك فيه فانه يعينك عليه ويحسن أسبابه لك ويكبت لائمك فيه ويكون جلاءً لناظرك وشحذاً لخاطرك إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى التشبب وأوصاف الحسان ومايجرى مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعانى ﴾

قالوا أرق بيت قالته العرب قول امرىء القيس :

وماذَرَفتْ عيناكِ إلا لتضربى بسهميكِ في أعشار قلب مقتل

يقول مابكيتِ إلا لتجرحى قلباً معشراً أى مكسراً ، يقال برمة اعشار اذا كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدينه علة بسهميك يعنى عينيها ،والمقتل المذلل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنةُ البكرىّ عن فرع ضالة وهنَّ بنا خوص يخلنَ نعائما

ولم نسمع للاعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لى عن ابن سلام أنه قال أنسب بيت قالته العرب :

ولما التقى الحيّانِ ألقيت العصا ومات َ الهوى لما أصيبت مقاتله

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

إذا قلتُ إنى مُشتفٍ بلقائها فحم التلاقي بيننا زادنا سقما

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :

مايرجعُ الطرفُ عنها حينَ أبصرها حتى يعودَ اليها القلبُ مُشتاقا

وقد أحسن ابن الرومي ولاأعرف في معناه أبلغ منه :

أعانقها والنفسُ بعد مَشوقَةٌ اليها وهلْ بعد العناقِ تدانى
وألثم فاها كي تموتَ حزازتي فيشتدُّ ماألقى من الهيجان
وما كان مقدارالذى بى من الجوى ليشفيــه ماترشفُ الشفتان
فانَّ فؤادى ليس يشفي رسيسهُ سوى أن ترى الروحان تمتزجان

ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الحسين بن اسماعيل :

هبَّتْ شمالاً فقالَ من بلدٍ أنت به طابَ ذلك البلدُ
وقبَّـلَ الريحَ من صبابتهِ ماقبَّـلَ الريحَ قبلهُ أحدُ

وأبلغ ماقيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له مابلغ من حبك فلانة ؟ قال انى أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن الحجاج لامرأة أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك أو كان تحتك لأقلك ، أخذه بشار فقال :

إني لأكتم في الحشى حباً لها لو كانَ أصبح فوقها لأظلها
ويبيت بينَ جوانحي وَجدٌ بها لو باتَ تحتَ فراشها لأقلها

وقلت : أحبك ياشبيهَ الشمسِ حباً تفرَّدَ بالتمـام فلا تمـامُ
فلو ألقيتهُ مابينَ ماءٍ ونارٍ كانَ بينهما التئامُ

وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :

سلالة نورٍ ليس يدركها[1] اللمس إذاما بدا أغضى له البدر والشمس
به[2] أمست الاهواءُ يجمعها هوى كأنَّ نفوس الناس في حُبه نفس

وقال بشار :

---

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (يدركه) . (٢) (به) سقطت من الأصل فاستدركناها من الديوان ، وفي الأبيات تصحيف صححناه منه .

ولستُ بنا سٍ من يكونُ كلامُه بأذنى وانْ غُيبتُ قرطاً معلقا

ومن ظريف التشبب أيضاً قول ابن المعتز :

كـذبتَ يامن لحـانى فى مودَّ تهِ ما صُورَةَ البدرِ الأدُونَ صُورَ تهِ
يارب ان لمْ يكنْ في وصله طَمَعٌ ولم يكنْ فَرَجٌ من طول جَفْوَ تهِ
فاشف السقامَ الذى فى لحظ مُقلتهِ واستر مَلاحةَ خدَّيهِ بلحيتهِ

ومن الظريف قول كشاجم :

كأنَّ الشفاه اللعسَ منها خواتمٌ مِنَ التبرِ مختومٌ بهنَّ على الدُّرِّ

ولاأعرف في وصف الفم أحسن من هذا .

وأحسن ماقيل فى حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأسدى :

اذا نحن أدلجنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا (١)
أليس يزينُ(٢) العيسَ خفةُ أذْرع وان كنَّ حسرى ان تكون اماميا

واتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

اذاعقلت خبتْ وإنْ هى خُلّيتْ لترْتَعَ لم ترْتَعْ بأدنى المراتع
كأنّ لديها سائقاً يستحثها كفى سائقاً بالشوقِ بينَ الأضالع

ومن جيد ماقيل فى ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صَبٌّ يحثُّ مطاياهُ بذكركمُ وليس ينساكم ان حلَّ أوسارا
يرجُو النجاةَ من البلوى بقربكم والقلبُ يلهبُ فى أحشائه نارا

ومن ظرف الاعرابى قوله أنشده المبرد :

وعود قليل الذنب عاودتُ ضربهُ إذا عادَ قلبى فى معاهدها ذكرُ
وقلتُ لهُ ولقاءُ ويحك سبَّبتْ لك الضربَ فاصبر إنَّ عادتك الصبر

ونحوه قول الآخر :

قد قطعَ الاحراج أعناق الابل فهي تسير سيرَ مُشتاقٍ عَجِلْ

(١) فى الأغانى« بوجهك هاديا » . (٢) فى الأصل« يزن» وفي الأغانى(يزيد).

وقول الآخر وقد ألغز :

إنَّ لها لسائقاً خَــدلجا   لم يُدلْج الليــلةَ فيمن أدلجا

وفى خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف :

أيام يقتــلُ شوقها زيارتى   كالماءِ يقتل بردهُ عطش الصدى

فأما أجود ماقيل فى التذكر على البعد فقول بعضهم :

اذكرأخانا تولى اللهُ صحبتهُ   انى وان كنتُ لاألقاهُ ألقاه

اللهُ يعلم أنى لستُ أذكره   وكيفَ يذكره من ليسَ ينساه

وقلت : ذَكرْتُهمْ والنوَى بينى وبينهمُ   ذكرَى الشبابِ الذى قدكانَ ماصانى

بل كيفَ أذكر عهداً لستُ ناسيهُ   هل يعرضُ الذِّكرُ إلابعد نسيان

ونحوه يقول السرى :

غضبان ينسانى وأذكرُهُ   وينامُ عن ليلى وأسهرهُ

وبجوره ماضار مورقه   حظى وحظٌ سواى مثمرهُ

وكفى الهوى لو كانَ مكتفياً   مارحْت أضمره وأظهرهُ

لم يقتسم فى العاشقينَ أسى   إلاوحظى منهُ أوفرهُ

فأصبح في نفس أصعدهُ   وأعوم فى دمع أجددّه

ومن مليح ذلك قول بشار :

ولستُ بناسٍ من يكون كلامُه   بأذنى وان غيبت قرطاً معلقاً

أجودماقيل فى إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم قول امرىء القيس:

سموت اليها بعدَ مانامَ أهلها   سموَّ حبابِ الماءحالاً على حال

وأحسن من هـذا وأظرف قول وضاح اليمن (١) :

واسقطْ علينا كسقوطِ النَّدَى   ليلةَ لاناهٍ ولازاجرُ

---

(١) غلب عليه هـذا اللقب لبهائه ، واسمه عبدالرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجيب فى تشبيبه ، قتله الوليد بن عبد الملك لتشبيبه بزوجه .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من سمو حباب المـاء لأن لسمو حباب الماء صوتاً خفيا ليس ذلك لسقوط الندى وهو من أبيات ظريفة أولها :

قالتْ ألا لاتلجنْ دارنا   إنَّ أبانا رجـلٌ غائرُ
أمارأيتَ البابَ من دوننا   قلتُ فانى واثبٌ ظافرُ
قالتْ فانَّ القصرَ من دوننا   قلتُ فانى فوقَهُ ظاهرُ
قالت فانَّ الليثَ عادٍ به   قلت فسيفى مُرهفٌ باتر
قالت فهـذا البحرُ مابيننا   قلت فانى سابحٌ ماهر
قالتْ أليسَ اللهُ من فوقنا   قلت بلى وهو لنا غافر
قالت فأما كنت أعييتنا   فأت إذا ما هجعَ السامر
واسقط علينا كسقوط الندى   ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجر

ومن مليح ماجاء فى هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرقننى رسلاً   والليل كالطيلسانِ مُعتكرُ
فقلنَ جئنا إليك عن ثقـة   من عند ضوءِ كأنها قمر
هل لك فى غادة مُنعمـة   يحار فيها من حسنها النظر
في الجيد منها طولٌ إذا التفتت   وفى خطاها إذا مشت قصر
فقمت أسعى الى مُحَجَّبـة   تضيء منها البيوتُ والحجرُ
فقلت لـمـا بدا تخفرها   جودى ولا يمنعنك الخفر
قالت توقَّرْ ودَع مقالك ذا   أنت امرؤٌ بالقبيح مشتهر
والله لا نلتَ ما تطالب أو   ينبت فى بطن راحتى شَعَـر
لا أنت لى قيمٌ فتخبرنى   ولا أميرٌ علىَّ مؤتمر
قلت ولـكنْ ضيفٌ أتاك به   تحتَ الظلام القضاءُ والقدر
فاحتسبي الأجرَ في إنالته   وباشرى قد تطاوَلَ العسر
قالت فقد جئتَ تبتغى عملاً   تـكادُ منهُ السماءُ تنفطرُ

فقلت لما رأيتها حرجت ... وغشيتها الهمومُ والفكر
لاعاقبَ اللهُ في الصبا أبداً ... أنثي ولكن يعاقَبُ الذَّكر
قالت لقد جئتنا بمبتدعٍ ... وقد أتتنا بغيره النُّذُر
قد بينَ اللهُ فى الكتاب فلا ... وازرةٌ غيرَ وزرِها تزِر
قلت دعى سورةً لهجت بها ... لا تحرمن لذاتنا السور
وجهك وجهٌ تمت محاسنه ... لا وأبى لا يمسُّه سقر

ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من هاتين المقطوعتين . ومن أحسن ماعذر به المعشوق فى سوء فعله قول كشاجم:

تستدفع الأعين عن حسنها ... بعوذة من سوء (١) أفعالها

وهى من أبيات قليلة النظير :

هلْ حاكمٌ يعدى على ظبيةٍ ... ظالمة فى كلِّ أفعالها(٢)
دائمة الأعراضِ عنى فما ... يخطرُ لى ذكرٌ على بالها
صغيرةٌ عظمها حُبُّها ... عندى وأغرانى باجلالها
تستدفع الأعين عن حسنها ... بعوذة من سوء أفعالها
لم أطع العذَّالَ فيها وقد ... أصغتْ إلى أقوالِ عذالها
تمضى بليل فاذا أقبلتْ ... أقبلت الشمسُ باقبالها
قلت وقد أبصرتها حاسراً ... عن ساقها فاضل سربالها
لو لم يكن من برد ساقها ... لاحترقت من نارِ خلخالها

وأحسن فى هذاالمعنى ولا أظنه سبق اليه .
وقد أحسن ابن الرومى في ذكر الخلخال والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا ابسنَ خلاخلا ... كذبن أسماء الخلاخل

يقول لا تخلخل الخلاخل فيسوقهن أى لا تتحرك فقد كذبته أسماؤها ، وذلك أن

---

(١) فى ديوان كشاجم (من قبح) . (٢) في الديوان (جائرة فى كل أحوالها).

اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكأنَّ الشمسَ نيط بها قمرٌ يمناهُ والقدح
صدَّ إذ مازحتهُ غضباً ماعلى الأحباب إذ مزحوا
وهو لا يدرى لنخوتهِ أننا فى النوم نصطلح
ثمَّ لا أنسى مقالته « أطفيلىٌّ ويقترح »

ومن أفراد المعانى قول الشاعر :

وإنى لأغضي الطرفَ عنها تستراً ولى نظرٌ لولا الحياءُ شديدُ
وسها قالتْ لقد نلت ودَّهُ وما ضَرَّنى بخلٌ فكيفَ أجُودُ

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

ستبقى لها فى مُضمرِ القلبِ والحشا سَرِيرَةُ وُدٍّ يومَ تبلى السرائرُ

ومن أجود ما قيل فى حسن الحبيب فى عين المحبوب قول عمر بن أبى ربيعة :

خرَجتُ غداةَ النحرِ أعترض الدُّمي فلم أرَ أحلى منك فى العينِ والقلب
فوالله ما أدرى أحسناً رزقتـه أم الحبُّ يعمى مثل ماقيل في الحبِّ

وهو من قول النبي ﷺ « حُبُّكَ الشيءَ يُعمى ويصمّ [(١)] » وأنشدنى أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن سعيد الشامى عن الزبير بن بكار لعمر بن أبى ربيعة:

زَعموهـا سألتْ جاراتِها وتعرَّتْ يوم حَرّ تبـترد
أكما ينعتنى تبصرننى عمركنَّ الله أم لا يقتصد
فتضاحكنَ وقد قلنَ لهـا حسنٌ فى كلِّ عين من تودّ
حسداً حملنـهُ من أجلهـا وقديماً كان فى الناسِ الحسد

وأنشدناعنه قال أنشدنا اسحق لرجل:

حلفتُ بصحراء الحجون وناقتى لها بين قاع . الأخشبين حنينُ
غموساً لقد فضلت في الحسن بطة على الناس أولى من هواك جنون

---

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنكر بعض المحدثين أن يكون استحسانه لحبيبه لافراط حبه أو لجنونه له فيه فقال وأحسن:

جسنٌ والله فى عينى وفى كلّ العيون
قينةٌ بيضاء سوداء القرون
لم يصبها سقمٌ قطُّ سوى سقم العيون
لم أصفها بجمال لهوى أم لجنون
بل لحسنٍ وجمال قول حقٍّ ويقين

وقد أبدع الآخر فى قوله فى المعنى الأول :

يا مَنْ يلومُ عليه أنظر بعينى اليه
فلست تبرح حتى تصيرَ ملك يديهِ

وقد جمع القائل جمعاً حسناً فى قوله * وفى أربع منى حكت منك أربع *

أجود ماقيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمد قال قال ابن سلام أحسن ما قيل فى صفة النساء :

كأنَّ بيضَ نعامٍ فى ملاحفها إذا اجتلاهنَّ قيظ ليله ومد

وتشبيه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ماقيل فى الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم :

تَبدَّتْ لنا كالشمس تحتَ غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنَّت بحاجب (١)

مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدَّتْ كأنَّ الشمس تحت قناعها بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب

وهو أحسن ما قيل فى إعراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال:

كانَ المنى بلقائها فلقيتها ولهوتُ من لهو امرىء مكذوب
فرأيتُ مثلَ الشمسِ عند طلوعها في الحسنِ أو كدنوّها لغروب

---

(١) في منتهى الطلب من أشعار العرب « وضنت بجانب » .

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنورَ ليلة القدر

وفضلها كثير على الشمس فقال وأحسن :

بأبي وأمي أنت من مَعشوقة[١] طبن[٢] العدوُّ لها فغيرَ حالها
وسعى الىَّ بعيب[٣] عزةَ نسوةٌ جعل الالَه[٤] خدودَهنَّ نعالها
ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موقف[٥] لقضى لها

قوله عند موقف غاية مايكون من الاحسان .

ومن أحسن ماقيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :

فلما تواقفنا وسلمتُ أقبلت[٦] وُجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنعا
تبالهنَ بالعرفانِ لما رأينني وقلنَ امرؤٌ باغٍ أكلَّ وأوضعا
وقرّبنَ أسبابَ الهوَى لمتيم يقيسُ ذراعاً كلما قسنَ أصبعا

فذكر أنهن لم يتقنعن لحسن وجوههن ، أخذه من قول الشماخ :

لها شرقٌ من زعفرانٍ وعنبرٍ أطارتْ من الحسن الرِّداء المحبرا

ثم تصرف المحدثون فى تشبيهه أى الوجه بالشمس فقال ابن الرومى

* كالشمس غابت في حمرة الشفق * وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :

تتيهُ الشمسُ والقمرُ المنير اذا قلنا كأنهما الأميرُ
فان يكُ أشبها منهُ قليلا فقد أخطاهما شَبهٌ كثيرُ
لأنَّ الشمس تغرب حين تمسى وأنَّ البدرَ ينقصهُ المسير
ونورُ محمد أبداً تمامٌ على وضح الطريقةِ لايحور

وقد أحسن الآخر وقد جعل فى البدر مشابهة من وجه المرأة فقال :

---

(١) فى أمالى القالى (من مظلومة) . (٢) أى فطن ، وفى الاصل غير منقوطة .
(٣) في الامالى « بصرم عزة » . (٤) فى الامالى (جعل المليك).
(٥) في الامالى (موفق) . (٦) فى الأغانى « أشرقت » .

يابدر إنك قد كسيت مشابهاً   من وجهِ أمِّ محمد ابنة صالح
وأراك تمصح فى المحاق وحسنها   باقٍ على الأيام ليس بماصح

وقال العباس بن الأحنف :

قالتْ ظلوم وما جارتْ وما ظلمتْ   إنَّ الذى قد أسى بالبيد قد ظلما
البدرُ ليسَ له عينٌ مُكحلةٌ   ولا محاسنُ لفظٍ يَبعث السقما

وقال النظام : يامشرقاً ملأً العيو   نَ وطرفها مايستقل
أوفى على شمس الضحى   حتى كأنَّ الليلَ طل

وزاد آخر على هؤلاء كلهم فقال :

إذا عبتها شبهتها البدرَ طالعا   وحسبك من عيب لها شبهُ البدرِ

ومن أبلغ ماقيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبي نواس :

يزيدُك وَجهُـه حُسنا   إذا مازدْتهُ نظرا

فذكر أن حسنه يزداد على تكرار النظر والمعهود في كل شيء نقصانه على كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروعك إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم:

بيضاء يحضر طيب العيش ماحضرت   وان نأت عنك غاب اللهوُ والفرحُ
كلُّ اللباس عليها معرضٌ حسنٌ   وكلّ ماتتغنى فهوَ مقترح .

والمعارضة تتخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن فى كل معرض فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يُقرِّبُـهما هواها   وإنْ نزَحتْ بمنزلها البلادُ
يعادُ حديثها فيزيد حُسناً   وقد يُستقبحُ الشيءُ المعادُ

وقال الحمانى :

إذا كنت لم أفقد الغائبين   وان غبت كنت فريداً وحيدا
تباعد نفس إذا مابعدت   فليس تعاود حـتي تعودا

وهو من قول أبي نواس :

أشبهكَ الشيءَ حُسناً فما أعمُ ذلك حتى تزيدا

وقال بعضهم : وكلما عدت فيه يكون فى العود أحمد

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي العيناء عن الأصمعى قال أحسن ماقيل فى اللون قول ابن أبى ربيعة :

وهى مكنونةٌ تحير منها فى أديم الخدين ماء الشباب

قال وما أعرف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن ابراهيم بن اسمعيل فانه قال:

باتَ يعمى يعالج السهرا وراح نشوان يقسم النظرا

أغيد ماءُ الشباب يرغد فى خديه لولا أديمه قطرا

وقال ابن الأحنف :

وقد ملئت ماءَ الشبابِ كأنها قضيبٌ من الريحانِ ريَّان أخضر

وقال السرى: ومخطف يهتز عن ماء الصبا كأنما يهتز عن ماء العنب

وقلت : ووجهٌ تشرَّبَ ماء النعيم فلو عصرَ الحسنُ منه انعصر

يمرُّ فأمنحهُ ناظرى فينشر ورداً عليه الخفر

تمتعت العينُ فى نفسه فما جفلتْ بطلوع القمر

وقال ابن المعتز: يحرِّك الدلُّ فى أثوابهِ غصنا ويطلعُ الحسنُ من أزرارهِ قمرا

وقال ابن الرومى: متعاتُ وجهك فى بديهتها جددٌ وفى أعقابها أخرُ

وقوله : مخففة مثقلة تراها كأن لم يعد نصفيها الغذاء

إذا الاغباب جدَّدَ حسن شىءٍ من الأشياء جدَّدها اللقاء

ومثله قوله : لا شىءَ إلا وفيه أحسنه فالعينُ منهُ اليهِ تنتقل

فوائد العين منه طارقة كأنما أخرياتها الأول

وقد أطرف أبو نواس فى قوله :

انَّ اسمَ حسن لوجهها صفةٌ ولا أرى ذا لغيرها اجتمعا

فهي إذا سميتْ فقد وصفت قد يجمع [١] اللفظُ معنيين معا

وقد بالغ ذو الرمة في قوله :

فيالك من خـدّ أسيل ومنطق رخيم ومن خلقٍ تعلل جادبه

إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذى يعيبها لايجد عيباً فهو يتعلل . وهو في خبر حسن : أخبرنا به أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد حدثنا عمر بن شبة [٢] حدثني اسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني أبو صالح الفزارى قال ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الاعراب فقال عصمة بن مالك ـ شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة ـ إياى فاسألوا عنه كان من أظرف بني آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان اذا أنشد بربر وحبس صوته فاذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود وحرفاس وهو أوفى وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزيدون فيها الأبيات فيغلب عليها، فجمعني وإياهم مربع فأتاني يوماً وقال لي يا عصمة إن مَيّاً منقرية وبنو منقر أخبث حي وأقوفه لأثر وأبصره في نظر فهل عندك من ناقة نزدار عليها مياً فقلت اى والله إن عندى للجؤذر قال عليّ بها فركبناها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على بيوت الحي فاذاهم خلوف وإذا بيت مية خلو فعرف النساء ذا الرمة فقمن إلى بيت مي وجئن حتى أتخنا وسلمنا وقعدنا نتحدث واذامي جاريةِ المود؟ واردة الشعر صفراء فيها عسر واذا عليها سدت أصفر وكان أخضر فتحدثن ملياً ثم قلن له أنشدنا ياذا الرمة فقال أنشدهن ياعصمة فأنشدهن قوله :

نظرتُ الى أظعانِ ميَّ كأنها ذُرى النخل أو أثل [٣] تميل ذوائبه

فأوشكت العينان [٤] والصدر كاتم بمُغرورقٍ نمتْ عليه سواكبه

---

(١) في ديوان أبي نواس (ويجمع اللفظ). (٢) في الاصل (شمبة) وكذلك في بعض ألفاظ الخبر تصحيف صححنا أكثره من مصارع العشاق والأمالي وغيرها .

(٣) في ديوان ذى الرمة المخطوط «مولية ميس تميل ذوائبه» . (٤) في ديوان

بكى وامق (١) جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسراره ومعاتبه

فقالت ظريفة منهن لـكن الآن فليجل فنظرت اليهاميّ، ثم مضيت في القصيدة الى قوله :

اذا سرَحتْ من حُبِّ ميٍ سوارِحٌ عن القلبِ اتته جميعاً عوازبه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت ميّ ما أصحه وهنيئاً له فتنفس ذو الرمة تنفسة كاد حرها يطير شعر وجهه ، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفتْ بالله ميةُ ما الذى أقـولُ بهـا إلا الذى أنا كاذبُه

اذاً فرماني اللهُ من حيثُ لا أرى ولا زال فى أرضي عدوٌ أحاربُه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مى خف عواقب الله ياغيلان ، ثم مضيت حتى انتهيت إلى قوله:

اذا راجعتك (٢) القولَ ميةُ أو بدا لك الوجهُ منها أو نضا الدّرع سالبه

فيالكَ من خـدٍّ أسـيل ومنطقٍ رخيم ومن خلقٍ (٣) تعللَ جادبه

فقالت الظريفة للنساء ان لهذين لشأناً فقمن بنا فقمن وقمت معهن فجلست فى بيت أراها منه فسمعتها قالت له كـذبت والله وما أدري ما قال لها وما أكذبته ، فلبث قليلاً ثم جاءني ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أتحفتنا به مى وهذه قلائد للجؤذر ولا والله لا أقلدهن بعيراً وشدهن بذؤابة سيفه ثم انصرفنا فـكان يختلف اليها حتى تقضى الربيع ودعا الناس الصيف فأتاني فقال ياعصمة قد رحلت ميّ ولم يبق إلا الآثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر فى ديارها ونقفو آثارها فخرجنا حتى أتينا منزلها فوقف ينظر ثم قال :

ألا فاسلمي يادارَ ميٍ على البلى ولا زالَ منهلاً بجرعائك القطرُ

قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فانتبه وقال إني لجلد وان كان مني ماترى .

ذى الرمة « فأبديت من عيني» وفي المصارع والامالى (فأسبلت العينان والقلب كاتم) . (١) في ديوان ذى الرمة (هوى الف جاء الفراق ولم تجل) .

(٢) في الديوان والمصارع (إذا نازعتك) . (٣) في الامالى « ومن وجه » .

قال فما رأيت أحداً كان أشد منه صبابة ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقنا وكان آخر العهد به . ومن بديع ماقيل في حسن الوجه قول الصنوبري :

الم قلبي ناره وماشعر　　دبت اليه عقرب وقت السحر
دبت الى ظبي بعينيه حور　　دبيب لوطي توارى وانتشر
فظفرت لاظفرت أي ظفر　　وهكذا العقرب للقمر

أحسن ماقيل في العيون: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال أبو عمرو لأصحابه : ماأحسن ماقيل فى العيون ؟ قال بعضهم قول جرير :

إنَّ العيونَ التى فى طرفها حورٌ　　قتلننا ثُمَّ لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به　　وهُنَّ أضعفُ خلق الله أركانا

وقال آخر قول ذى الرمة :

وعينانِ قال الله كونا فكانتا　　فعولان بالالباب ماتفعلُ الخمر

وقال آخر بل قوله :

يذكرنى مياً من الظبي عينه　　مراراً وفاها الاقحوان المنوّر

و(مراراً) حشو لايحتاج اليه ، فقال أبو عمرو وأحسن من هذا كله قول عدى بن الرقاع(١) :

وكأنها بينَ النساء أعارها　　عينيه أحورُ من جآذرِ جاسم
وسنان أقصده النعاسُ فرنّقتْ　　فى عينه سنةٌ وليس بنائم

أخذ بعض المحدثين قول جرير * وهن أضعف خلق الله أركانا * فقال :

كأنما ازدادت قوى أجفانها　　ضعفاً تقوينَ على ضعفِ القوى

ومثله أيضاً قول الناشيء :

لا شيءَ أعجب فى جفنيه أنهما　　لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا

وقد أحسن ذو الرمة فى قوله :

---

(١) الرقاع هو جد جده وعرف بالنسبة اليه لشهرته، كان شاعراً مقدماً عند بنى أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، يعدُّ في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام .

إذا عرضتْ بالرَّملِ أو ماء عوهج لنا قلت هذا عينُ ميّ وجيدُها

ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز :

ويجرحُ أحشائى بعين مريضة كما لان متنُ السيف والحدُّ قاطع

ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومى :

نظرتْ فأقصدت الفؤادَ بسهمها ثمَّ انثنتْ عنه فكادَ يهيم

ويلاهُ إنْ نظرتْ وإنهى أعرضت وقعُ السهام ونزعهنَّ أليم

ومن البديع النادر الغريب فى ذلك قول بعضهم :

جعل الفتور بعينه كحلا فحفوته وحسن بها المسرة ؟

وقول الآخر :

ينظرنَ من خلل السجوفِ كأنما يمطرنَ أحشاءَ الكريم نبالا

ومن أظرف ما سمعناه فى هذا المعنى قول محمد بن أبى الموج :

للهِ ما صنعتْ بنا تلك المحاجرُ فى المعاجر

أمضى وأنفذ فى القلو بمن الخناجر فى الحناجر(١)

وقلت : فأرعى تحتَ حاشيةِ الدَّياجى شقائقَ وجنةٍ سقيتْ مداما

إذا اكرتْ لواحظُ مقلتيه حسبت قلوبنا مطرتْ سهاما

وإن مالتْ بعطفيه شمولٌ سقانا من شمائلهِ سقاما

---

(١) دخل أعرابى على ثعلب الراوية فقال أنت الذى تزعم الناس أنك أروى لشعر العرب؟ قال كذا يزعمون، قال أنشدنى أغزل بيت قيل في العيون فأنشده بيتى جرير * أن العيون التى في طرفها حور * فقال لاهذا شعرغث قدلا كته السفلة بألسنتها هات غيره ، فقال ثعلب أفدنا فقال الاعرابى :

نبارزُ أبطالَ الوغى فنبيدها ويقتلنا فى السن لحظ الكواعب

وليست سيوفُ الهند تفنى نفوسنا ولكن سهامٌ فوقت بالحواجب

فجن ثعلب استحسانا لها وقال اكتبوها ولو بالخناجر على الحناجر ـ كما في هامش الاصل .

وقال ابن الرومى :

تقسمها نصفان نصفٌ مؤنثٌ ... ونصفٌ كخوط الخيزران مذكرُ

تعبد من شاءَتْ بعين كأنها ... وإن سُقيتْ ريامن النومَ تسهرُ

وقلت : راحتْ تميسُ وحولها خردٌ ... كالبدر بين كواكبٍ شهبِ

فملأتُ طرفى من محاسنها ... ونسيتُ ما يجنى على الصبِّ

عين لعل السيف لحظتها ... أصبحت آمنها على قلبي

وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانقتُ فيها يده ... حتى الصباح موسداً كفيه

فسكرتُ لا أدرى أمن سكر الهوى ... أم كأسه[1] أم فيه أم عينيه

وغدا فتمَّ عليه عسد وسه ؟ ... أثر من التقبيل فى شفتيه

وسقام عين لم تذق طعمَ الكرى ... يدعو العوائد في الصباح اليه

وقلت : إذا ما جاءنى الآخذ عنى ... تشاغلَ طرفهُ بالأخذ منى

وقال البحترى :

أجد النار تستعارُ من النا ... ر وينشا من سقم عينيك سقمى

وقلت : يسعى الىَّ مقرطقٌ في كفه ... كأسٌ وبينَ جفونه كاسان

وقد أطرف البحترى فى قوله :

والذى صير الملاحة فى عيـ ... ـنيه وقفاً والسحر في أجفانه

لا أطعتُ العذولَ فيه وإن أسـ ... ـرف فى ظلمه وفى عدوانه

فدعا اللوم فى التصابى فانى ... لاأرى فى السلوِّ ماتريانه

وقلت : ومقلة كحميا الكأس مسكرة ... وحاجب كهلال الشهر مقرون

وقلت أيضاً :

ونسقيك في ليلٍ شبيهٍ بفرعها ... شبيهاً بعينيها وشكلاً بخدِّها

(١) في نسخة « كفه » مكان (كأسه) .

فتسكرُ من عينٍ وكأْسٍ وَوجنةٍ   تحييك أعتاب الكؤوس بوردها

وقالوا أجود ماقيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :

تجرى السواك على أغرَّ كأنهُ   بَرَدٌ تحدَّرَ من مُتونِ غمام

وقالوا بيت النابغة :

تجلو بقادمتى حمامة أيكة   برداً أسفَّ لثاتهُ بالإثمد

كالأقوحان غداة غِبِّ سمائهِ   جفتْ أعاليه وأسفلهُ ندى

شبه الشفتين لرقتهما بقادمتى حمامة . وقالوا بيت بشر بن أبى خازم :

يُفلِّجنَ الشفاه عن اقحوان (١)   جلاهُ غب سارية (٢) قطار

ومن أحسن ماجاء في ذلك قول البحترى :

ولما التقينا والتقى مَوعِدٌ لنا   تبينَ رامى الدُّر منا ولاقطه

فمن برَدٍ تجلوهُ عند ابتسامها   ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحترى :

إذا هنّ ساقطنَ الأحاديث بالضحى   سقاط حصى المرجانِ من كفِّ ناظم

ومن أحسن ماقيل فى بياض الثغر قول البحترى أيضاً :

ويرجعُ الليلُ مبيضاً إذا ضحكتْ   عن أبيضٍ خضل السمطين وضاح

فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال خضل لأن قلة الريق تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلايرى فى هذا المعنى أجمع من هذا البيت . وقد أحسن ابن طباطبا :

ثغرُهُ عندَ سرده   كالعناب المزرد

مثل دُرٍّ منظمٍ   بين درٍّ منضَد (٣)

وقد أحسن البحترى وأبلغ فى قوله :

---

(١) فى الأصل «عن الحوان» والتصحيح من «منتهى الطلب من أشعار العرب» .

(٢) في الأصل (سائرة) . (٣) (منضد) غير موجودة في الأصل .

وأرتنا خداً يراح له الور ... د ويشتمه جنى التفاح
وشتيتاً يفض من لؤلؤ النظـ ... ـم ويزرى على شتيت الاقاحي
فأضاءت تحت الدجنة للشر ... ب وكادت تضيء للمصباح
وأشارت إلى الغناء بألحا ... ظ مراض من التصابى صحاح
فطربنا لهن قبل المثانى ... وسكرنا منهن قبل الراح
وتدير[1] الجفون من عدم الأ ... لباب مالا يدور فى الأقداح

وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها ... أساريع فى أفواههن عقيق
دهانى منها نرجس يرشق الحشا ... وهل نرجس يا للرجال رشوق
ومبتسم عذب المذاقة مونق ... تجمع فيه لؤلؤ ورحيق

وقلت لبعض البغداديين ماأحسن ماقيل فى طيب النكهة والريق وحسن الثغر ؟ فقال قول ابن الرومى :

وقبلت أفواهاً عذاباً كأنها ... ينابيع خمر خضبت لؤلؤ البحر

فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لايحتاج اليه لأن اللؤلؤ لايكون إلا في البحر ولو كان فى غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته اليه فائدة .

وقد أحسن ابن الرومى فى وصف طيب النكهة فقال :

وما تعتريها آفة بشرية ... من النوم إلا أنها تتخثر
كذلك أنفاس الرياض بسحرة ... تطيب وأنفاس الأنام تغير

هذا التمثيل مليح جداً . وأجود ماقيل في الريق أيضاً قوله :

يارب ريق بات بدر الدجى ... يمجه بين ثناياكا
يروى ولا ينهاك عن شربه ... والماء يرويك وينهاكا

ولا أعرف لهذا البيت نظيراً فى معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :

سقته ابنة العمرى من خمر عينها ... ووجنتها كأساً يميت ويدنف

(١) فى ديوان البحترى (قد تدير) .

فقالَ امزجيها بالرُّضابِ لعـلّهُ ... يسكّنُ من خمر الهوى ويخففُ
فصـدَّتْ ملياً ثم جادَتْ بريقةٍ ... يزيد بها سكرُ المحبّ ويضعفُ
فراح بضعفى سـكره من مزاجهـا ... وقد يسأل العـدل الولاة فيسعف
فهل من مزاج زاد فى سكرِ شاربٍ ... سوى ريق ذات الخال أم أنت تعرف

وقال: مَزَجت خمرة عينيها بريقتها ... كيما تـكفكفَ عنى من حميـاهـا
فاشتد إسكارها إيایَ إذ مُزِجَتْ ... ومَزْجُك الكأس ينهى عنك طغياها

وأخبرنا أبو أحمـد عن يحيى عن الرياشي قال قال الاصمعى أحسن ما قيـل في الثغر قول ذى الرمة:

وتجلو بفرع من أراك كأنهُ ... من العنبر الهندىِّ والمسك ينفح
ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى ... اليهِ الندى غاديه والمتروّح

وقد أحسن ديك الجن في قوله:

وقهوة كوكبها يُزْهِرُ ... ينفحُ منها المِسكُ والعنبرُ
وردية يحدها ... ؟ كأنها من خدّهِ تُعصرُ
مهفهف لم يبتسم ضاحكا ... مذْ كانَ إلا كنبيذ الجوهر ؟

وقد جمع كشاجم فأحسن فى قوله:

البدرُ لا يغنيك عنهـا إذا ... غابتْ وتغنيك عن البدر
فى فمها مسـكٌ ومشمولةٌ ... صرفٌ ومنظومٌ من الدُّرّ
فالمسكُ للنكهةِ والخمرُ للـــر يقـــةِ واللـؤلؤ للثغـر

جمع ثم قسم تقسيما صحيحاً ولم يترك مزيداً. ومن البارع المشهور فى هذا المعنى قول الصنوبرى:

تلك الثنايا من عقدها نظمتْ ... أم نظمَ العقـدُ من ثناياها

وقال غيره وأحسن التقسيم:

وثنايا وريقـة كغـدير ... وعقار وروضـة من أقاح

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه جامد في خمره برد
وقال : قلتُ للكأسِ وهو يكرَع منها ذقتُ منه والله أطيبَ منكَ
وقال : ياسر إن أنكرتنى فلكم ليل رأتك معى كواكبه
بأبى حبيبٌ كنتُ أعهده لى واصلاً فازورَّ جانبه
عبق الكلام بمسكة نفحتْ من فيه ترضى من يعاتبه

وقد أحسن أبو تمام فى قوله :

تعطيك منطقها فتعلم أنه بجنى عذوبته يمرُّ بثغرها

وهو من قول بشار :

ياأطيبَ الناسِ ريقاً غيرَ مختبر إلا شهادةُ أطرافِ المساويك

وقول بشار من قول قيس :

كأنَّ على أثوابها الخمر بماء الندى من آخرِ الليل غابق
وما ذقته إلا بعينى تفرُّساً كما شيم من أعلى السحابة بارق

ومثله قول الآخر : وتبسم عن ألمى اللثات مفلج خليق الثنايا بالعذوبة والبرد

وقال ابن الرومى :

بدا لى وميضٌ مؤذنٌ أنّ صوبه عريضٌ وما عندى سوى ذاك مخبر
وما ذقتهُ إلا لشيم ابتسامها فكم مخبرٍ يبديه للعينِ منظر

وقال عمارة بن عقيل (١) :

كأنَّ على أنيابها مبيت الكرى وقيعه بردى تهلل فى تعب؟
تأمل عين لاتقيل إذا ارتأت وقلب وما أنباك أشعر من قلب

وقال آخر وأحسن : بأبى فمٌ شهدَ المحب له قبلَ المذاق بأنه عَذب
كشهادةٍ لله خالصة قبلَ العيانِ بأنه ربُّ

وقلت فى معنى الأول : أقول للالاح من خدره والليلُ يرخى الفضل من ستره

---

(١) شاعر مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة .

أبدرُه أحسنُ من وجهه ... أم وجههُ أحسنُ من بدره
قد مالت الرّقةُ في شطره ... ومالت الغلظةُ فى شطره
فأزرُه غصتْ بأردافه ... ووشحه جالت على خصره
أصبحتُ لاأدرى وان لم يكنْ ... فى الأرضِ شيءٌ أنا لم أدرِه
أشعرُه أحسنُ من وجههِ ... أمْ وجههُ أحسنُ من شعره
ودرُه يؤخذُ من لفظه ... أم لفظهُ يؤخذ من درِّه
وثغرُه ينظمُ من عقدهِ ... أم عقده ينظمُ من ثغرهِ
فمن عذير الصبِّ من صدِّهِ ... ومن يجيرُ القلبَ من هجرِه
ياليته يَعرفُ حُبي له ... عساه يجزينى على قَدْرِه

أحسن ماقيل فى حديث النساء قول القطامى :

فهنَّ ينبذن من قولٍ يصبنَ به ... مواقعَ الماءِ من ذى الغلةِ الصادى

وقد أحسن القائل :

هى الدُّرُّ منثوراً إذا ماتكلمتْ ... وكالدُّرِّ منظوماً إذا لم تكلم
تعبّدُ أحرار القلوبِ بدَلّها ... وتملأ عينَ الناظرِ المتوسم

وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان فى قوله :

لعمرك ماأجدَى هواك سوى المنى ... علىّ وما ألقاك إلا كما أخلو

ثم قال : وشر أحاديث عذاب لوانها ... جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل

الناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن.
وعندى ان أحسن ماقيل فى وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الرومى :

وحديثها السحرُ الحلال لوانه ... لم يجن قتل المسلم(١) المتحرز
ان طالَ لم يُملل وان هى أوجزَت ... وَدَّ المحدِّث أنها لم توجز
شركُ القلوب وفتنة (٢) مامثلها ... للمطمئنِّ وعقلة المستوفز

---

(١) في من غاب عنه المطرب (العاشق) . (٢) فى الأمالى (ونهزةٌ)

ومن جيد ماقيل فى الحديث ومشهوره قول ابن الرومى :

ولقـــد سئمت مآربى فكأنَّ أطيبها خبيث
إلا الحـديثَ فانهُ مثل اسمه أبداً حديث

وقلت: وحـديث كأنهُ عقدُ ريا بتُّ أرويه للرِّجال وتروى
وحديث الرِّجال روْضةُ أنس باتَ يرعاهُ أهـل نبل وسرو

ومن جيد ماقيل فى الحياء ماأخبرنى به عم أبى قال قال أبو العباس الفضل ابن محمد اليزيدى قال قال الهيثم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً شريفاً فى امرأة خفرة ؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

يضىءُ بها البيتُ القليل خصاصه إذا هى ليـلاً حاولتْ أن تبسما

قال لم يصف شيئاً ، قلنا فبيت الأعشى :

كأنَّ مشيتها من بيتِ جارتها مرُّ السحابة لاريثٌ ولاعجل

قال قد جعلها خرجت وهذا ضد الخفر ، قلنا فهات ماعندك قال قول أبى قيس بن الاسلت [1] :

ويكرِمُها جاراتها فيزُرنها وتعتلُّ عن إتيانهنَّ فتعتذر

أجود ماقيل في العناق قول بكر بن خارجة [2] :

انى رأيتك في نومٍ تعانقنى كما تعانقُ لامُ الكاتبِ الألفا

وهـذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتج له بأن يقال الألف لاتعانق اللام إلاواللام معانقة لها . ومن أطرف ماقيل في ذلك قول ابن المعتز :

كأننى عانقتُ ريحانةً تنفستْ فى ليلها البارِدِ
فلو ترانا فى قميص الدُّجَى حسبتنا من جَسدٍ واحد

وقلت فى نحو ذلك :

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت اليه حربها وجعلته رئيساً عليها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظمٌ في الهوى واحدٌ كأننا عِقدانِ في نحر

وقال التنوخي :

لله أيامٌ مَضينَ قطعتها وطوالها بالقاصراتِ قصارُ
أخلو النهار على النهار وانني والشمسُ لي دونَ الشعار شعار
خَدَّاهُ وَرْدٌ والنواظرُ نَرجسٌ والثغر سوسنُ والرضابُ عُقار
حتى اذا ما الليلُ أقبلَ ضمنا دُونَ الازارِ من العناقِ إزار
فعلى النحورِ من النحور قلادَةٌ وعلى الخدودِ من الخدود خمار

وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول ابن الرومي :

طالما التفتْ الى الصبح لنا ساقٌ بساق
في قناع منْ لثام وإزارٍ منْ عناق

وأنشد أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد لابن عيد كأنه الكاتب :

وكلانا مُرتَدٍ صاحبهُ كارتداءِ السيف في يوم الوغى
بخدودٍ شافياتٍ من جوى وشفاهٍ مُروياتٍ من ظما
نتساقى الريقَ فيما بيننا زا امات القطا زغب القطا

أحسن ماقيل في الشعور من الشعر القديم قول الأعشى :

فأنضيت منها الى جنةٍ تدلتْ عليَّ عناقيدُها

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتعجب من حسنه ويقدمه على جميع ماقيل في الشعر . وقد أحسن القائل :

بيضاء تسحبُ من قيام فرعها وتغيبُ فيهِ وهو جثلٌ(١) أسحم
وكأنها فيهِ نهارٌ ساطعٌ وكأنه ليلٌ عليها مظلم

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

---

(١) في الأصل غير منقوطة والتصحيح من (من غاب عنه المطرب) وفي الامالي « وحفٌ أسحم » .

نشرت عليّ ذوائباً من شعرها   حذرَ الكواشح والعدوّ المحنق
فكأنني وكأنها وكأنهُ   صبحان باتا تحتَ ليلٍ مطبق

وقد أحسن السرى القول فى سواد الشعر مع أوصاف أخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوهها (١)   مصبوغة بدُجى الظلام طرارها
أغصان بان أبدعت (٢) فى حملها   فغرائبُ الوردِ الجنىّ ثمارها
طالت ليالى الحبّ بعد فراقها   وأحبهنّ الى المحبّ قصارها
ولرُبّ ليلاتٍ بهنّ تفرّجت   أسدانها وتأرّجت أسحارها
ماكانَ ذاك العيشُ إلا سكرةً   رَحلت لذاذتها وحلّ خمارها

وقال ديك الجن :

أنظر الى شمسِ القصورِ وبدرِها   والى خزاماها (٣) وبهجةِ زهرها
لم تبل عينك أبيضاً في أسود   جمعَ الجمالَ كوجهها فى شعرها

وقال أبو تمام :

بيضاء تسحبُ شعرها من وجهها   فى حسنهِ أووجهها من شعرها

وقال أبو نواس :

وسالتْ من عقيصتها   سلاسلُ كسرتْ حلقا

وقال آخر : سيقربُ منك الردى عنوةً   اذا مانأتْ عنك أجماله
فهل أنتَ باك على اثره   وهل تشجينك أطلاله
سيكثرُ من بعدِ ترحالهِ   توجّعُ صبٍّ وإعواله
بنفسى الذى قلقه وشحه   وضاقَ بما فيه خلخاله
يريك الحنادسَ إدبارهُ   ويبدى لك الصبحَ اقباله
مليحُ الدّلالِ قليلُ النوالِ   جميلٌ وان قلّ اجماله

وقلت : رخيمٌ فاتر اللحظ - رشيقٌ مخطف الخصر

(١) في ديوان السرى (جباهها). (٢) في الديوان (أغربت). (٣) في الأصل (حدامها).

وقد عُمَّ بالليل وقد قنعَ بالفجر
وما ينفعني حسنك ياأحسن من بدر
اذا كان نصيبي منك طول البينِ والهجر

وقال كشاجم :

بالله يامتفرداً في حسنه (١) ومقلتنا هروت بين محاجره
ومحكياً أردافهُ في خصره ومصافحاً خلخالهُ بضفائره
ويكاتمُ الاسرار حتى إنه ليصونها من أن تمرّ بخاطره
لاتعصينّ على فتى يرضى بما أوليتهُ ولو انتقلتَ بناظره

أخذ قوله * ومصافحاً خلخاله بضفائره * من قول أبي نواس :

باتوا وفيهم شموسُ دجن ينعلُ أقدامها القرونُ
تعومُ أعجازُهنّ عوماً وتنثنى فوقها المتونُ
غريبُ شكل بديع حسن أفردهُ (٢) المثلُ والقرينُ
بانوا بروحي فصرتُ (٣) وقفاً لا بي حراكٌ ولا سكونُ

وقال نصر بن أحمد :

سلسل الشعر فوقَ وجهفحاكى ظلمةَ الليلِ فَوْقَ ضوءِ الصباح

وقال السرى :

قصرت ليلةُ الخورنقِ حسناً والليالى الطوالُ فيه قصارُ
إذ وجوهُ الأنام فيه رياضٌ ومياهُ السرورِ فيه غمار
وجنات تحيرَ الوَردُ فيها وثغورٌ جرتْ عليها العقار
فضحاهُ من الذوائبِ ليلٌ ودجاه من الخدودِ نهار

وقال : ومالت غصونٌ طوقتها مناطقٌ ولاحت شموسٌ توجتها حنادسُ

---

(١) في ديوان كشاجم (بالله يامتفرداً بجماله) . (٢) في ديوان أبي نواس (أعوزه المثل والقرين) . (٣) في الديوان (فصرت شخصا)

وقلت : وذي غنج يأوي إلى فرعه الدُّجى ولكنها عن وجهه تتفرَّج
ففيه ظلام بالصباح معمم وفيه صباحٌ بالظلام متوَّجُ
يروق سليمى منك جعد مسلسل ويسليك منها أقحوان مفلج
وفرعك من صبغ الشباب ممسك وخدُّك من ماء الجمال مضرج
ووجهك مثلُ الروض يغسله الحيا تمشطه أيدى الرياح فيبهج

أبلغ ما قيل في صفة الاصداغ والعذار : فمن بديع ما قيل فى الصدغ قول ابن المعتز :

له ظمرة كجناح الغدافِ تلوح على غمرة مقمرة
وفى عطفة الصدغ خال له كما استلب الصولجانُ الكره
وقوله : وكأنَّ عقربَ صدغه وقفتْ لما دنتْ من نارِ وجنته
وقوله : غلالة خَـدِّه وردٌ جنىّ ونون الصدغ منقوطٌ بخالِ
وقلت : وكأنَّ دارةَ صدغهِ وعذارهِ ألفٌ تقوم تحتَ نون تعطف

وقال ديك الجن :

فقام مختلفاً كالبدر مطلفا والخشف ملتفتاً والغصن منقطفا
رقتْ غلالةُ خديه فلو رميا باللحظِ أو ماهما بأن يكفا
كأنَّ لاماً أديرت فوق وجنته واختطَّ كاتبها من تحتها ألفا
وقلت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته رأيتَ تفاحةً بها عضه
وقلت : الغيمُ بين ممسك ومكفر والرَّوضُ بين مجدد ومدبج
فأذا شربت فمنْ رحيقٍ سلسل وإذا رشفت فمن شتيت أفلج
من ريق أهيف كالقضيب مخضرا أو كفٍّ أباج كالصباح الأبلج
فاذا جلا لك غرَّة فى طرَّة ألوى بقلبك أبلج في أدعج
فانظر عناقَ ممسك لمكفر يجلوه حسنٌ مفلج ومضرج
وإذا تعانق خدُّهُ وعذارهُ فانظر عناقَ عقائق وبنفسج
وقال آخر : عجبي لخضرة زعفران عذاره ومن العجائب زعفرانٌ أخضر

وقال ابن المعتز :

من كفِّ ريم تثنى مناطقه على هضيم الكشحين ممشوق
يعطيك ماشاء من معانقة مقفلة من وراء معشوق
مسطرُ الخدِّ بالعذارِ ولا يحسنُ غصنٌ الا بتوْرِيق

وقلت : له وجنتا وَرْدٍ وعينا غزالةٍ وغُـرَّة اصباحٍ وطـُرَّة غيهبِ
وصدغٌ يناجي الأذنَ وهو مُعقرب وطوراً يناغى الخدَّ غـير مُعقرب
له من ظلام الليـلِ أحسنُ ملبس وفوقَ ضياءالصبح أحسن ملعب

وقال الصنوبرى :

تلك طرارٌ عليك أمْ حلقٌ زانك صدغانِ أم هما زردُ

وقلت : يفـتنُ القلبَ بخـدٍّ لم يدَعْ للوَرْد قدرا
مثلمـا تـكتبُ بالمسـك على الكافورِ سطرا
وعذار يسحرُ الصـبَّ وما يعرفُ سحرا
وبصدغ دارَ فى الخـدِّ كما تعقـدُ عشرا
كلما أظلم (ليلى)[1] كان (لى) وجهك فجرا

وقال ابن المعتز :

لعمركَ ماأزْرَتْ بيوسفَ لحيةٌ ولـكنه قد زاد حسناً وأضعفا
فلا تعتذر من حبـهِ في التحائهِ فما يحسـنُ الدينارُ إلا مـسيفا

وقال فى خضرة الشارب :

تَبسَّمَ إذ مازَحتُهُ فـكأنما تـكشفَ عن دُرٍّ حجابزبرجد[2]

وقال بعض المتأخرين وأحسن :

ومُعذَّرين كأنَّ نبتَ خدُودهم أقلامُ مسك تستمدُّ خلوقا
قرفوا البنفسجَ بالشقيقِ ونظموا تحت الزَّبرْجَـدِ لؤلؤاً وعقيقا

---

(١) مابين القوسين غير موجود فى الأصل . (٢) في ديوان ابن المعتز (زمرد) .

وقلت : وعما فقت خلف من صدغه خلفا   كالعين فى العينِ وكالجيم في الجيم ؟

وقلت وليس من هذا الباب :

كأنما النورُ مضحكٌ يقق   وعطفةُ الغصن شاربٌ خضر

وقلت: وترى النورْ رَمثلَ مضحك خود   وترى الغصنَ مثلَ شاربَ أمرد

ولعبد الرحمن السيلي رجل من أهل خراسان :

وشادن سائقات الشعر قد سلكتْ   فى عارضيهِ على جهدٍ بها طرقا

هذا البيت متكلف جداً :

لما رأتْ أنها قد أخطأت وجَنتْ   ولّتْ تَعودُ فدارَت كلها حلقا

وهو مأخوذ من قول كشاجم :

علم الشعر الذى عاجلهُ   أنه جار عليهِ فوقف

فقال هذا (وقف) وقال عبد الرحمن (دارت حلقا) الفرق بينهما هذا .

وقلت : لاو الذى دار من صدغيك وانعطفا   وصار نوناً إذا صيرتهُ ألفا

ما كنتُ إذ خنتني الا أخا ثقةٍ   لم تستعضْ منهُ إذ ضيعتهُ خلفا

لم أسبق لمعنى البيت الأول . وقلت :

قد التوى صدغهُ واختطّ عارضهُ   كأنّهُ ألفٌ من فوْقه نونُ

وقلت أيضاً ولم أسبق الى معناه :

ومغنج قالَ الكمالُ لوجهه   كنْ مجمعاً للطيباتِ فكانَهُ

زعمَ البنفسجُ أنه كعذارِهِ   حسناً فسلوا من قفاهُ لسانَهُ

أعنى المنة النابتة تحت ورقة البنفسج : وقلت :

بنفسجُ عارضه ينثنى   إلى حمرةٍ من وجنتيه

فيجعلُ قلبيَ في كفه   يسيءُ اليهِ ويعدو عليه

وقال ابن المعتز :

والصدغُ فوقَ العذار منكسرٌ   كصولجانٍ يرد ضربته

وقال * وصدغه كالصولجان المنكسر *

أجود ماقيل فى حسن القد ورقة الخصر وكبر العجيزة : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبى عن عسل بن ذكوان ، وأخبرنا به أبو على بن أبى حفص عن جعفر ابن محمد العسكرى عن بعض رجاله قال قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه أنشدونى أحسن ماقيل فى حسن القد وعظم العجيزة فأنشده بعضهم قول علقمة :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة[1]   كأنها رشأ فى البيت ملزوم

قال لم تأت بشيء ، فأنشد بيت ذى الرمة :

ترى خلفها نصفا قناة قويمة   ونصفا نقا يرتج أو يتمرمر

وأنشد بيت الأعشى :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكةٌ   إذا تمشت يكاد الخصر ينحول[2]

وأنشد بيت ذى الرمة :

عجزاءُ ممكورةٌ خمصانةٌ قلقٌ   عنها الوشاح وتمَّ الجسمُ والقصبُ[3]

فقال أحسن من هذا كله قول الحارث :

غرثان سمط وشاحها قلق   شبعان من أردافها المرط

قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال :

سلمى وتسلى تفوق المنى ؟   والوصف أنواعاً وألوانا

وشاحها يحسدُ خلخالها   كجائع يحسدُ شبعانا

نقله إلى وصف السلو ، وأخذه ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال :

وظبــاءٌ غرائر   مشبعات المآزرِ

ومن البديع قول أبى نواس :

وريان من ماء الشباب كأنهُ   يظمأ من ضمرِ الحشا ويجاع

---

(١) فى ديوان علقمة (خرعبة) . (٢) فى ديوان الأعشى (ينخزل) .

(٣) قلق وشاحها لضمور بطنها ؛ والقصب : العظام التى بها المخ .

أخذه الآخر فقال :

ظبيٌ كأنَّ بخصره ... من ضمره ظمأ وجوعا

وقلت : وقد يعصن اوفاما ... كشاماتِ كافور

وقد شَدَّتْ زنانيراً ... على مثل الزنابير

وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زنانير شددنَ عقودها ... زنانير عكان معاقدها السرر

وقال مؤمل وأفرط :

من رأى مثلَ حِبتى ... تشبهُ البدرَ إذ بدا

تدخلُ اليومَ ثم تد ... خلُ أردافها غدا

وأنشد أبو أحمد قال أنشدنى أبو بكر بن دريد [1] :

قد قلتُ لما مرَّ يخطو ماشياً [2] ... والرِّدفُ يجذبُ خصرهُ من خلفه

يا منْ يُسلمُ خَصرهُ من ردفه ... سلمْ فؤادَ محبهِ من طرفه

وقد أحسن القائل في وصف لين القوام والسرغ ؟

ممن له حسن الرحيق وطيبه ... ومزاج شاربه ومشى نزيه

وقلت : لاوالظباء الآنسات إذا رَنتْ ... فاقتن حسن عُيونهنَّ فتونا

ان لحنَ لحنَ كواكباً أو نحنَ نحـ ... ـنَ لطائماً أو ملنَ ملنَ غصونا

ويدرن من مقل اليك فواترٍ ... يكسينَ قلبك بالفتور فتونا

ماخنت عهد هوى عليك وقفته ... وأخو المروءةِ لايكونُ خؤونا

وقبل هذا : مترجرج الارداف مضطمر الحشا ... لدنُ القوام يكادُ يعقد لينا

داب النعيم له فأثمر صدرهُ ... ثمراً إذا حلت الثمارُ حلينا

يقال حلا الشيء في الفم وحلى فى القلب . وكتبت في فصل لى : والله يعلم أنى أخدمه بالضمير خدمة لو تصورت له لرآها الرائى روضاً ممطوراً ووشياً منشوراً

(١) نسب البيتان فى ذيل الأمالى لخالد الكاتب. (٢) في الذيل (لما أن بدا متبخترا)

ولؤلؤاً منظوماً ومنثورا بل لأبصر أعطاف الفتيان تتثنى تثنى الأغصان في قراطق الحبير ومن زرات الديباج والحرير وقد اطلعت أزرارهم بواهر الأقمار مطرفة بعقارب الاصداغ وحلق الاطرار فأقبلوا يسفرون عن غرة الصباح ويبسمون عن حباب الراح ويمزجون الدلال بخجل أسأرء فيهم الوصال فاذا حضروا وكلوا الابصار وإذا غابوا استوهبوا القلوب والافكار فهم الداء والدواء ومنهم السقم والشفاء.

ومن الافراط فى ذكر الغيد وهو لين القامة قول مانى (١) :

أتمنى الذى إذا أنا أومأ ... تُ إليه بطرف عينى تجنّى

أهيفٌ كالقضيب لو أنّ ريحاً ... حرّكت هدب ثوبه لتثنّى

وأجود ما قيل فى النهود وعظم العجيزة قول الأعرابى : بيضاء جعدة لايمسّ الثوب منها إلا مشاسنه كتفيها وحلمتى ثدييها . أخذه الشاعر فقال أو أخذه الاعرابى من الشاعر :

أبت الروادفُ والثدىُّ لقمصها ... مَسَّ البطون وان تمسَّ ظهورا

وإذا الرّياحُ مع العشىّ تناوحتْ ... نبهن حاسدةً وهجنَ غيورا

وقلت : تمشي بأرداف أبين قعودَها ... بين النساء كما أبينَ قيامها

وقال ابن المعتز فى النهود :

يا غُصناً ان هزّه مشيهُ ... خَشيتُ أن يَسقطَ رُمّانهُ

إرحم مليكاً صارَ مستعبداً ... قد ذلّ في حبك سلطانهُ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن العكلى عن ابن خالد عن الهيثم ابن عدى قال قعد اعرابى إلى جانب دار إسماعيل بن على بالكوفة فخرجت جارية فطفق الاعرابى ينظر اليها فقال له رجل ما نظرك إلى شيء غيرك أقبل على شأنك واصبر ، والجارية تسمع ـ فقال الاعرابى ربلات تصطك وغصن يهتز وثدى يحرق أهابه وتقول اصطبر، فضحكت الجارية وقالت والله مامدحنى أحد مثل ما مدحتنى

(١) هو مانى الموسوس الشاعر المصرى المشهور .

به . فقال بأبى أنت وأمي أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر الـكامن وانك لما يما يكنى عنه الربلات بجامع الفخذين ؟. وقلت :

أيا وَرداً على غصن بكرٌ اللحظ يلقطه
ورماناً على قتن يكادُ المشيُ يسقطهُ
أبى والبدرُ يحسدهُ وشمسُ الدُّجن تغبطهُ
وخوفُ الناس يقبضهُ وحبٌ الوصل يبسطهُ

وأحسن ما قيل فى الثدى :

قبيحٌ بمثلكِ أن تَهجرى وأقبح من ذاك أن تُهجرى
أقاتلتى بفتورِ الجفونِ ورُمّانتين على منبر
كحقين من لبِّ كافورةٍ برأسيهما نقطتا عنبر

والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسي الدّاعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقع
فغطتْ بكفيها (١) ثمارَ نحورها كأيدى الأُسارى أثقلتها (٢) الجوامع

وهو حسن جداً ومثله قول النميرى :

أعميرُ كيفَ طلبتِ بحاجة إلى صمِّ الصخور
لله درُّ عداتـكم كيفَ انتسبنَ إلى الغرور
ولقد تبيتُ أناملى تجنينَ رمانَ الصدور

وقال على بن الجهم :

شاخص فى الصدر غضبان على قبب البطن وطي العـكن
يملأ الـكفَّ ولا يفضلهُ وإذا أثنيته لا ينثنى

وقد طرف ابن الرومى فى قوله :

صدورٌ فوقهنّ حقاق عاج وحلىٌ زانهُ حسنُ اتساق

---

(١) فى ديوان الصريع « فغطت بأيديها » . (٢) فى الأصل « أقفلتها » .

يقول القائلونَ إذا رأوها   أهذا الحلي من هذى الحقاقِ

أجود ماقيل فى الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسود بن يعفر :

يسعى بها ذو تُؤمتين مُقرطق[1]   قَنأَتْ أنامِلهُ من الفرصادِ

فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبى نواس :

ياقمراً أبصرتُ فى مأتم   يندبُ شجواً بين أترابِ

يبكي فيلقي الدُّرّ من نرجسٍ   ويلطمُ الوَرْدَ بعنابِ

وقال ديك الجن :

ودعتها لفراقٍ فاشتكتْ كبدى   وشبكتْ يدها من لوعةٍ بيدى

وحاذرت أعين الواشينَ وانصرفَت   تعضُّ من غيظها العنّابَ بالبرد

فكانَ أوّل عهد العين يومَ نأتْ   بالدّمع آخر عهد القلب بالجلد

ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قالوا الرَّحيل فأسرَعتْ أطرافها   فى خَدِّها وقدا كتسينَ خضابا

فاخضرَّ موضعُ كفها فكأنّما   غَرَسَتْ بأرض بنفسج عنابا

وقال الناشىء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

من كفِّ جاريةٍ كأنَّ بنانها   من فضةٍ قد طرّفت عنابا

وكأنَّ يمناها اذا نطقتْ به   يلقى على يدها الشمالِ حسابا

وقال أيضاً : لناقينةٌ ترنو بناظرتينِ   بما فى قلوب الناسِ عالمتين

تخالُ تطاريف الخضابِ بكفها   فصوصَ عقيقٍ فوق قضب لجين

وقال : متعاشقان مكاتمان هواهما   قد نامَ بينهما العتابُ فطابا

يتناقلان اللحظَ من جفنيهما   فكأنّما يتدارسان كتابا

واذا هدَتْ عينُ الرّقيب تخالست   كفاهما حلس السلام سلابا

بأنامل منه يلوحُ مدادها   وأنامل منها كسينَ خضابا

(١) في الأصل «كأنّما» وفي منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق) .

فكأنما يجنى لها من كفه عنباً وتجنيه له عنابا

يذكر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقلت:

انظر الى النقش من أطرافها البضه مثل البنفسج منثوراً على فضه

أوخلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على جمارة غضه

ومن غريب ماقيل فى نظم حليهن قول النمر بن تولب:

كعاب عليها لؤلؤ وزبرجد ونظم كأجوان الجرادِ مفصل

قوله «كاجوان الجراد» غريب بديع لم يسبق اليه ولا أعرف أحداً أخذه منه.

ومن البديع قول الدمشقى:

بدر بدا والشمسُ في كفه وأنجمُ الليل عليه رعاث

وهو من الليلِ ومن طرفه وشعرهِ فى ظلماتٍ ثلاث

أحسن ماقيل فى صفة الدمع اذا امتزج بالدم قول أبى الشيص:

لهوت عن الأحزان اذ أسفر الضحى وفى كبدى من حرّهن حريق

مزجت دماً بالدّمع حتى كأنما يذاب عليها لؤلؤ وعقيق

وقول أبى تمام: نثرت فريد مدامع لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المغرم (١)

وصلت نجيعاً بالدّموع (٢) فخدّها فى مثل حاشيةِ الرّداء المعلم

وقال: أبيتُ أراعى أنجم الليل بعدكم فياليت شعرى هل تراعونها بعدى

ودمع نثرت دُرّه وعقيقه كأنى حللتُ العقدَ من طرف العقد

ومن أجود ماقيل فى بياض الدمع على حمرة الخد ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى:

لو كنتَ يوم الوداع حاضرنا وهنّ يطفئنَ لوعةَ الوجد

لم ترَ إلا الدّموعَ جاريةً تسقطُ من مقلة على خدّ

كأنّ تلك الدموعَ قطرُ ندى يقطرُ من نرْجسٍ على وَرْدِ

ونحوه قول ابن الرومى:

---

(١) فى ديوان أبى تمام (شجو المغرم). (٢) فى الديوان (وصلت دموعاً بالنجيع)

لما دَنا البينُ وراحَ الدّلُّ ودَّعتها ودمعها مُنهلُّ
وخَدُّها من قطره مُخضلُّ كأنَّهُ وَرْدٌ عليهِ طلُّ

ومن أجمع بيت قيل قول المحدثين :

فأسلبتْ لؤلؤاً من نرجسٍ وسقتْ وَرْداً وعضَّتْ على العنابِ بالبرَد

ليس لهذا البيت نظير . وقلت :

يبكي فيسقي الدَّمعُ وجنته كما يسقى الطل وردة غضه؟

ومن المشهور قول بعضهم وهو حسن :

كأنَّ الدُّموعَ على خدّها بقيةُ طلٍّ على جلنار

ونحوه ماأنشدناه أبو أحمد في العرق :

يحدر من ارجاء صورة وجهه من الفم سح في الجبين وفي الخدّ
فرادى ومثنى يستبينُ كأنَّهُ سقيطُ ندى وفي على وَرَق الورد

ومثله ماقلت :

أخرَجهُ الحمَّام كالفضه يحسدُ منهُ بعضُهُ بعضه
كأنما الماءُ على جسمه طلٌّ على سَوْسنةٍ غضه

وفي صفة الدمع :

توريدُ دمعي من خدَّيك مختلسُ وسقم جسمي من عينيك مُسترق
لم يبق لي رمقٌ أشكو هوَاك به وإنما يتشكى من به رَمقُ

وأبلغ ماقيل في امتلاء العين من الدمع قول بعض الاعراب أظنه :

فظلتُ كأني من وراءِ زجاجةٍ إلى الدارِ من فرطِ الصبابة أنظرُ

وقول البحتري في معناه :

ويحسنُ دَلُّها والموتُ فيه وقد يستحسن الموتُ الصقيل
وقفنا والعيونُ مُشغلاتٌ يعالج دمعها طرفٌ قليلُ (١)

(١) في أمالي القالي (يغالب دمعها نظر كليل) .

نَـبَّهتهُ رقبةُ الواشـينَ حتى   تعلق لايفيضُ ولايسـيل

قوله «يحسن دلها والموت فيه» أحسن ماقيل فى الدلال .

ومن أعجب ماقيل في الدمع قول بعضهم ونسب إلى السرى ولاأظنه له :

بنفسى من رَدَّ التحيةَ ضاحـكاً   فجَدَّدَ بعدَ اليأسِ فى الوصل مطمعي

إذا مابدا أبدى الغـرامُ سرائرى   وأظهرَ للعذَّال مابينَ أضلعى

وحالتْ دُمُوعُ العينِ بينى وبينهُ   كأنَّ دمُوعَ العـينِ تعشقهُ معى

وهذا معنى ظريف حسن جداً .

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ماأنشدناه أبو أحمد عن الصولى :

قد كانَ فى طول البكا لى راحةٌ   وعنانُ سرِّى في يدِ الكتمان

حتى إذا الاعلانُ نبهَ واشياً   رقأتْ دموعى خشيةَ الاعلان

ومن البديع فى ذلك قول بشار وهو مشهور :

ماءُ الصبابةِ نارُ الشوقِ تحذره   فهلْ سمعتم بمـاءٍ خافَ من نار

وقلت : أشكو الهوى بدُموع قادها قلق   حتى علقنَ بجفن رَدَّها الغرق

ففى فؤادى سـيلٌ للاسى جددٌ   وفى الجفونِ مقيلٌ للـكرى قلق

لهيبُ قلبي أفاضَ الدَّمعَ من بصرى   والعودُ يقطرُ ماءً حينَ يحـترق

ولاأظننى سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز :

ولطمةُ خدٍّ تجعلُ الوَرْدَ خرَّما   وتنثرُ دمعاً لايباعُ بأثمان

ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

والله لولا أنْ يُقالَ تغيرا   وصبا وإنْ كانَ التصابى أجدرا

لأعادَ تفاحَ الخدود بنفسجاً   لثمى وكافورَ الترائبِ عنـبرا

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال أنشد الحسن بن رجاء عن المبرد يوماً بيت ذى الرمة :

لعلَّ انحدارَ الدَّمع يُعقبُ راحةً   من الوجد أويشفى نجىَّ البـلابل

وقال له من قال فى مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا والحبُّ إشفاقٌ وتعليلُ
إفزع إليه في ازدحام الجوى ففيهِ مسلاةٌ وتسهيلُ
وهو إذا أنتَ تأمّلته حزنٌ على الخدّين محلول

وقد ملح العباس بن الاحنف :

إني لأجحدُ حبكم وأسرهُ والدمعُ معترفٌ بهِ لم يجحد
والدمعُ يشهدُ أنني لك عاشقٌ والناسُ قد علموا وان لم يشهد

وقال : طالَ عهدى بها فلما رأتني نظمتْ لؤلؤاً على تفاح

وقد أحسن الآخر في قوله :

إذ لاجوابَ لمفحم متحير إلا الدموع تصانُ بالاطراف

قوله « تصان بالاطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقال آخر:

تقول غداةَ البين عندَ وداعها لكَ الكبدالحرّى فسر ولك الصبر
وقد سبقتها عبرَةٌ فدموعها على خدّها بيضٌ وفى نحرها حمر

معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .

ومن غريب المعنى قول الآخر :

غدَتْ بأحبتى طولُ المطايا فبانَ النومُ وامتنعَ القرار
وكان الدمعُ لى ذخراً معدّاً فأنفقتُ الذخيرةَ يومَ ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بي من الشعر فى هذا الفن متقارب في المعنى لايفضل بعضه بعضاً إلا فى القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو المعرض فتركته لأن الشرط قد تقدم بايراد الجيد لفظاً ومعنى ورصفاً وذلك قليل ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير :

فمن أجود ما قيل فى ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحزنِ معشبة خضراء جاد عليها مسبلٌ هطل
يضاحك الشمسَ منها كوكبٌ شرقٌ مؤزّر بعميم النبتِ مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأُصل

وقول القطامى وهو جيد النظم متضمن لماء الطلاوة :

وما ريحُ قاعٍ ذى خُزامَى وحَنوة له أرجٌ من طيبِ النبتِ عازب

بأطيب من مَىٍّ إذا ما تقلبتْ من الليلِ وسْنَى جانباً بعد جانب (١)

إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين . ومما هو مضطرب الوصف جيد المعنى قول ابن الطثرية :

خَود يكون بها القليل يمسه من طبعها عبقا يطيب ويكثر

هذا البيت على غاية اضطراب الوصف :

شكر الكرامة جلدها فصفا لها إنَّ القبيحةَ جلدها لا يشكر

قوله (شكر الكرامة جلدها) فى غاية من الحسن . أخذه ابن الرومى فقال :

ألوف عطر تذكي وهى ذاكية إذا أساءتْ جوارَ العطر أبدان

نعيم كل نهار من مجامرها ويشمسُ الليل منها فهو ضحيان

كأنها وعثان الندّ يشملها شمسٌ عليها ضباباتٌ وادخان

وأخذ ابن المعتز قول القطامى ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بألفاظ بديعة وهو قوله :

وماريحُ قاع زاهرٍ مست الندى وروض من الريحان سحت سحائبه

فجاء سحيراً بين يوم وليلة كما جرَّ من ذيل الغلالة ساحبه

بأطيبَ من أثوابِ شمر موهنا اذا الليلُ أدجى دابرى كتائبه

اذا رغبتْ عن جانب من فراشها تضوَّعَ مسكاً أينَ مالتْ جوانبه

وقد طرف ابن الاحنف فى قوله :

ذكرتك بالريحان لما شممته وبالراح لما قابلت أوجه الشرب

---

(١) الذى فى ديوان القطامى :

وماريحُ رَوض ذى أقاح وحنوة وذى نفل من قُلة الحزْن عازب

بأطيب من ليلى إذا ما تمايلتْ من الليلِ وسْنى جانباً بعد جانب

تذكرت بالريحان[١] منك روائحاً[٢] وبالراح طعماً من مقبلك العذب

وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه :

تطيرتُ أيامَ اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
فأسكنته نوراً كرياك طيبه يذكرني منك الذي لست ناسيا

وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي أية رائحة أطيب؟ قال رائحة بدن تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ريحه ريح طيبُ الاولاد * وقلت :

يمرُّ بي وفدُ الصبا والليل يقضي نحبهُ
مرَّ بروضٍ زاهرٍ ذرَّ عليهِ عشبهُ
فخلتهُ من طيبهِ نشوةَ من أحبه

ومن البليغ قول سحيم[٣] :

فما زالَ بردى طيباً من ثيابها إلى الحول حتى أنهج البرد باليا

وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال ذلك النميري[٤] :

تضوع مسكاً بطن نعمانَ إذ مشتْ به زينبٌ في نسوةٍ خفرات

ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :

ألا أيها الربع الذي غير البلى عفا وخلا من بعد ما كانَ لايخلو
تداءبَ ريحُ المسك فيهِ وإنما به المسكُ اذ جرَّتْ به ذيلها جملُ

وقوله : وأنت الذي حببت سعما إلى بدا إلى وأوطاني بلادٌ سواهما
حللت بهذى مرةً ثم مرةً بهذى فطابَ الواديان كلاهما

---

(١) في ديوانه (بالتفاح) في الموضعين . (٢) في ديوانه (سوالفا). (٣) هو عبد بني الحسحاس ، كان أسود حلو الشعر رقيق الحواشي . (٤) « النميري » ساقطة من الاصل فاستدركناها من الأغاني حيث ذكر البيت في أخبار النميري وهو محمد بن عبد الله شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية، وفيه « عطرات » بدل (خفرات) .

وقال الآخر :

أرى كلَّ أرضٍ يمتها[1] وإن مضت ... لها حججٌ يزداد طيباً ترابها

وقد طرف ابن الاحنف في قوله :

وجدَ الناسُ ساطع المسك من دجـــلة قد أوسعَ المشاربَ طيبا

فهمُ ينكرونَ ذاك وما يد ... رُونَ أن قد حالت منها قريبا

وقال البحتري : فـكان[2] العبير بها واشياً ... وجرس الحلى عليها رقيبا

وقلت : تأملت منها غزالاً ربيبا ... وبدراً منيراً وغصناً رطيبا

جلت لك عن خضل واضح ... يبيتُ سناه عليها رقيبا

وهزّتْ لنا بسراة الـكثيب ... قضيباً تفرّع منه كثيبا

عشيـة راحتْ وأترابهـا ... يقلـبنَ للهجر طرفاً مريبـا

كواكب ليل إذا ما رأت ... كواكب شيب تهاوت غروبا

وأقمار روض قمرن[3] العقول ... وغزلان رمل قلبنَ القلوبا

إذا زدتها نظراً زدتني ... جمالاً بديعاً وشـكلاً غريبا

رحلنَ العشية من ذى الغضا ... وخلفنَ فيه جمالاً وطيبا

وقد أحسن القائل في قوله :

جارية أطيب من طيبها ... والطيبُ فيها المسك والعنبر

ووجهها أحسنُ من حليها ... والحلى فيها الدُّرُّ والجوهر

ولو قيل ان هذا أحسن ماقاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً . ومما هو غاية قول إمرىء القيس :

ألم تر أني كلما جئتُ طارقا ... وجدت بها طيباً وإنْ لم تطيب

وقد طرف القائل :

---

(١) في الأصل (دمنتها). (٢) في الديوان (فصان) (٣) في هامش الأصل : ماعليه لو قال « عقلن العقول » ليطابق الجناس كما قال « قلبن القلوب » فـكان أوقع في النفوس .

أتاها بعطرٍ أهلها فتضاحكتْ وقالتْ وهل يحتاج عطرٌ إلى عطر

وقدِ أجاد البحترى :

لنا من ريقه راح ومن رياه ريحان

وأنشدنا أبوأحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :

سقيا لأيام مضتْ وكأنَّ معهدها حلوم

أيام يفتى لى ويغـــنى رهطه الرجل العريم

إذ لا دليل علىَّ في برد الضحى إلا النسيم

أجود ماقيل فى حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب [١] :

ولولا أنْ يقالَ صبا نصيبٌ لقلت بنفسىَ النشء الصغار

بروحي كلُّ مهضوم حشاها اذا ظلمتْ فليسَ لها انتصارُ

اذا ماالذلُّ ضاعفن الحشايا كفاها ان يلاثَ لها الازارُ

ومن مليح ذلك قول عوف بن محلم [٢] :

وصغـيرة علقتها كانتْ من الفتنِ الـكبار

كالبـدرِ إلا أنها تبقى على ضوءِ النهار

وأنشدنى أبو أحمد عن الصولى قال أنشدنى عبد الله بن الحسن وقد ملح وطرف :

جارية أذهلها اللعبُ عما يقاسى الهائمُ الصبُّ

شـكوتُ ماألقاه من حبها فأقبلتْ تسألُ ما الحـبُّ

ومن مليح ذلك ماروى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها أبكر أنت أم ثيب ؟ فقالت بل ثيب فأنشد عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرةً فأجبتهم خيرُ المطي لدىَّ مالمْ يركب

كم بينَ حبة لؤلؤ مثقوبة لبستْ وحبةِ لؤلؤ لم تثقب

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم في المديح والنسيب .

(٢) الخزاعى الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين)

فقالت الجارية: إن المطايا لا يلذُّ ركوبها   مالم تذَلَّلْ بالزمام وتركب
والدرُّ ليسَ بنافع أربابه   مالمْ يؤلفْ في النظام ويثقب

قد أحسنا جميعاً إلا أن وجه الكلام أن يقال يثقب ويؤلف فى النظام .

أصدق ماقيل فى صفة الحب قول العباس بن الأحنف :

من كانَ يزعم أن يدارى فى الهوى   حتى يشككك فيه فهو كذوب
الحبُّ أملك للفؤادِ بقهره   من أن يرى للسرِّ فيه نصيب

وقلت : آفة السرِّ من جفو   نٍ دوامٍ دوامع
كيف يخفى مع الدمو   ع الهوى في الهوامع
مارأينا أخا هوى   سرُّه غير ذائع
انَّ نيرانَ حُبه   باديات الطوالع

من أظرف ماقيل فى ذكر الشركة فى الهوى ما أنشدنيه أبو أحمد :

مالى جفيتُ وكنت لا أجفى   وعلامةُ الهجرانِ لا تخفى
وأراك تمزجنى وتشربنى   ولقد عهدتك شاربى صرفا

وقد أحسن العباس بن الأحنف في هذا المعنى وهو قوله :

يافوز لم أهجركمُ لملالة   منى ولا لمقالِ واشٍ حاسد
لكننى جربتكم فوجدتكم   لا تصبرونَ على طعام واحد

وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع ، قال أبو نواس :

أتيت فؤادها أشكو اليه   فلمْ أخلص اليه من الزِّحام
فيامنْ ليس يكفيها مُحبٌّ   ولا ألفا محبٍّ كلَّ عام
أظنك من بقيةِ آل موسى   فهمْ لا يصبرون على طعام

ومما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله :

أحرم منكم بما أقولُ وقد   نال به العاشقونَ من عشقوا
صرتُ كأنى ذبالةٌ نصبتْ   تضيء للناسِ وهى تحترق

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كليلة ودمنة . وإلى معنى قول البيت الأول يومىء قول البحتري :

قصائد ماتنفكُّ فيها غرائب تألق فى أضعافها وبدائع
مكرَّمةٌ الانساب فيها وسائلٌ الى غير من يحبي بها وذرائع

ومماسبقت اليه من المعانى ماقلته :

رفعَ السترُ فانثنى غصنُ بانٍ يتجلى الهلالُ في معناه
ليسَ لى أنْ أنالَ ماأتمنى من جنى وصلهِ اللذيذِ جناه
فلوأنى كنت فى بعضِ شعرى فاذا ماشداه قبلت فاه

ومن أبلغ ماقيل في بخل المعشوق من قديم الشعر ماأنشدناه أبو أحمد عن أبى بكر بن دريد عن عبدالرحمن عن عمه :

ومانطفةٌ كانتْ سلالة بارقٍ نمت عن طريق الناسِ ثم استظلت
بأطيب من أثياب تلثم بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فولت
وقد بخلتْ حتى لواني سألتها قذى العين من ضاحي التراب لضنت

ومن أحسن ماقيل فى وقوف النظر على المعشوق قول بعضهم (قيد الحسن الحدقا) وهو من قول امرىء القيس « قيد الأوابد » وقد أحسن الآخر فى قوله :

ظبيٌ له من قلوبِ الناس نابتةٌ من المودَّة تجنى أطيبَ الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجنته دمعاً فلم تختلف عينان فى نظر

ونحوه قول المتنبى :

وخصر تثبت الابصارُ فيهِ كأنَّ عليهِ من حدق نطاقا

ومن أجود ماقيل فى كمال الحسن ماأنشدناه أبو أحمد :

كلٌّ شيء من محاسنها كامنٌ فى حسنه مثلا
ليسَ فيها ما يقالُ له كملتْ لو أنَّ ذا كملا

وقال أبو نواس * لومنى الحسن ماتعداها * أخذه أبو تمام فقال :

معتدل لم يعتدلْ عدله ... في عاشقٍ طالَ به خبلهُ
أطرقهُ أحسن أم طرفه ... وحسنه أكمل أم عقله
انظر فما عاينت فى غيره ... من حسن فهو له كلهُ
لوقيلَ للحسن تمنَّ المنى ... إذاً تمنى أنه مثله
أيّ خصالٍ حازَها سيدى ... لولم يكدر صفوها مطلهُ

وقال أبو نواس: تمَّتْ وتم الحسنُ في وجهها ... فكلُّ شيء ماخلاها محال
للناسِ في الشهرِ هلالٌ ولى ... من وجهها كلّ صباحٍ هلال

وقال: متتائه بجماله ... صلف لايستطاع كلامُهُ تيها
لوكانت الأشياءُ صورتهُ ... حتى اذا كملت تاهت على التيها؟

وقال: ألاحظُ حسنَ وجنتهِ ... فتجرحنى وأجرحُها

وقال غيره: شكوتُ الى شبيهك إذ تجلى ... هواكَ فلم يُزلْ شكوى الحزين
وكانَ كأنتَ إشراقاً وحسناً ... وقلةَ رحمةٍ لمستكين

أحسنُ ماقيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب:

قصدَّت كأنَّ الشمسَ تحت قناعها ... بداحاجبٌ منها وضنتْ بحاجب

وقد مر قبل. ومن ظريف ماجاء فى ذلك قول ابن الرومى:

ماساءَنى إعراضُه ... عنى ولكنْ سرَّنى
سالفتاهُ عِوَضٌ ... عن كلِّ شيءٍ حَسن

وقال الآخر وأحسن:

صدَّ عنى محمدُ بنُ سعيدٍ ... أحسن العالمينَ ثانى جيدِ
صدّ عنى من غير جرم اليه ... ليسَ إلا لحسنه في الصدود

والفرد الذى لاشبيه له فى كثرة اعتلال المعشوق على العاشق وكثرة تجنيه عليه قول بعضهم:

شكوت فقالت كلّ هذا تبرما ... بحبي أراحَ الله قلبكَ من حبى
فلما كتمتُ الحبَّ قالت لشرما ... صبرتَ وما هذا بفعل الشجى الصبِّ

وأدنو فتقصيني فأبعد طالباً رضاها فتعتدُّ التباعدَ من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها وتجزع من بعدي وتنفرُ من قربي

وقريب منه قول مسلم:

ويخطيءُ عذري وجهَ جرمي عندها فأجني اليها الذنبَ من حيثُ لا أدري
إذا أذنبتْ أعددْتُ عذراً لذنبها فان سخطتْ كانَ اعتذاري من العذر
بذكرك ماتَ اليأسُ في حضرةِ المنى وإن كنتُ لم أذكرك إلا على ذكر

قد أصاب صفة العاشق. وقلت:

صبابة نفس لا ترى الهجرَ حاليا وصبوة قلبٍ ما ترى القلبَ شافيا
نزلتُ على حكم الصبابةِ والهوى فصرتُ أرى للخلِّ مالا يرى ليا
ولولا الهوى ما كنتُ آملُ باخلا أرحم ظلاّما وأذكرُ ناسيا
ومن شأنه أني إذا ما ذكرتهُ جفاني وسماني اذا غبتُ جافيا
على أنني أنأى فأدنو تذكراً ولستُ كمنْ يدنو فينأى تناسيا
ويعجبني حُبي له وصبابتي اليهِ وإمساكي عليهِ وداديا
فلو ظنني أسلوهُ لم أكُ هاجراً ولو خالني أنساهُ لم يكْ نائيا
ولكنَّ عشقي في ضمان جفونه فيأمن سلواني ويرجو غراميا

ومن أصاب وصف العاشق الصادق العشق على حقيقته الذي يقول:

إذا قَربتْ دارٌ كلفتُ وإن نأتْ أسفتُ فلا للقربِ أسلو ولا البعد
وإن وَعَدَتْ زادَ الهوى لانتظارها وإن بخلتْ بالوَعدِ متُّ على الوعد
ففي كلِّ حال لا محالةَ فرحةٌ وحبك ما فيهِ سوى محكم الجهد

ومثله قول الآخر:

وما في الارض أشقى من محبٍّ وان وَجَدَ الهوى حلوَ المذاق
تراه باكياً في كلِّ حين مخافةَ فرقةٍ أو لاشتياق
فيبكي ان نأوا شوقاً اليهم ويبكي ان دَنوا خوفَ الفراق

فتسخن عينه عند التنائي … وتبرد[1] عينه عند التلاقي

ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :

اذا رضيت لم يهنني ذلك الرضا … لصحة علمي أن سيتبعه عتب[2]

وأبكي إذا ما أذنبت خوف عتبها[3] … فأسألها مرضاتها ولها الذنب

وصالكم صرم وحبكم قلى … وعطفكم صد وسلمكم حرب

ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد ويروى لفضل الشاعرة:

ما كنت أيام كنت راضية … عني بذاك الرضا بمغتبط

علماً بأن الرضا سيتبعه … منك التجني وكثرة السخط

فكل ما ساءني فعن خلق … منك وما سرني فعن غلط

ومن البديع في طلب نيل المعشوق قول الآخر :

عدينا موعداً ثم اجحدينا … فكم من مبطل حقاً بجحد

وإلا فابذلي من غير وعد … فقد تكف السماء بغير رعد

وقلت في نحو ذلك :

تسيء على بعد الديار تنائيا … وخلفك عند القرب من عصب البعد

كثير سروري في قليل وفائه … وعند ابتسام البرق قهقهة الرعد

ومن أبلغ ما قيل في الرضا عن المعشوق بالقليل قول جميل :

أقلب طرفي في السماء لعله … يوافق طرفي طرفها حين تنظر

ومثله قول ابن المعلوط:

أليس الليل يلبس أم عمرو … وإيانا فذاك لنا تدان

بلى وأرى السماء كما تراها … ويعلوها النهار كما علاني

وأنشدني أبو أحمد عن ابن الانباري لجميل[4] :

---

(١) في الأصل (تسخن). (٢) في ديوان ابن الاحنف (لعلمي به أن سوف يتبعه العتب)

(٣) في ديوان ابن الاحنف (خوف صدها) . (٤) هو جميل بن معمر العذري

وانى لأرضى من بثينة بالذى لو استيقن الواشى لقرت بلابله
بلا وبالا استطيع وبالمنى وبالامل المكذوب(١) قدخاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أواخره لا نلتقي وأوائله

وكان جميل يصدق فى حبه وكثير يكذب . ومن ردىء هذا الباب قول بعضهم :

وما نلت منها محرماً غير أننى إذا هى بالت بلت حيث تبول

وعفة هذا كعفة المتنبي فى قوله :

انى على شغفى بما فى خمرها لأعف عما فى سراويلاتها

سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ماهو أحسن من هذه العفة إذ عبر عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهرى عن عمر بن شبة قال حدثنى أبو يحيى الزهرى عن رجل ذكره قال قيل لكثير ماأنسب بيت قالته العرب ؟ قال الناس يقولون :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

وأنسب عندى منه :

وقل أم عمرو داؤه ودواؤه لديها ورياها الطبيب الموافق

وهذا البيت جيد المعنى ردىء الرصف . وأبلغ ماقيل فى شدة الحب ماأنشدناه قدامة :

يود بأن يمسى سقيماً لعلها إذا سمعت منه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف فى طلب العلى لتحمد يوماً عند سلمى شمائله

وقلت فى معناه :

وقلت عساها إن مرضت تعودنى فأحببت لو أنى غدوت مريضا
وزدت اتساعاً فى المكارم والعلا ليصبح جاهي عندهن عريضا

ومن الشعر المختار فى النسيب قول أبى المطاع :

كان كثير راوية جميل وجميل راوية هدبة وهدبة راوية الحطيئة والحطيئة راوية زهير بن أبى سلمى . (١) فى وفيات الاعيان (وبالأمل المرجو) .

أفدى الذى زرته والسيفُ يخفرنى ... ولحظُ عينيه أمضي من مضاربهِ
فما خلعت نجاداً في العناق له ... حتى لبستُ نجاداً من ذوائبهِ
فبات أنعمنا بالاً بصاحبه ... من كان في الحبِّ أشقانا لصاحبهِ

وقلت فى معنى البيت الآخر :

بقدرِ الصبابةِ عندَ المغيب ... تكونُ المسرَّةُ عندَ الحضور
وأطيب ما كان بردُ الثغور ... إذا هو صادفَ حرَّ الصدور

ومن المختار فى صفة العذار :

وقلت الشعرُ يسليني هواهُ ... ولمْ أعلم بأنَّ الشعرَ حيني
فظلتُ لشقوتى أفدى وأمى ... سوادَ عذارهِ بسوادِ عيني

ومن أعجب ماقيل فى التهالك فى الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم ... ماتصنعُ الشمسُ لهُ فيَّا
بأيِّ وجهٍ أتلقاهمُ ... إذا رأونى بعدَهمْ حيَّا

ومن أبدع ماقيل فى عدم السلوّ قول ابن الرومى :

أأسماءُ أيُّ الواعدينَ تربنهُ ... أشدَّ كما مطلاً فانيَ لاأدرى
أأنتِ بنيلٍ منك يبردُ غلتى ... أم النفس بالسلوانِ عنك وبالصبر

لم يقل فى بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن هارون بن عبد الله المهلبي قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف فقال جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره فى الشعر :

هي الشمسُ مسكنها في السماء ... فعزِّ الفؤادَ عزاءً جميلا
فلن تستطيعَ إليها الصعودَ ... ولنْ تستطيعَ إليك النزولا

ومن البديع القليل النظير قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفى معشوقه :

قد سحبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا ... وفرَّقَ الناسُ فينا قولهم فرقا

فكاذبٌ[١] قدرمى بالظنّ غيركُمُ | وصادقٌ ليس يدرى أنهُ صدقا
وهذا معنى غريب بديع ماأظنه سبق اليه .

ومما هو في معنى قوله * هى الشمس مسكنها في السماء * الخ قول الآخر :

شكوتُ إلى بدرٍ هوايَ فقال لى | ألستَ ترى بدْرَ السماء الذى يسرْى
فقلتُ بلى قالَ التمسهُ فانّهُ | نظيرى ومثلى في علوٍّ وفى قدر
فانْ نلتهُ فاعلمْ بأنك نائلى | وإن لم تنلهُ فابغ أمراً سوى أمرى
فكانَ كلا البدرين صعباً مرامه[٢] | فويلىَ من بدرِ السماء ومن بدرى

ومن الغريب البديع في مدح الفراق لمكان القبلة والاعتناق قول محمد بن عبد الله بن طاهر :

ليسَ عندى شحطُ النوى بعظيم | فيه غمٌّ وفيه كشفُ غموم
من يكنْ يكرَهُ الفراقَ فانى | أشتهيهِ لموضع التسليم
إنّ فيه اعتناقة لوداع | وانتظار اعتناقه لقدوم
فلكم قبلةٍ وغيبة شهر | (هى) خيرٌ من امتناع مقيم

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومى :

فاذا كانَ فى الفراق عناقٌ | جعل اللهُ كلَّ يوم فراقا

أجود ما قيل فى خفقان القلب قول قيس بن ذريح[٣] :

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيلَ يغدى | بليلى العامرية أو يراحُ
قطاةٌ عزها[٤] شركٌ فباتت | تجاذبهُ وقد علقَ الجناح

فلولا التضمين الذى فيه لكان غاية. ومن الغريب في ذلك قول ديك الجن :

ومملوء من الحزن | يعالج سورَةَ الأرق

---

(١) فى ديوان ابن الأحنف « فجاهلٌ » . (٢) في الاصل (صعباً فراقه) .
(٣) الكنانى من شعراء العصر الاموى من سكان المدينة شعره عالى الطبقة في التشبيب والحنين . (٤) كذا في الأمالي ، وفي الأصل «غزها» وفي الصناعتين «غرها»

تكادُ غروبُ مقلته ... تعمُّ الارضَ بالغرق
كأنَّ فؤاده قلقــا ... لسانُ الحيـةِ الفرق

وقد أحسن فى قوله أيضا :

علمت قلبي وجيباً لست أعرفه ... ما أنكر القلب إلا كلما خفقا
ياشوق إلفين حال البينُ بينهما ... فمافصاه على التوديع فاعتنقا
لو كنت أملك عينى مابكيت بها ... تطيراً من بكائى بعدهم شفقا

وقد أحسن القائل وجاء بما فى نفس العاشق :

ولوداواكَ كلُّ طبيب (ركب) ... بغير كلام ليلى ما شفاكا
ولو أصبحتَ تملكُ كلَّ شيء ... سوى ليلى عتبت على غناكا

ومن أعجب ماقيل فى الشفقة على المعشوق قول أبى دلف العجلى :

أحبك ياجبانُ وأنتَ منى ... مكان الرُّوح من جسد الجبان
ولو أنى أحبك حُبَّ نفسى ... لخفتُ عليك بادرَةَ الطعان
لاقدامى إذا ما الخيلُ جالتْ ... وهابَ شجاعها وقعَ الطعان

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.

ومن بليغ ماقيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل فى اليأس عن الوصل قول مجنون ليلى أو غيره :

خرجتُ فلم أظفر وعدتُ فلم أفز ... بنيل كلا اليومين يوم بلاء
فياحسرتى ما أشبهَ اليأسَ بالمنى ... وان لم يكونا عندنا بسواء

وقال : وقد أيقنت نفسى بأنْ حيلَ بينها ... وبينك لو يأتى بيأس يقينها
أرى النفس عن ليلى تمانى بلاعنا ... وقد جُن من وجدى بليلى جنونها

ومثل ذلك : فان يك عن ليلى غنى وتجلدٌ ... فرُبَّ غنى نفسٍ قريبٌ من الفقر

ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشدنيه أبو أحمد :

اذا (يوماً) بليتُ وذاب جسمى ... لعلَّ الريحَ تحملنى اليـه

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مدنف ... يشكوك طولَ سقمه
أضنيتهُ فما يطيق ضعفه[1] حمل اسمه
فلا يراك عائداً ... إلا بعين وهمه

وقال كشاجم :

وما زال يبرى أعظمَ الجسم حبها ... وينقصها حتى لطفنَ عن النقص
وقد ذُبتُ حتى صرتُ إن أنا زرتها ... أمنتُ عليها أن يرى أهلها شخصي

وقال ديك الجن وبالغ :

أنحلَ الوجدُ جسمهُ والحنين ... وبَرَاهُ الهوى فما يستبين
لم نعس أنه جليدٌ ولكنْ ... دَقَّ جداً فما تراهُ العيون

وقال نصر بن أحمد :

قد كانَ لى فيما مضى خاتمٌ ... فاليوم لو شئتُ تمنطقتُ به
وذُبتُ حتى صرتُ لوزجَّ بى ... في مُقلةِ النائم لم ينتبه

الحسن بن وهب[2] :

أبليتُ جسمى من بعد جدَّته ... فما تكادُ العيونُ تبصرهُ
كأنه رسمُ منزل خلقٍ ... تعرفهُ العينُ ثمَّ تنكرهُ

ومما لا أظن أن له شبيهاً قول بعض الحول وليس فى هذا المعنى :

حمدت إلَــهى إذ بليت بحبها ... على حَوَلٍ يغنى عن النظرِ الشزر
نظرتُ اليها والرقيبُ يظننى ... نظرتُ اليه فاسترحتُ من العذر

ومن فصيح ماقيل في إفشاء الهوى صاحب ؟ قول بعض نساء الاعراب :

ألا قاتلَ اللهُ الهوى ماأشدَّهُ ... وأصرعهُ للمرءِ وهو جليدُ

---

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يطق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجيه صاحب الاخبار مع أبي تمام ، رثاه البحترى لما مات .

دعانى الهوى من نحوها فأجبته   فأصبح بى حيث يريد

وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :

أقبلت ثم عرجت   ليتها لم تعرج
فى حداد كأنها   وردة فى بنفسج

ومن أحسن ماقيل فى مجىء الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :

لم أستتم عناقه لقدومه   حتى بدأت عناقه لوداعه
فمضى وأبقى فى فؤادى حسرة   تركته موقوفاً على أوجاعه

وأنشدنى أبو أحمد قال أنشدنى الصولى أنشدنى الحسين بن يحيى أنشدنى الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبى زور تلفت له   فتنفست عليه الصعدا
بينما أضحك مسروراً به   إذ تقطعت عليه كمدا

وأنشدنا عنه لأبى العميثل (١) :

لقيت ابنة السهمى زينب عن عفر   ونحن حرام مسى عاشرة العشر (٢)
فكلمتها ثنتين كالثلج منهما   وأخرى على لوح أحر من الجمر

الأولى تسليم اللقاء فهي باردة طيبة والأخرى تسليم الوداع .

ومن جيد ماقيل فى تجدد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :

ويزداد فى قرب الديار صبابة   ويبعد من فرط اشتياق طريقها
وما ينفع الحران ذا اللوع أن يرى   حياض القرى مملوءة لايذوقها

ومن جيد ماقيل في رد العذول :

(١) هو عبد الله بن خليد ، كان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره ، كان مكثراً من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) فى البيت تصحيف صححناه من الأمالى ، وفيه : عن عفر : عن بعد أى بعد حين ، ونحن حرام: أى محرمون ، ومسي عاشرة العشر يعني أنه لقيها بعرفات عشية عرفة وهو مسي عاشرة العشر.

إذا أمرتني العاذلاتُ بهجرها هفتْ كبدٌ مما يقلنَ صديع
وكيفَ أطيعُ العاذلاتِ ووجهها يؤرِّقني والعاذلاتُ هجوع

ومن جيد ماقيل فى رياضة النفس على الهجر ماأنشده أبو اسحق الموصلى :

وانى لأستحيى كثيراً وأتقى عيوباً وأستبقى المودَّةَ بالهجر
وأنذرُ بالهجرانِ نفسى أروضها لأعلمَ عندَ الهجرِ هل لىَ من صبر

وقال غلام من فزارة :

وأعرض حتى يحسب الناسُ انما هى الهجرُ لا والله مابى لك الهجرُ
ولـكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقتْ يوماً أحبتها صبرُ

وزاد العباس بن الأحنف فقال :

أروضُ على الهجرانِ نفسى لعلها تمسك لى أسبابها حينَ تهجر

والزيادة فى قوله :

وأعلمُ أنَّ النفسَ تـكذبُ وعدها إذا صدقَ الهجران يوماً وتغدر
وما عَـرَضَتْ لى نظرةٌ مذ عرفتها فأنظر إلا مثلتْ حين أنظر

وهذا من قول جميل :

أريدُ لأنسى ذ كرَها فـكأنها تمثلُ لى ليلى بـكلِّ سبيل

وذ كر بعضهم أنه يهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقى عن الزبير :

خشيتُ عليها العينَ من طول وصلها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجر
وما كانَ هجرانى لها من ملالةٍ ولـكننى جرَّبت نفسى على الصبر

ومن فصيح الشعر الداخل فى هذا الباب قول ابراهيم بن العباس أنشدناه أبو أحمد عن الصولى عن ثعلب وأبى ذ كوان قالا أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه:

يمرُّ الصبا صفحاً بسا كنِ ذى الغضا فيصدَعُ قلبى أن يهبَّ هبوبها
قريبةُ عهدٍ بالحبيب وإنما هوى كلِّ نفس أين حلَّ حبيبها

تطلعُ من نفسي اليكَ طوالعٌ عوارفُ أن اليأسَ منك نصيبها

وإنما أغار ابراهيم بن العباس على ذى الرمة حيث يقول :

إذا هبت الأرواحُ من نحو جانب [(١)] به أهل ميٍّ زاد شوقى [(٢)] هبوبها

هوى تذرفُ العينان منه وإنما هوى كلِّ نفس أينَ [(٣)] حلَّ حبيبها

وقال العباس بن الأحنف فى غير هذا المعنى :

متى تبصرينى ياظلوم تبينى شمائلَ بادى البثِّ منصدع القلب

بريئاً تمنى الذنبَ لما هجرته [(٤)] لكيما يقال الهجرُ [(٥)] من سبب الذّنب

وقد كنتُ أشكو عتبها وعتابها فقد فجعتنى بالعتابِ وبالعتب

أشفق عليها من أن تهجره بغير ذنب فيقال إنها ملول فيلحقها هجنة .

ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار قول امرىء القيس * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى مصراع فليس له شبيه في جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبى جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطرُ والندى من الدارِ إلا مايشفُّ ويشفق

وقلت : قد عريت أما لها حينا كتستْ أرديةَ الرِّيح عشياً وضحى

لم يبقَ فيها غيرُ مايذكي الجوى ويصرفُ النومَ ويبعثُ البكي

وأنشدنا أبو القاسم :

ألا حيِّ من أجل الحبيبِ المغانيا لبسنَ البلى مما لبسنَ اللياليا

ولأعرابى : طللان طالَ عليهما الأبدُ دثرا فلا علم ولا نضدُ

لبسا البلى فكأنما وجدا بعدَ الأحبةِ مثل ما أجدُ

---

(١) فى ديوان ذى الرمة (من كل جانب). (٢) في الديوان (هاج شوقى)
(٣) فى الديوان (حيث حل) . (٤) فى ديوان العباس المطبوع (صرمته)
(٥) في الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب لحب فاطمة الديارا * والذى أورد من أنواع هذه المعانى إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبيه على معظمها ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله وعلقت عليه أشكاله لكثرت واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز الحد فى القول من هذه فيه وهجنة على قائله؟ . ومن أجود ماقيل فى حب السودان :

أحبُّ النساء السودَ من حبِّ تكتم ومن أجلها أحببتُ من كانَ أسودا
فجئنى بمثلِ المسكِ أطيب نفحة وجئنى بمثل الليل أطيب مرقدا

البيت الثانى على غاية الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

صرفتُ ودِّى إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولا خزر
أصبحتُ أعشقُ من وجهٍ ومن بدن مايعشقُ الناسُ من عينٍ ومن شعر
فانْ حسبت سوادَ الجلدِ منقصةً فانظر الى سعفةٍ في وجنة القمر

وروى للجاحظ :

يكونُ الخالُ فى وجهٍ مليح فيكسوهُ الملاحةَ والجمالا
ولستَ تملُّ من نظرٍ اليهِ فكيفَ إذا رأيتَ الوجهَ خالا

وقد ملح بعضهم فى خلاف ذلك :

إنّ الذى يعشق من لا
وإنَّ من يعشقُ زنجيةً لكالذى دلك فى الظلمة

أجود ماقيل فى الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :

أنى سريت وكنت غير سروبِ وتقرِّبُ الاحلامُ غير قريبِ
ماتمنعى يقظى فقد تؤتينه في النومِ غير مكدَّرٍ(١) محسوب
كان المنى بلقائها فلقيتها ولهوتُ من لهو امرىء مكذوب

وقول عمرو بن قميئة(٢) :

---

(١) فى ديوان قيس (غير مصرد) . (٢) من قدماء الشعراء في الجاهلية ، يقال إنه أول من قال الشعر من نزار وهو أقدم من امرىء القيس ، وهو شاعر فحل.

نأتكَ أمامـة إلا سؤالا   وإلا خيالاً يوافى خيالا
خيـالى يخيـل لى نيلها   ولو قدرتْ لم تخيـل نوالا

وهذا من معانى القدماء غريب وهو أبلغ ماقيل فى بخل المعشوق ، ومن هاتين القطعتين أخذ المحدثون أكثر معانيهم في الخيال ، ومن البارع الفصيح في هذا المعنى قول البعيث (١):

أزارتك ليلى والرّكاب خواضع   وقد بهر الليل النجومُ الطوالع
فأعطتك آيات المنى غـير أنها   كواذب إن حصلتها وخوادع
على حين ضمّ الليلُ من كلّ جانب   جناحيهِ وانقضت نجومٌ ضواجع
وأعجلها عن زورةٍ لم أفز بهـا   من الصبح حادٍ يزعج الليل ساطع

وأحسن النميرى حيث يقول :

عجباً لطيفك أنه   يشكو الجوى وهو الجوى

أخذه مسلم فقال:

طيف الخيال عهـدنا منك إلـماما   داويتَ سقماً وقد هيجت أسقاما

ومن اللفظ الغريب قوله : ＊ ز الـكرى طيفها وهنا لخيالى ＊

لاأعرف أنه سبق الى هذا اللفظ . وقال أبو تمام :

استزَارَتْهُ فـكرتى في المنام   فأتاها فى خفية (٢) وا كتتام
يالها ليلة تزاورت (٣) الأر   واحُ فيها سراً من الأجسام
مجلس لم يكنْ لنا فيه عيبٌ   غير أنا فى دعوةِ الأحلام

وهذه معان إلا أنه ليس لألفاظها طلاوة . ومن غريب المعانى فى هذا قول دعبل:

سرى طيفُ ليلي حين حان هُبوبُ   وقضيتُ شوقى حين كاد يؤوبُ
ولم أر مطروقاً يحـلُّ بطارقٍ   ولاطارق يقرى المنى ويثيب

---

(١) هو خداش بن بشر من بنى مجاشع ، كان أخطب بنى تميم وسمى البعيث بقوله:

تبعث منى ماتبعث بعـدما   استمر فؤادى واستمر عزيمى

(٢) في ديوان أبى تمام « فأتانى فى خيفة » . (٣) في الديوان (تنزهت) .

يقول ان العادة أن يقرى الطارق المطروق والخيال طارق يقرى المطروق .

ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومى :

طرقتنا فأنالتْ نائلا شكره لوكان فى النبة الجحود
ثم قالتْ وأحستْ عجبى من سراها حيث لاتسرى الأُسود
لاتعجبْ من سرُانا فالسرى عادةُ الأقمارِ والناسِ هجود

فرأيت فى هذه الأبيات زيادة وتضميناً فقلت :

رقبتْ غفلة الرقيبِ فزارتْ تحت ليـل مطرّزٍ بنهار
فتعجبتُ من سُراها فقالتْ غير مستطرف سُرى الأقمار
ثم مالتْ بكأسها فسقتنى جلنارية على جلنار

آخر : فياليت طيفاً خيلتهُ لى المني وإنْ زادنى شوقاً اليك يعودُ
أكلفُ نفسى عنك صبراً وسلوة وتكليف مالا يستطاع شديد

الجيد أن يقول (تكلف مالا يستطاع) وأما تكليفه فى الحقيقة فغير شديد على المكلف وانما جعل هذا التكليف مكان التكلف وهو ردىء . وقال الحمدونى :

لم انلهُ فنلتــهُ بالامانى فى منامى سراً من الهجران
واصل الحلمُ بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحنُ مقترنان
وكأنّ الارواحَ خافتْ رقيباً فطوتْ سرّها عن الأبدانِ
منظرٌ كانَ نُزْهَةَ العين إلا أنّه ناظرٌ بغير عِيانِ

وقال ابن المعتز :

لافرّجَ اللهُ عن عينى برؤيته ان كنتُ أبصرتُ شيئاً بعدَهُ حسنا
إلاخيالاً عسى ان تمتُ يطرقنى وكيفَ يحلمُ من لايعرفُ الوسنا

وقال : كلامهُ أخدع من لحظـه ووعدهُ أكذب من طيفه

وليس لأحد في الخيال ما للبحترى كثرة فمنه قوله :

بعينيك اعوالى وطول شهيقى وإخفاق عينى من كرى وخفوق

على أنَّ تهويماً إذا مارضاطبى[1] سرى طارقاًفىغيروقتطروق
فباتَ يعاطينى على رقبة العدى ويمزجُ ريقاً من جناه بريقى
وبتُّ أهابُ المسك منه وأتقى رداع عبير صائك وخلوق
أرى كذب الاحلام صدقاً وكم صغت إلى خبر أذناى غيرِ صدوق
وماكانَ من حقٍّ وبطل فقد شفى حرَارَةَ متبول وخبل مشوق

وقلت فى خلاف ذلك:

طرقَ الخيال فزار منه خيالا فسرى يغازل فى الرّقاد غزالا
يا كشفه للكرب إلا أنه ولى على دبر الظلام فزالا
فغدا المتيمُ وهو أكبر صبوة وأشدّ بلبالاً وأكسف بالا

وما قيل في الامتزاج والاختلاط مثل قول الخريمى[2] :

ليالى أرعى فى جنابك روضةً وآوى إلى حصن منيع مراتبه
وإذأنتَ لي كالخمر والشهد ضعفا بماء لصاف ضعفته جنائبه

وقال بشار :

لقد كانَ ما بينى زماناً وبينها كما بينَ ريح المسك والعنبر الورد

أجود ما قيل في صفة الركب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا محمد بن سعيد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبى النجم ويتعجبون من حسنه :

كأنَّ تحتَ درعها المنعطِّ ضخم القذال حسن المخطِّ
وقد بدا منها الذى تغطي كأنما قطٌّ على مقطِّ
شطاً رميت فوقه بشطِّ كهامة الشيخ اليمانى الشمط
لم يعلُ فى البطنِ ولمْ ينحط

حتى قال بشار :

(١)فى الاصل (اطأى) (٢) هواسحق بن حسان ، اتصل بمحمد بن منصوربن زياد كاتب البرامكة،وله فيه مدائح جياد ، عمى بعد ما أسن ، وقال فى ذلك شعراً .

عجزاء من سرب بني مالك   لها حرٌ من بطنها أرفع
زُيّنَ أعلاهُ باشرافه   وانضمّ من أسفله المشرع

قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول :

وإذا طعنتَ طعنتَ فى مستهدفٍ   رابى المجسةِ بالعبير مُقَرْمد
وإذا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عن مستحصفٍ   نزع الحزوَّر بالرِّشاء المحصد

يصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزعه كما يتعب الحزور ـ وهو الغلام ـ إذا استقي من البئر .

وأحسن ابن الرومى فى وصف الضيق والحرارة حيث يقول :

لها هنٌ تستعيرُ وقدته   من قلب صبٍّ وصدر ذى حنق
كأنما حرُّه لخابره   ما أوقدتْ فى حشاه من حرق
يزداد ضيقاً على المراسِ كما   تزداد ضيقاً أنشوطة الوهق

وقال في سعته :

يسعُ السبعةَ الاقاليمَ طرّاً   وهو فى أصبعينِ من إقليم
كضمير الفؤاد يلتهمُ الدُّنيا   وتحويه دفتا حيزوم

ومن النادر قول الناجم :

إنّ ردفَ الفتاةِ عجزةُ خبا   زٍ وقدّامها من الأدم جبنه

وقال المعذل بن غيلان (١) :

ومركب كبيضة الأدحيّ   كأن نبتَ الشعرِ المطليّ
عليه شونيزٌ على فرنيّ

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

أقولُ والقومُ تعادى بهم   الى الوغى مضمرةٌ قرح
استحمل الله على مركبٍ   يحثُّ بالسيرِ ولا يبرح

---

(١) هو والد عبد الصمد بن المعذل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

مامركب من ركوبِ الخيلِ يعجبنى كمركبٍ بينَ دملوج وخلخالِ

ومثل الأول : فباتَ يسرى ليلهُ ولم ينم ولم يجاوز سيره قيس قدم

وقال الفرزدق: ثم اتقتنى بجهم لاسلاحَ له كمنخرِ الثورِ محبوساً على البقر

كأنَّ رمانةً في جوفه انفجرت تكادُ توقدُ ناراً ليلة القدر

وأبلغ ما قيل فى كبره قول الفرزدق :

إذا بطحتْ فوقَ الأثافي رفعتها بثديينِ فى نحرٍ عريضٍ وكعثب

يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمس الأرض منها شيء لان نهود ثدييها وكبر ركبها مثل أثافى القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذى اختاره الأصمعى .

وقال الراجز فى وصف الضيق :

كأنَّ هجاماً(١) شديداً أبهره يدارك المصّ ولا يفتره

ومما قيل فى حب الكبار قول المجنون :

وعهدى بليلى وهى ذاتُ موصد ترد علينا بالعشىّ المراميا

فشبَّ بنو ليلى وشبَّ بنوابنها وأعلاقُ ليلى فى الفؤادِ كماهيا

ابن المعتز : من معينى على السهر وعلى الهمّ والفكر

وابلانى من شادن كبر الحبّ إذ كبر

ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمرى لقد كذبَ الزَّاعمون بأنَّ القلوبَ تحاذى القلوبا

ولو كان حقاً كما يزعمونَ لما كانَ يشكو محبٌّ حبيبا

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن البلعى عن أبى حاتم قال سمعت الأصمعى يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه فقلت له هذا ياأمير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذرى (٢) فى آخر

---

(١) فى نسخة (هماماً) (٢) شاعر اسلامي من المتيمين .

أبياته التي أنشدها :

أراني تعروني لذكراك رعدة[١] لها بين جلدى والعظام دبيب
وما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيب
وأصرف[٢] عن رأيي الذى كنت أرتئى ويعزب عنى ذكره ويغيب[٣]
ويضمر قلبي عذرها ويعينها على فمالى فى الفؤاد نصيب

فقال الرشيد من قال هذا وهماً فانى أقوله علماً ولله درك يا أصمعى فانى أجد عندك مايضل عنه العلماء ، فأخذه محدث فقال :

يؤازره قلبي علىّ وليس لى يدان بمن قلبى علىّ يؤازره

وأخذه سهل بن هرون فقال :

أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرة وقفت جسمى على دائى
وكنت غراً بما تجنى علىّ يدى لا علم لى أن بعضى بعض أعدائى

وهذا شعر فيه تكلف ، أخذه البحترى :

ولست أعجب من عصيان قلبك لى عمداً اذا كان قلبي فيك يعصينى

وقال ابن الأحنف :

قلبي الى ما ضرّنى داعى يكثر أسقامي وأوجاعى
كيف احترازى من عدوّى اذا كان عدوّى بين أضلاعى

ومن جيد ما قيل فى قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفقعسى :

يقولون هذى أم عمرو قريبة دنت بك أرض نحوها وسماء
ألا إنما بعد الحبيب وقربه اذا هو لم يوصل إليه سواء

وفي خلافه : وإني زوار لمن لا يزورنى اذا لم يكن في وده بمريب
يقرب لى دار الحبيب وإن نأت وما دار من أبغضته بقريب

---

(١) فى الأغانى (وإنى لتغشانى لذكراك هزة) (٢) فى الأغانى (وأصدف) وهما بمعنى . (٣) في الأغانى (وأنسى الذى أزمعت حين تغيب) .

ومن ظريف الشكاية قول ابراهيم بن العباس :

فدعني راغماً أشقى بوجدى ... وخُذ قلبي إليكَ بغيرِ حمد

سقام لايرقُّ علىَّ منه ... ووجد لايكافئهُ بودّ

وقد أصفيتهُ ودّى بجهدى ... فعارضَ فى الجفاءِ بمثل جهدى

ومن جيد مامدح به الفراق قول بعض الكتاب : في الفراق مصافحة التسليم ورجاء الأوبة والسلامة من الملال وعمارة القلب بالشوق والدلالة على فضل المواصلة واللقاء . وقال الشاعر :

جزى اللهُ يومَ البينِ خيراً فانه ... أرانا على علاتهِ أمَّ ثابت

وكتب بعضهم فى معني قول الشاعر * ومافي الأرض أشقى من محب * وقد تقدم: تفكري فى مرارة البين يمنعنى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عيني أن تقربك مخافة ان تسخن ببعدك فلى عندا لاجتماع كبد ترجف وعند التنائى مقلة تكف . ومثله : لاوالذى بيده السلامة بروح دارك و بعد مزارك مازادنى اللقاء إلا صبابة وأسفاً والاجتماع إلا نزاحا وكلفا لأنى منقسم القلب بين رجاء يعدنى بقربك وحذر يوعدنى ببعدك وإذا قربت دارك كلفت وان نأت أسفت فلا في القرب أسلو ولا البعد .

وسمعت لمانى الموسوس[1] معني أظنه ابتكره وهو :

بكتْ عينى غداةَ البينِ دمعاً ... وأخرى بالبكى بخلتْ علينا

فعاقبتُ التى بخلتْ علينا ... بأن غمضتها يومَ التقينا

وسبكه البيت الأول ورصفه ردىء جداً لاخير فيه وانما استغربت المعنى فأوردته . وقد أخذه ابن الرومي فشرحه وزادفيه وهو من قوله :

ولقد يؤلفنا اللقاءُ بليلةٍ ... جعلتْ لنا حتى الصباح نظاما

تجزى العيون جزاءهنَّ عن البكي ... وعن السهادِ فلا نصيبُ اثاما

فنبيحهنَّ مُرادَهنَّ يردنه ... فيما ادَّعينَ ملاحةً ووساما

---

(١) هو أبو الحسين محمد المصرى ، شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل غير الغزل .

ونكافيء الآذانَ وهي حقيقةٌ　　اذ لاتزال تكابدُ اللواما
فنثيبهنَّ من الحديثِ مثوبةً　　تشفي الغليلَ وتكشفُ الأسقاما
ونكافيء الأفواهَ عن كتمانها　　إذ لا يزالُ لها الصماتُ لجاما
فنبيحهنَّ ملاثماً ومراشفاً　　ماضرَّها أن لا تكونَ مداما
نجزى الثلاثة أنصباء ثلاثة　　مقسومة آناؤها أقساما

ولخالد الكاتب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيتُ دماً حتى بكيتُ بلا دم　　بكاءَ فتى فرد على شجن فرد
أأبكى الذي فارقتُ بالدَّمع وحدَهُ　　لقد جلَّ قدرُ الدَّمع فيه إذاً عندى

وكتبت فى فصل لى : قد جل شوقى إليك ووجدى بك عن أن يبرد نارهما ويسكن أوارهما دمع ينصب على مثله فتحسبه دراً يتكسر على در ويمتزج بالدم فتخاله شذور عقيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد (١) :

وما كانَ حُبيها لأوَّلِ نظرةٍ　　ولا غمرة من بعدها فتجلتِ
ولكنها الدُّنيا تولتْ فما الذى　　يسلى عن الدُّنيا إذا ماتولتِ

وقالٍ أعرابي :

أعللُ أصحابي بجدِّى وباطلى　　وأسماء جدّ القلب منى وباطله

ومن بديع المعانى قول ابن أبى فنن :

أدميتُ بالألحاظِ وجنتهُ　　فاقتصَّ ناظرُهُ من القلبِ

أخذه على بن عاصم فقال :

ضربتْ إلفى بيدى　　خانَ يمينى جلدى
فاقتصَّ لما اغرَوْرَقَتْ　　مقلتهُ منْ كبدى
فلا أقلتْ بعدها　　سوطي من الأرضِ يدى

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً .

ومن أجود ماقيل في تكافىء الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم :

جاءتْ تهضُّ الأرضُ أى هضٍّ　　يدفعُ منها بعضها من بعضِ

يقول يتحير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيبها بعين لأن بعضها يشغل عن بعض . ومن بديع المعانى قول بعض الشعراء :

قصاراكِ منى الودُّ مادمت حيةً　　وودُّكِ ماء المزن غير مشوب

وآخر شيء أنت فى كل مضجع　　وأوَّل شيء أنتِ عندَ هبوب

ومن جيد القول فى الفراق قول أبى محلم :

وماخفتُ وشك البينِ حتى رأيتهم　　معض ؟ أنماط لهم وقطوع

لعمرك ماشيٌ مريتُ بذكرهِ　　كآخر يأتى بغتةً فيروع

ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم :

مابينَ بابِ الوزير والمسجدِ الجا　　مع ظبيٌ كالظباء فى جيده

أطمارهُ رَثَّةٌ فقد ضاعَ لا　　ضاعَ وضاعَ التمييزُ في بلده

ليسَ لهُ ناقدٌ فيعرفهُ　　وآفةُ التبرِ ضعفُ منتقده

وفى خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولستُ بواصفٍ أبداً حبيباً　　أعرّضهُ لأهواءِ الرّجال

ترانى آمن الشركاء فيهِ　　وآمن فيهِ أحداث الليالى

معنى آخر :

وقائلة متى يفنى هواهُ　　فقلتُ لها إذافنيَ الملاح

معنى آخر : وإذا أتيتك زائراً متشوقاً　　قَصرَ الطريقُ وطالَ عند رجوعى

معنى آخر : إذا طلعت شمس النهار فانها　　أمارةُ تسليمى عليك فسلمى

آخر التشبب والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لينعم عباده فى العاجل ويدل على ما أعد لحسنهم فى الآجل فقال (يا أيُّها النَّاسُ كُلوا مما فى الأرْضِ حَلالاً طيِّباً) وقال (يا أيُّها الرُّسلُ كلوا من الطَّيِّباتِ واعْملوا صَالحاً) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينةَ اللهِ التى أخْرَجَ لِعبادِهِ والطيباتِ مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بره وتمام لطفه والصلاة على خير خلقه محمد النبي وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفى ذكر الشراب وما يجرى مع ذلك ـ ثلاثة فصول وهو :)

﴿ الباب الخامس من كتاب ديوان المعانى ﴾

﴿ الفصل الأول فى ذكر النار ﴾

فأول ما نذكر فيها قول الله تعالى (أفَرَأيتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ) الى قوله (نحنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً وَمَتاعاً للمُقْوِينَ) فذكر منفعتها وحسن عائدتها فى الدنيا والدين فأما منفعتها في الدين فانها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته منها فى دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنهاة لمن تبصر ، وأما منافعها في الدنيا وكثرة مرافقها فغير مجهولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليها شيء سواه وليس بهعنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمها المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يعظمون جميع مافيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم فى الأرض ولا يستنجون فى الانهار، رؤى على عهد كسرى رجل يغتسل فى دجلة فضربت رقبته ، وكانت العرب إذا تحالفت تحالفت على النار ويدعون على من يغدر وينقض العهد بحرمان منافعها . وقد أحكمنا ذلك فى كتاب الأوائل. ومن عجيب التشبيه فى النار قول الأول :

كأنَّ الريحَ تقطع من سناها بنايق حبة من أرجوان

وقول ابن المعتز :

وموقدات بتن[1] يضر منَ اللهبْ يشبعنهُ منْ فحم ومن حطبْ
يرفعنَ نيراناً كأشجارِ الذّهبْ

وقال آخر : كأنّ نيراننا فى جنبِ قلعتهم مصبغات على ارسانِ قصار

وقول أبى تمـام فى إحراق الافشين :

نارٌ يساورُ جسمهُ من حرِّها لهبٌ كماعصفرتَ شقَّ إزار
صلى لها حياً وكان وقودَها ميتاً ويدخلها مع الفجار

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى حدثنا أحمد بن اسمعيل حدثنى جعفر بن على بن الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين فى فتحه هرقلة :

ريعتْ هرقلة لمـا أن رأتْ عجبا جو السما[2] ترمّى بالنفطِ والقار
كأنَّ نيراننا في جنبِ قلعتهم مصبغات[3] على ارسان قصار

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائى أوصلته الى فى حرق القادر أفشين شيئاً من هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ماأحفظه وإنمـا أحضر الشاعر فقال بعض أولاد الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد :

مازال سرُّ الكفرِ بينَ ضلوعهِ حتى اصطلى سرَّ الزّناد الوارى

---

(١) فى الأصل غير منقوطة. (٢) فى الأصل (جوائمـاً) (٣) فى الأصل (مصقلات)

ناراً يساورُ جسمهُ من حرِّها — لهبٌ كما عصفرتَ شقَّ إزار
طارتْ لها شرر (١) يهدّمُ لفحها — أركانهُ هدماً بغيرِ منار (٢)
ففصلنَ منه كلَّ مجمع مفصل — وفعلنَ فاقرةً بكلِّ فقار
رمقوا أعالى جذعهِ فكأنما — رمقوا هلالَ عشية الافطار
كرّوا وراحوا فى متون ضوامرٍ — قيدتْ لهمْ من مربطِ النجار
لاينزلون (٣) ومنْ رآهمْ خالهم — أبداً على سَفرٍ من الأسفار

فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بعشرة آلاف درهم ولهذا الذى حفظها بنصفها ، قال فتعجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طلب ولا أمل قال فلم يبق فى العسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبى تمام . وقلت :

أوقدتُ بعدَ الهدوِّ نارا — لها على الطارقين عَينُ
شرارها إنْ علا نضارٌ — لكنهُ إن هوى لجين
دعتهمُ فانثنى اليها — محبهم قرة رأين ؟
إلى كريم الفعالِ سمح — عطاؤهُ للكريم زين
يقضى ديونَ العلا ببذلٍ — إذ ليسَ يقضى لهنَّ دين

وقال ابن المعتز :

وقد تعلى شررُ الكانون — كأنه نثارُ ياسمين

وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها — حللٌ مشققةٌ على حبسان
رَدَّتْ عليها الريحُ فضلَ دخانها — فأتتْ بهِ سبحاً على عصان
فالجوُّ يضحك فى ابيضاض شرائر — منها ويعبسُ فى اسوداد دخان

وقال أبو فضلة :

اشربْ على النار فى الكوانين — إذ ذهبتْ دولةُ الرّياحين

---

(١) فى ديوان أبى تمام (شعل) . (٢) فى الديوان (بغير غبار) .
(٣) فى ديوان أبى تمام (لايبرحون) .

بَدَت لنا والرَّمادُ يحجبها كجلنارٍ من تحتِ نسرين

وقلت في معناه :

قصرتُ يدَ الشتاء بحرِّ جمر وأخت الجمر صافية الرَّحيق

ترى نبذ الرَّمادِ بوجنتيه ككافور يذرُّ على خلوق

وقلت : تحركت الشمالُ فقرَّ ليلى فهاتِ الرَّاحَ من أيدى الملاح

جراد الجمر يستره رمادٌ كمثلِ الوردِ يستره الأقاحى

وأنفاس الرِّياضِ معطراتٌ تطيرُ بهنَّ أنفاس الرِّياح

وأرديةُ الظلام ممسكاتٌ مطرَّزةُ الحواشى كالصباح

وقال ابن المعتز في سقوط الشرر على الثياب والبسط :

فترك البساط بعد الخدِ ذا نقطٍ سودٍ كجلد الفهد

وقال أيضا * وصيرت جيابهم مناخلا * وقلت :

كأنما النارُ بينهُ ذهبٌ والجمرُ من تحتهِ يواقيت

ومن بديع ما قيل فى القدور على النار قول بعض العرب :

كأنَّ صوتَ غليهِ المستعجل قصد الشبوح للشيوخ الجهل

وقال ابن المعتز :

والسيف راعى إبلى فى المحلِ يسلمها (١) الى قدور تغلى

ترقل فيها بالوقودِ الجزل ارقا لها فى السير تحت الرحل

وقالوا أحسن ماقيل في الاثافى والرماد قول ابن هرمة (٢) :

نبكى على زمن ونؤى هامد وجوالم سفع الخدود رواكد

عرين من عقد القدور وأهلها فعكفنَ بعدهم بهاب لابد

فوقينه عبثَ الصبا فكأنه دنف يرن الدمع بين عوائد ؟

---

(١) فى ديوان ابن المعتز (يسوقها) . (٢) ابراهيم بن على الكنانى القرشي ، من سكان المدينة ، مدح الوليد الأموى بدمشق فأجازه .

وقال أبو تمام : أثاف كالخدودِ لطمنَ حزناً ونؤىٌ مثل ماانفصم السوارُ

ومما يجرى مع ذلك القول فى الشمعة ، ومن أجود ما قيل فيها قول السرى * شفاؤها ان مرضت ضرب العنق * وقول الآخر * موقوف بين حريق وغرق *

وقلت : كم قد جنيتُ اللهوَ من غصنه ما بين أنوارٍ ونوار
من روضةٍ بللَ أعطافها سقيطُ أنداءٍ وأمطار
وأوجه تحسبها أشمساً في ليل أصداغ وأطرار
وشققتْ عنها ستورَ الدُّجى نارٌ على نارٍ على نار

وقلت فى السراج:

وحيةٌ فى رأسها درَّةٌ تعملُ فى وجهِ الدُّجى غرَّه
وجنتها أكبرُ من رأسها فهىَ إذا أبصرتها عبره
كم من مريبٍ أهتكت ستره وصيرتهُ فى الورى شهره
يردفها أصفرُ فى أصفر يقدمها أسودُ فى حمره

وقال السرى فى الكانون :

وكأنما الكانونُ ألهبَ جمره أحداق أسدٍ يدَّرينَ أسودا
يكسو خدود الشربِ من نفحاتها قبل الكؤوس وحسنها توريدا

وقلت فى الكانون :

وبركةٌ مترعة الأرجاء فارغةٌ من سبلِ الأنواء
يغسل فيها حلة الظلماء أقامت النارَ مقامَ الماء
نارٌ كوجهِ غادةٍ حسناءِ ترقصُ فى مبدعة صفراء
والجمرُ في حلتهِ الحمراءِ مثل بنانٍ عل بالحناء
وأسهم تصبغ بالحناءِ فيها كها ريحانة الشتاء
واشربْ عليها حلبَ الصهباءِ فشربُ صهباءَ على شقراء
يطرف عينَ البؤسِ والضراء

ومن أجود ماقيل فى الفحم قول بعضهم :

فحمٌ كيوم الفراقِ تشعله ... نارٌ كنارِ الفراق في الكبد
أسود قد صارَ تحت حمرتها ... مثلَ العيونِ اكتحلنَ بالرَّمد

﴿ الفصل الثانى من الباب الخامس ﴾

(فى ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراضة الذهب وبمناقير النغران ، والنغران جمع نغرة [١] وهى عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأتانى بخبزة من حنطة كأنها مناقير النغران قد انتفخت فى الملة حتى رأيت الجمر يتحدر منها تحدر الحشو من البطان وتراها حين غمرت بالسمن يجول فيها الثراد كما يجول الضبعان في الضفرة ، ثم أتانا بتمر كأنه أعناق الورلان يدخل فيها الفرس . الحشو صغار الابل ، والضفرة الرمل المتعقد .

وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن عبد الله بن محمد القرشى عن المثنى بن معاذ العنبرى عن بشر بن المفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لى هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر .

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودى حدثنى محمد بن زكريا حدثنى مهدى بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتغدى فقال ياابن صفوان أدن فكل فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت ؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وكأنما تجرى عليه سبائك الذهب ثم أتيت ببنانى بيض البطون زرق العيون سود المتون حدب الظهور مفقعات الأذناب صغار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

---

(١) فى الأصل (نقرة) .

نظيف كأنه قطع الزند وخل ثقيف مرى حريف ، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا أتم .

وقريب منه ما أخبرنا به أبو خليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعمش لجليس له أما تشتهى بناني زرق العيون بيض البطون سود الظهور وأرغفة باردة لينة وخلاً حاذقا ؟ قال بلى قال فانهض بنا قال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السلة فكشفها فاذا فيها رغيفان يابسان وسكرجة كامخ وشبت قال فجعل يأكل وقال لى تعال كل قلت فأين السمك فقال ما عندى سمك وإنما قلت أتشتهيه وأنا والله أشتهيه . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبى عثمان المازنى عن الأصمعى قال قال أبو صوارة (١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : يا أبا سعيد الأرز الأبيض باللبن الحليب بالسكر السليمانى بالسمن السلى ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ما قيل فى الرقاق قول ابن الرومى :

ما أنسَ لا أنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرّقاقةَ وشكَ اللمح بالبصر
ما بينَ رؤيتها في كفهِ كرَةً وبينَ رؤيتها قوراء كالقمر

وقلت : وخبز بأيدى الخابزين كأنه تراس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلتْ بساحتها المنى اذا جاءَ من أرداحهنَّ يريد
وضمتْ الى الحلواء فيه فواكهٌ عليهنَّ أهواءُ النفوسِ وفود

وقال الصنوبرى في رقاق ورؤوس :

غير ما راج من رقاقٍ رقيق فوقَ هام على عدادِ الهام
ذاك كالماءِ ذى الحبابِ وهاتيـك عليـهِ كطير ماءٍ نيام
يا الأقيالهن وما يبـدينَ من مضرم شديدِ الضرام
كأناس يُوشحونَ مناديـل اذا خرجوا من الحمام

ورصف هذه الأبيات غير مختار عندى ولكنى أوردتها لجودة معانيها

---

(١) (أبو صوارة) غير موجودة فى الأصل فاستدركناها من العقد الفريد .

وإصابة التشبيهات فيها، وقوله (غير ماراج) فان الرواج لفظ عامى لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومى :

هامٌ وأرغفةٌ وضاءٌ فخمةٌ قدأخرجتْ من جاحم فوّارِ
كوجوهِ أهل الجنة ابتسمت لنا مقرونةً بوجوهِ أهلِ النار

وقال غيره فى :

وقادم من جاحم فوّارِ مخلل الشقشق والأنوار
ملبساً حُـلةَ جلنارِ يقسر منـه جـلده النضار
عن بدن أبيض كالجمار

ومن النادر البديع فى هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس فقيل له إنها متخمة فقال انها فاكهة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعى قال قيل لأعرابى كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحييه وأبخص عينيه وأفعص أذنيه وا خديه وأرمى بالدماغ الى من هو أحوج منى اليه فقيل له إنك لأحمق من ربع قال وما حمق ربع إنه ليجتنب العدوى ويتبع المرعى ويراوح بين الأطباء فما حمقه ياهؤلاء[1] وقيل لأحدهم ما أحب الفاكهة اليك قال أما الرطب فاللحم وأما اليابس فالقديد . وقلت فى صفة لحم :

تركتُ سمينَ اللحم يبيض بعضُه ويحمرُ بعض خلطك الدرَّ بالتبر
وأعرضتُ عن حلواء شق فتونها فبيضٌ الى حمرٍ وحمرٌ الى صفر
الى ثردةٍ رقطاءَ قطـع فوقها مقفعةٌ خضراءُ فى ورق خضر

وحاجة الانسان إلى الطعام إنما هى من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فاذا أكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فكأنه رقع الديباج بالديباج فاذا أكل غير اللحم فكأنه رقع الديباج بالكرباس، وفى الحديث «مَنْ

---

(١) في أمثال الميدانى (وما حمق الربع والله إنه ليتجنب العدوى ويتبع أمه في المرعى ويراوح بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حمقه) .

تَرِكَ اللَّحْمَ أربعينَ يَوْماً سَاءَ خُلُقُهُ » .

وأحسن ما سمعت فى جمل مشوى قول السرى :

أنعتُــهُ معصفر البردين   أبيض صافي حُمرةِ الجنبينِ
خلف شهرين على خلفينِ   ثم رَعى بعدَهُما شهرينِ
فجسمهُ شبرانِ في شبرَينِ   ياحُسنهُ وهو صريعُ الحينِ
بعرفةٍ مُرهفةِ الحدَّينِ   بكفِّ شاوٍ عَطِرِ الكفّينْ
كسارقٍ حُدَّ مِنَ اليدَيْنِ   ذو طرف يستوقِفُ العينين
يُريكَ مرآةً مِنَ اللجينِ   مُذْهَبَةَ المقبض والوجهين
شقَّ حشاه عنْ شقيقتين   أختين في القدِّ شبيهتين
كما قرِنت بين كأتين   أو كرتى مسك لطيفتين[1]
ان شين ذورقين ناجمين   فانهُ زينٌ بغير شين

ومن المشهور قول ابن الرومى فى دجاجة مشوية :

وسميطة صفراء دينارية   ثمناً ولوناً زفها لك حزورُ
طفقتْ تجولُ بذربها حوذابةٌ   فأتى لباب اللوز فيها السكر
ظللنا نقشرُ جلدها عن لحمها   فكأنَّ تبراً عن لجين يقشرُ
يا حسنها فوقَ الخوانِ وبنتها   قدّامها بصهيرها تتغرغر
وتقدمتها قبل ذاك ثرائدٌ   مثل الرِّياض بمثلهنَّ يُصدَّر
ومدققات كلهنَّ مُزخرفٌ   بالبيض منها ملبسٌ ومدنَّر
وأتت قطائفُ بعدذاك لطائفٌ   ترضى اللهاةُ بهاويرضى الحنجر
ضحك الوجوه من الطبرزدِ فوقها   دمع العيون من الدهان تعصر

وقلت فى سكباجة :

سكباجةٌ طيبةٌ نشرها   كأنها عُودٌ على مجمر

---

(١) سقط هذا العجز من الاصل فاستدركناه من ديوان السرى المخطوط .

يا حسنها فى القدرِ إذْ أقبلتْ   وهى تحاكي سفطَ الجوهر
ويستنير الشحمُ فى لحمهـا   كغرةٍ فى فرسٍ أشـقر
يا حسن باذنجانهـا إذ بدا   أسمر وسـط المرق الأحمر
كأنّه ماء خـاوق جرى   وجال فيـه قطع العنـبر

وقال ابن الرومى فى دجاجة :

عظيمة الزّوْر بصدرٍ نهـد   أجريتُ منها فى مجال العقـد
مرهفة ذات شباً وحدّ   لغير ما دخل وغير حقد
بل رغبة فيها شبيه الزّهد

وقلت في قدور على نار :

كتبتُ أستعجل النـدامى   والنارُ تستعجل القـدورا
وقد أتانى الغـلامُ يسعى   بأرغفٍ تشبهُ البـدورا
وعنـدنا قهوةٌ شمـولٌ   لو قطعتْ صيرتْ شذورا
تـكونُ قبـلَ المزاج ناراً   فانقلبتْ بالمـزاج نورا
فانهض إلى سرعة إلينا   ننثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارساً أحسن من زبد على تمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألاليت لى خبزاً تسربلَ رائباً   وخيلاً من البرنى فرسانها زبد

ومن عجيب ماروى عن الاعراب فى شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعى عن جعفر بن سليمان قال لقيت اعرابياً فقلت هل لك في ثردة ؟ فتنفس الصعداء ثم قال :

واهاً على مجـمومة   وصحفة مكتومـة
بالدّسم موسُـومة   واللحم مغمومة
قد كملتْ عراقا   وألحفت رقاقا
منقوشـة الحواشي   بطيبِ التمـاشي

بفلفـــل وحمص فـكلْ هنيئاً وارقص

فأخذت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا ثردة كما وصف فلما قدمتها ارتعش طرباً ثم قال أى بأبى والله هذه المرقصة ثم وثب على رجليه فرقص ساعة وجلس فأكل أربعة أرغفة فى ثردة وستة ثم قبل رأسى وقال بأبى أنت وأمي لك حاجة فى بدونا؟ قلت تمضى ، ثم قال أى والثردة والله مادخلت الحضر إلا في طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزلْ مصفرا لم يعرف الرُّغفَ ولا المزدرا
حتى لقد أوجعت والله ترى ماصنعت كفاى فى جنب القرى

وقال ابن خلاد فى خبز الأُرز والملح :

إذا الطابقُ المنصوبُ ألقى ثيابهُ وقدت جيوبُ الخبز شبرين في شبر
رغيف بملح طيب النشر خلطة خوارجه تغنيك عن أرج القطر
عليهِ من الشونيزِ آثارُ كاتب وجلبابُ ورَّاق ينقطُ بالحبر
ومن سمسم قد زعفرُوهُ كأنهُ قراضـةُ تبرٍ فى لجينية غر

وقال في الباقلاء :

فلا تنسَ فضـــلَ الباقلاءِ فانه من المرق قدوافى به الفضل فى الزبر
إذا جعلوا فيه ســذاباً ونعنعاً وجزءاً من الزّيت المقدس فى الذّكر
فما صدف العاج المغشى ظواهراً بطاشى أفرندٍ معقدةِ الخصر
بأحسن من مخضرة الغصن إذ بدَتْ بوا كرُ منها في المجاسد والازر

ثم قال : وبالك باذنجانة سابرية جلاها نسيمُ الليل ناثرة الفجر
فجاءَتْ بأثواب الحداد مدلهـا بأذنابها العم المعقفة الخضر
وأكرم بها نياً إذا بز ثوبها فأبدت لنا عن واضح الكشح والصدر
فنجعلها شطرين نلقمُ شطرها ونتبعهُ قبـلَ الاساغةِ بالشطر

وقال ابنِ الرومي فى الهريسة :

أياهنتاهُ هل لك في هريس   بلحمانِ الفراخ أوالبطوط
أمل الليـــل صانعها بضربٍ   فجاء بها تَمـددُ كالخيوط
وبينَ يديك من مرى عتيق   توارثهُ النبيطُ عن النبيط
أرانا حولَ صحفتها (١) بروكا   كما بركَ البعـــيرُ على الخبيط
فيالله مــن لقم هناكم   تجـاذب بالشجيج وبالغطيط

وقال مسكين الدارمي فى قدور على النار :

كأنَّ قدورَ قومى كلَّ يوم   قدورُ البرك ملبسة الجلال
كأنَّ الموقدينَ لهـــا جمالٌ   طلاها الزِّفتُ والقطران طالى
بأيديهمْ مغارفُ من حـديدٍ   نشبهها مغـــيرة الدوالى

وقلت فى هريسة :

هريسةٌ بيضاءُ كافوريهْ   فى قصعةٍ صفراءَ ديناريه
للمرء فيها حمـــة مسكيه   وللسلاء لمعـــةٌ تبريه
تدورُ في مبيضةٍ فضيــه   مثل السوارِ فى يدِ الرُّوميه

ومن عجيب ماقيل فى قلة الطعام على المائدة ماأنشدناه أبو أحمد قال أنشدنى نصر بن أحمد لنفسه :

من حديثي أنَّ ابنَ بكر دعانى   لشقائى فليتـــهُ مادعانى
غرَّنى منهُ منظرٌ ولباسٌ   وأثاثٌ ومجلسٌ وأوانـ
مجلسٌ كالجنان حسناً ولـكنْ   قبح الجوع حسن تلك الجنان
فلعمرى كان الخوانُ ولـكنْ   لم يكنْ مايكونُ فوقَ الخوان
وجفانٍ مثـل الجوابى ولـكن   ليس فيهنَّ مايرى بالعيان
وغضار الألوان جاءَتْ ولـكنْ   ليسَ فيها روائحُ الألوان
فاذا ماأدَرْتُ فيهـا بنانى   لم أجِـدْ ما أمسهُ ببنانى

---

(١) في ديوان ابن الرومى المخطوط « فنبركُ فوق صحفتها بروكا » .

إنى ماضغٌ على غيرِ شيء غير صكٌّ الأسنانِ بالأسنان
ترجعُ الكفُّ وهى أفرغُ منها عندَ مدٍّى لها فدأبى وشانى
لو ترانى والجوعُ يضحك منى عند غسلى يدىَّ بالاشنان
زادَ فى السفرِ مسرفا مثلما أسرفَ عند الطعام بالنقصان
والغضاراتُ فارغاتٌ أتتنا وسقانا بالمترع الملآن
سكرة فوقَ جوعةٍ تركتنى راحماً كلَّ جائع سكران

وقلت فى قريب منه :

أتدعونى وتطعمنى يسيراً وتسقينى الكثيرَ على اليسير
فأصبح منك فى يوم عسير فلا ينفكُّ في يوم عسير
هما حرّانِ من جوع وسكر فيالك من سعير في سعير
أقولُ وفي غضائره عظامٌ أعرق من قدور أم قبور

ومن جيد ماقيل أيضاً فى ذم الدعوة قول أبى الحسن بن طباطبا (١) وقد دعاه الكراريسى فقرب إليه مائدة عليها خيار وفى وسطها جامات عليها قطر ولم يصحبها بوارد فسماها مسيحيةلأنهاأشبهت موائد النصارى ، وقدم سكباجة بعظام عارية فسماهاشطرنجية ، ثمقدممضيرة فى غضارة بيضاءفسماهامعقدة (٢)لأن البياض لبس المعقد وهي لاتمس الدهن والطيب ، ثم قدم زيرباجة بأطراف جدى صفراء لقلة زعفرانها فسماها عابدة لأن ألوانالعباد صفر ثمقدم لوناً بقضبان محاولة فسماها قتبية ثم قدم لوناً بزبيب أسود فسماها موكبية ثم قلية بعظام الأضلاع فسماها حسكية لتشنج لحمها ثم قرب زعفرانية فسماها سلحية صفراء ثم قرب فالوذجة قليلة الزعفران والحلاوة فسماها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابنه عليل فحولهم من منزله إلى بستان قد طبق بالكراث وأحضرهم جرة منثلمة يمزجون منها شرابهم

---

(١) هومحمد بنإسماعيل العلوى الشاعرالمفلق العالم المحقق،من أهل خراسان.
(٢) فى معجم الأدباء لياقوت (معتدة).

وإذا ضرب أحدهم الغائط نقلها معه وربط الاكار [(١)] بجذائهم عجلة تخور عليهم خواراً شبيهاً بغناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال :

يادعوةً مغبرةً قاتمة ... كأنها من سفر قادمه
قد قدّموا فيها مسيحيةً ... أضحتْ على أسلافها [(٢)] نادمه
ثمّ بشطرنجية لم تزَلْ ... أيدٍ وأيدٍ حولها حائمه
فلم نزَلْ في لعبها ساعةً ... ثم نفضناها [(٣)] على قائمه
وبعدها معتدة [(٤)] أختها ... عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف موؤدةٍ ... قد قتلتها أمها ظالمه
والقنبياتُ فلا تنسها ... فحيرتي في وصفها دائمه
أقنبٌ ماالمتدّ في أصبعي ... أم حيةٌ في وسطها نائمه
والحسكياتُ فلا تنسَ في ... خندقها أوتادها قائمه
والموكبياتُ بسلطانها ... قد تركتْ آنافنا راغمه
والسلحةُ الصفراءُ فاعجب بها ... إذ سلحتها أنفسٌ هائمه
وجام صابونية بعدها ... فانخر بها إذ كانت الخاتمه
ظلّ الكراريسيُّ مستعبراً ... من عصبةٍ في داره طاعمه
وقالَ إنّ ابني عليلٌ ولي ... قيامةٌ من أجله قائمه
وَوَلوَلتْ داياتهُ حولهُ ... فليسَ إلا عبرةٌ ساجمه
وليسَ هذا لسوى كسرةٍ ... تكسرُ ما زالت له سالمه
وقد أكلناها فكم هيجتْ ... من لاطم خداً ومن لاطمه
ثمّ هرَبنا نحوَ بستانهِ ... خوفاً من المنيـة العازمه
ظلنا لدى الكراثِ نلهو بهِ ... فيالهُ من زهرةٍ قائمه

(١) أي الحراث . (٢) كذا في الاصل ومعجم الأدباء لياقوت ، وفي نسخة (إسلامها) . (٣) في الاصل (ثم تقضينا) . (٤) في الاصل (مقيدة) .

وغايـة اللطفِ ففي جرَّة   محطومةٍ صارتْ لنا حاطمـه
نبـولُ فيها ثم نسقى بها   يالك من عارضـةٍ لائمـه
وعجلة تشـدو بألحـانها   وكانت الـكيـة الخازمـه
فـكانَ فيما أنشدتْ اذ شَدَتْ   من لىَ من بعـدك يافاطمه
نشتم من أسمـعنا صوتهـا   وهى لنا من بعدِهِ شاتمه
ظلت تبـكي شجوناً فمـا   أبصرت من أربا به عالمه
فـلو ترانا وترى زادَنا   حياً وفت منا نعماً سائمـه ؟

فلما سمعها الـكراريسى حلف لايدخل أبا الحسن ولا أحداً من أصحابه داره واتخذ دعوة ودعا قوماً من الشطرنجيين فقال أبو الحسن انما دعاهم لينظروا في الشطرنجية التى كنا نفضناها على قائمةهل يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أبياتاً منها :

طمعتَ ياأحمـق فى قمرها   لو أمكنَ القمرُ قمرناها
فانْ أقاموها فما ذنبنا   كنا على ذاك نفضناها

ثم كتب اليه أبو الحسن :

يامنْ دعانى أطال اللهُ عمرك لى   ولاعدمتك من داع ومحتفـل
ما أنسَ لاأنسَ حتى الحشر مائدةً   ظلنا لديك بها في أشغل الشغل
اذ أقبل الجدىُ مكشوفاً ترائبهُ   كأنهُ متمطٍّ دائمُ الـكسل
قد مدَّ كلتا يديْهِ لى فذكرنى   بيتاً تمثلتهُ من أحسنِ المثل
كأنه عاشقٌ قد مدَّ بسطتهُ   يومَ الفراق الى توديع مرتحل
وقد تمدى بأطمار الرُّقاق لنا   مثل الفقيرِ اذا مالاح فى سمل
فليتَ شعرى ماذا كانَ أحله   فصار إيمانهُ قولاً بلا عمل
مددْتُ كفى فلم ترجعْ بفائدة   كأنما وقعتْ منهُ على طلل

وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جحظة أظنه :

قدَّم لى أعظمَ حوْليةٍ   قد طبختْ بالماء فى برمته

فلم أزلْ زلّتْ به نعلهُ ألعبُ بالشطرنج في قصعته

ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصناعُ تلفيفَ شطريه بالهندمة
فمن صدر فائقةٍ قد نوت ومن عجز ناهضةٍ ملقمه
ودنر بالجوزِ أجوازه ودَرْهمَ باللوز ما دَرهمه
وقابل زيتونها والجبن صفائح من بيضةٍ مدغمه
فمن أسطرٍ فيـهِ مشكولة بملح ومنْ أسطرٍ معجمه
وطرّز بالبقل أعطافهُ فوافى كحاشيةٍ معلمه
مرشا تخال به مطرفا بديع التفاويف والنمنمه

وأنشد فى الشواريز [١] :

مامتعة العين من خـدٍّ توردُّهُ يزهى عليك بخال فيه مركوز
مستغرق الحسن فى توسيع وجنته بدائع بين تسهيم وتطريز
يوفى على القمر الموفى اذا اتصلت يسراه بالكأس أويمناه بالكوز
انهى اليكَ من الشيراز إن وضحت فى صحنٍ وجنتهِ خيلان شونيز [٢]
وقد جرى الزّيتُ في مثنى أسرته فضارعتْ فضة تعلى بأبريز

وقال ابن خلاد :

وسوْفَ يزوركَ شيرازها فتقسم بالله ان تكرمه
يميسُ بشونيزةٍ كالعروسِ تخطرُ في الحلقِ المسهمه
وتغشى موائدَ قد عوليتْ أطايبَ كالبردةِ المعلمه
تباهى بجاماتها والغضار كواكبَ فى الليلةِ المظلمه

وأول من ذكر الفالوذ أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جدعان :

---

(١) جمع شيرازِ وهو اللبنِ الرائبِ المستخرجِ ماؤه . (٢) أي الحبة السوداء .

لهُ داع بمكة مشمعلٌ وآخرُ فَوْقَ دارته[١] ينادى
الى رُدح[٢] من الشيزى عليها لبابُ البرِّ يلبكُ بالشهاد

لباب البر يعنى النشا[٣] . وكان لعبد الله جفنة يأكل منها القائم والقاعد والراكب وقال رسول الله ﷺ «كُنْتُ أستظلُّ بجفنة عبد الله بن جَدْعان في الهوَاجر».

ومن النوادر فى هذا ما أخبرنا به أبو أحمد عن رحاله قال سأل اعرابى عن رأيه فى الفالوذ فقال والله لو أن موسى أتى فرعون بفالوذ لآمن به ولكنه أتاه بعصاه .

ومن مصيب التشبيه فيه قول بعضهم :

ولاطفه بالشهد المخلق وجهه وإن كانَ بالالطاف غيرَ خليق
كأنَّ اصفرارَ اللوز فى جنباتِه كواكبُ تبرٍ في سماء عقيق

وقلت : حمراء فى بيضاءَ فضيـة وظرف كافور وحشو الخلوق
يطوفُ الدُّهن بأرجائه اطافةَ الدَّمع بجفنِ المشوق
كأنما اللوزُ بحافاته أنصافُ دُرٍّ ركبت فى عقيق

ومن المشهور قول ابن الرومى فى اللوزينج :

كأنما قدَّتْ جلابيبهُ من أعين القطر اذا قببا
مستكثف الحشو على أنه أرقُّ جسماً من نسيم الصبا
يَدورُ بالنفحةِ فى جامه دوراً ترى الدُّهن له لولبا
لو أنه قعرٌ لروميـة لكان منه الواضع الأشنبا

وقلت فى قطائف :

كثيفة الحشو ولكنها رقيقةُ الجلدِ هوانيه
رشتْ بماء الورد أعطافها منشورة الطيِّ ومطويه

(١) فى الأصل «وارثه» . (٢) فى الأصل (لدى روح) (٣) اشمعل: أشرف والقوم في الطلب بادروا فيه ، والردحة سترة تكون فى مؤخر البيت أو قطعة تزاد فيه ، والشيزى خشب أسود يتخذ منه القصاع ، والبيت الثانى نسب فى لسان العرب لابن الزبعرى.

كأنها من طيب أنفاسها — قد سرقت من نشر ماريه
جاءت من السكر فضية — وهي من الأدهان تبريه
قد وهب الليل لها بردة — ووهب الخصب لها زيه

وقلت في ذم الباذنجان :

قرانا بقولاً إذ أنخنا ببابه — فأصبح فينا ظالماً للبهائم
وقفنا عليه الركب نسأله القرى — ونحن على أعناق أغبر قاتم
فصام وصوم الليل ليس بجائز — وإن جاز في فقه اللئام الأشائم
أجاز صيام الليل حين استفزه — تعاور ضيف في دجى الليل عائم
فبتنا أديم الليل نطوى على الطوى — كأنا على غبراء من ظهر واشم .
وأطعمنا لما مرقنا من الدجى — دحاريج لاتنساق في حلق طاعم
مدورة سود المتون كأنها — خصي الزنج لاحت تحت فيش قوائم
فأبشارها تحكى بطون عقارب — وأرؤسها تحكى أنوف محاجم[١]

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا نصر قال قال الأصمعي قيل للفاخرى أي التمر أجود ؟ قال الجرد الفطس الذى كأن نواه ألسن الطير تضع الواحدة فى فيك فتجد حلاوتها فى كعبك يعنى الصيحانى تمر العلية .

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن أبي أويس حدثني أبي حدثني عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال اجتمع أربعة رهط سروى ونجدى وحجازى وشامى فقالوا تعالوا نتناعت الطعام أيه أطيب : قال الشامى إن أطيب الطعام ثريدة موسعة زيتاً تأخذ أدناها فيضرط عليك أقصاها تسمع لها وقيباً فى الحنجرة كتقحم بنات المخاض فى الخرف ، قال السروى ان أطيب الطعام خبز بر فى يوم قر على حمر عشر موسع سمناً وعسلا . فقال الحجازى أطيب الطعام خنس فطس باهالة حمس يغيب فيها الضرس . فقال النجدى أطيب الطعام بكر سنمة مغتبطة نفسها

---

(١) تقدمت هذه الابيات .

غير ضمنه فى غداة شبمة بشفار خدمه فى قدور جذمه . ثم قال الشامى دعونى أنعت لكم الطعام إذا أكلت فابرك على ركبتيك وافتح فاك وأجحظ عينيك وامرح أصابعك وعظم لقمتك واحتسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ما سمعت ابن عمر حدث هذا الحديث قط فبلغ قول الشامى « واحتسب نفسك » إلا ضحك . وقلت فى عصيدة :

وعدتُ عصيدةً شقراءَ تحكى   طرارَ الصبح في ثوْبِ الظلام
تراها حينَ تَبْرُزُ فى ظلام   كطرفِ الطرفِ فى زمنٍ قتامَ
كذى دَلٍّ عليهِ معصفراتٌ   يدلُّ على المشوقِ المستهام
فلما ان صبا قلبي إليها   ومدّت نحوها عين اهتمامى
تقاصرَ دونها كفاىَ حتى   كأنَّ الدبسَ علقَ بالغمام
فدونَ السجن أطرافُ العوالى   ودونَ النار بادرةُ الحسام
أتلك عصيدةٌ أم طرفُ سلمى   فليسَ يزورُ إلا في المنام

وقلت فى سمكة طرية :

يفيضُ للمكتوب ماجرٌ حتفه   فجازَ بنا في الغيضِ شرٌّ مجاز
بعثنا اليه ينسر البأز فانثنى   إلينا بظهرٍ مثل جؤجؤ باز
فأطفأ نيرانَ الطهاةِ كأنها   سحابٌ يسح الودق فوق عزاز

العزاز : الأرض الصلبة . وقال كشاجم فى السمك :

ومحجوبة فى البحرِ عن كلِّ ناظرٍ   ولكنها فى حجبها تتخطفُ
أخذنا عليهنَّ السبيلَ بأعينٍ   رواصد إلا أنها ليسَ تطرفُ
فجاءَ بها بيض المتونِ كأنها   خناجرُ فى أيمانِنا تتعظفُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن القاسم عن الأصمعى قال دخلت على الرشيد وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعى هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يا أمير المؤمنين وأنى لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مُزَرِّد (١)

---

(١) فى الأصل « مرز » وفى العقد الفريد طبعة بولاق «مزود أخي سماح »

ابن ضرار أخو الشماخ :

ولما غدتْ أمي تزورُ بناتها أغرتُ على العكم الذى كان يمنع
خلطتُ بصاعى حنطةٍ صاعَ عجوةٍ إلى صاعِ سمنٍ فوقها يـتربع
ودبلتُ (١) أمثالَ الاثافى كأنها رؤوسُ نقادٍ قُطعتْ يوم تجمع (٢)
وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ انهُ حمى آمناً ممـا تفيدُ وتجمع
فانْ تكُ مصفوراً فهذا دواؤهُ وانْ تكُ جوعاناً فذا يوم تشبع

فضحك الرشـيد وقال ياأصمعى مالدنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت لهوفضلته على الملوك بالعلم ، فقال ياأصمعى نحن كل يوم نشبع .

ومما يجرى مع هذا القول فى الرحا : فمن أجود ماقيل فيها ماأنشدناه أبو أحمد :

عجبتُ من سائرةٍ لا تبرَحُ ينهاك عن ركوبها من ينصحُ
دائبة تمسى بحيثُ تصبحُ

والحمد لله وحده .

﴿ الفصل الثالث ﴾

(فى ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعانى)

للقدماء في صفة الخمر قول الأعشي * تريك القذى من دونها وهى دونه *

يريد أنها من صفائها تريك القذى عالية عليها وهى في أسفلها .

ومن أطرف ماقيل في صفاء الخمر قول أبي نواس :

ترى حيثما كانتْ من البيتِ مشرقا وما لم تـكنْ فيه من البيتِ مغربا

وهو تصحيف على مافي مقدمة « القصد والأمم فى التعريف بأنساب العرب والعجم لابن عبد البر» . (١) دبل اللقمة : جمعها بأصابعه و كبرها،وفى العقد الفريد طبع بولاق « وذيلت » وهو تصحيف ، وفى العقد اختلاف فى بعض الألفاظ .

(٢) كذا فى لسان العرب ، وفى الأصل «ماتجمع » .

إذا عبَّ فيها شاربُ القومِ خلتهُ ... يقبلُ في داجٍ من الليل كوكبا

أخذه ابن الرومي فقال وأحسن:

ومهفهف تمتْ محاسنهُ ... حتى تجاوزَ منيةَ النفسِ

وكأنهُ والكأسُ في فمهِ ... قمرٌ يقبلُ عارضَ الشمس

فجعل الشارب قمراً وليس هذا في بيت أبي نواس. وقال أبو نواس يذكر صفاء الخمر ورقتها وحبابها:

فاذا ما اجتليتها فهباءٌ ... يمنعُ الكفَّ ما يبيحُ العيونا

ثم شجتْ فاستضحكت عن جمانٍ (١) ... لو تجمعنَ في يدٍ لاقتنينا (٢)

في كؤوس كأنهنَّ نجومٌ ... دائراتٌ (٣) بروجها أيدينا

طالعاتٌ مع السقاةِ علينا ... فاذا ما غربنَ يغربنَ فينا

لو ترى الشرب حولها من بعيدٍ ... قلتَ قومٌ من قرة يصطلونا

وقلت في لطافة الخمر والزجاجة:

قلتُ والراحُ في أكفِّ الندامى ... كنجوم تلوحُ في أبراج

أمداماً فرطتمُ لمدام ... أم زجاجاً سبكتمُ في زجاج

وكأنَّ النجومَ والليلُ داج ... نقشُ عاجٍ يلوحُ في سقف ساج

ومن أعجب ما قيل في صفاتها قول الناشيء * فليس شيء عندها إلا القذي *

وقلت: ومشمولة دارت عليَّ كؤوسها ... فرحتُ كأني في مدارِ الكواكبِ

أنازعها بدراً مع الليلِ طالعاً ... وليسَ بمردودٍ مع الصبح غاربِ

وقد شابَ لينا بالشماس وإنما ... تطيبُ لك الصهباء من كفِّ قاطب

وأنشدني أبو أحمد:

فنبهتني وساقي القوم يمزجها ... فصارَ في البيتِ للمصباح مصباحُ

---

(١) في ديوان أبي نواس (عن لآل). (٢) في الأصل (لضنينا).

(٣) في الأصل «طالعات».

قلنا على علمنا والشكُّ يغلبنا أراحنا دارنا أم دارنا الرّاح

ومثله قول البحترى :

فأضاءت تحتَ الدُّجنة للشر ب وكادت تضئ للمصباح

وأحسن ما وصفت به كأس على فم قول ابن المعتز :

ظبيٌ خليٌّ من الأحزانِ أو دعنى مايعلمُ اللهُ من حزنٍ ومن قلق

كأنّهُ وكأنَّ الكأسَ فى فمه هلالُ أوَّلِ شهرٍ غابَ فى الشفق

وقول الآخر :

كأنما الكأسُ على ثغرها موصولةً بالأنمل الخمس

ياقوتةٌ صفراءُ قد صيرتْ واسطةً للبدرِ والشمس

قد ذهبتْ نفسى على نفسها وآفةُ النفس من النفس

وقلت : فيسقينى ويشربُ من عقيق خليق أن يشَبَّهَ بالخلوق

كأنَّ الكأسَ من يدهِ وفيه عقيقٌ فى عقيقٍ فى عقيق

الكأس الحمراء مثل العقيق واليد المخضوبة كالعقيق والشفة مثل العقيق فى لونها . وقلت :

ودَارَ الكأس فى يدِ ذى دلال رشيق القدِّ يعرفُ بالرّشيق

يحلى بالتبسم درَّ ثغر تخلله شوابيرُ العقيق

رأيتُ الكأسَ فى يده وفيه وجنحُ الليل منصرف الفريق

ففي فمه هلالٌ فى غروب وفى يدِهِ الثّريا فى شروق

وأحسن ماقيل فى الشروق وأتمه قول ابن الرومى وأتي بشىء لم يسبق اليه وهو تشبيه الحباب بفلق اللؤلؤ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه باللؤلؤ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريحٌ كأنهُ ذهبٌ ورغوةٌ كاللالىء الفلق

فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطي أطرافَ كفٍّ كأنَّ بنانها منِ أرجوانِ

أنازعها على العلاتِ شرباً   لهنّ مضاحكٌ من أقحوانِ
يلوحُ على مفارقها حبابٌ   كأنصافِ الفرائدِ والجمانِ

وفى هذا زيادة لأن فى الحباب ما هو كبير يشبه بأنصاف الفرائد وهى كبار اللؤلؤ ، ومنه ما هو صغير يشبه بانصاف الجمان وهي صغار اللؤلؤ :

وطالعنى الغلامُ بها سحيراً   فزادَ على الكواكبِ كوكبان
ووافقها بخدٍّ أرجوان   وخالفها بفرع أرجوانى

وأغرب ما قيل فى الحباب قول أبي نواس :

فاذا علاها الماءُ ألبسها   حبباً كمثل(١) جلاجلِ الحجل
حتى إذا سكنتْ جوامحها   كتبتْ بمثل اكارع النمل

ومن غريب ذلك و بديعه قول الأول ويقال انه ليزيد بن معاوية :

وكأس سباها البحرُ من أرض بابلٍ   كرقَّةِ ماء المزنِ فى الأعينِ النجلِ
إذا شجها الساقي حسبتَ حبابها   عيونَ الدبا من تحت أجنحةِ النمل

وأبدع ماقيل في الحباب قول أبى نواس :

قامت تريني وأمرُ الليل مجتمع   صبحاً تولدَ بينَ الماءِ واللهب(٢)
كأنّ صغرى وكبرى من فواقعها   حصباءُ دُرٍّ على أرض من الذهبِ

وخطأه النحويون فى قوله « كبرى وصغري من فواقعها » ، أخذه ابن المعتز فقال:

يا خليلى(٣) سقيانى فقد لا   حَ صباحٌ وأذّنَ الناقوسُ
من كميتٍ كأنها أرضُ تبرٍ   فى نواحيه لؤلؤٌ مغروس

وقلت : راحٌ إذا ما الليل مدَّ رواقهُ   لاحتْ تطرِّزُ حُلةَ الظلماء
حتى إذا مُزِجتْ أراك حبابها   زهراتِ أرضٍ أو نجوم سماء

وقلت فى المعنى الأول :

---

(١) في الأصل « نمشاً كمثل » وفى ديوان أبي نواس « حبباً شبيه » .

(٢) في الأصل « والعنب » .   (٣) فى ديوان ابن المعتز « يا نديمىّ »

تبيتُ لى اللذاتُ معقودةَ العرى ... إذا ما أدارَ الكأسَ أحورُ عاقدُ

يدبُّ الدُّجى عن وجهِ نارٍ تحلهُ ... كؤوس لأعناق الليالى قلائد

وقال ابن المعتز :

قد حثني بالكأسِ أوَّلَ فجره ... ساق علامةُ دينهِ فى خصره

فكأنَّ حمرةَ لونها من خده ... وكأنَّ طيبَ نسيمها من نشره

حتى إذا صَبَّ المزاج تبسمت ... عن ثغرها فحسبتهُ من ثغره

وقال : للماء فيها كتابةٌ عجبُ ... كمثل نقشٍ فى فصِّ ياقوت

وقلت: دارَ فى الكأس عقيقٌ فجرى ... واطفُ الدُّرّ عليهِ فطفح

نصب الساقي على أقداحهـا ... شبكَ الفضةِ تصطادُ الفرح

وقال ابن الرومى فى لطافتها :

لطفتْ فقد كادَتْ تكونُ مشاعةً ... فى الجوِّ مثل شعاعها ونسيمها

ومن الاستعارة البديعة قول ابن المعتز * فأضحك عن ثغر الحباب فم الكأس *

وقلت : وشراب طوى الزَّمانَ فحاكى ... نفسَ الوردِ رقَّةً ونسيما

إن يكنْ بالعقول غيرُ رحيم ... فهو بالرُّوح لا يزالُ رحيما

ومن أحسن ما قيل فى خيال الكأس على اليد قول بعض المحدثين :

كأنَّ المديرَ لها باليمين ... اذا قام للسقى أو باليسار

تَدَرَّعَ ثوباً من الياسمين ... لهُ فردُ كم من الجلنار

وقال السرى فى معناه :

وبكر شربناها على الوردِ بكرةً ... فكانت لنا ورداً على خيرِ موردِ

اذا قامَ مبيضُّ الجبين يُديرها ... توهمته يسعى بكمٍّ مُوَرَّد

وقال البحترى: ألا ربما كأس سقانى سلافها ... رهيفُ التثنى واضح الثغر أشنب

إذا أخذتْ أطرافه من قنوها[1] ... رأيت اللجينَ بالمدامة يذهب

---

(١) فى ديوان البحترى (اذا ذكرت أطرافه من فتورها) .

وقلت: شغلت كلتا يديه بقهوة ... فقلت أرى قدمين أم قدحين
كأنّ خيالَ الكأسِ فوقَ ذراعه ... غشاءٌ من العقيان فوقَ لجين

وقلت أيضاً :

يسعى إلىّ مُقرطَقٌ في كفه ... كأسٌ وبينَ جُفونهِ كأسان
وتناسبتْ فيها بغيرِ قرابةٍ ... كفُّ المديرِ وجنةُ الندمان

ومن أحسن ماقيل في الزجاجة ورقتها وصفائها قول بعضهم :

رَقّ الزّجاجُ وراقت الخمرُ ... وتشابها فتقاربَ الأمرُ
فكأنها خمرٌ ولا قدحٌ ... وكأنّهُ قدحٌ ولا خمرُ

وقال ابن المعتز فى رقة الخمر وصفائها وذكر الكأس ولطافتها :

وكأس تحجبُ الأبصارُ عنها ... فليسَ لناظرٍ فيها طريقُ
كأنْ غمامةً بيضاءَ بيني ... وبين الرّاح تحرقها البروق

وقلت: وندمان سقيت الرّاح صرفاً ... وجنحُ الليل مرتفعُ السجوفِ
صفتْ وصفتْ زجاجتها عليها ... لمعنى دَقَّ فى ذهنٍ نصيفِ

وليس هذا التشبيه بالمختار ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج مايرى بالعيان إلى مايعرف بالفكر (١) . وقال بعضهم :

خفيتْ على شرابها فكأنهم ... يجدون رَيّا من إناءٍ فارغ

وقال غيره: وزنّا الكأسَ فارغةً وملأى ... فكان الوزْنُ بينهما سواءَ

وقال ابن الرومى :

لطفتْ فقد كادتْ تكونُ مُشاعةً ... فى الجوّ مثل شعاعها ونسيمها (٢)

وقلت : حملتْ بخنصرها إناءَ مدامةٍ ... صفراء تلمعُ فى زجاجٍ أقمر
فكأنها واللحظُ ليس يحورها ... شمسُ النهار تختمتْ بالمشترى

ومن أجود ماقيل فى الأباريق وفضول الكأس وأنشده إسحق :

---

(١) لعل فى الأصل نقصاً لأن الشعر المنتقد ليس من قول المصنف . (٢) تقدم قريباً .

كأنَّ أباريقَ المدام لديهم ظباءٌ بأعلى الرَّقمتين قيامُ
وقد شربوا حتى كأنَّ رقابهم من اللين لم يخلقْ لهنَّ عظامُ

وقد أحسن مسلم فى قوله :

إبريقنا سلبَ الغزالةَ جيدها وحكى المديرُ بمقلتيه غزالا

وأحسن الآخر وينسب الى بشار :

كأنَّ إبريقنا والقطرُ فى فمه طيرٌ تناول ياقوتاً بمنقار

إلا أن قوله « طير » ردىء والجيد طائر ، وأجازه أبو عبيدة ولم يجزه غيره .

وقلت : تضحك في الكأس أباريقنا وحسب مايضحكن يبكينا
كأنَّ أعلاها إذا أسفرَتْ تعقد فى الكأس تلابينا

وأول من شبه الابريق بالأوز لبيد (١) فى قوله ولم يذكر الخمر :

تُضَمَّنُ بيضاً كالاوَزِّ ظروفُها إذا تأقوا أعناقها والحواصلا

فأخذه بعضهم فقال :

ويوم كظلِّ الرُّمح قصرَ طولهُ دمُ الزِّقِّ عنا واصطكاكُ المزاهر
كأنَّ أباريقَ المدام عشيةً إوزٌّ بأعلى الطفِّ عوجُ الحناجر

وقال أبو الهندى (٢) :

سيغنى أبا الهندىَّ عن وطب سالم أباريق لم يعلقْ بها وضرُ الزبد
مقدمة قزاً كأنَّ رقابها رقابُ بنات الماء تفزع للرَّعد

وقوله (تفزع للرعد) زيادة على ماتقدم .

وأمافضول الكؤوس فأحسن ماقيل فيها قول أبي نواس :

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهاً تدريها بالقسيِّ الفوارسُ

---

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة لبيد بن ربيعة العامرى ، الشاعر الحكيم الجواد الفارس الفتاك المعمر .

(٢) هو غالب بن عبد القدوس الشاعر المطبوع المسرف فى وصف الخمر .

فالخمر مازُرَّتْ عليه جيوبهم   وللماء مادارتْ عليه القلانسُ

وقال السرى الموصلى :

كأنَّ الكؤوسَ وقد كللتْ   بفضلاتهنَّ أكاليل نور
جيوبٌ من الوشيِ مَزرُورَةٌ   يلوحُ عليها بياضُ النحور

فجئت به فى بيت وقلت :

وبيضٌ تهاوى فى مُزَعفرةٍ صفر   وهبتُ لها قلبي وأخدمتها فكرى
فدارتْ بأقداح كأنَّ فضولها   سوالفُ تبدو من معصفرةٍ حمر

وقال السرى أيضاً :

وصفراءُ من ماء الكرومِ شربتها   على وجهِ صفراءِ الغلائل غضةِ
تبدَّتْ وفضلُ الكاس يلمع ساطعا   كأترجَّة زينتْ بأكليل فضةِ

وقال الناشيء : ملوك ساسانَ على كأسها   كأنها فى عزِّ سلطانها
فخمرُها من فوْقِ أذقانها   وماؤها من فوْقِ تيجانها

يصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ماقيل في صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن المعتز :

غدا بها صفراء كرخية   كأنها فى كأسها تتقد
فتحسب الماء زجاجاً جرى   وتحسب الأقداح ماء جمد

ومن أجود ماقيل فى صوت الأباريق ماأنشدناه أبو أحمد :

وقد فجت الغيم السماء كأنها   يمدُّ عليها منهُ ثوبٌ ممسك
ومجلسنا في الجوِّ يهوى ويرتقى   وإبريقنا فى الكأس يبكى ويضحك

ومن أحسن ماقيل في ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها دبيبٌ بالعظام كأنَّه   فيضُ النعاسِ وأخْذُه بالمفصل
عبقتْ أكفهمُ بها فكأنما   يتنازعونَ بها سخاب قرنفل

وقول أبي نواس :

فأرسلتْ من فم الابريق صافيةً كأنما أخذها بالعين إغفاء

وقوله: ثم لما مزَجُوها وَثبَتْ وثْبَ الجراد

ثم لما شربُوها أخذَتْ أخْذَ الرّقاد

ومن شعر المتقدمين قول الأخطل [١] :

أناخوا فجرّوا شاصيات كأنها رجالٌ من السودان لم يتسربلوا

« لم يتسربلوا » تتميم حسن ، والبيت من أحسن ماقيل فى الزقاق :

فقلت اصبحونى لا أبا لأبيكم وما وضعوا الاثقالَ إلا ليفعلوا

تدبُّ دبيباً في العظام كأنهُ دبيبُ نمال فى نقاً يتهيل

أحسن ماقيل فى خروج الخمر من المبزال قول أبى نواس :

وخندريسٌ باكرت حانتها فودجوا خصرها بمبزال

فسالَ عرقٌ على ترائبها كأنَّ مجراهُ فتلُ خلخال

وقال ابن المعتز : تخرج من دنّها وقد حدبت مثل هلالٍ بدا بتقويس

قوله « بدا بتقويس » فضل لايحتاج اليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :

جاءتك من بيت خمارٍ بطينتها صفراء مثل شعاع الشمس تتقد

فأرسلتْ من فم الابريق فانبعثت مثل اللسان بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا فى وصفها جارية من فم الابريق ، وقال في المعنى الأول :

سعى إلى الدّنّ بالمبزال يبقره ساق توشح بالمنديل حينَ وثب

لما وجاها بدَتْ صفراء صافية كأنّه قدَّ سيراً من أديم ذهب

وقلت : قد بزل الدّنّ فقومى انظرى زنجيةً تفتلُ خلخالا

واسقنيها واشربى واطربى وجرّرى في الهواء أذيالا

تنعمى ما اسطعت واستمتعى إنَّ وراءَ المرء أهوالا

---

(١) هو غياث بن غوث التغلبى ، يشبه من شعراء الجاهلية بالنابغة الذبيانى كان يمدح الأمويين .

أبلغ ماقيل في الكبر الذى يعترى المنتشى قول الأخطل يخاطب عبدالملك :

إذا ماندیمی علنی ثمّ علنی ثلاث زجاجات لهنّ هدیر
خَرَجتُ أجرُّ الذيلَ حتى كأنني (١) عليك أميرَ المؤمنينَ أميرُ

وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير عليك في ملك الحال . والأصل فيه قول حسان :

(ونشربها فتتركنا ملوكا وأسداً ما ينهنهنا اللقاءُ

ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرتُ فانني رَبُّ الخورنقِ والسرير
وإذا صحوتُ فانني ربُّ الشويهةِ والبعير

وأجاد ابن الرومى القول فى تفسيح أمل السكران حتى يأمل مالا يجوز وجودُه وهو قوله :

ومدامة كحشاشةِ النفس لطفتْ عن الادراك والحسّ
لنسيمها فى قلبِ شاربها روحُ الرَّجاءِ وراحةُ النفس
وتمدُّ في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأمس

وأجود ماقيل فى صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :

وشربك من ماء الكروم كأنهُ إذا مجَّ صرفا فى الاناء خضابُ
صريع مدام والندامى يلونهُ وفي الشدقِ قيءٌ سائل ولعاب

وقريب منه قول الآخر فى حماد الراوية :

نعم الفتى لو كانَ يعرفُ ربَّهُ ويقيمُ وقتَ صلاته حمادُ
هدلت مشافره المدام وأنفهُ مثل القدوم يسنها الحدادُ
وابيضّ من شربِ المدامة وجههُ فبياضهُ يومَ الحساب سواد

وأبدع ماقيل فى صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :

وشربتَ بعد أبي ظهير وابنه سكر الدِّنان كأنَّ أنفك دمَّل

---

(١) في ديوان الاخطل « جعلت أجر الذيل مني كأنني » .

ومن جيد ما قيل فى مبادرة اللذات قول أحمد بن أبى قتن : [١]

جَـدِّدِ اللذاتِ فاليوم جديد　　　　وامض فيما تشتهى كيفَ تريد

انى ان أمكن يوم صالح　　　　انّ يوم الشرب لا كان عتيد

وقال ديك الجن [٢] :

تمتع من الدُّنيا فانك فانى　　　　وإنك فى أيدى الحوادثِ عانى

ولا تنظرن اليوم فى لهـو غـد　　　　ومن لغـدٍ من حادث بأمان

فانى رأيتُ الدّهرَ يسرعُ بالفتى　　　　وينقـله حالينِ يختلفـان

فأما الذى يمضي فأحـلامُ نائمٍ　　　　وأما الذى يبـقى له فأمانى

ونحوه قول عمران بن حطان [٣]

يأسـفُ المرء على ما فاتهُ　　　　من لبانات إذا لم يقضهـا

وتراهُ فرحاً مستبشراً　　　　بالتى أمضى كأنْ لم يمضها

عجباً من فرح النفسِ بهـا　　　　بعدَ ماقد خرجتْ من قبضهـا

أنا عندى ذاق أحلام الـكرى　　　　لقريب بعضهـا من بعضهـا

وقال ابن المعتز :

وبادر بأيام السرورِ فانها　　　　سراعٌ وأيامُ الهموم بطاءُ

وخَـلِّ عتابَ الحادثاتِ لوجهها　　　　فانّ عتابَ الحادثاتِ عناءُ

تعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها　　　　ليالى ما يأتى وهنّ وراءُ

ونحر عجير السلولى [٤] جمله لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول :

عللانى إنما الدُّنيا علل　　　　واتركانى من عتاب وعذلْ

وانشلا ما اغبرّ من قدريكما　　　　واسقيانى أبعد اللهُ الجمل

(١) في الاصل (قنس) وهو تصحيف . (٢) نسبها فى الأمالى لسعيد بن حميد باختلاف فى البيت الثانى . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضعف عن الحرب وحضورها فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه . (٤) شاعر إسلامي مقل من شعراء الدولة الاسلامية

وقال أحمد المادرائى :

عاقر الرَّاحَ ودع نعتَ الطلَلْ   واعصِ من لامك فيها وعذلْ
غادها واسعَ لها واغرَبها   وإذا قيلَ نصاباً قل أجلْ
إنمــا دنيـاك فاعلمْ ساعـةٌ   أنتَ فيها وسوى ذاك أمل

ولابن بسام[1] :

واصلْ خليلك إنما الــدُّ   نيا مواصلةُ الخليــل
وانعمْ ولا تتعجـل الـــمكروهَ من قبلِ النزول
بادرْ بما تهوى فما   تدرى متى وقتُ الرَّحيل
وارفضْ مَقالةَ لائم   إنَّ الملامَ من الفضول

وقد أجاد ديك الجن فى قوله يصف السكر ، واسمه عبدالسلام بن رغبان الحمصى :

أستغفرُ اللهَ لذنبي كله   قتلتُ إنساناً بغـير حله
وانصرَمَ الليلُ ولم أصله   والسكرُ مفتاحٌ لهـذا كله

قد أوطأ إلا أنه أصاب المعنى . وقال أيضاً :

مشعشعة[2] من كفِّ ظبيٍ كأنما   تناولها من خدِّه فأدارها
فظلتْ بأيدينا تتعتعُ روحها   وتأخـذُ من أقدامنا الرَّاحُ ثارها

وهذا معنى بديع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال :

إذا اليدُ نالتها بوترٍ توَقَّدَتْ   على ضمغها[3] ثم استقادَتْ من الرجل

وبيت عبد السلام أجود منه .

أحسن ماقيل فى وصف الساقى إذا أخذ الكأس قول الآخر :

---

(١) هو أبو الحسن على بن محمد ، يعدّ فى الطبقة الخامسة من شعراء الاسلام . كان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لسناً مطبوعاً في الهجاء، يشبه بالحطيئة فى الهجاء.

(٢) في وفيات الأعيان (موردة من كف) .

(٣) فى ديوان أبى تمام (توقرت على ضغنها) .

كأنَّهُ والكأسُ في كفهِ   بدرٌ إلى جانبهِ كوكبُ

وقلت: وطالعنى الغلامُ بها سحيراً   فزادَ على الكواكب كوكبان

ومما يدخل فى مختار هذا المعنى قول ابن الرومي * ومهفهف تمت محاسنه *

وقد مر . ولم أسمع في هذا المعنى أجود من قول الآخر :

فكأنهُ وكأنها وكأنهم   قمرٌ يدورُ على النجومِ بأشمس

ومثله فى الجمع قول الآخر :

فالكفُّ عاجٌ والحبابُ لآلئٌ   والراحُ تبرٌ والزجاجُ زبرجد

وأجود ماقيل فى قيام السقاة بين الندامي قول ابن المعتز :

بينَ أقداحهم حديثٌ قصير   هو سحرٌ وماسواهُ الكلام

وكأنَّ السقاةَ بينَ الندامى   ألفاتٌ بينَ السطورِ قيام

فشبه اصطفاف الشرب جلوساً بالسطر والسقاة بينهم بالألفات فأحسن .

ومن البارع الداخل في هذا الباب قول عنترة :

وإذا سكرتُ فانني مستهلكٌ   مالى وعرضى وافرٌ لم يكلم

وإذا صحوتُ فماأقصرعن ندى   وكما علمتِ شمائلى وتكرُّمى

أخذه البحترى فزاد عليه فى قوله :

ومازلت خلاً للندامى إذا انتشوا   وراحوا بدوراً يستحثونَ أنجما

تكرَّمت من قبلِ الكؤس عليهم   فما اسطعنَ أن يحدثن فيك تكرُّما

والزيادة أن عنترة ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحترى ذكرأنه تكرم قبل الكؤوس فيبالغ حتى لاتستطيع الكؤوس أن تزيده تكرماً .

ومن أطرف ماقيل فى حسن الندامى قول بعضهم :

لقد علمَ الريحانُ والراحُ أننى   على الكأس والندمانِ غيرجهولِ

فان ساءَنى منهمْ مقامٌ غفرتهُ   ولستُ إلى ماساءَهم بعجول

قوله * لقد علم الريحان والراح انني * فى غاية الظرف . وشبيه البيت

الثاني قول الآخر :

ليسَ من شأنه إذا دارت الكأ
س فأدرى ادمانهُ بالحلوم

قولُ ما أسخط النديمَ وإن أسـ
ـخطه عند ذاك قولُ النديم

إلا أن فى هذين البيتين عيبين أحدهما التضمين والآخر قوله (عند ذاك) وهى زيادة لايحتاج اليها . وقال يحيى بن زياد[1] :

ولستُ له في فضلة الكأسِ قائلاً
لأصرفهُ عنها تحس وقد أبى

ولكن أحيِّيه وأكرمُ وجهه
وأشربُ ماأبقى وأسقيهِ ماأشتهى

وليسَ إذا مانام عندى بموقظٍ
ولاسامع يقظان شيئاً من الأذى

وهذا جامع جداً . ومن جيد ماقيل فى مدح النديم قول اعرابى وقدقيل له : كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :

ورضيع أرضعت فى كبرِ السن
فأضحى أخاً لدىَّ مطاعا

لم يكنْ بيننا رَضاعٌ ولكنْ
صيرتْ بيننا المدامُ رضاعا

وهومنقول الناشىء : المدامالرضاعالثانى . ويقولون ذِكرُ الرجلعمره الثانى . وروى ابن عون عن ابن سيرين أنهقال : لاتكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا معناه لاتسقيهمن النبيذ مالا يقوم به . وجعل آخر النديم قطبالسرور فىقوله :

أرَى للرَّاح حقاً لا أرَاهُ
لغير الرَّاحِ إلا للنديم

هو القطبُ الذى دارَتْ عليه
رَحا اللذّاتِ فى الزَّمَن القديم

وقلت : لما تبدَّى وَجْهُهُ
كالبدرِ من خلل الغمام

وكأنهُ ضَوءُ الصبا
ح يميسُ فى خلع الظلام

آثرتُ طاعَةَ حبه
واخترتُ معصيةَ المدام

لا أستفيدُ من المدا
م سوى منادمةِ الكرام

فاذا حننتُ إلى الندا
م فقد حننت إلى المدام

---

(١) هو أبو الفضل الحارثى شاعر مقل .

خلق النديم اذا صفا　　أغناك عن صفو المدام

وفاخر كاتب نديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا للشدة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم · فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وتحتشم وأنا مؤانس تدأب لمرضاتي (١) وتسعى لما فيه سعادتي فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثلته وقلت :

ما أعافُ النبيذَ خيفةَ إثم　　إنما عفتُهُ لفقدِ النديم

ليس في اللهو والمدامة حظٌّ　　لكريم دونَ النديم الكريم

فتخير قبلَ النبيذِ نديماً　　ذا خلالٍ معطرات النسيم

وجمالٍ إذا نظرتَ بديع　　وضميرٍ إذا اختبرتَ سليم

وأحسن ما قيل في احمرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشي :

وسبيئة مما تعتقُ بابل　　كدم الذَّبيح سلبتها جريالها

الجريال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيام حُمرةَ لونها　　وسرتْ بلذَّتها الى الأرواح

وأخذ الناجم قول الاعشي (سلبتها جريالها) فقال :

خذها مشعشعة قهوة　　تصبُّ على الليل ثَوْبَ النهار

ويسلبها الخدُّ جريالها　　فتهديه للعينِ يومَ الخمار

إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الخمار * وهو في صفة حمرة العين من الخمار جيد إلا أن قوله (مشعشعة قهوة) رديء ووجه نظم اللفظ أن يقال قهوة مشعشعة ، ألا ترى أنك تقول خمر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر ، وان كان جائزاً فليس كل جائز حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائقٌ كمناظرِ المخمور　　وأقحوانٌ كثغور الحور

ونرجسٌ كأنجم الدَّيجور

---

(١) في الأصل (تدأب الرضي) .

فشبهت ما يعترى بياض العين والحماليق من الحمرة عند الخمار مع سواد الحدقة بحمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بالماءِ حتى تلينها فلن تكرمَ الصهباء حتى تهينها
أغالى بها حتى اذا ما ملكتها أذلت لاكرام الصديق مصونها
وصفراء قبلَ المزج بيضاء بعدهُ كأنَّ شعاعَ الشمسِ يلقاكَ دونها
ترى العين تستعفيك من لمعانها وتحسر حتى ماتقل جفونها

أخذه ابن دريد فقال:

وحمراء قبلَ المزج صفراء بعده بَدَتْ بينَ ثوبى نرجس وشقائق
حكتْ وجنةَ المعشوقِ صرفاً فسلطوا عليها مزاجاً فاكتستْ لونَ عاشق

ومن أجود ماقيل فى صفة القيان:

بَدَتْ فى نشوةٍ مثلَ الـ ـمها أدمجنَ إدماجا
يجاذبنَ من الأردا فِ كثباناً وأمواجا
وقضباناً من الفضـ ـةِ قد أثمرتِ العاجا
ويسترنَ من الأبشا رِ فى الدِّيباج ديباجا
وقد لاثتْ من الكورِ على مفرقها تاجا
فلما طفنَ بالمجلـ ـسِ أفراداً وأزواجاً
تجاذنَ فغنينـ ـك أرمالاً واهزجا
وحركنَ من الأوتا ر اسساداً وادراجا
فلا لومَ على قلبـ ـك إن هيجَ فاهتاجا

ومن جيد ماقيل في بحة حلق المغنى قوله أيضاً:

أشتهى فى الغناء بحة حلقٍ ناعم الصوتِ متعبٍ مكدود
كأنين المحبِّ أضعفهُ الشو قُ فضاهى به أنينَ العود
لاأحبُّ الأوتارَ تعلو كما لا أشتهى الضربَ لازماً للعود

وأحبُّ المجنبات كحبي للمبادى موصولة بالنشيد
كهبوبِ الصبا توسط حالاً بينَ حالينِ شدَّة وركود

وقد أحسنَ ابن المعتز فى صفة أنامل القينة :

وتلفظُ يمناها إذا ضربتْ بها وتنثرُ يسراها على العودِ عنابا

وقلت: وهيجتْ لىَ من شوقٍ ومن فرح أيدٍ نثرنَ على الأوتار عنابا
لاعيبَ فى العيشِ إلا خوف غيبتكم إنَّ السرور إذ ماغبتمُ غابا

ومن أحسن ماقيل فى وصف المغنى قول ابن المعتز :

ومغن ملحقٌ كلَّ نفسٍ بهواها وهو للسكر علر
لايمدُّ الصوت فيه نفورٌ لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومى:

تتغنى كأنها لاتغنى من سكون الأوصالِ وهى تجيد
مدَّ فى شأوِ صوتها نفسٌ كا فٍ كأنفاسِ عاشقيها مديد
ولها الدَّهر لائمٌ مستزيد ولها الدَّهر سامعٌ مستعيد

وللناجم من أبيات :

منتدرة فى كلِّ أصواتها لا كالتى تندرُ في الندره

وقول الآخر:

إذا وقَّع بالعود زمرنا بالكؤس (له)

فأما أعجب ماقيل في ذم المغنى والتنائى من سماعه فقول ابن الرومي :

فظلتُ أشربُ بالارطال لاطربا عليه بل طلباً للسكر والنوم

ومن أحسن ماقيل فى مجالس الشرب قول أبى نواس :

فى مجلسٍ ضحك السرورُ به عن ناجذيه وحلت الخمر

وقد أحسن ديك الجن فى قوله :

كأنما البيتُ بريحانه ثوبٌ من السندسِ مشقوق

ومثله قول الصنوبري :

وقد نظم الروض ممطيه من ... سنان نؤيق إلى زجه
كفرجك خفتان وشي بد ... بياضُ الغلالة منْ فرجه

ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستهجان أولى لا لرداءة معناهما ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفا وان كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه وخولف به وجه الاستعمال . وقال السرى ولا أعرف في معناه أحسن منه يدعو صديقاً له :

ألست ترى ركبَ الغمام يُساقُ ... وأدمعه بين الرّياضِ تُراقُ
وقد رقّ جلباب النسيم على الثرى [1] ... ولكنْ جلابيبُ الغيوم صفاق
وعندى من الرّيحانِ نوع تحية ... وكأسٌ كرقراق الخلوقِ دهاق
وذو أدب جلتْ صنائع كفه ... ولكن معانى الشعرِ فيه دقاق
لنا أبداً من نثره ونظامهِ ... بدائعُ حلىٍ مالهنّ حقاق
وأغيد مهتزٌّ على صحن خدّه ... غلائلُ من صبغ الحياءِ رقاق
أحاطتْ عيونُ العاشقينَ بخصره ... فهنّ له دونَ النطاق نطاق

هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر تثبتُ الأبصار فيه ... كأنّ عليه من حدق نطاقا

وقد مر ، وبيت السرى أجود منه سبكاً ونظماً ورصفاً :

وقد نظم المنثور فهو قلادة ... علينا وعقدٌ مذهبٌ وخناق
وغرفتنا بينَ السحائب تلتقى ... لهن علينا كلة ورواق
تقسم زوارٌ من الهند سقفها ... خفاف على قلب النديم رشاق [2]

وليس في هذه الأبيات عيب إلا هذا الايطاء، وهو من أسهل العيوب التي تعترى القوافى عندهم:

أعاجم تلتذُّ الخصام كأنها ... كواعبُ زنج راعهنّ طلاق

---

(١) في ديوان السرى «على الندى» . (٢) فى الأصل (قلب الكريم رقاق).

أنسن بنا أنسَ الأماء تحببت   وشيبتها غدرٌ بنا وإباق
مواصلة والوردُ في شجراته   مفارق إلف حانَ منه فراق[1]
فزرقية برد الشراب لديهمُ   حميمٌ إذا فارقتهم وغساق

وقلت: وليل ابتعتُ به لذَّةً   وبعتُ فيه العقلَ والدِّينا
أصابَ فيهِ الوصل قلب الجوى   وباتَ فيه الهمُّ مسكينا
وقد خلطنا بنسيم الصبا   نسيمَ راح ورياحينا
وا كؤسُ الرَّاح نجومٌ إذا   لاحت بأيدينا هوتْ فينا
تضحك فى الكأس أباريقنا   وحسبها يضحكنَ يبكينا
كأن أعلاها إذا كفرتْ   يعقد الكأس ثلاثينا

وقلت: هذا حبيبٌ وصول   وذا رقيبٌ صروم
وذاك شرخُ شبابٍ   أغرّ وهو بهيم
وقهوةٌ وغناءٌ   وسامرٌ ونديم
فخذ نصيبك منه   فليس شيءٌ يدوم

وهذا من أجمع ماقيل فى هذا الباب . وقال الصنوبرى :

يومٌ ذيولُ مزنه   على الثرى منسحبه
بروقهُ سافرةٌ   وشمسه منتقبه
فما سى ؟ سماءه   ضاحكة منتحبه
طلبتُ أقصى أملى   منه فنلتُ الطلبه
بسيدينِ ارتقيا   منقبةً فمنقبه
واتفقا فى كنيةٍ   والتقيا فى مرتبه
نشربها عذراءَ قد   قامتْ بحقّ الشربه
أكرم ذخر ذخر   من كرمةٍ فى عنبه

---

(١) فى ديوان السري « مفارقة ان حان منه فراق » .

في مجلس أطنابه على العلا مطنبه
أكرمْ به يوماً مضتْ ساعاتُه المستعذبه
كلحظة مخاوسةٍ وقبلة مستلبه

وقلت : عندنا طيبٌ وريحا نٌ ونقلٌ وغناء
ومن المشروبِ لونا نِ شمولٌ وطلاء
ومن اللحم خليطا نِ طبيخٌ وشواء
ومن الحلواء ألوا نٌ أحاد وثناء
ولنا غلمانُ صدق أدباءٌ أرباء
أرسلوا في الصحن ماءً فكأنَّ الصحنَ ماء
واتثنوا للحسنِ عدواً فحواشيه رداء
فارشف الهمَّ عناءً انما الهمُّ بلاء
واغتنم لذَّةَ يوم قد تخطاهُ العناء
فهو يطويك ويمضى ليسَ للدُّنيا بقاء

و من المشهور فى صفة السكارى قول بعضهم :

مشوا إلى الرَّاح مشيَ الرّخ وانصرفوا والرَّاحُ تمشى بهم مشيَ الفرازين
غدوا إليها كأمثالِ السهام مَضتْ عن القسيّ وراحوا كالعراجين
وكانَ شربهمُ في صدرِ مجلسهم شربَ الملوك وناموا كالمساكين

ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرَّاح وقد بدَّلوا مشيَ الفرازينِ بمشيِ الرِّخاخ

ومما يجرى مع هذا قول الآخر :

تزيدُ حسا الكأس السفيه سفاهةً وتتركُ أخلاقَ الكريم كما هيا
وإنَّ أقلَّ الناسِ عقلاً إذا انتشي أقلهمُ عقلاً إذا كانَ صاحيا

ومن أحسن ماأنشد فى الخيش ماأنشدناه أبو أحمد ولم يسم قائله ورأيته

بعد فى ديوان السرى :

وقد نشأتْ بينَ الـكؤوس غمامةٌ من الندّ إلا أنها ليسَ تهطل
وعلّ بمـاء الوردِ خيش كأنهُ على جلدهِ ثوبُ العروس المصندل
وقلت : ظبي يروقُ الناظرينَ بأبيضٍ وبأسودٍ وبأخضرٍ وبأشـكل
ومقوّم مثل القضيبِ مهفهف ومعوّج كالصولجانِ محبل
ومفرّج من خدّه ومكفر ومخلق من شعره ومسلسل
وبياض وجه بالصباح مقنع وسواد فرع بالظلام مكلل
علقتْ أباريقُ المـدام بكفه كالبدرِ يعلق بالسماك الاعزل
وعلا دخانُ الندّ أبيض ساطعاً مثل الغمامة غير أن لم يهمل
فـكأنما الـكاساتُ فى حافاته شقر الخيول تجولُ تحت القسطل

ومن أبدع ماقيل فى لذة الغناء قول الناجم :

شدْوٌ ألذّ من ابتدا ءِ العينِ في اغفائها
أحلى وأشهي من منى نفس وصدق رجائها

وأجود ماقيل فى الاصغاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :

وأصغوا نحوها الآذانَ حتى كأنهمُ وماناموا نيام

ومن عجيب المعانى في الغناء قول أبي تمام :

حمدتُـكَ ليلة شرُفتْ وطابتْ أقام سهادها (١) ومضى كراها
سمعتُ بها غناءً كان أولى بأن يقتادَ نفسى من عناها
ومسمعة تفوت السمع حسناً (٢) ولم تصممهُ لايصمم صـداها
مرتْ أوتارها فشفتْ وشاقت ولو يسطيعُ حاسدها فداها (٣)
ولم أفهمْ معانيها ولـكنْ ورتْ كبدى فلم أجهل شجاها

---

(١) فى ديوان أبى تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها) .

(٢) في الديوان (يحار السمع فيها) . (٣) هذا البيت سقط من النسخ

فكنتُ كأنى أعمى معنى بحبِّ الغانياتِ ولايراها

وكان ينبغى أن يقول (فداها حاسدها) وليس لقوله (فلا يسطيع حاسدها) معنى مختار . وأول من أتى بهذا المعنى حميد بن ثور [1] في قوله :

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تفغر [2] بمنطقها فما

ولم أرَ محقوراً لهـا مثل صوتها أحس وأشجى للحزين وأ كلما

ولم أرَ مثلى شاقه صوتُ مثلها ولا عربياً شاقه صوتُ أعجما

ومن أحسن أوصاف العود إذا احتضن تشبيههم إياه بالولد فى حجر أمه وتشبيه إصلاحه بعرك أذنه فمن أحسن ماقيل فى ذلك وأجمعه قول بعضهم :

فكأنه فى حجرها ولدٌ لها ضمته بينَ ترائبٍ ولبان

طوراً تدغدغ بطنه فاذا هفا عركتْ له أذناً من الآذان

ومثله قول الناجم :

إذا احتضنتْ عابثٌ عودَها وناغتـهُ أحسنَ أن يعربا

تـدغـدغُ فى مهـلٍ بطنـهُ فتسمعنا مضحـكاً معجبـا

وذ كر الضحك مع الدغدغة جيد.

ونظم كشاجم قول الحكماء إن العود مر كب على الطبائع الأربع فقال :

شَـدَتْ فجلتْ أسماعنا بمخفف يحـدِّثها عن سرِّها وتحـدثه

مشاكلـة أوتارهُ فى طباعهـا عناصر منها أحدثَ الخلقَ محدثه

فللنار منه الزيرُ والأرض والريح متناهُ والماء مثلثـه

وكلٌّ امرىء يرتاحُ منهُ لنغمـة على حسبِ الطبع الذى منهُ يبعثه

شـكاضربَ يمناها فظلتْ يسارها تطوقهُ طوراً وطوراً ترعثه

فمـا برحَتْ حتى أرتنا مخارقا يجـاذبهُ فى أحسن النقر عثعثه

فاستدركناه من ديوان أبى تمام . (١) الهلالى من فحول المخضرمين والمعمرين .

(٢) أى لم تفتح .

وحتى حسبت البابليين القنا ؟ على لفظها السحر الذى فيه تنفثه

وأجود ماقيل فى اتفاق الضرب والزمر قول هرون بن على المنجم :

غصن على دعص نقا منهال سعى بكأسٍ مثل لمع الآل
وفاتنات الطرفِ والدَّلالِ هيف الخصورِ رجح الاكفال
يأخذنَ من طرائف الأرمال ومحكم الخفاف والنعال
يجرى مع الناسِ بلا انفصال مثل اختلاط الخمر بالزّلال
يدعو إلى الصبوةِ كلّ سال يصرع كلّ فاتكٍ بطال
ومن حرام اللهو والحلال أكرم من مصارع الأبطال

وقال كشاجم فى وصف العود والقينة وأحسن :

تميسُ من الوشى في حُلةٍ تجرِّرُ من فضل أذيالها
وتحملُ عوداً فصيحَ الجواب يضاهى اللحونَ بأشكالها
لهُ عنقٌ مثل ساقِ الفتاة ودستانةٌ مثل خلخالها
فظلت تطارحُ أوتارَهُ بأهزاجها وبأرمالها
وتعملُ جساً كجسِّ العروق وتلوى الملاوي بأمثالها

وقيل لرجل أى المغنين أحذق ؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قلب فهو يغنى لكل إنسان بما يشتهيه . وأخبرنا أبو القاسم عن العقدى عن أبى جعفر عن المدائنى قال قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك انى خارج إلى العراق فاستهد ماأحببت فقال إهدلى بربطا من عمل زرلى فأهدى اليه عوداً وكتب اليه : قد بعثت به أرسح البطن أحدب الظهر صافى الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوى كهيئة طاليه وملاحة محتضنه وحسن الضارب به وطرب المستمع له .

ومن أحسن ماقيل فى حسن الضارب ماتقدم ذكره وهو قول الناشىء * وكأن يمناها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب :

إذا هي جستهُ حكتْ متطبباً يجيلُ يديه فى مجسِّ عروق

وقد استحسنَ الناس هذا البيت وأجازوه وليس هو فى طريقة الاختيار لأن الطبيب يجس بيد واحدة وكذلك الضارب فليسَ لذكر اليدين وجه .

ومن جيد ماقيل فى صحة عبارة العود عن الغناء قول ابن أبي عون :

تناجيك بالصوت أوتارهُ فتوفيك ألسنه أحرف

وأبين منه قول الناجم :

إذا نوَت الضربَ قبلَ الغناء أنشدنا شعرها عودها

وقلت:رُبَّ ليل كساكَ ثوبَ نعيم بينَ ساقٍ وسامرٍ ونديم
وكؤوس جرَتْ وراءَ كؤوس وأعانتْ على طريق الهموم
ولنا مزهرٌ كمثل فطيم في يدى مطرب كأُمّ الفطيم
وسموا صدرهُ بعاج وذيل فزهتهُ محاسنُ التوسيم
مثل أرضٍ تحبرتْ بأقاح أو سماء تكللتْ بنجوم
ذو ملاوٍ سودِ الفروع وحُمر مثل أطرافِ فرحةٍ ونعيم
ووساوين لاتجولُ عليهِ كخلاخيل ماردٍ وظلوم
أحمر الزير أسود البم أحوى هلْ رأيتم جداولَ التقويم

ومن جيد ماقيل فى سرعة الضرب والجس قول كشاجم :

وترى لها عوداً تحركهُ وكلامه وكلامها وفقا
لو لم تحركهُ أناملها كانَ الهواءُ يفيدُهُ نطقا
جستهُ عالمةً بحالته جس الطبيبِ لمدنفٍ عرقا
فحسبت يمناها تحرّكهُ رعداً وخلت يمينها برقا

وقال بعضهم فى رقاصٍ:

عجبتُ من رجليهِ تتبعانه يعلوهما طوراً ويعلوانه
كأنّ أفعيين تلسعانه

ومما لم يقل مثله فى إزالة الخمار بمعاودة الشرب قول الأعشى :

وكأس شربتُ على لذّة وأخرى تداويتُ منها بها

كل من أخذ هذا المعنى منه قصر فى العبارة عنه ولايجوز أن يؤتى بمثله ، قال أبو نواس * وداونى بالتى كانت هي الداء * فحشا الكلام بمالا وجه له وهوقوله كانت هى الداء ، وقال المجنون * ولا يتداوى شارب الخمر بالخمر * ولا يقع هذا مع قول الأعشى موقعاً ، ومثله قول البحترى :

تداويتُ من ليلى بليلى فما اشتفى من الداءِ من قد باتَ بالداءِ يشتفى

ومن جيد ماقيل فى الدنان والزقاق قول الأخطل * أناخوا فجروا شاصيات * وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز فى صفة الدنان :

ودنان كمثلِ صفٍّ رجالٍ قد أقيموا ليرقصوا دستبندا

وقال العلوى الأصفهانى في الزق :

عجبتُ من حبشيٍّ لا َحراكَ به لايدركُ الثأرَ إلا وهو َمذ بوحُ

طوراً يرى وهو بين الشرب مضطجعٌ رغو الزقاق وطوراً وهو مشبوح

وفى ألفاظ العلوى زيادة على معناه فى أ كثر شعره ، وأخذ البيت الأول من قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق فى طولِ صحبته لاينفعُ الدَّهرَ إلا وهو محمومُ

وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذو الكلامين حذو واحد . وقال ابن المعتز :

إن غدا ملآن أمسى فارغاً كأسير الزِّقِّ أدى فعتق

وقال القطامي :

استودعتها رواقيداً مقيرةً قد برنسن بالطين

مكانفات لحرِّ الشمس قائمة كأنهن نبيطٌ في بساتين

وقال آخر: تحسبُ الزقَّ إذا أسندته حبشياً قطعتْ منهُ الشوى

وقال العلوى الاصفهانى يصف شراباً في ظرف خزف :

مخدَّرَةٌ مكنونةٌ قدتكشفت كراهبةٍ بينَ الحسانِ الأوانس

وأترابها يلبسنَ بيضَ غلائل هيَ العرىُ مقرورٌ بها كلّ لابس
مشعشعة مرهاء ما خلتُ أنني أرى مثلها عذراءَ فى زيّ عانس

المعنى جيد وفي الالفاظ زيادة وليس لها حلاوة . وقال آخر في الراووق :

كأنما الرّاووقُ(١) وانتصابه خرطومُ فيل سقطتْ أنيابه

وفيه : سمـــاءلاذ قطرهـــا رحيق رَحْب الذّرى ينحط فيه الضيق
ماء حقيـــق لو جرى العقيـقُ حتى اذا ألهبهـــا التصفيق
صحنا إلى جيراننا الحريق

وأنشد أبو عثمان :

فبتّ أرى الـكواكبَ دانيات ينلنَ أناملَ الرّجلِ القصير
بالـكفين عنى وأمسحُ عارضَ القمرِ المنير

أبو حكيم فمن حكمت كأسك فيه فاحكم له بإقالة عند العثار . ؟ فى ضعف السكر:

فديتك لو علمتَ بضعفِ سكرى لمـــا سقيتنى إلا بمسعط
بحسبك أنّ خماراً بجنبي أمرُّ ببابهِ فأكادُ أسقط(٢)

ولابن الرومى فى نبيذ حامض :

قد لعمرى اقتصصتَ من كلّ ضرس كان يجنى عليك فى رغفانك
قد ردَدناهُ فاتخذهُ لسكبا جك والنائبات من أدقانك
واتخذهُ على خوانك خلا(٣) فهو أولى بالخلّ من إخوانك
أضرستنا حموضةٌ فيه تحكى رعدة(٤) تعتريك من ضيفانك

معنى آخر : إسقني بالـكبير إنى كبير إنما يشربُ الصغيرَ الصغير
لا يغرنك يا عبيـــد خشوعى تحتَ هذا الخشوع فسقٌ كثير

---

(١) الراووق: ناجود الشراب الذى يروَّق به ، والـكأس بعينها .

(٢) نسبهما الثعالبي فى النهاية لابن لنكك باختلاف فى بعض الألفاظ .

(٣) فى ديوان ابن الرومى (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة)

وكان ابن عائشة ينشد :

لما رأيتُ الحظ حظّ الجاهل ولم أرَ المغبونَ غير العاقل
رحلت عنا من كروم بابل فبتُّ من عقلي على مراحل

وقال غيره في نبيذ الدبس :

على أحمد من الدوشاب شربة نفضت سوادَ الشباب
لو تراني وفي يدى قدحُ الدو شابِ أبصرتَ بازياً فى غراب

وقال بعضهم فى كيزان الفقاع :

لستُ بناف خمار مخمور إلا بصافى الشرابِ مقرور
يطيرُ عن رأسِهِ القناع إذا نفست عنه خناقَ مزور
يميلُ أعلاهُ وهو منتصبٌ كأنهُ صولجانُ بللور

وقلت : وأبيض فى أحشاءخضر كأنها قصارُ رجال في المسول قعود

وقال بعضهم في الطنبور :

مخطف الخصر أجوف جيدُهُ نصفُ سائره
أنطقتهُ يدا فتى فاتنِ اللحظِ ساهره
فحكى عن ضميرهِ ماجرى فى خواطره

وقال آخر فِي المعزفة :

معلنة الأوتارِ صخابةٌ لها حنينٌ كحنينِ الغريب
مكسوةٌ أحشاؤها حُلةً بيضاءَ من جلد غزالٍ ربيب
كأنما تسعةُ أوتارهِ نصبنَ أشراكاً لصيد القلوب

آخر الباب والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله الذى جعل السماء سقفاً محفوظاً شيد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من التهافت وبراها من التفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير وصير لونها أوفق الألوان لأبصار الناظرين وأحلاها فى أنفس المتوسمين وحبرها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض أعلام صبحها وسود ذوائب ليلها وجلا غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره فى منازله وخالف بين مناظره لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلا بالحق . وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الاصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)

وما يجرى مع ذلك : وهو

الباب السادس من كتاب ديوان المعانى ـ ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر النجوم

أحسن ماقيل فى النجوم من الشعر القديم قول امرىء القيس :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصابيحُ رهبان تشبُّ لقُـفّـال (١)

---

(١) تشب : أي توقد ، والقفال : الراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سرينا بليلٍ والنجومُ كأنها قلادَةُ درٍّ سلَّ عنها نظامها

وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيتُ السماءَ كالبحرِ إلا أنَّ مرسوبه من الدُّرِّ طافي

فيهِ مايملأُ العيونَ كبير وصغيرٌ ما بينَ ذلك خافى

المعنى جيد وليس للألفاظ رونق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها لجاً إذا التبسَ الدُّجى كانتْ نجوم الليل حصباءها

وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابنِ المعتز :

كأنَّ سماءَها لمـا تجلتْ خلال نجومها عندَ الصباح

رياضُ بنفسج خضل نداه تفتحَ بينها نورُ الأقاحي

إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الخمار والنجمُ غائر غلالةَ ليلٍ بالصباح مطرر

كأن بياضَ النجم فى خضرة الدُّجى تفتحَ وردٍ بينَ رَندٍ[(١)] وعبقر

وقلت : كم سرور زَرَعتُ بينَ الندامى وهموم طرَدْتُ بينَ الكؤوس

وتلوح[(٢)] النجومُ فى ظلمـةِ الليـــلِ كعاج يلوحُ فى ابنوس

وقلت : بليل كما ترفو الغزالةُ أسود على أنه من نورِ وجهــك أبيض

كواكبه زهرٌ وصفرٌ كأنها قبائع منها مذهبٌ ومفضض

وفي النجوم ماهو أبيض ومنها ما هو أصفر وأحمر فشبه الأبيض بقبيعة مفضضة والأصفر والأحمر بالمذهبة والذهب يوصف بالحمرة والصفرة ، ومثل هذا التمييز قليل فى الشعر . وقال ابن المعتز :

---

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) فى هامش الأصل : ماعليه لو قال « وبياض النجوم » لتتم المقابلة ويخلص من تكلف « وتلوح » .

وخلتُ نجومَ الليلِ فى ظلم الدُّجى خصاصاً أرى منه النهارَ نقابا

وقد أحسن الناشيء القول فى اشتباك النجوم والتفافها حيث يقول :

وردت عليها والنجوم كأنها كتائبُ جيش سوّمتْ لكتائب

وقلت : وأنجم كربرب فى شهب كالشهبِ تجرى فى خلال خطب

والحور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل فى الثريا قول امرىء القيس :

إذا ماالثريا فى السماء تعرضتْ تعرضَ أثناء الوشاح المفصل

وقد استحسن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه ، ثم قال بعضهم وهو معيب لأن التعرض إنما هو أن يبدي لك عرضه أى جانبه قال والثريا تشق وسط السماء شقاً . وقالوا أحسنه قول ذى الرمة :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابنُ ماء محلق

وقالوا أحسنه قول ابن الطثرية :

إذا ما الثريا فى السماء كأنها جمانٌ وهى من سلكهِ فتبدّدا

أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ماهى بمتبددة ولكنها مرصوفة . قال أبو هلال : وإنما أرادها عند غروبها وهي متبددة عند الغروب، وامرؤ القيس أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب ،وأحسن الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف ، والوشاح وابن الماء إنما شبهابها من جهة البياض فقط . وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحدثين فقال :

قد انقضتْ دولةُ الصيام وقد بشرَ سقمُ الهلالِ بالعيد

تبدو الثريا كفاغرٍ شرهٍ يفتحُ فاهُ لأكلِ عنقود

والأول أجود لذكر وهذاذكر العنقود ولم يصفه وقد يكون العنقود أسود أوأحمر .وكان أبو عمرو بن العلاء : يقول أجود ماقيل فيها قول الآخر :

ولاحتْ لساريها الـثريا كأنها على الأُفق الغربيّ قرطٌ مسلسل

أخذه ابن الرومى فقال :

طيبٌ طعمهُ (١) اذا ذُقْتَ فاهُ والثريا فى جانبِ الغربِ قرط

وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبى فضلة :

وتأملتُ الـثريا فى طـلوع ومغيب
فتخيرتُ لهـا التشـبيهَ بالمعنى المصيب
فهى كأسٌ فى شروقٍ وهى قرطٌ فى غروب (٢)

وقلت : شربنا والنجومُ مغفرات تمرُّ كما تصدعت الزحوف
وقد أصغت الى الغرب الثريا بوالد لو يسلمها الضعيف

وأجود ماقال فيها محدث عندى قول بعضهم :

كأنّ الثريا هودَجٌ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مزعج
وقد لمعتْ بينَ النجوم كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج

وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما ، وقال مخلد الموصلى :

وترى النجوم المشرقا ت كأنها دررُ العَصابه
وترى الـثريا وسطها وكأنهـا زردُ الذؤابه

وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :

فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

قالوا لو قال باقة نرجس كان أتم ، فقلت :

أراعى نجومَ الليل وهى كأنها نواظرُ ترنو (نحو) رافع سندس
كأنّ الثريا فيهِ باقةُ نرجس وما حولها منهنّ طاقات نرجس

---

(١) فى ديوان ابن الرومى (طيب ريقه). (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها الصنوبرى على كل حالاتها فقال :

فى الشرق كأسٌ وفى مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأنشدنى بعض العمال :

رُبَّ ليـل قطعتهُ بفنون من غنـاءٍ وقهوة ومُجون
والثريا كـنسوةٍ خفرات قد تجمعن للحديثِ المصون

وقد أحسن وأطرف . وقد أصابَ القائل بعض وصفهـا في قوله
* كأن الثريا حلة النور منخل * وقال ابن المعتز :

ألا فاسقنيهـا والظـلامُ مقوّض وخيلُ الدُّجى نحوَ المغارب تركضُ
كأنَّ الثريا فى أواخر ليلها تفتحُ نَـوْر أو لجامٌ مفضض

وشبهت بالقدم ، قال ابن المعتز :

قمْ يا نديمى نصطبح بسوادٍ قد كاد يبدو الصبحُ أو هو باد
وأرى الثريا في السماءِ كأنهـا قَـدَمٌ تبدّتْ فى ثيابِ حـداد

وقلت: كأنَّ نهوضَ النجم والافق أخضر تبلجُ ثَـغرٍ تحتَ خضرةِ شارب

وقلت : تلوحُ الثريا والظلامُ مقطب فيضحكُ منها عن أغرَّ مفلج
تسيرُ وراءَ والهـلالُ أمامهـا كما أومأتْ كفٌّ إلى نصف دملج

وقلت: شمسٌ هَـوَتْ وهلالُ الأفق يتبعها كأنهـا سافرٌ قـدّام منتقب
تبدو الثريا وأمرُ الليل مجتمع كأنها عَـقرَبٌ مقطوعة الذنب

وأحسن ما قيل فيها عند طلوع الفجر قول الآخر :

وكأنَّ الصبحَ لمـا لاحَ من تحتِ الـثريا
ملكٌ أقبلَ فى التا ج يُفدّى ويُحيّـا

وقلت : وبالثريا أثر الخمود كالنار لانسعفُ بالوقودِ
فى أنجم كَربٍ فى بيد يلوحُ فى التصويب والتصعيد
كشرفات فدن مشيد

وقلت : قمْ بنا نطردُ الهمومَ بكأس والثريا لمفرقِ الليل تاجُ
وقد انجرَّتِ المجرَّةُ فيهِ كسبيبٍ يمـدُّهُ نساجُ

وقال العلوى الأصفهانى في حسن الاستعارة :

رُبَّ ليلٍ وهتْ لآلى دُموعي فيهِ حتى وَهتْ لآلى الثريا
ورداءُ الدُّجى لبيسٌ دريسٌ بيدِ الصبح وهو يطويه طيا

وشبه أبو فراس الثريا بالفخذ من النمر وهو من المقلوب لأن أنجم الثريا بيض والنقط على فخذ النمر سود . وقال السرى :

ترى الثريّا والبدر فى قرَنٍ كما يحيا بنرجسٍ ملك

أجود ماقيل في الجوزاء من الشعر القديم قول كعب الغنوى (١) :

وقد مالت الجوزاءُ حتي كأنها فساطيطُ ركبٍ بالفلاةِ نزول

ولوشبهها بفسطاط واحد كان أشبه . ومن شعر المحدثين قول ابن المعتز فيها وفى الثريا :

وقد هوى النجمُ والجوزاءُ تتبعهُ كذاتِ قرط أرادتهُ وقد سقطا

مع أن المصراع الأخير غير مختار الرصف ، والنجم اسم مخصوصة به الثريا.

وقال فيها وفي الشعرى العبور :

ولاحت الشعرى وجوزاؤها كمثلِ رُمح جَرَّهُ رامح

وقلت : سقانى والجوزاءُ يحكي شروقها طفوً غريقٍ فوقَ ماءِ مطحلب

وهذا وصفها عند طلوعها . وقلت فيها حين توسط السماء :

شربتها والليــلُ مُستوفزٌ يجرُّ في جلبابهِ كوكبه
كأنما الجوزاءُ رَقاصةٌ ترقصُ فى منطقةٍ مذهبه
كأنها الجوزاءُ طبالةٌ تحتضنُ الطبلَ على مرقبه

وقلت فيها عند غروبها :

إسقنيها والليلُ فرعُ عروس زَيَّنوهُ بدُرَّةٍ وجُمانه
وكأنَّ الجوزاءَ حينَ تهاوتْ فارسٌ مالَ عن سراةِ (٢) حصانه

وقال آخر: وكأنَّ الجوزاءَ واترُ قوم أخذوا وترهم بقطع يَـديْه

(١) من بني غني، وهو فى الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية. (٢) سراة كل شيء: أعلاه .

وقد استحسن قول العلوى الاصفهاني فيها :

وتلوحُ لي الجوزاءُ سكرَى كلما ناءتْ بها الجرباءُ كادتْ تنثنى
ونطاقها متراصفٌ فى نظمه فكأنّما انتطقتْ بقطعةِ جوشن

الجرباء اسم للسماء ، وفى ألفاظها تكلف كما ترى والمعنى جيد .

وقلت : وليل أسود الجلبابِ داج كفرع الخودِ أوعينِ الغزالِ
كأنَّ كواكبَ الجوزاءِ فيه زميلة[1] مفجرة البزال
تميس بالحلى قرط الثريا إذا انخفضتْ وتوّج بالهلال
ركبت صدورَهُ وتركت خيلى توالى تحتَ أنجمه التوالى
ويخبطنَ الصباحَ إذا تبدى كما يكرعنَ فى الماءِ الزُّلال

ومن ظريف ماقيل فى الشعرى قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :

أقولُ لما هاجَ شوقُ الذِّكرى واعترضتْ وسط السماء الشعرى
كأنها ياقوتةٌ فى مدرى ماأطولَ الليلَ بسرَّ مرَّى

وقد أكثروا من وصفها بالعبر وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .

أحسن ماقيل فى سهيل و بعده من الكواكب قول بعضهم :

ولاحَ سهيلٌ من بعيدٍ كأنه شهابٌ ينحيه عن الرُّمح قابسُ

وقال ابن المعتز :

وقدلاحَ للسارىسهيلٌ كأنهُ على كلِّ نجم فى السماءِ رقيبُ

وأجود ماقيل فى خفقانه واضطرابه قول جِران العَوْد :

أراقبُ لمحاً[2] من سهيلٍ كأنّهُ إذا ما بدا من آخر الليل مطرف[3]

وقلت : وبسهيل رعدةُ المزؤود[4] وهو من الأنجمِ فى محيدِ
حَلَّ محلَّ الرَّجل الطريد

---

(١) فى نسخة « زميرة ». (٢) فى ديوان جران العود « أراقب لوحاً » .
(٣) فى ديوانه « يطرف » . (٤) أى المزعور .

وقال ابن طباطبا فى المعنى الأول :

كأنّ سهيلاً والنجومُ أمامهُ   يعارضها راعٍ أمامَ قطيع

أجود ماقيل في النسر الواقع قول الحمانى :

وركب ثلاث كالأثافي تساوروا   دُجى الليل حتى أو مضتْ سنة البدر
إذا اجتمعوا سميتهمْ باسم واحد   وإن فرقوا لم يعرفوا آخرَ الدهرَ

وهو من اللغز المليح . ومن جيد ماقيل في الفرقدين قول ابن المعتز :

ورنا إليَّ الفرقدان كما رَنتْ   زرقاءُ تنظرُ من نقاب أسود

وفي المجرة قول بعضهم :

كأنّ المجرة جدولُ ماء   نور الاقاح فى جانبيه

وقال ابن طباطبا :

مجرَّة كالماءِ إذ ترقرقا   شقتْ بها الظلماء برداً أزرقا
لباس ثكلى وشيها المشققا

ونقله إلى موضع آخر فقال :

كأنَّ التى حولَ المجرَّة أوردتْ   لتكرَعَ في ماءٍ هناك صبيب

فوجدته متكلفاً جداً فقلت فى معناه :

ليل كما نفضَ الغرابُ جناحه   متبقع الأعلى بهيم الأسفل
تبدو الكواكبُ من فنون ظلامه   لمع الأسنة من فتون القسطل
وترى الكواكب في المجرَّة شرَّعاً   مثل الظباء كوارعاً فى جدول

وقلت : تبدو المجرة منجرٍ ذوائبها   كالماء ينساح أو كالأيم ينساب
وزهرة بازاء البدرِ واقفة   كأنه غرضه ينحوه نشاب

أغرب ماقيل في صفة الهلال من الشعر القديم قول الأعرابى :

كأنَّ ابنَ مزنته جانحاً   قسيط لدى الافق من خنصر

أي كأن ابن مزنته وهو الهلال لدى الأفق قسيط من خنصر والقسيط القلامة

وهذا البيت على غاية سوء الوصف . وقد أخذه ابن المعتز فحسنه في قوله :

ولاحَ ضوء هلال كادَ يفضحه مثلُ القلامة قد قدّت من الظفر

وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظُ منه ناظر ذات أشفار

كأنّ الذى أبقي لنا منهُ أفقه قصيصُ سوارٍ أو قراضةُ دينار

ولا خير فى وصف قوله * كأن الذى أبقى لنا منه أفقه *

ومن غريب ماقيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :

إذا الهلالُ فارقتهُ ليلته بدا لمن يبصرُه وينعته

كهامةِ الاسود شابتْ هامته

قد سَبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :

وقد بدا فوقَ الهلال كرته كهامةِ الاسود شابتْ لحيته

ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بفطرٍ قد أنارَ هلاله فالآن فاغدُ إلى المدام وبكر

وانظر اليه كزورقٍ من فضة قد أثقلتهُ حمولةٌ من عنبر

وقال : فى ليلة أ كل المحاق هلالها حتى تبدّى مثل وقف العاج

وقلت : لست من عاشق أضلّ السبيلا فسقى دمعه الهطولُ طلولا

برد الليل حينَ هبت شمالا فجعلت الصلاءَ فيها الشمولا

في هلال كأنّهُ حيّةُ الرّمـــــلِ أصابتْ على البقاع مقيلا

باتَ في معصم الظلامِ سواراً وعلى مفرقِ الدُّجى إكليلا

وقلت: وكؤوس اذا دجى الليل أسرت تحتَ سقف مرصّع باللجين

وكأنّ الهلالَ مرآة تبرٍ تنجلى كلّ ليلةٍ أصبعين

هذا البيت يتضمن صفته من لدن هو هلال إلى أن يتم .وقلت في هلال شهر رمضان :

جلبَ المجاعةَ ضامرٌ بخل قد خلتُ فيه لضعفه سلاّ

طفلٌ ولكنْ أمرُه عجبٌ قد عاد بعد كهولةٍ طفلا
قد كانَ حمل ليلتين فلم ترَ مثله طفلاً ولا حملا
ومن العجائب أن يعودَ فتى في سبع عشرة ليلة كهلا

وقال السرى :

قمْ ياغلامُ فهاتها فى كأسها كالجلنارةِ فى جنى نسرين
أوماراًيت هلال شهرك قدبدا فى الأفق مثل شعيرة السكين

جعل الزجاج كأساً ولايقال كأس إلا إذا كانت مملوءة ، ولاأعرفه سبق إلى هذا التشبيه . وقال بعضهم :

والجوُّ صافٍ والهلالُ مشنف بالزُّهرة الزَّهراءِ نحو المغرب
كصحيفةٍ زرقاءَ فيها نقطةٌ من فضةٍ من تحت نون مذهب

جعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .

وقلت : والبدر زيَّنَ للعيونِ هلالُهُ فرَمقْنَ منهُ حاجباً مقرونا
يبدو ويبدو النجمُ فوقَ جبينه وكأنَّ جنحَ الليلِ ينقطُ نونا

وقد استحسنت للعلوى الأصفهانى قوله :

لاحَ الهلالُ فُوَيْقَ مغربه والزُّهرةُ الزَّهرَاءُ لم تغب
تهوى دوين مغيبها فهوتْ تبكى بدمع غيرِ منسكب
فكأنها أسماء باكية عندَ انفصام سوارها الذَّهب

ومن البديع قول الآخر :

لم أنس دجلةَ والهوى مُتضرِّم والبدرُ في أفق السماءِ مُغرِّب
فكأنها فيــه رداءٌ أزرق وكأنه فيها طرازٌ مُذهبُ

حق الدجي ان تؤنث لانها جمع دجية . وقلت :

كأنَّ الهلال الشهر قطعة دملج تلوحُ على أعضاء معتكر غاس
ترى الزهرة الزهراء تهوى وراءه كما مرَّ سهمٌ قاصدٌ نحوَ قرطاس

ومن أجود ماسمعته في الليلة المقمرة ماأنشدنيه أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاءَ مقمرةٍ كأنها فضةٌ ذابتْ على البلد
وقلت: كم قد تناولتُ اللذاذ من كثب والدَّهر مسكونُ الحوادث والنوب
في ليـلةٍ قمراء تحسب أنها تلقى على الآفاق أردية قصب

ومن البديع قول ابن المعتز :

ماذقت طعم النوى لو تدرى كأنمـا جنبي على جمر
في قمر مشرق نصفه كأنه مجرفةُ العطر
فريسة للبقّ منهوشـة قد ضعفت كفى عن النصر

وقال في ذم القمر :

وبات كما سرّ أعداؤُه إذا رام قوتا من النـوم شذ
تعزهُ شرراتُ البعوض في قمرٍ مثل ظهر الجرذ

﴿ الفصل الثاني من الباب السادس ﴾

(في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجرى مع ذلك من سائر أوصافه)

فمن أحسن ذلك قول ذى الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته(١) بأربعة والشخصُ في العين واحدُ
أحمُّ علافيٌّ وأبيض صارمٌ وأعيسُ مهريٌّ وأروع ماجد (٢)

فأخذه ابن المعتز ونقله إلى ماهو أظرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلبابِ الشباب قطعتهُ بفتيان صدق يملكونَ الأمانيا

جلباب الشباب أظرف من جلباب العروس .

---

(١) في الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذى الرمة .

(٢) أحم : أسود يعني الرحل ، علافي : منسوب الى علاف حي من العرب يعملون الرحال ، والأعيس : الأبيض يعني بعيره ، والمهرى منسوب الى مهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ماقيل فى ظلمة الليل قول مضر بن ربعى[١].

وليل يقولُ الناسُ من ظلماته ... سواء صحيحات ُالعيونِ وعورها
كأنّ لنــا منهُ بيوتاً حصينــةً ... مسوح أعاليها وساج كسورها[٢]

وقريب من هذا قول الأعرابى : خرجنا فى ليلة حندس قد ألقت على الارض أكارعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نتعارف إلا بالآذان . وقلت فى هذا المعنى :

وليــلةٍ كرجائى في بنى زمنى ... مُسوَدَّة الوجهِ منسوباً إلى الفحم
سَدَّتْ على نظرِ الرائينَ منهجهُ ... حتى تعارَفَت الاشخاصُ بالــكلم
لا أسأمُ الجهدَ فيها أن أكابدهُ ... ولاترى صاحبَ الحاجاتِ ذا سأم
أحاولُ النجحَ فى أمر أزاولهُ ... والنجح في دلجات الأينقِ الرُّسم

ومن جيد التشبيه قول أبى تمام:

إليكَ هتكنا جنحَ ليــل كأنه[٣] ... قد اكتحلتْ منه البــلادُ بإثمــد

أخذه من قول أبى نواس :

أبنْ لى كيفَ صرتَ إلى حريمى ... وجنح الليل مكتحلٌ بقــار

وقول أبى تمام أجود لأن الاكتحال بالاثمد لا بالقار، وأظرف ماقيل في ذلك قول مسلم بن الوليد :

أجدك ما تدرينَ أنْ ربَّ ليلةٍ ... كأنّ دجاها من قرونك تنشر
صبرتُ لها حتى تجلتْ بغُــرَّةٍ ... كغــرَّةِ يحيى يوم يذكر جعفر

وقد طرف القائل فى قوله :

لاتَــدْعنى لصبوح ... إنّ الغبوقَ حبيبى
فالليلُ لون شبابى ... والصبح لون مشيبى

ومن الاستعارة قول ذى الرمة :

---

(١) نسب البيتان فى زهر الآداب الى ابن محكان السعدى . (٢) في زهر الآداب (مسوحاً أعاليها وساجا) . (٣) كذا في ديوان أبى تمام ، والذى فى الأصل (كأنما) .

وَدَوِّيَّة مثل السماء عسفتها … وقد صبغ الليل الحصى بسوادِ(١)

أخذه البحتري فقال وقصر :

على باب قنسرين والليلُ لاطخٌ … جوانبهُ من ظلمةٍ بمداد

ليس البيت على السكة المختارة وقوله (لاطخ جوانبه من ظلمة بمداد) من بعيد الاستعارة . وأخذ ابن أبي طاهر قول مسلم * كأن دجاها من قرونك تنشر * فقال :

سقتنيَ في ليل شبيهٍ بشعرها … شبيهةَ خدَّيها بغيرِ رقيب

فوقع بعيداً عنه واختل في النظم وأقلق القافية . وقلت في معناه :

تسقيك في ليلٍ شبيهٍ بفرعها … شبيهاً بعينيها وشكلاً بخدّها

فتسكر من عينٍ وكأسٍ ووجنةٍ … تحييك أعقاب الكؤوس بوردها

ومن البديع في هذا المعنى قول ابن المعتز :

أرقت له والركبُ ميل رؤوسهم … يخوضونَ ضحضاح الكرى وبهم قرُّ

علاهمْ جليدُ الليل حتى كأنهم … بزاةٌ تجلى في مراقبها قمرُ

إلى أن تعرّى النجم من حلةِ الدُّجى … وقالَ دليلُ القوم قد نقب الفجرُ

وقدوا أديمَ الفجر حتى ترفعتْ … لهم ليلةٌ أخرى كما حوم(٢) النسرُ

وقال ديك الجن :

سيرضيك أني مسخط فيك كاشحاً … ومرتقبٌ هولان موت مرقبُ

وجانب ليل لو تعلق قطعة … بقطعة صبح لانثنتْ وهي غيهبُ

وقلت: ومَدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقاً … وأشعلَ فيهِ الفجر فهو محرق

وصبحنا صبحاً كأنَّ ضياءَهُ … تعلم منا كيف يبهى ويشرق

وقال ابن المعتز :

نخلتُ الدُّجى والليلُ قد مدَّ خيطه … رداءٌ موشى بالكواكب معلما

وهو من قول الله تعالى (الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)

---

(١) في الأصل تصحيف صححناه من ديوانه . (٢) في ديوان ابن المعتز (حلق) .

ومن أتم أوصاف الظلمة الذى ليس فى كلام البشر مثله قول الله عز وجل (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِى بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) وقال الأصفهانى العلوى :

وَرُبَّ ليلٍ باتت عساكرُهُ تحملُ فى الجوِّ سودَ رايات
لامعــة فوقهـا أسنتهـا مثل الأزاهير وسط رَوضات

ولست أورد أكثر شعره إلا لاصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظه متكلف وجل صنعته فاسد وهذا من العجب لأنه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره وقد صنف كتاب عيار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ماذكرناه لم يكمل له فهو كالمسن يشحذ ولا يقطع .

ومن أحسن الاستعارة في ذكر الليل قول ابن أبي فنن :

أقولُ وجنحُ الدُّجى ملبدُ والليــل فى كلِّ فــجٍّ يد
ونحنُ ضجيعان فى مسجدٍ فللــه ماضمنَ المسجــد
أياليلة الوصل لاتنفدى كما ليــلةُ الهجر لاتنفــد
ويا غدُ إن كنت لى راحماً فلا تدنُ من ليلتى ياغد

وقال السرى :

وشرَّد الصبح عنا الليل فانضحت سطوره البيض فى راياته السود

وقلت : ليل كفرع الخود تخلفه ضحى زهراءُ مثل عوارض الزهراء
عبقت بأنفاس الرِّياض كأنما نفض الرَّقيب غلالة الدلتاء

وقلت : والليلُ يمشي مشيةَ الوئيد فى الخضرِ من لباسهِ والسود
والصبحُ فى أخراه ثانى الجيد

فأما أجود ماقيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرىء القيس :

وليل كموج البحر (١) أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى

---

(١) أى كموج البحر في شدة ظلمته .

فقلتُ له لما تمطى بصلبه (١)   وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجل   بصبح وما الاصباحُ منك بأمثل

وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضميناً يلحق به بعض العيب وهو من أدل شيء على شدة الحب والهم لانه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما يكابده من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة إلا أنه دخل فى باب الغلو. والذى أخبرنا بما في العادة الطرماح فى قوله:

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبح   بصبح وما الاصباحُ منك بأروح

فهذا معنى قول امرىء القيس، ثم استدرك فقال:

على أنَّ للعينين فى الصبح راحةً   بطرحيهما طرفيهما كلَّ مطرح

فجاء بما لا يشك أحد فى صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرىء القيس موقعاً والتكلف فى قوله * بطرحيهما طرفيهما كل مطرح * بين والكراهة فيه ظاهرة.

وقال ابن الدمينة فى معنى قول الطرماح:

أظلُّ نهارى فيكم متعللاً   ويجمعنى والهمَّ بالليلِ جامع

وقال المجنون:

يضمُّ إلىَّ الليلُ أطفالَ حبها (٢)   كما ضمَّ أزرارَ القميصِ البنائقُ

جعل ما ينشأ من الهم بالليل أطفالا، وفى هذا المعنى يقول النابغة:

كلينى لهمٍّ ياأميمةُ ناصبٍ   وليل أقاسيهِ بطىء الكواكب
تطاولَ حتى قلتُ ليس بمنقضٍ   وليل الذي يرعى النجومَ (٣) بآيب
وصدرٍ أراحَ الليل عازبَ همه   تضاعف فيه الحزن من كلِّ جانب

---

(١) وفى رواية «بجوزه» وهو ضعيف المعنى. (٢) فى الاصل «حبكم» وفى اللسان «حبها» وقال فيه: يروى «أثناء حبها» ويروى «أبناء حبها» وأراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب. (٣) فى ديوان النابغة «يهدى النجوم» وهو الذى يتقدمها.

فجعل الهمّ يأوى إلى قلبه بالليل كالنعم العازبة تريحها الرعاة مع الليل إلى أماكنها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تتزايد بالليل . وقلت :

وذكرنيهِ البدرُ والليل دونهُ   فبات بجدّ الشوق والصبر يلعب
كذكرى الحمى والحى فى منعج اللوى   وذكر الصبا والرأس أخلس أشيب
فأزدادُ فى جنح الظلامِ صَبابةً   فلا صعبَ إلا وهو بالليلِ أصعبُ

وقلت: ورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهي   وكذاك السرورُ بالليلِ أعذب

ومما استجدت من شعر أبى بكر الصولى فى معنى امرىء القيس قوله :

أسرَ القلب فى هواهُ وسارا   وتجنى علىّ ظلماً وجارا
فنهارى أراهُ للبعدِ ليلاً   وأرى للسهادِ ليلى نهارا
أنتَ فرّقتَ بالتفرُّقِ صبرى   فأعرنى لما عرانى اصطبارا

ويستجاد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما لنفاسته لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلى فى معنى النابغة :

إنّ فى الصبح راحةً لمحبّ   ومع الليلِ ناشئاتُ الهموم

وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إنّ ناشِئَةَ اللّيْلِ هِيَ أشَدُّ وَطْئاً وأقْوَمُ قِيلا) وقال طاهر بن على بن سليمان :

إذا لاحَ لى صبحٌ فهمى مقسم   وفي الليلِ همى بالتفرُّدِ أطول

وتمنى بعض المثقلين بالدين المبتلين بالفقر دوام الليل لما يلقى بالنهار من الغرماء ولما يحتاج اليه من النفقة في كل يوم فقال :

ألا ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً   فانّ الصبحَ يأتى بالهموم
حوائج لاتطيقُ لها قضاءً   ولا رداً وروعات الغريم

قوله « ولارداً » من التتميم الحسن . وقال التنوخى فى طول الليل :

وليلة كأنها طولُ الأملْ   ظلامها كالدّهر مافيه خللْ
كأنما الاصباحُ فيها باطل   أزهقه اللهُ لحقٍّ فبطلْ

وليلةِ الهجرِ وساعاتِ العذل ساعاتها أطولُ من يومِ النوى
موصدة على الورى أبوابها كالنار لايخرجُ منها من دخل

وهـذا يستملح وان لم يكن مختاراً من التشـبيه لأن إخراج المحسوس إلى ماليس بمحسوس في التشبيه ردىء . ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :

ويوم كظلِّ الرُّمح قصرَ طولهُ دم الزِّقِّ عنا واصطـكاك المزاهر

وقال البحترى :

وقاسينَ ليلاً دونَ قاسان لم تكد أواخرُه من بعد قطريه تلحق

وقال ابن المعتز في نحوه :

وحلتْ عليه ليـلةٌ أرحبيةٌ إذا ماصفا فيها الغديرُ تـكدَّرا
بعيدة [1] مابين البياضين لم يكد يصدق فيها صبحها [2] حينَ بشرا

وقال : بمخشية الاقطار حيلية الصدى معطلة الآيات محذورة القصد
كأنَّ نجومَ الليلِ فى حجراته دراهمُ زيفِ لم يجزن على النقد

يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكأنها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد أبر بعض المحدثين على من تقدم حيث يقول فى طول الليل على دناءة لفظه :

عهدى بنا ورداءُ الليل مُنسدل والليلُ أطولهُ كاللمح بالبصر
والآن ليلى من باتوا فديتهم ليلُ الضريرِ فصبحى غير منتظر

وهذا أبلغ معنى من قول امرىء القيس الذى تقدم إلا أنه لايدخل فى مختار الـكلام لابتـذال لفظه وزيادته على معناه وسوء صنعته ، والمعنى أن ليله ممدود بلا انقضاء كالليل للضرير كله عند الضرير ليل . وقال على بن الخليل :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدَّعى أنَّ نجومَ الليلِ ليستْ تعول
ليلى كما شاءَتْ قصيرٌ إذا جادَتْ وإن ضنت فليلى طويلْ

فأغار عليه ابن بسام فقال :

---

(١) فى ديوان ابن المعتز المطبوع « طويلة » . (٢) فى ديوانه (فجرها) .

لا أظلمُ الليلَ ولا أدَّعى أنَّ نجومَ الليلِ ليستْ تغور
ليلى كما شاءَتْ فانْ لم تَزُر طالَ وإنْ زارَتْ فليلى قصير

إلا أن بيته الثانى أحسن تقسيماً من بيت الخليل . وسمعت كافى الكفاة يقول لأبى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده * جُلُّ همى وهمتي جُرجانُ * فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال العسكرى وأنا اقول إن قوله : ليلى كما شاءت خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليلُ بلْ ياأبدُ أنائمٌ عنك غدُ

وقال ابن الرومى وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تزيد * وقلت :

غابوا فلم أدرِ ما ألاقى مسٌّ من الوَجْدِ أوجنون
ليلَى لا يبتغي براحاً كأنهُ أدهمٌ حرونُ
أجيلُ في صفحتيهِ عيناً ما تتلاقى لها جفون

وملح ابن الأحنف فى قوله :

حَدَّثونى عن النهار حديثاً وصفوهُ فقد نسيتُ النهارا

وقد أنبأ بشار عن العلة التى يستطال لها الليل وهو السهر فقال :

لم يطلْ ليلى ولكنْ لم أنمْ ونفى عنى الكرى طيفٌ ألمّ

ولا أرى فى قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحسْرِ الطيرِ بتنا ننوشه على شعبِ الاكوارِ والليل غاسق

على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادى * والأول أفصح . وأنبأ العجاج أيضاً عن العلة التى لها يطول الليل * تطاول الليل على من لم ينم * وقال بشار :

لخدِّيك من كفيك فى كلِّ ليلةٍ إلى أنْ ترى ضوء الصباح وسادُ

وهذا مأخوذ من قول أبى ذؤيب * نام الخلى وبت الليل مشتجرا * والاشتجار وضع اليد علي الخد والاعتماد عليها وهو جلسية المتفكر :

نبيتُ نراعى الليلَ نرجو نفادهُ ... وليس لليل العاشقينَ نفاد

وقال: خليليَّ ما بالُ الدُّجى لا تزحزحُ ... وما بال ضوء الصبح لا يتوضح

كأن الدجى زادت وما زادت الدُّجى ... ولكنْ أطالَ الليلَ همٌّ مبرِّح

وقال ديك الجن:

من نامَ لم يدرِ طالَ الليلُ أم قصرا ... ما يَعرف الليلَ إلا عاشقٌ سهرا

وقد أجاد ابن طباطبا العلوى القول فى طول الليل وهو:

كأنَّ نجومَ الليل سارَتْ نهارها ... ووافتْ عشاءً وهى أنضاءُ أسفار

فخيمنَ حتى تستريحَ ركابها ... فلا فلكٌ جار ولا فلكٌ سارى

وذكر خالد الكاتب[1] أنه ليس يدرى أطال ليله أم قصر لتحيره وتبلده فقال:

لستُ أدرى أطال ليلى أم لا ... كيف يدرى بذاك من يتقلى

لو تفرَّغتُ لاستطالةِ ليلى ... ولرعيِ النجومِ كنتُ مخلى

وتبعه أبو بكر الصولى فقال:

وطولتُ ليلى لو دَرَيتُ بطولهِ ... ولكنه يمضى لما بى ولا أدرى

وقال بشار:

طالَ هذا الليلُ بلْ طالَ السهر ... ولقد أعرفُ ليلى بالقصر

لم يطلْ حتى دهانى بالهوى ... ناعمُ الأطرافِ فتانُ النظر

فكأنَّ الهجرَ شخصٌ ماثل ... كلما أبصرَهُ النومُ نفر

وقلت: صيرنى البينُ عرضةَ الحين ... لا أربحَ اللهُ صفقةَ البين

قد طالَ يومي وليلتى بهمُ ... لما يزالا بهمْ قَصيرَين

كانَ قليلاً لدىَّ مكثهما ... فكنتُ أدعوهما الجديدَين

فطال بعدَ الحبيبِ لبثهما ... فصرتُ أدعوهما عتيقين

---

(١) هو خالد بن يزيد، من أهل بغداد، وأصله من خراسان، وكان أحد كتاب الجيش فى أيام المعتصم العباسى. أكثر شعره فى الغزل.

وقال آخر :

يالَيلةٍ طالتْ على عاشقٍ منتظرٍ في الصبح ميعادا
كادتْ تكونُ الحولَ في طولها إذا مضى أولُها عادا

أجود ماقيل فى قصر الليل وأشده اختصاراً قول ابراهيم بن العباس :

وليلة من الليالي الزُّهر قابلتُ فيها بدرها ببدرى
لم تكُ غيرَ شفقٍ وفجر حتى تولّتْ وهي بكرُ الدَّهر

وقال غيره : وليلة فيها قِصر عشاؤها مثل السحر

وهذا على غاية الاختصار . وقال العلوى الأصفهانى فى قصر الليل واليوم :

ويوم دجنٍ ذو ضمير منهم مثل سرور شابهُ عارض غمّ
صحوٌ وغيمٌ وضياءٌ وظُلَمْ كأنَّهُ مستعرٌ قد ابتسم
مازلتُ فيه عاكفاً على صنمْ مُهفهف الكشح لذيذ الملتزم
تفاحه وقفٌ على لثم وشمّ وبانه وقفٌ على هصرٍ وضَم
ياطيبه يوم تولى وانصرم وجوده من قصر مثل العدم

وقلت : قصر العيشُ بأكناف الغضا وكذا العيشُ اذا طابَ قصر
فى ليالٍ كأباهيم القطا لستَ تدرى كيف تأتي وتمرّ

وقلت : إذا البرق من شرقيّ دجلة ينبرى على صفحات البارق المتألق
أشبهه دهراً أغرَّ محجلاً فقمنا به في ظلِّ فينان مورق
فمرَّ كرجع الطرف ليس يمسه حنينٌ إلى مخبورة المتعشق
وقد يعرض المحذور من حيث يرتجى ويمكنك المرجوّ من حيث تتقى

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن سعيد عن أبي عكرمة قال أنشدت اعرابياً قول جرير :

أَبُدِّلَ الليلُ لاتسرى كواكبهُ أم طال حتى حسبتُ النجمَ حيرانا

فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك فى ضده من قولى وأنشدنى :

وليـــل لم يقصره رقاد ... وقصره لنا وصل الحبيب (١)
نعيم الحب أورق فيه حتى ... تناولنا جناه من قريب
بمجلس لذة لم نقو فيـــه ... على الشكوى ولاعد الذنوب
بخلنا أن نقطعه بلفظ ... فترجمت العيون عن القلوب

فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعراً ، فقال أمامن هذا فحسبك ولـكن غيره وأنشدني :

وكنت إذا غلقت حبال قوم ... صحبتهم وشيمتى . الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم ... وأجتنب الاساءة إن أساؤا
أشاء سوى مشيئتهم فآتى ... مشيئتهم وأترك ماأشاء

وأنشدنا عن محمد بن يزيد :

لله ليلتنا بجو سويعة ... والعيش غض والزمان غرير
طابت فقصر طيبها أيامها ... فـكأنما فيها السنون شهور

وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحق الموصلى :

ظللنا فى جوار أبى الجناب ... بيوم مثل سالفة الذباب
يقصره لنا شغف التلاقي ... ويوم فراقنا يوم الحساب

وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبى الحسن العتابى عن عيسى بن اسماعيل قال سمعت الأصمعى يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :

ويوم كابهام القطاة محبب ... إلىّ هواه (٢) غالب لى باطله
رزقنا به الصيد العزيز ولم نكن (٣) ... كمن نبله محرومة وحبائله
فيالك يوم خيره قبل شره ... تغيب واشيه وأقصر عاذله

---

(١) فى زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب » . (٢) فى زهر الآداب « إلىّ صباه » . (٣) في الأصل (الصمد الغزير ولم يكن) .

فقال ويله وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقلت كذا قرأته على أبي عمرو ، قال صدقت وقال كذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال * فيالك يوماً خيره دون شره * فاروه هكذا ، وكانت الرواة قديماً تصلح من شعر القدماء ، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا هكذا .

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العميد أنشد قول أبي تمام :

وكشفت لي عن صفحة الماءِ الذي ... قد كنتُ أعهدُه كثيرَ الطحلب

فقال إنما قال (عن جلدة الماء) فقال إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظة فمن حقها وحق قائلها أن تغير . قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد .

وقال ابن طباطبا :

بأبي من نعمتُ فيـهِ بيوم ... لم يزلْ للسرور فيـهِ نموُّ

يوم لهـوٍ قد التقي طرفاهُ ... فكأنَّ العشيَّ فيـه غدوُّ

ومن قول ابراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره :

ليـلة كاد يلتقي طرفاها ... قصراً وهي ليـلةُ الميلاد

وقلت : وطال عمرك في دهرٍ به قصرٌ ... تعدُّ فيه شهور العيش أياما

وقال القصافي :

ذكرتـكم ليـلاً فنورَّ ذكـركم ... دجى الليل حتى انجاب عنا دياجره

فوالله ما أدري أضوءٌ مسجر ... لذكركم أم يسجر الليل ساجره

وبتُّ أسقى الشوق حتى كأنني ... صريعُ مـدام لم ينهنـه دائره

وظلتْ أكفُّ الشوق لما ذكرتـكم ... تمثـل لي منـكم خيـالاً أسايره

فلو كنتمُ أقصى البـلاد لزرتـكم ... إلى حيث يعيي ورده ومصـادره

أرى قصراً بالليـلِ حتى كأنما ... أوائـله ممـا تدانى أواخره

وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال :

يا ليلة نسي الزّمانُ بها احداثهُ كوني بلا فجر
راح الصباحُ ببدرها ووشت فيها الصبا بمواقع القطر
ثم انقضتْ والقلبُ يتبعها في حيث ماسقطتْ من الدّهر

وقلت: وصلت نعم ولكن صلةً تشبهُ اللحظةَ في انتقالها
لستُ أدري أتمتعتُ بها أم بزورِ الزورِ من خيالها
ومضى الليلُ سريعاً مثلما أنشطتْ دهماء من عقالها

﴿ الفصل الثالث من الباب السادس ﴾

في ذكر الصباح والشمس والنهار ومايجري مع ذلك

أجود ماقيل في الصباح من شعر الاعراب: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال نزلت بقوم من غُنيّ وقد جاوروا قبائل من بني عامر بن صعصعة[1] فحضرت ناديهم وهناك شيخ طويل الصمت عالم بالشعر[2] قد جعل الناس يأتونه من كل ناحية فيجلسون اليه وينشدون أشعارهم فاذا سمع الشعر الجيد قرع الارض بمحجنه فينفذ حكمه على من حضر منهم بشاة[3] إذا كان ذا غنم وابن مخاض ان كان ذا إبل فذبح أونحر لأهل الوادي فقال حضرتهم يوماً والشيخ جالس فأنشده بعضهم يصف القطا:

غَدَتْ في رعيل ذي أداوَى منوطةٍ بلباتها مربوعة[4] لم تُمَرَّخِ[5]
إذا سَرْبَخٌ عطت[6] مجال سرائه تمطتْ فحطتْ بينَ أرجاء سربخ

فقرع الشيخ الأرض بمحجنه وهو صامت، ثم أنشده آخر يصف ليلة[7]:

---

(١) في الأصل (من بني صعصعة). (٢) في أمالي القالي زيادة (وأيام الناس)
(٣) في الأمالي (فينفذ حكمه على من حضر ببكر للمنشد، وإذا سمع مالا يعجبه قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة). (٤) في الاصل (مدبوغة)
(٥) تمرخ أي تُلَيَّن. (٦) السربخ: الأرض الواسعة، وعطت: شقت.
(٧) في الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالي.

كأنَّ شميطَ الصبح فى أخرياتها مُـلاءٌ ينقى من طيالسة ٍخُضر
تخال بقاياها التى أسأر (١) الدُّجى تمدٌّ وشيعاً (٢) فوق أردية الفجر

فقام الشيخ كالمجنون مصلتاً سيفه حتى خالط البرك (٣) فجعل يضرب يميناً وشمالاً وهو يقول :

لاتُـفرغنْ فى أذنىَّ بعدها مايستفزٌّ فأريك فقدها
إني إذا السيفُ تولى ندَّها لاأستطيعُ بعد ذاك ردَّها

قال أبو هلال رحمه الله تعالى وهذا دليل على أن علم الشعر والتمييز بين جيده ورديئه كان غريزاً عند أهل البوادى وهم أصوله ومنبعه ومعدنه ، وكان فعل هذا الشيخ واستفزاز جيد الشعر له قريباً مما روى عن محمد الأمين أنه قال إنى لأطرب على حسن الشعر كما أطرب على حسن الغناء .

ومن غريب ماقيل فى الصبح من الشعر القديم قول ذى الرمة ، وقد أجمع الناس على أنه أحسن العرب تشبيهاً :

وقد لاحَ للسارى الذى كمل السُّرى على أخرياتِ الليلِ فتقٌ مُشَهَّرُ
كلونِ الحصانِ الأنبطِ البطن قائماً تمـايلَ عنهُ الجـلُّ واللـونُ أشقر

وهذا أحسن تشبيه وأكمله ، الأنبط : الأبيض البطن ، شبه بياض الصبح تحت حمرته ببياض بطن فرس أشقر . أخذه ابن المعتز فقال :

وماراعنا الا الصباحُ كأنهُ جلالُ قباطىّ على فرسٍ ورد

وقال أو قال غيره :

بدا والصبحُ تحتَ الليلِ بادٍ كمهرٍ أشقرٍ مرخى الجـلال

ومن أغرب ماقاله محدَث فيه قول ابن المعتز :

---

(١) السؤر : البقية والفضلة، يقال اذا شربت فأسئر . (٢) الوشيعة : لفيفة من غزل، وتسمي القصبة التى يجعل النساج فيها لحمة الثوب للنسج وشيعة . (٣) البرك إبل أهل الحواء بالغة ما بلغت، وقيل البرك الابل البروك، وقيل البرك: ألف بعير .

وقد رفعَ الفجرُ الظلامَ كأنّهُ ظليمٌ على بيضٍ تكشّفَ جانبه

وقد أبدع أيضاً في قوله :

قد اغتدى والليلُ في جلبابه كالحبشيّ فرّ من أصحابه

والصبحُ قد كشفَ عن أنيابه كأنما يضحكُ من ذهابه

وقال أبو نواس :

فقمتُ والليلُ يجلوهُ الصباحُ كما جلا التبسمُ عن غُرّ الثنيات

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه .

وقال : لما تبدى الصبحُ من حجابه كطلعةِ الأشمطِ من جلبابه

وهذا من قول الآخر * كطلعة الأشمط من برد شمل * وقال ابن المعتز :

ولقد قفوتُ الغيث ينطفُ دجنه والصبحُ ملتبسٌ كعينِ الأشهل

وقلت : باكرتها والخيلُ في البكورِ والصبحُ بالليلِ مكوث النور

كما خلطت المسك بالكافور

وقال ابن المعتز :

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته كموقدٍ باتَ ينفخُ الفحما

وقال : والليل قد رقّ وأصغي نجمهُ واستوفز الصبح ولما ينتقب

معترضاً بفجرهِ في ليلة كفرسٍ بيضاء دهماء اللبب

وقال العلوى وأجاد المعنى :

والصبحُ في صفح الهواء مورّدٌ مثل المدامةِ في الزّجاج تشعشع

وقلت: إلى أن طوينا اليومَ إلا بقيةً يضلُّ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلق

وجلل وجه الشمس بردٌ ممسك وقابلهُ للغرب بردٌ ممشق

فلاح لنا من مشرق الشمس مغربٌ وبان لنا من مغرب الشمس مشرق

ومدّ علينا الليلُ ثوباً منمقاً وأشعل فيه الفجر فهو يحرق

وصبحنا صبحٌ كأنّ ضياءهُ تعلم منا كيف يبهى ويشرق

وقلت : ركبت أعجاز ليالٍ مظلمة   مطرزاتٍ بالصباح معلمه
أخطرُ في بردتها المسهمه   والرَّوضُ في حلته المنمنمه
قد نثر الليلُ عليه أنجمه   والنبتُ قد دَنَّرَهُ ودرهمه
وقد وشى رداءهُ ورقمه

وقال بعض الاعراب :

والليلُ يطرُدُهُ النهارُ ولا أرى   كالليـــلِ يطردُه النهار طريدا
وتراهُ مثل البيتِ مالَ رواقهُ   هتك المقوض شره الممـدودا

وهذا شعر مطبوع . وقال أبو نواس :

قد اغتدى والليلُ في حريمه   معسكر في العزِّ من نجومه
والصبحُ قد نسم في أديمه   يدعهُ بطرٌ في حيزومه
دعى الوصى فى قفا يتيمه

ومن الاستعارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن وابصة :

على حين أثنى القومُ خيراً على السرَى   وطارَ بأخرى الليل أجنحة الفجر

والنصف الأول من قول الآخر ٭ عنـد الصباح يحمد القوم السرى ٭

وقال العلوى الاصفهانى :

وليل نصرتُ الغيَّ فيه على الرُّشد   وأعديتُ فيه الهزلَ منى على الجدِّ
وضيعتُ فيه من عناقٍ معانقى   فظنَّ وشاتى أننى نائمٌ وحدى
الى أن تجلى الصبحُ من خلل الدُّجى   كما انخرطَ السيفُ اليماني من الغمد

وقلت: حتى أزالَ الصبحُ فاضلَ ذيله   كالنيل يخطرُ فى نوادى يعرب

وقد أحسن ابن المعتز فى صفة النجم يبدو فى حمرة الفجر حيث يقول :

قد اغتـدى على الجيادِ الضمر   والصبحُ قد أسفرَ أولم يسفر
كأنه غرَّةُ مهرٍ أشـقر   حتى بدا في ثوبهِ المعصفر
ونجمهُ مثلِ السِّراجِ الأزهرِ

وقال الشمردل بن شريك[1] :

ولاحَ ضوء الصبح فاستبينا كما أرتنا المفرق الدهينا

وقال التنوخي: والــثريا كلـواءٍ خافق من فوق مرقب

وبدا الفجرُ كسيفٍ في يدِ الجوزاء مذهب

وقلت: أديرا علىّ الكأس والليلُ راحل وفى اثره للصبـح بلقٌ شوائل

ترفع عنه منكب الليل فانجلى كما ابتسمتْ لمياءُ والسترُ مائل

وقال التنوخي :

وبدا الصبـح كالحسام علاه علق فوقَ شفرتيـهِ متاع

وقال : أسامره والليـل أسود أورق إلى أن جلا الاصباح عن أشقر ورد

تبسم محمرّاً خـلال سواده تبسمَ وردِ الخدّ فى الصدغ الجعد

ومن حسن الاستعارة فى الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعتْ شمسُ الاصيل لهم حتى توقّدَ في جنح الدُّجى الشفق

لحاجةٍ لم أضاجع دونها وسنا وربما جرَّ أسبابَ الكرى الأرق

وأبرع بيت قيل فى الصبح من شعر المحدثين قول ابن المعتز :

والصبح يتلو المشترى فكأنّه عُريانُ يمشي فى الدُّجى بسراج

والناس يظنون أنه ابتـدأه وابتكره وإنما أخذه من قول ابن هرمة في وصف السحاب والبرق :

تؤام الودق كالزّاحــف يزجى خلف اطلاح

صدوق البرقِ كالسكرا ن يمشى خلفه الصاحي

كأنَّ العازفَ الجنى أوْ أصـواتَ نواح

على أرجائهِ والبر ق يهـديه بمصباح

وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

---

(١) شاعر إسلامى من شعراء الدولة الاموية كان فى أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ماقيل فى الليالى الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأنفاس برد الندى فيه فتهديه لحرِّ الهموم

وقال: وقدغدَوْتُ وصبغ الليل منتقص وغرَّة الصبح مصقولٌ حواشيها

وغربت أنجمُ الظلماءِ وانحدرَتْ فشالَ أرجلها وانحطَّ أيديها

فأما أجود ماقيل مما أنشدناه أبوالقاسم عن عبد الوهاب عن العقدى عن أبى جعفر عن ابن الاعرابى قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ماقالته العرب فيها :

مخبأة أما إذا الليلُ جنها فتخفى وأما بالنهارِ فتظهرُ

إذا انشقَّ عنها ساطعُ الفجر فانجلى دُجى الليل وانجاب الحجابُ المستر

وألبس عرض الأرض لوناً كأنهُ على الأفق الشرقى ثوبٌ معصفر

ولون كدرع الزَّعفران مشبه شعاع يلوح فهو أزهرُ أصفر

الى أن علتْ وابيضَّ عنها اصفرارها وجالتْ كما جالَ المليحُ المشهر

ترى الظلّ يطوى حين تعلو وتارةً تراهُ إذامالتْ إلى الارض ينشر

وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبينُ اذا ولتْ لمن يتبصر

وأفنت قروناً وهى فى ذاك لم تزل تموتُ وتحيا كلّ يوم وتنشر

وأنشدناه أيضا أبوأحمد عن الصولى عن على بن الصباح عن ابن أبى محلم على غير ماتقدم هنا أخذابن الرومى قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *

ومن بديع ماقيل فى انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبٌّ عليه قانصٌ لمـا غفلْ والشمسُ كالمرآة فى كفِّ الأشل

ونحوه قول أبى النجم * وصارت الشمس كعين الأحول *

ولأعرابية تذكر السحاب :

تطالعنى الشمسُ من دونها طلاع فتاة تخافُ اشتهارا

تخافُ الرَّقيبَ على سرِّها وتحذرُ من زوجها أن يغارا

فتستر غُرَّتها بالخمار طوراً وطوراً تزيل الخمارا (١)

وقال ابن المعتز وأغرب :

تظلُّ الشمس ترمقنا بلحظ خفى مدنف من خلفِ سترِ
تحاولُ فتقَ غيم وهو يأبى كعنين يريدُ نكاحَ بكر

وقال ابن طباطبا :

وأقذيت عين شمس فحكت من خللِ الغيم طرفَ عمشاء

وقلت: فيا بهجة الدنيا إذا الشمس أشرقت كما أشرقت فوق البرية زينب
يفضضُ منها الجوُّ عندَ طلوعها ولكنَّ وجهَ الارض فيها مُذَهَّبُ
وتحسبُ عينَ الشمسِ اذ هي رفعتْ على الافقِ الغربيِّ شبراً يذرب

وقلت في يوم صحو :

ملأ العيونَ غضارةً ونضارةً صحوٌ يطالعنا بوجهٍ مونقِ
والشمسُ واضحةُ الجبين كأنها وجهُ المليحة في الخمار الأزرق
وكأنها عندَ انبساطِ شعاعها تبرٌ يذوبُ على فروع المشرق
جَرَّتْ إذا بكرت ذُيولَ مزعفرٍ . وتجرُّ إنْ راحتْ ذُيولَ ممشق
فشربتها عذراءَ من يدِ مثلها تحكى الصباحَ مع الصباح المشرق

وقال ابن طباطبا :

وشمس تجلت في رداءٍ معصفر كأسماء إذ مدت عليها إزارها

وقال ابن المعتز فيها عند غروبها :

حتى علا الطود ذيل من أصائله كما يصفر فودى رأسه الحرف

وقال أبو نواس :

قد اغتدى والشمسُ في حجابها مثل الكعابِ الخودِ في نقابها

وقال ابن الرومى وهو من المشهور :

---

(١) ستأتى هذه الأبيات قريباً في أوائل الجزء الثاني .

كأنّ خبوّ[١] الشمس ثم غُروبها وقد جعلتْ في مجنح الليل تمرض
تخاوص عين بين أجفانها الكرى يرنقُ[٢] فيها النوم ثم تغمض

ومن جيد ماقيل في احمرارها عند المغيب قول ابن الحاجب :

وكأنها عندَ الغرو بِ جُفونُ عينِ الارمد

وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

إذا رَنّقت[٣] شمسُ الأصيل ونفضت على الأفقِ الغربيّ ورساً مذعذعا[٤]
وَودّعتِ الدُّنيا لتقضيَ نَحبها وشوّلَ باقي عمرها وتشعشعا
ولاحظتِ النوار وهي مريضةٌ وقد وضعتْ خدّاً على الأرض أضرعا
كما لاحظت عوادَهُ[٥] عينُ مدنف توجّعَ من أوصابهِ ماتَوَجّعا
وظلت عيون الرّوض[٦] تخضل بالندى كما اغرَوْرَقَتْ عينُ الشجيّ لتدمعا
وبَيّن إغضاء الفراقِ عليهما كأنهما خِلاّ صفاءٍ تودّعا

وقال الآخر :

والشمسُ تُؤذنُ بالشروقِ كأنها خَوْدٌ تلاحظُ من وراءِ حجابِ

وقال السرى :

ومن قصور عليه مُشرفة[٧] تضيءُ والليلُ أسودُ الحجبِ
بيضٌ إذا الشمسُ حانَ مغربها حسبت أطرافهنّ من ذهب

---

(١) كذا في ديوان ابن الرومى المخطوط ، وفي الأصل « جثو » .

(٢) كذافي ديوان ابن الرومى المخطوط ، وفى الأصل (يرفق) .

(٣) كذا فى ديوان ابن الرومى المخطوط ، وفي الأصل « إذا أرفقت » .

(٤) الورس : نبات كالسمسم ، ومذعذعا : متفرقاً .

(٥) في الأصل « عوادها » .

(٦) فى ديوان ابن الرومي « عيون النور » .

(٧) كذا فى ديوان السرى ، وفى الأصل « على مشرفة » .

ومن بديع ماقيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب :

سبقت إذا ما الشمسُ عادت[1] كأنها صلاءَة طِيبٍ ليطها واصفرارُها

ومن جيد ماقيل فى النهار قول أعرابى :

فاذا أشرَقَ النهارُ تراها راملات فى مثل ماء زلال

وقلت : ويخبطنَ الصباح إذا تبدى كما يكرعنَ في الماء الزّلال

وقلت : وعلى الصباح غلالةٌ فضيةٌ فيها طرازٌ من خيالك مُذْهَب

آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين .

(انتهى الجزء الأول)

(إستدراكات وتصويبات)

الصفحة	السطر	
٥٨	١٦	هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه .
٦٠	١٩	يقول كان المأمون يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول انقضى الشعر مع ملك بنى أمية ، وكان عمى الفضل بن سهل يقول الاوائل
٦٣	١٦	وقال غيره
١٥٩	١١	علمت بأن الناب ليست رزية
١٩٨	١٣	من صخر تدمر أو من وجه عثمان

---

(١) فى ديوان أبى ذؤيب « آضت » .

﴿ فهرس الجزء الأول من ديوان المعانى ﴾

الصفحة

﴿ استدراكات وتصويبات ﴾

الصفحة	السطر	
٢٠٣	٢٠	نصب اسمعيل بن نوبخت طارمة فى صحن
٢٠٤	١٩	ومما قيل فى قبح الخلقة وغير ذلك
٢١٥	٤	لا تخدعنه بأثواب مصبغة
٢٣٧	١٠	وغدا فنم عليه عند رقيبه
٢٤١	١١	كأن على أنيابها الخمر شجها
٢٤٩	١	وعانقت حلق من صدغه حلقا
٢٦٥	٩	لو كانت الأشياء تعرفه أجلله اجلال باريها لو تستطيع الأرض لاجتمعت حتى يكون جميعه فيها
٢٧١	٢٣	أسر اذا بليت وذاب جسمى
٢٧٦	١٥	ان الذى يعشق من لا يرى كميت من شدة الغلمة
٢٩٣	٧	يقشر جلداً منه كالنضار
٣٠٠	٦	ظلت تبكى شجو ماأبصرت من أمرنا وهى به عالمه
٣١٤	٧	هذا الشعر للمخبل اليشكرى لا للاخطل
٣١٥	١٣	انها عندى وأحلام الكرى
٣١٩	٥	كما أنك تابع وأنا قرين فغلبه
٣٢٣	٢٢	أكرم ذخر ذخرتــه كرمة فى عنبه
٣٢٤	١١	فأنت تنف الهم عنا

﴿إختلافات نسخة المتحفة البريطانية وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الاول﴾
وأكثرها من استدراك المستشرق الأستاذ الدكتور كرنكو

الصفحة	السطر	
١١	١	تقول لي.. هاجعة
١١	٥	أبو عروة المدني
١١	٨	نصري
١١	١٥	الثرة الصفي
١١	١٨	السوءلا
١٢	١	لعيس
١٢	٣	وأتمززها
١٢	١٦	كالسيوف أوجههم
١٢	١٩	اللحاء
١٨	١٠	السبك
١٨	١٤	خضرا
٢٠	١٢	حول سريره
٢٠	١٧	أغر أروع
٢٠	١٨	فانك كالليل
٢١	٢	كي أدركته مقادره
٢١	٥	مبثوثاً
٢١	٨	لا عار
٢١	١٠	فيه عار
٢١	١١	سرار
٢٢	١	من أخذ
٢٣	٢	ترنو
٢٣	٧	إلى بابه
٢٥	١٥	أبق.. الصم
٢٦	٢	بن فاتك
٢٧	٧	أبو أحمد
٢٧	١٧	محرد
٢٧	١٨	للممدوح
٢٨، ٦٨	: ١٠، ٧	ابن دواد
٣٠	٤	الفيض
٣١	١٠	أحسن جحظة
٣٢	١٢	بغضبتها
٣٣	٥	ليسقط عنه
٣٣	٧	عند إتيان
٣٣	١٣	الماطرة
٣٣	١٤	ومنا التاء
٣٤	١٦	قسطل
٣٥	٧	وأنت مليح
٣٥	١٦	ذمارها
٣٨	٥	وفوا
٤٠	١٤	دماذ
٤٠	١٦	ضيف.. الخفرات
٤١	١٢	أبي عكرمة
٤٤	٩	بخفان
٤٤	١٩، ٢٠	ثامل
٤٧	٥	وبصدره
٤٧	٨	الكوماء.. تنحرى
٥٧	٣	من الشجاعة
٥٨	١٣	غر الرداء
٦٠	٢١	وأحسن منه ما
٦٠	١٩	تفريعاً إلى أن
٦١	١١	مركوز
٦٣	٢٠	يافيض
٦٥	٣	ابن حري
٦٥	٢٢	هفان.. ثوابة
٦٦	٤	أبو الغراف
٦٦	٩	أثلمته حوامله
٦٦	١١	فيوم تحوط
٦٦	١١	ماتغب نوافله
٦٨	٥	دوارج
٦٨	١٩	كما دعيت
٧١	١٥	أو أزرهم
٧٢	١٢	أكفاؤه
٧٤	٢	الخريمي
٧٨	١٧	المتألي الشاعرون
٧٩	١٠	أمون.. لحاءها
٨١	١٦	الجحاف
٨٢	٧	أخرانا
٨٥	١٧	الحماني
٨٥	٢١	فقري غني
٨٦	٣	ولا يحال
٨٦	٥	نبوه
٨٧	١٨	جبينه
٨٧	٢٠	بالأفول
٨٧	٢٠	على الوقود
٨٨	١	واعتددت
٨٨	١١	إلى الكوم
٨٩	٦	أشوى
٨٩	١٠	أو القنان
٩٠	١١	العاصمون
٩٠	١١	العارمون
٩٠	١٨	ومنى
٩١	١٤	الفصل الثالث
٩٢	٥	شيبا بماء فعادا
٩٢	١٠	تنشر أعياداً
٩٢	١٣	راعيه
٩٢	٢٠	كهذا
٩٣	١٥	بلبل
٩٤	١٢	أبي هفان
٩٥	١٧	يهدى للجليل
٩٦	١٦	عنان الفكر
٩٦	١٧	بيديه نارها
٩٦	٢٢	إلى من وليه

٩٧	١٥	اقتفروا
١٠٠	١	ولشأوه
١٠٠	١٧	تجلى لك
١٠٢	٦	من مواليه
١٠٢	٢٠	ويلقيك ثواب
١٠٦	٥	إنك
١٠٦	٢٢	بلبال
١٠٩	١٠	آلف
١١٠	٣	يواكب
١١٠	٩	تقذيتها
١١١	١	مجدلا
١١١	٢	بما لم
١١١	٣	أغشى
١١١	٧	أخم
١١١	٢٠	ماذلك
١١٢	١٣	الصقعب النهدى
١١٢	٢١	قدجبت جلبابه
١١٣	٦	رفيقة
١١٤	١٨	بلغاء
١١٥	١٠	بجر
١١٨	٦	عبيدبن الأبرص
١٢٢	٥	وأنى غير
١٢٢	١٨	دجاجة
١٢٣	٨	ابن ميادة
١٢٦	٥	عنى الحساب
١٢٨	٢٢	أنعمة الله
١٣١	٩	المشقر
١٣١	١٣	راوية .. ا بن
١٣٢	٣	تتعتب
١٣٢	٤	تجنب
١٣٣	٦	حلحلة
١٣٣	٧	بوانى
١٣٦	٧	قول عمارة
١٥١	١٥	التضافر
١٥٣	٣	ويهدم صالحى

١٥٣	٤	أن يحل به
١٥٣	٦	وبادّرت منه
١٥٥	١٦	زفر
١٥٨	١٢	راضى سنة
١٥٩	١٠	بجنب الستار
١٧٠	١٧	بطائشة الصدور
١٧٣	١١	دوبل .. دوبل
١٧٥	٢٢	يزقق
١٧٦	٢	جذمة
١٧٦	٧	تغلب
١٨١	١٦	به الدعى
١٩٨	٣	تكن لتكون
١٩٨	١٠	أمين
٢٠٦	٢	الدار يطوف
٢١٣	١٥	غادرا الرفض
٢١٣	١٨	وقعتما للحين
٢١٣	١٩	زوراذوى السنة
٢٣٣	١١	فنزيد فيها
٢٣٣	١٦	أملود
٢٣٣	١٧	سب. وطاق
٢٣٤	١٩	ياسلمى
٢٣٧	٨	فيها يدرها
٢٥٣	١٤	النمرى
٢٥٥	١٣	يذاب بعينى
٢٥٦	٤	فأسبلت
١٧	٥	غضبةً
٤٢	١	تكدرِ عيشة
٧٦	١٤	خَبث
٩٢	٥	قمبانِ
١٢٥	١٥	بَخترى
٢٤٩	٤	شاربِ
٤٩	٥	آراؤهم

٤٩	٩	شيمت
٥٠	٦	وما ظلم
٥٣	٧	ويمرع
٥٤	١٠	وتدولا. وعتودا
٥٥	٧	مد العلاء
٥٦	١٦ ، ٢٠	خدى
١٤٥	٧	مذهبه
١٤٩	١٨	عليم بن جناب
١٥٠	٢٠	سعيدبن مسلم
١٩٦	٧	بذى شكر
١٩٦	٨	نحوى جميعة
١٩٦	١٩	فى التطير
١٩٩	١١	وأدغمت أباً
١٩٩	١٥	ثلثنى عنك
٢٠١	٦	فيه مذزمان
٢٠١	٧	ظهارة سوء
٢٠١	١٧	كما تزيد
٢٠٢	١١	بسلب الصفات
٢٠٢	١٥	عن الأشنانداني
٢٠٢	١٨	كالذبخ
٢٠٣	١٩	ابن مهرويه
٢٠٦	٢٠	ونثنى حتى
٢٠٨	٢	كسير الجناح
٢٠٨	٣	خامد المصباح
٢١٠	٦	وسماد لحية
٢١٢	٣	بهمن دمامته
٢١٣	١	أظهر فيه
٢١٤	٨	غادية
٢١٥	١٧	ولا تأتينى
٢١٦	٧	في بيتى
٢٢٠	١٨	وللقارف ذنباً
٢٢١	٢	أرى الراغب إلى
٢٢١	٤	الهيبة الخيبة

٢٢٥	١٥	دمع احدره
٢٢٦	١٣	عند خود
٢٢٨	٨	ونبئتهاقالت
٢٢٨	٢٢	الحسن بسطة
٢٢٩	٤	بيضاء كالفضة
٢٣١	٤	قاسني بالبدرقد
٢٣٢	١٥	حسنه .. حفلت
٢٣٧	٦	عين تفل
٢٤٠	١٣	يحتثها أحور
٢٤١	١	مشرب عذب
٢٤٢	١٤	بدلها
٢٤٤	٤	وأنثنى
٢٤٤	١٤	زق أمات
٢٤٤	١٦	فأفضيت
٢٤٥	١٩	قلقت وشحه
٢٤٦	٨	تغضبن..أنتعلت
٢٤٧	٧	طرة .. طرة
٢٤٧	١٤	أوبالمنى
٢٤٨	٢٢	قرنوا
٢٤٩	١	أو كالجيم
٢٥٠	١٦	وما سلمى
٢٥٠	١٨	وصف الساق
٢٥١	٣	نقطن أذقانا
٢٥١	١٣	القوام والترنح
٢٥٢	١٠	الإمشاشة
٢٥٢	٢١	يخرق
٢٥٤	٢١	خلس
٢٥٥	٤	أطراف خرمة
٢٥٦	٦	كما سقى
٢٥٦	٢١	السيف الصقيل
٢٥٧	١٢	فاض من
٢٥٨	١٥	كوم المطايا
٢٥٩	٦	من طيبها
٢٥٩	١١	يغيم كل
٢٦٣	٨	الهوامي الهوامع
٢٦٣	٢٠	قوم موسى
٢٦٤	٨	كنت في
٢٦٤	١٤	الحسن عليه
٢٦٤	١٧	معاً فلم
٢٦٥	٢	أظرفه
٢٦٥	٢٣	لشدما
٢٦٦	٨	الوصل شافيا
٢٦٦	١٠	وأرحم
٢٦٦	١٤	لم يك
٢٦٩	١٨	في الشمس
٢٧١	٥	فغافصاه
٢٧١	١١	ياجنان
٢٧٢	١٠	يعش .. المنون
٢٧٢	٢٠	اقتياد..صاحبه
٢٧٣	١	بي يستن
٢٧٦	١٠	سفعة
٢٧٧	١٠	يشفي الجوى
٢٧٧	١٣	زف..لحياني
٢٧٧	١٨	معان جياد
٢٧٧	٢٠	ولا طارقاً
٢٧٨	١٥	ونحن مفترقان
٢٨١	٥	ليلة القرر
٢٨١	١١	حجاماً
٢٨٣	١٢	من نزوح
٢٨٤	٢	فنبئهن
٢٨٥	٨	تنفض
٢٨٩	١٩	وجوائم سفع
٢٩٠	٣	موقوفه بين
٢٩٠	٢١	تصبغ بالدماء
٢٩٣	٥	في جوذابة
٢٩٦	١١	أرج العطر
٢٩٦	١٥	من المن
٢٩٦	٤	في السقى
٢٩٨	١١	أتغرف من
٢٩٨	١٦	المعتدة
٣٠٠	٣	الكيسة الحازمة
٣٠٠	٧	صادفت منا
٣٠٠	١٩	وقد تردى
٣٠١	١٠	موشى تخال
٣٠٢	١٧	ثغر .. الواضح
٣٠٤	١٠	فدون السمن
٣٠٤	١١	طيف سلمى
٣٠٤	١٤	منسر الباز
٣٠٨	١١	سباها التجر
٣١٠	١	أرى نجمين
٣١٠	٥	ووجنة
٣١٠	١٣	ذهن لطيف
٣١٢	١٨	وقد حجب
٣١٥	٣	الله ان
٣١٥	٦	لهوا الى
٣١٥	١٧	ليأتي ما
٣١٨	٢	فأزرى
٣١٨	١١	راضعت
٣١٩	١٣	على الأجسام
٣٢٠	٢	ذكر مزاج
٣٢٥	٥	يميل
٣٢٦	١٨	والأرض به
٣٢٧	١٥	ابن سريج
٣٢٧	١٨	عمل زلزل
٣٢٧	٢١	في جس
٣٢٨	٤	أحرفه
٣٢٩	٤	كما يتداوى
٣٢٩	١٩	دكن الظواهر
٣٢٩	٢٠	في تباين

٣٣٠	١٠	أدافعهن بالكفين	٣٣٩	٢٠	كأنه غرض	٣٥٣	١٦	القصافى
٣٣١	٩	مزرور	٣٤١	١٣	والعيد زين	٣٥٦	٩	الأشمط ..سمل
٣٣١	١٤	ساحرة	٣٤٢	٣	اللذاذة	٣٥٧	٧	المقوض ستره
٣٣٣	١٦	كما ترنو	٣٤٣	١	قول مضرس	٣٥٧	١٠	يدعه بطرفى
٣٣٤	١	وأنقابا	٣٤٨	١٦	مذ بانوا	٣٥٧	١١	دع الوصى
٣٣٥	٩	دنو الدلو	٣٥١	١٧	نعمنا به	٣٥٩	٥	قيل فى الشمس
٣٣٥	١٩	ترنو من براقع	٣٥١	١٨	ليس يرده	٣٦٠	٩	هى رنقت
٣٣٩	١٧	من فتوق	٣٥٢	١١	بجو سويقة	٣٦٠	٩	تبرأ يذوب

ومن بديع ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب فشفت إذا ما الشمس عادت كأنها
ملاءة [illegible] لطيها واصفرارها ومن جيد ما قيل في الهلال [illegible] فإذا أشرقت [illegible]
[illegible] وقلت ونحن [illegible] الصباح إذا انثنى [illegible] الزلال
وقلت [illegible] على الصباح علالة فضية [illegible] من الذهب

آخر الباب السادس والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمه [illegible] وأياديه الخاصة والعامة في إنشاء السحاب الثقال وإجراء العذب الزلال وتحيي البارد السلسال ليغتذي به النجم والشجر ويربو الحب والثمر رحمة للأنام ونظرا للأنعام فله الحمد أولا وآخرا والصلاة على نبيه الذي أرسله بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وعلى آله الطاهرين وصحابته المنتجبين فقد رأيت العلماء في كل زمان يجتهدون في تقريب الحكمة وتسهيل سبلها وشرح مشكلها والإيضاح عن أبوابها [illegible] ليخف محملها ويقرب متناولها فيرغب فيها كل أحد ويأخذ منها بنصيب [illegible] وكنت جعلت كتابي الموسوم بديوان المعاني مشتملا على [illegible] ورأيت بعض الناس يستكثر حجمه ويستثقل نسخه فجعلت كل باب منه كتابا بمفرده [illegible] ويسهل نسخه [illegible] ويكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق

هذا كتاب المبالغة

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم وما يجري مع ذلك وهو الباب السابع من كتاب ديوان المعاني وفيه ثلاث فصول

الفصل الأول في صفة السحاب

والمطر والبرق والرعد والثلج والضريب أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال [illegible] أجود ما قال الشعراء في المطر شعرا قول امرئ القيس
ديمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحرى وتدر
قوله طبق الأرض غاية في وصف عموم السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة الطبق على الإناء [illegible] أخذ هذا [illegible] فأجاده [illegible] الرومي حيث يقول
سحائب قيست بالبلاد فألفيت عطاء على أغوارها ونجودها
حدتها النعامى مثقلات فأقبلت تهادى [illegible] كأن [illegible] قوله سيرها [illegible]

(وهذه صورة صفحة من نسخة الخزانة البريطانية)

دِيوَانُ المعَانِي

لِلإمَامِ اللُّغوِىّ الأَدِيبِ أَبِى هِلال العَسْكرِىّ

الجزء الثانى

عن نسخة الامامين العظيمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطى
مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطانى

عنيت بنشره

مكتبة القدسي

لصاحبها حسام الدين القدسي

القاهرة ـ باب الخلق ـ حارة الجداوى ١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمه التامة وأياديه الخاصة والعامة فى إنشاء السحاب الثقال وإجراء العذب الزلال وتفجير البارد السلسال ليغذو به النجم والشجر ويرب الحب والثمر رحمة للأنام ونظراً للانعام فله الحمد أولاً وآخراً. والصلاة على نبيه محمد الذى أرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً وعلى آله المختارين وعترته المنتجبين.

وقد رأينا الحكماء في كل زمان يجتهدون في تقريب الحكمة وتسهيل سبلها وشرح مشكلها وإيضاح أبوابها وإدناء أسبابها ليخف محملها ويقرب متناولها ويرغب فيها كل أحد ويأخذ منها بنصيب ويغترف منها بذنوب.

وكنت جعلت كتابى الموسوم بديوان المعانى مشتملاً على اثنى عشر باباً يتضمنها خمسمائة ورقة فرأيت بعض الناس يستكبر حجمه ويستثقل نسخه فجعلت كل باب منها كتاباً ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليقرب أمره ويسهل نسخه ولتسرع الرغبة اليه فيكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق.

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض
والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب السابع من كتاب ديوان المعانى وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

فى صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والثلج والضريب

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعي قال قال أبو عمرو لذى الرمة أى قول الشعراء فى المطر أشعر ؟ قال قول امرىء القيس :

دِيمَةٌ هطلاءُ فيها وَطَفٌ ... طَبقَ الأرض تحرَّى وتَدُرّ

قوله طبق الأرض غاية فى صفة عموم السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة الطبق على الاناء . ولا أعرف أحداً أخذه فأجاده كاجادة ابن الرومي حيث يقول :

سحائبُ قيستْ بالبلادِ فألقيتْ ... غِطاءً على أغوارِها ونجودِها
هدتها النُّعامَى مُثقلاتٍ فأقبلتْ ... تهادَى رُويداً سيرُها كركودِها

قوله سيرها كركودها غاية في وصف ثقلها وثقلها من كثرة مائها .

والبيت البليغ المشار اليه من أبيات امرىء القيس قوله :

وترى الشجراءَ في رَيِّقه ... كرؤوس قُطِّعت فيها الخُمُر

الشجراء الأرض ذات الشجر وإذا غرقت الشجر من ريقه حتى لا يبين منها إلا فروعها فكيف يكون فى شدته ، وريق المطر أوله وأخفه ، وشبه رؤوس الشجر خارجة من الماء برؤوس قطعت عليها عمائم ، والخمار ههنا العمامة .

وقالوا أجود ما قيل فى المطر قوله :

كأنّ أبانا في أفانين وبلهِ كبيرُ رجالٍ في بجادٍ مُزمّلِ[١]

يقول كأن أبانا ـ وهو جبل ـ من التفاف قطره وتكاثفه في الهواء شيخ في كساء، وخفض مزمل على الجواب وهو نعت كبير كما تقول جحر ضبٍ خربٍ .

وقالوا أجود ما قيل فيه قول أبي ذؤيب :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيج

وهذا مع جودة معناه فصيح جداً . أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال الأصمعي قلت لأبي عمرو ما أحسن ما قيل في المطر فقال قول القائل[٢] :

دانٍ مسفٍ فُوَيْقَ الأرضِ هيدَبُهُ يكادُ يدفعُهُ من قامَ بالراح

فمن بنجوته كمن بمحفوته والمستكن كمن يمشي بقرواح[٣]

يقول قد عم هذا السحاب فاستوى في شيم برقه وأصاب مطره المنجد والغائر والمستكن والمصحر ، قرب من الأرض لثقله بالماء حتى يكاد يدفعه القائم براحته وهذا غاية الوصف .

ومن أبلغ ما جاء في ذلك من نثر الأعراب ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعي قال سألت أعرابيا من عامر بن صعصعة عن مطرٍ أصاب بلادهم فقال نشأ عارضاً فطلع ناهضاً ثم ابتسم وامضاً فاعترض الأمطار فأعشاها وامتد في الآفاق فغطاها ثم ارتجز فهمهم ثم دوى فأظلم فأرك[٤] ودث وبغش ثم قطقط فأفرط ثم ديم فأغمط ثم ركد فأجثم ثم

---

(١) في ديوان امرىء القيس «ودقه» مكان «وبله» و «أناس» مكان (رجال) .

(٢) قيل هو أوس بن حجر وقيل عبيد بن الأبرص ، وقبل البيت :

يا مَن لبرق أبيت الليل أرقبه في عارض كمضيء الصبح لماح

(٣) القرواح الأرض الواسعة التي لا نبات فيها ، ومطلع القصيدة :

ودع لميس وداع الصارم اللاحي إذ فنكت في فساد بعد اصلاح

(٤) أرك أتى بمطر ركيك أي قليل .

وبل فسح وجاد فأنعم فقمس الربى وأفرط الزبى سبعاً تباعا لايريد انقشاعا حتى ارتوت الحزون وتضحضحت المتون ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من حيث شاء . الدث والبغش المطر الخفيف، والقطقط المطر الصغار ، وقوله أنعم أى بالغ من قولهم دقه دقاً ناعماً ، وقمس أى غوص ، وأفرط ملأ . والزبى جمع زبية وهى حفرة تحفر للأسد ويجعل فيها طعم فيجيء حتى يقع فيها ولا تحفر إلا فى مكان عال فاذا بلغها السيل فهو الغاية ،وفى المثل « بلغ السيل الزبى » والمتن صلابة من الأرض فيها ارتفاع ، وتضحضح أى صار عليه ضحضاح وهو الماء يجرى على وجه الأرض رقيقاً .

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن ابن أبي طاهر عن ابن الاعرابى لأعرابية :

فبينا نرمِّقُ أحشاءَنا ... أضاءَ لنا عارضٌ فاستنارا
فأقبل يزحفُ زَحْفَ الكسير ... سياقَ الرعاءِ البطاءِ العشارا
تغنى وتضحك حافاتهُ ... امامَ الجنوبِ وتبكى مرارا
كأنا تضيء لنا حُرة ... تشدُّ إزاراً وتلقى إزارا
فلما حسبنا بأن لا نجاءَ ... وأن لا يكون فرار فرارا
أشارَ له آمرٌ فَوْقَهُ ... هَلمَّ فأمَّ إلى ما أشارا

وأنشدنا لغيرها :

تبسمتِ الريحُ ريحُ الجنوبِ ... فهاجتْ هوًى غالياً وادِّكارا
وساقتْ سحاباً كمثلِ الجبالِ ... إذا البرقُ أومضَ فيه أنارا
اذا الرعد جلجلَ في جانبيهِ ... فروَّى النباتَ وأروى الصحارى
تطالعنا الشمسُ من دُونهِ ... طلاعَ فتاةٍ تخافُ اشتهارا
تخاف الرقيبَ على سِرِّها ... وتحذرُ من زوجها أن يغارا
فتسترُ غُرتها بالخمار ... طِوراً وطِوراً تزيلُ الخمارا

وقد مرت هذه الأبيات الثلاثة قبل :

فلما مراها هبوبُ الجنوبِ وانهمرَ الماءُ منهُ انهمارا
تبسمتِ الأرضُ لما بكت عليها السماءُ دُموعاً غزارا
فكان نواجذها الاقحوان وكان الضواحك منها البهارا

وقال ابن مطير وهو أجود ما قيل فى سحاب :

مستضحكٌ بلوامعٍ مستعبرٌ بدوامعٍ لم تمرها الأقذاء
فله بلا حزنٍ ولا بمسرةٍ ضحكٌ يؤلفُ بينهُ وبكاء
ثقلت كلاهُ وأنهرتْ(١) أصلابهُ وتبعجت(٢) من مائه الاحشاء
غدق ينتج بالاباطح فرّقا تلدُ السيولَ وما لها اسلاء (٣)
وكأنَّ ريقهُ ولما يحتفل وَدْقُ السحابِ عجاجة كدراء
غرٌ محجلةٌ روائحُ ضمنت حفلَ اللقاءِ وكلها عذراء
سحمٌ فهنَّ إذا كظمنَ فواحمٌ وإذا ضحكنَ فانهنَّ وضاء (٤)
لو كانَ من لجج السواحلِ ماؤهُ لم يبقَ من لجج السواحلِ ماء

ومن هذا البيت أخذ المتكلمون الحجة على الفلاسفة فى قول الفلاسفة المطر انما هو البخارات ترتفع من البحر ، قالوا لهم لو كان الأمر كذلك لكان ماء البحر ينقص عند كثرة الأمطار فقالت لا يلزم ذلك لأن البحر مغيض لمياه الأرض فصير ما يتحلب من الثلوج اليه ومنه مواد هذه الأشياء فمثله مثل المنجنون يغرف من بحر ثم يصب فيه فليس له نقصان والذى ينقض هذا ان ماء البحر يزيد عند كثرة الأمطار وينقص عند قلتها والعادة فى ذلك معروفة ولو كان الأمر على مايقولون لكان ماء البحر ينقص على مرور الأوقات لامحالة لأن الشمس

(١) من أنهر العرق لم يرقأ دمه. (٢) تبعج السحاب تبعجاً وهو إنفراجه فى الودق . (٣) ينتج أى يولد ، وفرقت الناقة أخذها المخاض فندت فى الارض فهى فارق ج فوارق وتشبه بها السحابة المنفردة عن السحاب . والاسلاء جمع سلى وهي الجلدة فيها الولد من الناس والمواشي (٤) وضاء جمع وضيئة .

والهواء لا شك تأخذ ممـا يتفرق عنه فى الأرض بزعمهم ، والـكلام فيه يتسع وإنمـا أشرت الى موضع الدلالة على فساد قولهم .

وقال النظار الفقعسى :

ياصاحبيَّ أعينـانى بطرفـكما أنى تشيمان[١] بَرْقَ العارضِ السارى
أبصرتهُ حينَ غابَ النجمُ وانسفرت عنـا غفائرُ [٢] من دجن وأمطار
فباتَ ينهضُ بالوادى وجَلهتهِ [٣] نهضَ الكسيرِ بذِىأوْنَيْن جرّار[٤]
حيرانَ سكرانَ يغشى كلَّ رابيةٍ من الروابى بأرجافٍ وأضرار
مفرّقٌ لدِماتِ الأرضِ منهمرٌ رعابُ أفئـدةٍ شعالُ أبصـار
كأنَّ بُلْقاً عِراباً تحت رَيِّقـه عوداً تَذُبُ برمح عنـدَ امهار

وشبه البرق برمح الابلق ، وهو من قول أوس بن حجر :

كأنَّ ريقهُ لمـا عَلا شـطِبا [٥] أقراب أبلق ينفى الخيلَ رماح

ومن أبلغ ماقيل فى ذلك قول الاعرابية التى سألها ذوالرمة عن الغيث فقالت : غثنا [٦] ماشئنا . فـكان ذوالرمة يقول قاتلها الله ماأفصحها . وترك ذو الرمة هذا المذهب على إعجابه به واختياره له وقال :

ألا يااسلمى يادارَ مَىٍّ على البلى ولازالَ مُنهلاً بجرعائكِ القطرُ

فقيل له هـذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لهـا لأن القطر إذا دامت فيها فسدت . والجيد قول طَرَفَة :

فسقى بلادَكِ غيرَ مُفسِدِها صوبُ الربيعِ ودِيمةٌ تهمى

وقال اعرابي : أصابتنا سحابة وانا لبنوطة بعيدة الارجاء فاهرمع مطرها حتى رأيتنا ومارأينا غير السماء والمـاء وصهوات الطلح فضرب السـيل النجاف وملأ

---

(١) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر .
(٢) الغفائر جمع غفارة مايوضع على الرأس نحو العمامة . (٣) الجلهة : الجانب .
(٤) الاونان : جانبا الخرج . (٥) اسم جبل . (٦) أى أصابتنا الغيث ،

الأودية فرعبها فما لبثنا إلا عشراً حتى رأيتها روضة تندى . قوله مارأيت غير السماء والماء وصهوات الطلح غاية في صفة كثرة المطر . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال خرج النعمان بن المنذر في بعض أيامه في عقب مطر فلقي أعرابياً فأمر باحضاره فأتى به فقال كيف تركت الأرض وراءك ؟ قال فيح رحاب منها السهولة ومنها الصعاب منوطة بجبالها حاملة أثقالها. قال انيا عن السماء سألتك قال مطلة مستقلة على غير سقاب[1] ولا أطناب يختلف عصراها ويتعاقب سراجاها ، قال ليس عن هذا أسألك قال فسل عما بدالك قال هل أصاب الأرض غيث يوصف قال نعم أغمطت[2] السماء في أرضنا ثلاثاً رهواً فثرت وأرزغت[3] ورسغت ثم خرجت من أرض قومي أقروها[4] متواصية[5] لاخطيطة[6] منها حتى هبطت تعشار فتداعى السحاب من الأقطار فجاء السيل الجرار فعفا الآثار وملأ الجفار وقوب الاشجار وأجحر الحُضار ومنع السفار ثم أقلع عن نفع واضرار فلما اتلأبت في الغيطان ووضحت السبل في القيعان تطلعت رقاب العنان من أقطار الاعنان فلم أجد وزراً إلا الغيران فقات وجار الضب فعادت السهول كالبحار تتلاطم بالتيار والحزون متلفعة بالغثاء والوحوش مقذوفة على الارجاء فمازلت أطأ السماء وأخوض الماء حتى أطلعت أرضكم اهـ . أغمطت السماء دام مطرها ، رهواً سا كناً ، ثرت تركته ثرية[7] ، أرزغت تركت الأرض في رزغة والرزغة والردغة الطين اذا غطي القدم ، رسغت بلغت الرسغ ، متواصية متصلة ، الخطيطة والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين أرضين ممطورتين . وتعشار موضع ، والعنان السحاب والاعنان نواحي الشخب فقأت من القي وجار الضب وهو عندهم غاية

---

(١) أي أعمدة . (٢) أي دامت . (٣) أرزغ المطر الأرض : بلها ولم تسل . (٤) أي أتتبعها قرية قرية . (٥) أي متصلة .

(٦) الخطيطة الأرض غير المطورة بين أرضين ممطورتين أوالتي مطر بعضها .

(٧) أي ترابا مبلولا .

مايوصف به المطر وهو عنـدهم الذى يجر الضب من وجارها فيخرجها من كثرة سيله . وقوله والحزون متلفعة بالغثاء يقول بلغ الماء رؤوس الحزون ثم نضب عنها فبقى الغثاء فى موضعه .

ومن الوصف الجيد التام فى تـكاثف المطر قول بعضهم : وقع مطر صغار وقطر كبار وكأن الصغار لحمة للـكبار ، جعل الهواء كالثوب المنسوج من كثرة المطر وتـكاثفه . ومن أجود ماقاله محدث في وصف السحاب والقطر والرعد والبرق ما أنشدناه أبو أحمد عن نفطويه للعتابى :

أرقتُ للبرقِ يخفو ثُمَّ يأتلقُ ... يخفيهِ طوراً ويُبديهِ لنا الافُقُ
كأنه غُـرةٌ شهباء لائحةٌ ... فى وجهِ دَهماءَ مافى جلدِها بلقُ
أوثغرُ زنجية تفترُّ ضاحكةً ... تبدو مشافرُها طوراً وتنطبقُ
أوسلةُ البيض[1] في جأواءَ مظلمة ... وقد تلقت ظباها البيضُ والدرق
والغيمُ كالثوبِ فى الآفاق منتشر ... من فوقهِ طبق من تحته طبق
تظنه مصمتاً لافتقَ فيه فان ... سالت عواليهِ قلتَ الثوب منفتق
ان مَعمعَ الرعدُ فيهِ قلتَ ينخرق ... أولاً لاْ البرق فيهِ قلتَ يحترق
تستكُّ من رعده أذنُ السميع كما ... تعشَى إذانظرْت من برقه الحدق
فالرعدصهصلقٌ[2] والريح منخرق ... والبرق مؤتلقٌ والماء منبعقُ
قد حالَ فوقَ الرُّبى نَورٌ له أرجٌ ... كأنهُ الوشىُ والديباجُ والسَّرَق
من صفرةٍ بينها حمراء قانية ... وأصفرٌ فاقعٌ أو أبيضٌ يَقق

فاستحسنت هذه الطريقة فقلت :

برقٌ يطرز ثوبَ الليل مؤتلق ... والماء من نارهِ يهمى فينبعق
توقدت فى أديم الارضِ حمرتهُ ... كأنها غرةٌ فِى الطرفِ أو بلق
ماامتدَّ منها على أرجائه ذهبٌ ... إلا تحـدر من حافاته ورِق

---

(١) السيوف . (٢) الصَّهْصَلِقُ من الأصوات : الشديد .

كأنها فى جبين المزن إذ لمعت ... سلاسل التبر لايبدو لها حلق
فالرعد مرتجس والبرق مختلس ... والغيث منبجس والسيل مندفق
والضال فيما طما من مائه غرق ... والجزع فيما جرى من سيله شرق
والغيم خز وأنهاء (١) اللوى زرد ... والروض وشى وأنوار الربى سرق
والروض يزهوه عشب أخضر نضر ... والعشب يجاوه نور أبيض يقق

ومما ورد فى المياه (٢) :

من سيول يمجها الواديان ... وثلوج يذيبها العصران
ذو استواء إذا جرى والتواء ... هل تأملت مزحف الأفعوان
فهو حيث استدار وقف لجين ... وهو حيث استطار سيف يمان

وقال ابن المعتز :

لا مثل منزلة الدويرة منزل ... يادار جادك وابل وسقاك
بؤساً لدهر غيرتك صروفه ... لم يمح من قلبي الهوى ومحاك
لم يحل بالعينين بعدك منظر ... ذم المنازل كلهن سواك
أى المعاهد منك أندب طيبة ... ممساك ذا الآصال أو مغداك
أم برد ظلك ذى الغصون وذى الحيا ... أم أرضك الميثاء (٣) أم رياك
وكأنما سطعت مجامر عنبر ... أو فت فأر المسك فوق ثراك
وكأنما حصباء أرضك جوهر ... وكأن ماء الورد دمع نداك
وكأن دوحاً مفرغاً من فضة ... ماء الغدير جرت عليه صباك

وهذه الأبيات أحسن أبيات قيلت في صفة دار . وقلت :

شققن بنا تيار بحر كأنه ... إذا ماجرت فيه السفين يعربد
ترى مستقر الماء منه كأنه ... سبيب على الأرض الفضاء ممدد

(١) جمع نهى وهو منتهى الرمل الذى يسكن إليه الماء .
(٢) هنا بياض فى النسخ . (٣) الأرض الميثاء : السهلة.

ويجرى إذا الأرواحُ فيه تقابلت كما مالَ من كفِّ النهاميِّ [1] مبرَدُ
فان تسكن الأرواح خلت متونه متونَ الصفاح البيض حينَ تجرد
فطوراً تراهُ وهو سيفٌ مهنـدٌ وطوراً تراهُ وهو دِرْعٌ مسرَّد
نصعدُ فيه وهو زُرق جمامه فنحسبُ أنا في السماء نصعَّد

وقال ابن طباطبا العلوى فى مَدِّ الوادى :

ياحسن وادينا ومـدِّ المـاءِ قد جاءَ بينَ الصيفِ والشتاء
يختالُ فى حُلتـهِ الـكدراءِ أكدرُ يمتـدُّ على غـبراء
في صَخَبٍ عالٍ وفى ضوضاءِ يصافحُ الرياحَ فى الهواء
ترى به تنـاطُحَ الظبـاء جماءَ قد شُدت إلى جَماء
فانظر الى أعجبِ مرأى الرائى من كدرٍ ينجاب عن صفاء
تقشع الغيم عن السماء

وقال السرى في المد وانقطاع الجسر ببغداد :

أحذركم أمواجَ دجلةَ إذ غدت مصندلة بالمدِّ أمواجُ مائها
فظلت صفارُ السفنِ يرقصنَ وسطها كرقص بنات الزنج عند انتشائها
تغرقها هوجُ الرياحِ وتعتلى ربى الموج من قدامها وورائها
فهنَّ كدهم الخيلِ جالت صفوفها وقد بَدَرتها روعةٌ من ورائها
كأن صفوفَ الطيرِ عاذت بأرضها وقد سامها ضَيْماً أسودُ سمائها
أوالشبَحُ المسودُّ حلَّت عقودُهُ على تربةٍ محمرةٍ من فضائها

وقلت : مَرَرْتُ بنهرِ المسْرُقان عشيةً فأبصرتُ أقماراً تروحُ وتغرب
كأنهم دُرٌّ تقطعَ سلكُهُ وغودرَ فَوقَ الماءِ يطفو ويرسب
فكم ثم من خشفٍ [2] على الماء لاعبٍ فيا مَنْ رأى خشفاً على الماء يلعب
كأن السميرياتِ فيه عقاربٌ تجيءُ على زُرقِ الزجاجِ وتذهب

---

(١) النهاميّ بالنون : الحداد . (٢) الخشف مثلثة الخاء : ولد الظبي.

وقال أبو بكر الصنوبرى :

إذا السماء أعنقت منها الى شطّ وشطّ
حسبت أن بطها الا مواجُ والامواجُ بطّ

وقال : وروضة أريضة الأرجاءِ من ذهب الزهر لجين الماء
يجرى على زمردِ الحصباءِ بين استواءٍ منهُ والتواء
كما نفضت جونة الحوّاء

وقال أبو فراس بن حمدان :

أنظر الى الزهر البديع والماءِ فى برك الربيع
وإذا الرياحُ جرت عليـــه فى الذهاب وفي الرجوع
نثرت على بيض الصفا ئح بينها حلق الدُّروع

ومن أوائل ماجاء فى ذكر المـاء المظلل بالأشجار قول لبيد :

فتوسطا عرضَ السماء فصدعا مسجورة متجاوزٌ قُلاَّمها
محفوفةً وسطَ اليراع يظلها منه مُصرَّعٌ غابةٍ وقيامها

وقال بشر بن أبي خازم في البحر :

ونحن على جوانبها قعود نغضُّ الطرفَ كالابلِ القماح
إذا قطعت براكبها خليجاً تذكر مالديه من الجناح

﴿ الفصل الثانى من الباب السابع ﴾

فى ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجرى مع ذلك

أخبرنا أبو أحمد عن رجاله عن أبي عمرو وغيره قالوا أجود ماقيـل فى وصف روضة قول الأعشى :

ماروضة من رياضِ الحزنِ معشبةٌ خضراءُ جادَ عليها مسبلٌ هطِل
يضاحك الشمسَ منها كوكبٌ شرقٌ مؤزرٌ بعميم النبتِ مكتهل

يوماً بأطيبَ منهـا نشرَ رائحةٍ ولا بأحسن منها إذ دنا الأُصلُ

قال المصنف خص العشى لأن كون الانسان بالعشى أحسن منه بالغداة لرقة تعلوه بالعشى وتهبج (١) يعتاده بالغداة وتعتري الألوان بالعشيات صفرة قليلة تستحسن ولذلك شبهها بالروض لما في الروض من الزهر وهو أصفر ، ومن هذا قوله أيضاً * وصفراء العشية كالعرارة * وقال بعضهم بل خص العشى لنقصان الحسن فيه قال فشبهها فى نقصان الحسن بالروضة فى حال تمام حسنها ، وليس كذلك لأن الروض بالغـداة أحسن منه بالعشى .

والتشبيه المصيب من الشعر القديم قول بشر بن أبي خازم :

وروضٍ أحجمَ الروادُ عنـهُ له نَفَلٌ وحَوْزان (٢) تؤام
تعالى نبتـهُ واعتمَّ حتى كأنَّ منابتَ العلجان (٣) شام

الشام جمع شامة أى ظاهر كظهور الشامة فى الوجه ويقال ما أنت إلا شامة أى أمرك ظاهر . وأنشد الجاحظ قول النمر بن تولب العكلى :

ميثاءُ جادَ عليها مسبلٌ هطلٌ فأمرعت لاحتيال فرطَ أعوام
إذا يجفُّ ثراها بلهـا ديمٌ من كوكبٍ نازلٍ بالمـاء سجام
لم يرعها أحـدٌ وارتبها زمنا فأوٌ من الأرض محفوفٌ بأعلام
تسمعُ للطيرِ فى حافاتها زَجَلاً كأنَّ أصواتها أصواتُ خُدام
كأنَّ ريحَ خُزاماها وحنوتها (٤) بالليلِ ريحُ يلنجوجٍ وأهضام

ولم يدع شيئاً يكون فى الخصب إلا ذكره . ومن أبلغ ما وصف به كثرة الكلأ ما أخبرنا به أبو أحمـد عن أبي بكر بن دريد عن عمه عن ابن الـكلبي عن أبيه قال خطب ابنة الخس ثلاثة نفر من قومها فارتضت أنسابهم وجمالهم وأرادت أن تسبر

---

(١) التهبج بالباء قبل الجيم : شيء من التورم فى الوجه يظهر عند القيام من النوم.
(٢) النفل والحوزان نبتان ، وتؤام أى توأمانٍ (٣) العلجان : نبت .
(٤) الخزامي والحنوة : نبتان طيبا الرائحة .

عقولهم فقالت لهم انى أريد أن ترتادوا إلى مرعى فلما أتوها قالت لأحدهم ما رأيت قال رأيت بقلاً وبقيلاً وماءً غـدقاً سيلا يحسبه الجاهل ليلاً قالت أمرعت . وقال الآخر رأيت ديمة فوق ديمة على عهاد غير قديمة فالناب تشبع قبل الفطيمة . وقال الثالث : رأيت نبتاً ثعداً معداً متراكباً جعداً كأفخاذ نساء بني سعد تشبع منه الناب وهي تعدو اه . بقلاً وبقيلاً : يقول بقل قد طال وتحته عير قد نشأ ، والغدق: الـكثير يحسبه الجاهل ليلاً من كثافته وشدة خضرته ، والديمة المطر يدوم أياماً فى سكون ولين ، والعهاد أول مايصيب الأرض من المطر الواحد عهد ، تشبع منه الناب قبل الفطيمة : يريد أن العشب قد اكتهل وتم فالناب وهى المسنة من الابل تشبع قبل الصغيرة منها لأنها تنال الـكلأ وهى قائمة لاتطلبه ولا تبرح موضعها والفطيمة تتبع ما صغر والصغير فيه قليل . وهذه صفة بليغة . وأبلغ منها قول الآخر تشبع منه الناب وهى تعدو اى من طول النبات وكثرته وعمومه تعـدو وتأكل لاتحتاج إلى تتبعه وطأطأة رأسها له . ولاأعرف في جميـع ماوصف به كثرة الـكلأ أبلغ من هذا . والثعد : الرطب اللين والمعد اتباع . والثرى الجعد الذى قد كثر نداه فاذا ضممته بيدك اجتمع ودخل بعضه في بعض كالشعر الجعد ، وخص نساء بنى سعد لأن الأدمة فيهم فاشـية .

ومن أبلغ ماقيل فى طول الـكلأ قول الآخر أنشده ابن السكيت وثعلب :

أرعيتُـها أطيبَ أرضٍ عـودا ... الصِّـلَّ والصِّـفْـصلَّ واليعْـضيدا

والخـازباز السَّنِمَ المجُـودَا ... بحيثُ يدعو عامرٌ مَسعودا

يقول قد سـد النبات من طوله وسـبوغه مسعوداً فليس يراه عامر فهو يصيح به ، الصل والصفصل وخازباز ضرب من النبات . وليس ألفاظ الأبيات بالمختارة انما اخترتها لجودة معناها .

ونظر أعرابى الى يوم دجن والى نبات غض فاستحسن فقال ارتجالا :

أنبَتَ واللهِ منَ الأيـــام لَدْنُ الطَّـرَفَـيْن

كلما قلبتُ عينيَّ ففي قرَّةِ عين

وقلت: أتاهُ بُريدُ المزنَ ينشدهُ الصبا فدوَّمَ من أعلى رُباه ودَّيما

ولاحَ اليه بالبروقِ مُطرزاً فأصبحَ منها بالزواهرِ معلما

ومن بديع ماقاله محدث في صفة الرياض والبساتين قول عبدالصمد بن المعدل أنشدناه أبو أحمد وغيره :

معان من العيش الغرير ومَعْمر ومبدى أنيقٌ بالعُذيبِ ومَحْضر
نما الروضُ منهُ في غداةَ مَريعةٍ لها كوكبٌ يستأنقُ العينَ أزهر
ترى لامعَ الانوارِ فيها كأنه اذا اعترضتهُ العينُ وشيٌ مُدنَّر
تَسابقَ فيه الاقحوانُ وحَنْوةٌ وساماهما رَندٌ نضير وعبهرْ
يمجُّ ثراها فيه عفراء جعدة كأن نداها ماءُ وردٍ وعنبرُ
أعاد نسيم الريح أنفاس نشرهِ وخايل فيه أحمر اللون أصفرُ (١)
بدا الشيحُ والقيصومُ عند فروعة وشتٌ وطُبَّاقٌ وبان وعرْعر
وناضرُ رمانٍ يرفُّ شكيرُه يكادُ اذا ماذرت الشمسُ يقطر
ويانعُ تفاحٍ كأنَّ جنيَّهُ نجومٌ على أغصانه الخضرِ تزهر
اذا زرتهُ يوماً تغرد طائرٌ وراناك ظبيٌ بينَ غصنين أحورُ
فاذهاجَ نوحُ الأيك في رونق الضحى تذكر محزونٌ أوارتاحَ مقصر
تجاوبنَ بالترجيع حتى كأنما ترنمَ في الاغصانِ صنج ومزهر
مراناةَ مموقٍ وترجيعَ شائقٍ فللقلبِ ملهاةٌ وللعينِ منظر
واني إلى صحنِ العذيبِ لتائقٌ واني اليه بالمودَّةِ أصورَ
مرعت ولازالت تصوبك ديمةٌ يجودُ بها جونُ الغواربِ أقمر
أحمِ الكلى واهى العرى مسبل الجدى اذا طعنت فيه الصبا يتفجر
كأنَّ ابتسامَ البرقِ في حجراتِه مهندةٌ بيضٌ تشامُ وتشهر

---

(١) أي فاخر الأصفر الأحمر .

وقول ابن المعتز يتضمن صفة الأنوار على التمام ولا يكاد يشذ منه شيء البتة وهو :

والروضُ مغسولٌ بليل ممطر ... جَلا لناوجه الثرى عن منظر
كالعصب أوكالوشي أو كالجوهر ... من أبيض وأحمر وأصفر
وطارق أجفانه لم تنظر ... تخاله العين فماً لم يُفغر
وفاتق كادَ ولم ينوِّر ... كأنه مبتسمٌ لم يكشر
وأدمع الغُدْران لم تكدَّر ... كأنه دراهمٌ فى مَنْثر
أو كمشور المصحف المنشر ... والشمس فى أصحاء جو أخضر
كدمعة حائرة فى محجَر ... تسقى عُقاراً كالسراج الأزهر
مُدامةً تَعْقِر إن لم تعقر ... يديرها كفٌّ غزال أحور
ذى طرة قاطرة بالعنبر ... ومَلثم يكشفهُ عن جوهر
وكفل يَشْغلُ فضل المئزر ... تخبرُ عيناهُ بفسق مضمر
يعلِّم الفجور إن لم يَفجر

وقلت : جواهر عُشب ونوْرٍ نظيم ... وأفراد ظلٍّ وقطر نثير
فمن بين صُفرٍ وحُمرٍ وخُضر ... على القضب غيد وزوروصور
ولعس تناسبُ لعسَ الشفاه ... وبيض تعارضُ بيض الثغور
نواظِرَ من بينِ يقظى ووسنى ... ونجل وخُزْرٍ وحُولٍ وحُور

وقد استوفى فى هذه الأبيات جميع أوصاف الأنوار على اختلاف حالاتها .

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا التنوخي لنفسه :

أماترى الروضَ قد وافاك مبتسماً ... ومدَّ نحوَ النَّدامي للسلام يدا
فأخضرٌ ناضرٌ في أبيض يَقق ... وأصفر فاقع فى أحمر نُضدا
مثل الرقيب بدا للعاشقينَ ضحى ... فاحمرَّ ذا خجلا واصفرَّ ذا كمدا

ومن المشهور قول الجمانى :

ديمٌ كأنَّ رياضها ... يُكسين أعلامَ المطارف

وكأنما غُدرانها فيها عُشورٌ في مصاحف
وكأنما أنوازُها تهتزُّ(١) بالريح القواصف
طرر الوصائف يلتفتـ ـن بها إلى طررِ الوصايف

وقلت : وروضة حاليةِ الصدور كاسيةِ البطونِ والظهور
محمودة المخبورِ والمنظور مونقةِ المطويِّ والمنشور
معجبة الظاهرِ والمستور ضاحكة كالوافدِ المحبور
باكية كالعاشقِ المهجورِ شذَّرها الغيثُ بلا شذور
شقائق كمناظرِ المخمورِ واقحوان كثغورِ الحور
ونرجس كأنجم الديجور والطلّ منثور على منثور
يرصعُ الياقوتَ بالبللور

وقال السرى وأحسن ، وليس فيمن تأخر من الشاميين أصفى ألفاظاً مع الجزالة والسهولة وألزم لعمود الشعر منه :

وجنات يُحيي الشَرْبَ وهنا جَنَى وهداتِها حتى رباها
إذا ركد الهواءُ جرت نسيماً وان طاحَ الغمامُ طفت مياها
يُفرّجُ وشيها عن ماءِ وردٍ يفيضُ على اللآلى من حصاها(٢)
تعانقُ ريحها لممَ الخزامى وأعناق القرنْفُل في سُراها
ويأبى زهرُها إلا هجوعاً ويأبى عرفها إلا انتباها

وقال البحترى :

قطرات من السحاب وروض نثرت وردها عليـه الخدود
فالرياحُ التى تهبُّ نسيمٌ والنجومُ التى تطلُّ سعود

وقال ابن الرومى :

أصبحت الدنيا تروقُ من نظر بمنظر فيـه جِلاءٌ للبصر

---

(١) في نسخة « تفترُّ » . (٢) في نسخة « صفاها » .

واهاً لها مصطنعاً لقد شكر أثنت على الله بآلاء المطر
والارض في روض كأفواه الحبر تبرجت بعد حياء وخفر
تبرجَ الانثي تصدى للذكر

وقال وأحسن :

وحلس من الكتانِ أخضرَ ناضر يُباكرُه دان الرَّباب مطير
إذا دَرَجت فيه الرياحُ تتابعت ذوائبهُ حتي يقالَ غدير

وقلت: أنظر إلى الصحراء كيف تزخرفت وإلى دموعِ المزن كيف تُذرَّف
وعلى الربى حُلَلٌ وشاهُنَّ الحيا فَسهمٌ ومُقَصبٌ ومُفوَّفُ
وملابسُ الأنواء فيها سُندسٌ ومضاجعُ الانداءِ فيها زخرف
نمَّ الرياحُ على الرياض نمائماً ذكرتك الكافورَ حين يُدوف [١]
وعلى التلاع من الاقاحي حُلةٌ وعلى اليفاغ من الشقائقِ مطرف
والغيمُ تنفشهُ الرياحُ عَشيةً كالقطن فى زرق الثياب يندف
والقطر يهمى وهو أبيضُ ناصعٌ ويصيرُ سيلاً وهو أغبرُ أكلف
والبرقُ يلمعُ مثلَ سيف ينتضى والسيلُ يجرى مثل أفعى ترجف

وقال أعرابى : يا كرناوسمىٌّ [٢] ثم خلفه ولىٌّ فالأرض كأنها وشى منشور عليه لؤلؤ منثور ثم أتتنا غيوم جرار بمناجل حصاد فاخترت البلاد وأهلكت العباد فسبحان من يهلك القوىَّ الأكول بالضعيف المأكول. وقال أبو تمام :

الروضُ مابينَ مغبوقٍ ومصطبح من ريقِ محتفِلات بالحيا دُلُح
جونٌ إذا هطلت في روضة طفِقت عيونُ نُوارها تبكى من الفرح

وقال أبو الغضبان اليمامى :

غدونا على الروضِ الذى طلهُ الندَى سحيراً وأوداجُ الاباريقِ تَسفَك
فلم أرَ شيئاً كانَ أحسنَ منظراً من الروضِ يجرى دمعهُ وهو يضحك

---

(١) أى يذاب . (٢) الوسمى: أول المطر ، والولي الذى يليه .

وقال غيره : وإذا الزمردُ مثمر ذهباً ومن اللجين لسعجد ورق
لازال يُمْتِعُنا بجِدته وجديده بجديدنا خَلَق

وقال غيره في تلون الأرض :

فترى الرياضَ كأنهنَّ عرائسٌ يُنقلنَ فى صفراءَ من حمراء

وقال أبو تمام :

رقت حواشي الدهرِ وهى تَمَرْمَرُ وغدا الندَى فى حَليهِ يتكسرُ
مطرٌ يروقُ الصحوُ منهُ وبعدهُ صحوٌ يكادُ من النضارةِ يمطر
وندًى إذا ادَّهنت به لممُ الثرَى خلتَ السحابَ أتاهُ وهو معذّر
ما كانتِ الأيامُ تسلبُ بهجةً لو أنَّ حُسنَ الروضِ كان يُعمَّر
أوَلا ترى الأشياءَ إذ هي غيرت سَمُجَت وحسنُ الروضِ حين يَغير
ياصاحبيَّ تقصيا نظريكما تريا وجوهَ الأرضِ كيفَ تصوّر
تريا نهاراً مشمساً قد شابهُ زهرُ الرُّبي فكأنما هو مقمر
دنيا معاشٍ للورى حتى إذا جلَّى الربيعُ فإنما هى منظر
أضحت تصوغُ ظهورها لبطونها نوراً تكادُ له القلوبُ تنور
من كلِّ زاهرةٍ تَرَقْرَقُ بالندى فكأنما عينٌ عليه تحدرُ
تبدو ويحجبها الجميمُ كأنها عذراءُ تبدو تارة وتخفر

الجميم متكائف النبت، يقول يظهر بتحريك الرياح إياه ويستتر عند سكونها فيغطيه الجميم :

صنعُ الذى لولا بدائعُ لطفهِ ماعاد أصفرَ بعدَ إذ هو أخضر

وقلت فى مديح :

إنى أرى لك فى السماحة والندَى طلقاً ذَرَيْتَ به على الأطلاق
طَلَقَ الغمامِ سرَى بوجهٍ باسرٍ يُروى الوجوهَ ومبسم براق
ثقلت على عنق الصبا أعباؤهُ مثل الضعيف ينوء بالأوساقِ

فترى النباتَ يروقُ وسط رياضهِ ... مثل الحلىّ تروقُ وسطَ حقاق

وقال البحترى :

إذا أردتَ ملأتَ العين من بلدٍ ... مستحسن وزمان يشبهُ البلدا
يمسى السحابُ على أجبالها فرقاً ... ويصبح الروضُ فى صحرائها بِدَدا
فلستَ تبصرُ إلا وا كفاً خضلا ... أو يانعاً خضراً أو طائراً غردا

وقال أيضاً: ولازال مخضرٌ من الأرض يانع ... عليه بمحمرٍ من النورِ حاسد
يذكرنا ريَّا الأحبةِ كلما ... تنفس في جنح من الليل بارد
شقائقُ يحملنَ الندَى فكأنهُ ... دموع التصابى فى خدودِ الخرائد
ومن لؤلؤ فى الأُرجوانِ مُنضد ... على نكت مصفرة كالفرائد
كأنّ جنى الحوذان فى رونق الضحى ... دنانيرُ تبر من تؤام وفارد
ورباع تروت بالرياض مَجُودة ... بكلِّ جديد الماءِ عذبِ الموارد
إذا راوحتها مزنةٌ بكرت لها ... شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأنّ يدَ الفتح بنِ خاقانَ أقبلت ... تليها بتلك البارقاتِ الرواعد

وقلت : أماترى عودَ الزمانِ نضرا ... ترى لهُ طلاقة وبشرا
أتتهُ ألطافُ السحاب تترى ... وساقت الجنوبُ غيماً بكرا
تَبسُط فى الصحراءِ بُسْطاً خضرا ... وتمنحُ الروضةَ زهراً صفرا
ونرجساً مثلَ العيونِ زهرا ... وأقحوان كالثغور غرّا
كأنما يصوغ فيها تبرا ... كأنما يَدُوفُ (١) فيها عطرا
كأنما ينثرُ فيها دُرّا ... فأعمل الكاسات شُمْطاً شُقرا
كالماء لوناً والعبيرِ نَشرا ... ثم مُرِ الزِّيرَ يناغى الزمرا
والعيشَ أن تُسَرَّ أوتَسُرّا ... لاتفسدنّ بالغرامِ العمرا

أحسن ماقيل فى النرجس قول أبى نواس :

---

(١) أى يذيب .

لدى نرجسٍ غضّ القطاف كأنهُ   اذا مامنحناهُ العيونَ عيون
مخالفة في شكلهنّ فصفرةٌ   مكانَ سوادٍ والبياضُ جفون

والناس يشبهونه بالعيون ولا يفضلون هذا التفضيل . ومما لم يقل مثله قول ابن الرومي:

خجلت خدودُ الوردِ من تفضيلهِ   خجلاً تورُّدُها عليه شاهدُ
لم يخجل الورد المورود لونهُ   إلا وناهله الفضيلةَ عائد
للنرجسِ الفضل المبينُ وان أبى   آبٍ وحاد عنِ الطريقة حائدِ
فصل القضية أن هذا قائدٌ   زهرَ الربيع وان هذا طارد
شتانَ بين اثنين هذا مُوعدٌ   بتسلُّبِ الدنيا وهذا واعد
واذا احتفظتَ به فأمتعُ صاحب   بحياتهِ لو أنَّ حياً خالد
يحكي مصابيحَ السماءِ وتارةً   يحكي مصابيحَ الوجوهِ تراصد
ينهى النديمَ عن القبيح بلحظهِ   وعلى المدامةِ والسماعُ يُساعد
ان كنتَ تطلبُ في الملاح سميةُ   يوماً فانك لامحالةَ واجد
هذى النجوم هي التي ربتهما   بحيا السحابِ كما يربى الوالد
فانظر الى الأخوينِ مَن أدناهما   شبهاً بوالدهِ فذاك الماجد
أين العيونُ من الخدود نفاسةً   ورياسةً لولا القياسُ الفاسد

وقلتِ : ونرجس مثل أكفّ خُرَّدِ   درن علينا بكؤوسِ الذهبِ
ناولنيه مثلهُ في حسنه   فحلَّ من قلبيَ عقدَ الكُرَبِ
مبتسمٌ عنهُ وناظرٌ به   هذا لعمرى عجبٌ في عجب

وقلت في معناه :

ألم ترنا نعطى الغوايةَ حقها   ونجرى مع اللذات جرىَ السوابق
بحمرةِ الاجسادِ مبيضة الذُّرى   كمثلِ سقيطِ الطلّ فوقَ الشقائق
لدى الصفر في أوساطِ بيضٍ كأنها   كؤوسُ عُقارٍ في أكفّ عواتقِ

وقال ابن الرومي :

للنرجسِ الفضلُ برغم من رغم ... على صُنوفِ الوردِ والفضلُ قسم
العينُ قبل السنّ وهى المبتسم ... فما لها والخدّ وهو الملتدَم
ماأطيبَ الريح وما أزكى النسم ... ماهو إلا نعمةٌ من النعم

ومن التشبيه المصيب قول الآخر :

ونرجسٌ لاحظنى طرفها ... يشبهُ ديناراً على دِرْهم

وقال ابن الرومي فى الخمر والنرجس :

ريحانهم ذهبٌ على دُرَر ... وشرابهم دُرَرٌ على ذهب

وقلت : يركبُ الاقحوانُ فيها نهاراً ... فترى درهماً على دينار
فرشت فوقها فرائدُ طلٍّ ... علقت بالنباتِ والأشجار
وتدلت على الغصونِ فجاءت ... كشنوفِ الكواعبِ الابكار

وقال الآخر :

ونرجس قامَ فوقَ منبره ... مثلَ عروس تُجلى وتشتهرُ
نامَ الندَى فى عيونه سحراً ... فاعتاده من منامه سهر
لم يغتمض والظلامُ حلَّ به ... كأنما فى جفونه قصر
تحيرَ الطَّلُّ فى مَدامعه ... فليسَ يرقا وليس ينحدر
كدمعة الصبّ كادَ يسكبها ... فردَّها فى جُفونِه الحذر

وقلت : وغنت الطيرُ بألحانها ... فانتبهَ النرجسُ من رقدته

وأحسن ما قيل في الورد قبل أن يتفتح قول بعض المحدثين :

قد ضمهُ فى الغصنِ قَرْصُ بَرْدٍ ... ضمّ فَم لقبلة من بُعد

وقلت فيه إذا تفتح :

مرَّ بنا يهتزُّ فى خطره ... ما بينَ أغصان وأقمار
يدير في أنمله وردةً ... جاءت من المسك بأخبار
يلوحُ فى حمرتها صفرةٌ ... كالخدّ منقوطاً بدينار

وقال ابن المعذل :

عشيةَ حيانى بوردٍ كأنه خدودٌ أضيفت بعضهن إلى بعض

وقلت: قُومى انظرى ورداً كخدك أحمراً تَرَكَ الربيعَ وراءه وتقدما

قد ضمهُ بردٌ ففتقهُ ندى كالصبِّ قبل فاك ثم تبسما

ولم أجد فى تشبيه الورد أبدع مما ذكرته ، وتشبيهه بالخد تشبيه مصيب ولكنى تركت الاكثار منه لشهرته وكثرته ويقال للوردة الحمراء الحوجة وللبيضاء الوتيرَة ويشبه بها قرحة الفرس[1] قال عمرو بن معدى كرب:

يبارى قُرْحَةً مثل الـوتيرة لم تكن مَعْدي

وقد أحسن على بن الجهم فى قوله يصف الورد :

كأنهن يواقيتٌ يطيفُ بها زمردٌ وسطها شَذْرٌ من الذهب

وهو من قول أزد شير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودر أبيض على كراسى زبرجد يتوسطه شذور ذهب . وقال البحترى :

وقد نبهَ النيروزُ فى غلسِ الدجي أوائلَ وردٍ كُنَّ بالأمس نُوَّما

يفتحهُ بردُ الندى فكأنه يبثُّ حديثاً كان قبلُ مكتما

وقلت فى تفضيل الورد على النرجس :

أفضلُ الوردَ على النرجسِ لا أجعلُ الأنجمَ كالأشمس

ليس الذى يقعدُ فى مجلس مثلَ الذى يَمْثلُ فى المجلس

وقال ابن بسام :

مداهنٌ من يواقيت مُنضدة على الزمردِ فى أوساطها الذهبُ

كأنه حينَ يبدو من مطالعهِ صَبٌّ يُقَبلُ صباً وهو مرتقب

ومن الياقوت الأزرق والأصفر والأحمر وليس فى البيت دليل على أنه أراد الاحمر دون الأزرق فهو معيب من هذه الجهة . وقلت فى الورد على الشجر :

(١) القرحة فى وجه الفرس دون الغرة .

أصبحَ الورد فيالغصون يحاكي أوجهَ الحورِ في مقامع خضر
مثل فرسانِ غارةٍ يعتليهم لمعٌ من دماء سَحْرٍ ونحر
ويلوحُ النهارُ أسفلَ منهُ فهو كالرّجالِ (١) في عمائم صفر
بين نَبْذ من الشقائق يحكي غِلْمَةَ الدرِّ في مطارف حمر

وقال ابن المعتز :

ولازورديّةٍ أوفت بزرقتها بينَ الرياضِ على زرْقِ اليواقيت
كأنها فوقَ طاقات ضعفنَ بها أوائلَ النارِ في أطراف كبريت

والصحيح أنه في الخُرَّم والشاهد قوله :

بنفسج جمعت أطرافهُ فحكت دمعاً ينشفُ كحلا يوم تشتيت

قوله * كأنها فوق طاقات ضعفن بها * يدل على أنه أراد الخرم لأن ساق البنفسجة لايضعف عن حمل وردتها وهذا الوصف بالخرَّم أشبه منه لـكبر نَوره ودقة ساقه فاعرف ذلك . وقلت في البنفسج :

وروضةٌ كأنها من حسنها تبرزُ في أثوابِ سعد ومُنى
قد نثرَ الليلُ على أنوارها لآلىءَ الطلِّ وأفراد الندى
بكت عليها مزنةٌ فابتسمت عن لؤلؤٍ بينَ فرادى وثنى
وحولها بنفسجٌ كأنه أواخر النيرانِ فيجزلِ الغضا (٢)

وقال آخر :

وكأنَّ البنفسجَ الغضَّ فيه أثر اللطمِ في خدودِ الغيد

وقلت : وبحافاتها البنفسج يحكي أثرَ القرصِ في خدودِ العذارى

وقلت في الهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ولم أسمع فيها من الشعر العربي شيئاً :

ومغنّج قالَ الكمالُ لخلقهِ كن مجْمَعاً للطيبات فكانهُ
زَعمَ البنفسجُ أنهُ كعذارهِ حُسناً فسلُّوا من قفاهُ لسانه

---

(١) أي الرجال . (٢) الغضا : شجر يبقى جمره كثيراً .

وقال ابن الرومي :

أشرب على وردِ البنفـــسج قبل تأنيبِ الحسُود
فـــكأنمـــا أوراقها آثارُ قَرص في الخدود

أغرب معنى جاء في الشقائق قول الأخيطل :

هذى الشقائقُ قد أبصرت حمرتها مستشرفات على قضبانها الذلل
كأنها دمعةٌ قد مَسَّحت كُحُلاً جالت بهِ وقفة فيوجنتي خجِلِ

وأظن الاخيطل ابتكره إلا أنه أورده في أهجن معرض وفي أشد مايكون من التكلف وأتى بالمحال لان الوقفة لاتجول فنظمته وقلت :

وشقائقٌ نقشَ الربيعُ ثيابها فبرزنَ بينَ مكحلٍ ومُجَسَّد
كالخدِّ يصبغهُ الحياءُ بحمرة وجرى عليهِ الدمعُ خلطَ الأثمد

ومن غريب ماقيل فيها قول بعض المتأخرين :

طربَ الشقائقُ للحمامِ وقد شجا شجوَ القيانِ فشقَّ فضلَ ردائه
وتحيرت مابين إثمـدِ ماقه في الخدِّ دمعتهُ وبينَ حيائه
فـكأنه الحبَشيُّ بُضِّعَ جسمهُ فثيابهُ مُخضـــلةٌ بدمائه

وجعل الشقائق واحداً وهى جماعة مؤنثة والواحد شقيقة فاذا ذكر فعلى معنى النور وتسميه العرب الشقر . وقلت :

وللشقائق خالٌ فوقَ وجنتها ووجنة الوردِ بالدينارِ منقوطه

وقال التنوخي :

شقائقٌ مثـلُ خدودٍ نقشت شواربٌ بالمسك فيها ولحى

وهو بعيد لأن السواد الذى فيها لايشبه الشوارب .

ومن أحسن ماقيل في الآذريون قول ابن المعتز :

يا ربمـا نازعـــنى رُوح دِنانٍ صافيه
في روضـةٍ كأنها جـلد سماءٍ عاريه

كأنما أنهارها بماءِ وردٍ جاريه
كأن آذرْيونها غِبّ سماء هاميه
مداهنٌ من ذهب فيها بقايا غاليه

وقال أيضاً :

وصيَّر آذريونهُ فوقَ أذنه كـكأسِ عقيقٍ في قراراتها مسك

وقلت : ولاحَ آذرْيونُها مثلَ الغوالي في السرر

وقال الشمشاطي(١) :

تراهُ عُيوناً بالنهارِ نواظراً وبعدَ غروبِ الشمسِ أزرارَ ديباج

وقال ابن المعتز :

كأنها مداهنٌ من ذهب مُشرفاتٌ وسطهنَّ غاليه

أتم التشبيه ههنا بقوله « مشرفات » . ومن جيد ماقيل في البهار قول ابن الرومي :

وروضة عذراءَ غيرُ عانسه خضراء مافيها خلاة يابسه
فيها شموسٌ للبهارِ دارسه كأنها جماجمُ الشمامسه
تَرُوقك النَّوْرةُ منها المالكه بعينٍ يقظى وبجيد ناعسه
وخُرَّم في صبغهِ الطيالسه مثل الطواويسِ غدت مُطاوِسه

وقال ابن المعتز :

في روضة كحلل العروسِ وخرَّم كهامةِ الطاووس

وقلت في المذهب الذي سلكه ابن الرومي :

خرَّمَةٌ كهامة الطاوَوسه داريَ من بهجتها مأنوسه
والعين في فنائها محبوسه محفوظةٌ تحسبها محروسه
تعجبني منظورة ملموسه مرفوعة الهامة أومنكوسه

---

(١) هو علي بن محمد الشمشاطي اتصل بآل حمدان ، له تصانيف في الأدب .

ياقوتة لـكنها مفروسـه في زهر[1] كالشعل المقبوسه
كحلل ألوانها ملبوسه

وقال التنوخي :

ومن خُرَّم غض خِلالَ شقائقٍ يلوحُ كخيلانٍ على وردتى خدّ

وإذا كان فى الخد خيلان لم يستحسن الخال الواحد . وقلت :

على رياضٍ خُرَّم كأنها رؤوسُ هدابِ حرير الحلل

وقال ابن طباطبا :

وطَوَّس فيها خُرَّمٌ فكأنها صماماتُ وشيٍ هُيئَتْ لخازن

وقلت في البهار والورد :

وردٌ إلى جنبـهِ بهار كالخـدّ أصغى اليـهِ قرط

وقد جمعت أصناف المنثور فى أبيات وما جمعها أحد إلا بعض الـكتاب في أبيات غير مختارة الرصف فقلت :

ألوانُ منثورٍ يريك حسنها ألوانَ ياقوتٍ زها فى عقـده
ياحسنها في كفّ من يشبهها فانظر إلى الندّ بكفّ نِده
من أشهـل كعينـهِ وأبيضٍ كثغرهِ وأحمر كخـده
وأصفرٍ مثـلِ صريع حُبه إذا تغشاهُ غواشى صَـدّه

وقال السرى في الورد :

أما ترى الوردَ قد باحَ الربيعُ بهِ من بعد مامرَّ حولٌ وهو اضمار
وكان فى حللٍ خضرٍ وقد خلعت إلا عُرى أغفلت منها وأزرار

وقلت : ليس ينفكّ للغـمام أيا د تتكافا وأنعم تتجـدد
فترى رعـدهُ يشقّ حريراً وسنى برقهِ يطرز مِطْرد
وترى للزمانِ غُصناً وريقاً يملكُ الطرفَ إذ يقومُ ويأود

---

(١) في نسخة « زهرة » .

أنبتَ الأرضَ عسجداً ولجيناً فالروابي مكللٌ ومقلد
وجرى الريحُ سَجسجاً[1] ورخاءً فالمناهي[2] مسلسلٌ ومُسرَّد
وسبى العينَ لؤلؤ وعقيقٌ نظما في زمردٍ وزبرجد
فترى ثَمَّ مضحكاً يتجلى وترى ثَمَّ وجنةً تتورد
قطرات الندَى أحادٌ ومثنى مثل دُرٍ منظم ومبدد
وكأنَّ الشقيقَ كأسُ عقيقٍ طرحَ المسكَ في قرارتها ند
فترى النجدَ في رداءٍ موشي وترى الوهدَ في قميص مُعمد
وعليهِ منَ البهارِ عطاف ومن الورد والشقائق مُجْسدَ
وترَى النورَ مثلَ مضحك خَوْد وترى الغصنَ مثلَ شاربِ أمرد

ومن بديع ماقيل في كون النيلوفر وظهوره قول ابن الرومي :

فكأنهُ في الماءِ صاحبُ مذهبٍ أغراهُ وسواسٌ بأن لا يَطهر

وقال السرى[3] :

ونيلوفرٍ أوراقهُ الخضرُ تحتهُ بساطٌ اليهِ الأعينُ النجلُ شُخَّص

هذا البيت غير مختار الرصف ظاهر التكلف :

إذا غاصَ في الماءِ النمير حسبتهُ رؤوسَ إوزٍّ في الحياض تغوص

وقوله « النمير » لايحتاج اليه . وقال آخر من أبيات :

كأنما كلُّ قضيبٍ بها يحملُ في أعلاهُ ياقوته

وقلت : فشربتها عذراءَ من يدِ مثلها تحكى الصباحَ مع الصباح المشرق
في روضةٍ تلقاك حينَ لقيتها بمنمنم من نبتها ومنمق
فانظر إلى عشبٍ هناك مجمع وانظر إلي زهر هناك مفرق

---

(١) في نسخة « سجسداً » . (٢) المنهي : المحل الذى ينتهى اليه الماء .

(٣) هو السرى الرفاء الموصلى ، مدح سيف الدولة والوزير المهلبي والكبار، وكان بينه وبين الخالديين معاداة .

تحبى بوردٍ كاللجينِ مكفرٍ منها وورد كالعقيق مخلق
وكذاك تتحف من مناقع مائها بمخلقٍ يعلو ذؤابةَ أخلق
يبدو ويكمن في الغديرِ كأنه جانٍ يحاول أن يبينَ ويتقى
قالى السرورِ لنا عنانٌ مطلقٌ إن الفوائدَ فى العنانِ المطلق

وقد أحسن القائل فى صفة الرياض :

بكينَ فأضحكنَ الربى عن زخارف من الروض عنهن الثرى متهاملُ
ترى قضبَ الياقوت تحتَ زبرجد تنوء به أعناقهن الموائل
تلقحها الأنداء ليلاً بريقها فيصبحن أبكاراً وهنّ حوامل

وقلت فى الآس ولا أعرف لأحد فيه شيئاً بديعاً :

ومهرجانٌ معجبٌ مونقٌ كالنَّورِ غبَّ السَّبَل الساجم
طالعتُ فيه غرراً وضَّحا كمثلِ أيامِ أبى القاسم
والآس فى كفي أحيبهمُ مثلَ شوابيرِ بنى هاشم

وقلت فى الريحان :

وخضرٌ يجمع الأعجاز منها مناطق مثل أطواقِ الحمام
لها حسنُ العوارضِ حينَ تبدو وفيها لين أعطافِ الغلام

وقال كشاجم وأحسن :

أرتك يدُ الغيثِ آثارها وأعلنت الأرض أسرارَها
وكانت أكنَّتْ لكانونها خبيئاً فأعطته آذارها

والنصف الأول من هذا البيت متكلف :

فما تقعُ العينُ إلا على رياضٍ تصنّف أنوارَها
يفتح فيها نسيم الصبا جناها فيهتك أستارها
ويسفح فيها دماءَ الشقيقِ ندى طَلٍّ يفتض أبكارِها
وتدني الى بعضها بعضَها كضمِّ الاحبةِ زُوَّارها

كأنّ تفتحها بالضحى عذارَى تُحللُ ازرارها
تفضُّ لنرجسها أعيناً وطوراً تحدِّقُ أبصارها
اذا مزنةٌ سكبت ماءها على بقعة أشعلت نارها

وقال فيها: واقبلَ ينظمُ أنجادَها بفيضِ المياهِ وأغوارَها
وأرضع جناتها دَرَّهُ فعمَّم بالنورِ أشجارَها
ودارَ بأكنافها دَوْرَةً تنسى الاوائل برْجارها

وقال أيضاً في الباقلى:

جنى يومٍ لم يؤخر لغدِ ولم ينقل من يدٍ الى يد
كالعقدِ إلا أنه لم يُعقدِ أو كالفصوص في أكفّ الخرَّد
أو ككبار اللؤلؤِ المنضد في طيِّ أصدافٍ من الزبرجد
مفروشة بالكرسفِ المُلبَّد

وقلت فيه أيضاً:

أبدى الربيعُ لنا من حُسنِ صنعتهِ شبائه اتفقت في الشكلِ والصور
خضرٌ ظواهرُها بيضٌ بطائنها تحكي القباطيَ تحت السندس النضر
بيضٌ شبائهُ في خضرٍ ململةٍ مثل الزبرجدِ مثنياً على درر
ينشقُّ أخضرُها عن أبيضٍ يققٍ كالثغرِ يشرقُ تحتَ الشاربِ الخضر

ومن المشهور في ورد الباقلى قول الصنوبرى:

وبنات باقِلي يُشبه نَوْرُها بلقَ الحمامِ مُشيلةً أذنابها

وقلت فيه: ويُزهي وَرْدُ باقلي كأطواقِ الشعانين

وقال السرى في غير ذلك:

في زاهر عبق تضوعهُ فكأنَّ عطاراً يعطره
ضاهى ممسكهُ معنبرهُ وحكى مُدَرْهمَه مدنَّرُه

ومن أجود ماقيل في البساتين ومواضع الاشجار قول الخليل بن أحمد أخبرنا

أبو أحمد عن رجل عن الرياشي قال كان في يد الخليل بن أحمد أرض من أراضي البصرة ليتيم فلما بلغ اليتيم مضى به الخليل الي الأرض ومعه قارورة من ماء زمزم فلما جاء المدّ صب مافيها في فوهة نهرها ليخلص إلى جميعها ثم قال يابني هذه أرضك فقم فصل فيها ركعتين واشكر الله على ماأعطاك منها وادع بالبركة لك ولمن بعدك ، ثم أنشأ يقول فى وصفها :

ترفعت عن يد الاعماق وانخفضت عن المعاطش واستغنت بسقياها

فالتف بالزهر والريحان أسفلها ومال بالنخل والرمان أعلاها

وصار يحسده فيها أصادقه ولأم لام فيها من تمناها

أبا معاوية اشكر فضل واهبها وكلما جئتها فاعمر مصلاها

وقال ابن المعتز فى السرو والنرجس :

لدى نرجس غض وسرو كأنه قدودُ جوارٍ رُحن في أُزُر خضر

وقلت : لبس الماء والهواء صفاء واكتسى الروض بهجة وبهاء

فكأن النهاء صرن رياضاً وكأن الرياض عدن نهاء

وكأن الهواء صار رحيقاً وكأن الرحيق صار هواء

وتخال السماء بالليل أرضاً وترى الأرض بالنهار سماء

جللتها الانواء زهراً وصفراً يوم ظلت تنادم الأنواء

فتراها ما بين نَوْء ونَوْر تتكافا تبسماً وبكاء

وتظل الأشجار تتخذ الحسن قميصاً أو الجمال رداء

لبست حين أثمرت خلدات (١) واكتست حين أورقت سيراء (٢)

وترى السرو كالمنابر تزهى وترى الطير فوقها خطباء

وقال أبو عيينة :

تذكرنى الفردوس طوراً فأرعوى وطوراً تواتيني على القصف والفتك

---

(١) أى أقراط. (٢) نوع من الثياب .

بغرس كأبكار الجواري وتربةٍ   كأن ثراها ماءُ وردٍ على مسك

وقال السرىّ في تفاح ودستنبورى ورمان :

إنّ شيطانكَ فى الظّرْ   فِ لشيطانٌ مَريدُ
فلهذا أنتَ فيه   مُبدىءٌ ثم مُعيدُ
قد أتتنا طُرَفٌ منـ   ـك على الظرفِ تزيدُ
طبقٌ فيهِ خدودٌ   وقدودٌ ونهودُ

وقد أحسن التنوخى فى وصف النارنج حيث يقول :

لم لا تجنّ بها القلوب   وقد غدت مثلَ القلوب

وقلت: تطالعنا بين الغصونِ كأنها   خدودُ عذارى في ملاحفها الخضر
أتت كلّ مشتاقٍ بريا حبيبهِ   فهاجت له الأحزان من حيثُ لا يدرى

وقال : إذا لاحَ فى أغصانهِ فكأنه   شموسُ عقيقٍ فى قبابِ زبرجد

وقلت فى المركب :

مركب تعجبُ من حُسنهِ   قد كنز الفضة فى تبره
يشا كلُ العاشقَ فى لونه   ويُشبهُ المعشوقَ فى نشره

وقال الصنوبرى فى التفاح وقد ظرف :

أعطت يداهُ محبهُ تفاحةً   تعطى المحبّ أمانهُ من صدّهِ

وهذا البيت متكلف جداً :

فعلمتُ حينَ لثمتها من كفهِ   انى سأُلثمُ أختها من خدّهِ

وقال أيضاً فى الأُتْرُجَّةِ وأحسن :

جاءَ فحيانى بأترجة   من ذهبٍ قد حُشيتْ فضه
أتى بها ناعمةً غضةً   من كفهِ الناعمة الغضه
تبذَلُ للقبلةِ حُسناً ولا   تصلحُ أن تُبذَلَ للعضه
أحبب بها من مسكة محضة   ناولنيها مسكة محضه

وقلت فى الأُترج والنارنج :

ترى النارنجَ فى ورقٍ نضيرٍ فتحسبهُ عقيقاً فى زبرجد
وأترجٌّ على الأغصان يزْهى كما رفعَ الفتى قنديلَ عسجد

وقال بعضهم فى دستنبوية :

يا حبذا تحيـةٌ رحت بها مسرورا
مَخزَنة من ذهبٍ قد مُلئت كافورا

وقال غيره في الليمون :

وقهوة تزهرُ فى السراج نشربها على كراةِ عاج
ملبسات أصفر الديباج

وقلت فيه : أحدقَ ليمونٌ بأترجة كأنجم تحدقُ بالبـدر
مخروطة الأجسادِ من فضة ملبسات قُمصَ التِّبر
قد شدَّ من هاماتها زرُّها ياعجباً من ذلك الزِّرّ
اشرب عليها وتمتع بها فانها من تُحفِ الدهر

ولبعض الكتاب رسالة في التفاح ليس لها نظير فى معناها وهى التى أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا الجلودى قال حدثنا أحمد بن أبى طاهر قال أهدى ظريف من الكتاب تفاحة وكتب : لما رأيت تنافس أحبابك وثقات أصدقائك على الهدايا وتواتر ألطافهم عليك تفكرت في هدية تخف مؤنتها ويعظم خطرها ويجل موقعها تجمع الخصال المحمودة وتنظم الخلال المموقة فلم أجد شيئاً يجتمع فيه ما أحببنا ويكمل له ماوصفنا غير التفاح فأهديت إليك منه واحدة وأحببت أن أنبهك على فضلها وأقفك على نبلها وأكشف لك عن سرائرها وأعرفك لطائف معانيها وأنعت لك مقالة الأطباء فيها وما نظمت الشعراء في مدحها حتى تراها بعين الجلالة وتنظر إليها نظر الصيانة فانه يحكى عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال : اجتمع فى التفاح الصفرة الدرية والحمرة الخمرية الذهبية وبياض الفضة ونور القمر يلتذ بها من الحواس ثلاث العين لحسن لونها

والأنف لطيب عرفها والفم للذة طعمها ، وقال حكيم من الحكماء : الخمر صديقة الجسم والتفاح صديق الروح ، وقال آخر منهم وقد حضرت وفاته واجتمع إليه تلامذته وأراد مناظرتهم فضعف عنها فقال : إئتونى بتفاحة أعتصم برائحتها ريثما أقضى وطرى من المناظرة. فلم يستحفها إلا لفضلها على غيرها ، وقال آخر : جسم التفاح صديق الجسم وريحه صديق الروح ، وقال حكيم من الأطباء : إن أجودَ الأشياء لعلاج المزاج الحاد الكائن فى المعدة مع المزاج البارد الكائن فى الرأس وغثيان النفس وقلة الاستمراء للطعام التفاح ، وقال إبراهيم بن هانىء : ماعلل المريض المبتلى وسكنت حرارة الثكلى وردعت شهوة الحبلى ولا كسرت فورة السكران ولا أرضى الغضبان ولا ردت عرامة الصبيان بشىء مثل التفاح . والتفاحة إن حملتها لم تثقلك وإن رميت بها لم تؤلمك وقد اجتمع فيها لون قوس قزح من الحمرة والخضرة ولو حل التفاح لكان قوساً ولو عقدت القوس لكانت تفاحاً ، وقال بعض الشعراء :

حُمرةُ التفاح فى خُضرتهِ ... أقربُ الأشياء من قوسِ قزح

والخمرة تفاحة ذائبة والتفاحة خمرة جامدة . وقال الشاعر *الخمر والتفاح شكلان*

وقال آخر: تفاحةٌ حمراءُ منقوشةٌ ... ركبتَـها فى غُصنِ الآس
ألبستَـها ورداً وكللتها ... إكليلَ نسرين على الراس

وقال آخر فى التفاحه :

كأنما حمرتَها ... حمرةُ خدٍّ خَجِل

وقال ابن أبى أمية :

مازلتُ أرجوكَ وأخشي الردى ... معتصماً بالله والصبر
حتى أتتنى منك تفاحةٌ ... زحزحتِ الأحزانَ عن صدرى
حشوتها مسكاً ونقشتها ... ونقشُ كفيك من السحر
واهاً لها تفاحةً أُهديتْ ... لو لم تكن من خُدَعِ الدهر

فاذا وصلت اليك ــ أوصلك الله إلى رحمته وعطفه ــ فتأمل وصفها بعينك وتناولها

بيمينك وأحضرها ذهنك وفرغ لها شغلك واجمع لها عقلك وغازلها ساعةوهازلها أخرى ولا تكن متهاوناً بقدرها غير عالم بفضلها فتتناولها بحركة باردة وطبيعة جامدة وقلب ساه وعقل لاه وذهن غبي وشراهية نهم عساه أن يكلمها بأسنانه ولا يدرى ماقدرها عند إخوانه ويقصر بمن حياه وينتقص من أهداه ولاتخدشها بيدك ولا تثلمها بظفرك ولا تبتذلها للغبار ولا تعرضها للدخان فاذاطال لبثها لديك وخفت أن يرميها الزمان بسهمه ويقصدها بريبه ويذهب بهجتها ويحول نضرتها فهنيئاً لك أكلها والسلام .

وشبه بعضهم ورق الريحان بقافات وفاآت في شعر غير جيد فتركته ولم أذكره.

وقلت في الريحان :

ثم انثنينا الى خُضرٍ مُنعمةٍ   كأنَّ أوراقها آذانُ جُرذان
وقهوة كجنيِّ الوردِ وشَّحهُ   من لؤلؤِ القطرِ والأنداءِ همطان

وقال السرى في دستنبوية :

وأغنٍّ كالرشأ الغريـــر نشا خلالَ الربرب
فى خدِّه وردٌ حماهُ من القطافِ بعقرب
حيا بدستنبويةٍ مثل السنان المذْهب

وقال أيضاً فيها :

صفراء ماعَنَّت لعينىْ ناظرٍ   إلا توهمها سناناً مُذْهبا

وقلت : وأتْرج يَحُفُّ بها أقاحٍ   كبدرِ الليلِ تكنفهُ النجوم

وقال السرى فى نارنجة :

أهدت على نأيِ المحلِّ وقد   أنأى التصبرَ طُولُ هجرتها
نارنجةً منها استعيرَ لها   ما أُلبستْ من حُسنِ بهجتها
وشُعاعُها من نور وجنتها   ونسيمها من عِطرِ نكهتها
وكأنَّ ما يخفيهِ باطنها   ماأضمرتْ من سوء غدرتها

وحكى اخضرارٌ شابَ وجنتها　　قَرْصَ الأكفِّ أديمَ وجنتِها
فأتتك مُكمَلةً محاسنها　　تختالُ في أثوابِ زينتها
فشعارُها صفوُ اللجين ومن　　ذهبٍ مصوغٌ ثوبُ بذلتها.
تُهدى إلى الأرواح من بُعدٍ　　تُحَفَ السرورِ لطيبِ نشوتها
ويصونها مسرَى روائحها　　من أن تباشرها بشمَّتها
فاشربْ عليها من شقيقتها　　في نعتِ ريّاها وصبغتها
واعطفْ عِنانَ النفسِ عن فكرٍ　　راحت معذّبة بفكرتها (١)

وقال ابن طباطبا العلوى في الاترج :

ريحانةٌ في اصفرارِ مهديها　　شبهتها بعدَ فكرةٍ فيها
أحبةً لم تُصِخْ لعاذلها　　تَسُدُّ آذانها بأيديها

فأورد المعنى فى بيتين فقصر من غرابة معناه . وجعلت دستنبوية مقفعة فى غصن آس فسقطت فناولنيها بعض الأحبة فقلت :

وأصفرُ يهوى من ذؤابةِ أخضر　　كما انقضَّ نجمٌ فى الدجنة ثاقب
له شعبٌ تهوى (٢) على مَرَواتهِ　　كمثل بنان الكفِّ يلويه حاسب
فناولنيهِ ذو دلالٍ كأنما　　لهُ الشمسُ أمٌّ والبدورُ أقارب
فأصبح مشهورَ الجمالِ مُشهراً　　له الحسنُ خِدنٌ والملاحةُ صاحب

وقال بعضهم فى الأترج :

لهـا وَرَقٌ ريحها ريحهُ　　وما ذاك فى غيره لو طلب
كأنّ تعطف أوراقها　　أكفٌّ تشيرُ إلى من تحب

وقال ابن خلاد في شجر الزيتون :

اذا ذلت الأشجارُ يوماً لجفوةٍ　　فانَّ لها عِزَّ القناعة والصبر
تَصرّفُ فى اللذاتِ من كلِّ مطعم　　تصرفَ زيد آخذاً بقفا عمرو

---

(١) في نسخة (بصحبتها) . (٢) فى نسخة (تلوى) .

وقلت فى التفاح :

لَيسَ رِيحُ التفاح عنـدى بريحٍ ... لاولـكنهُ صَـديقٌ لروحى
حُمرَةُ الخـدِّ واخضرارُ عِذارٍ ... فمليحٌ يطوفُ حَـوْلَ مليح

وقال نصر بن أحمد :

أ كلتُ تفاحــة فماتبنى ... فتىً رآها كخـدٍّ معشوقه
فقال خـدٌّ الحبيب تأ كلهُ ... فقلتُ لابل أمصٌّ من ريقه

وقال السرى :

لو جُمِّـدتْ راحُنا اغتدت ذهباً ... أوذابَ تفاحُنا غدا راحا

وقلت فى الرمان ولا أعرف فيه شيئاً مرضيا :

حكى الرمانُ أوَّلَ ماتبـدَّى ... حِقاقَ زبرجد يُحشْينَ دُرّا
فجاءَ الصيفُ يحشوهُ عقيقاً ... ويكسوهُ مرورُ القيظِ تـبرا
ويحكى فى الغصونِ ثدىَّ حُور ... شـقَقْـنَ غلائلاً عنهن خضرا

وقلت فى خوخـة :

وخوخـة ملء يَدِ الجـانيهْ ... تملكُ لحظَ الأعينِ الرانيهْ
مصفرة الوجنـةِ محمرة ... كأنها عاشـقةٌ ساليــه

وأجود ماقيل فى العنب قول ابن الرومي :

ورازقيّ مخطف الخصورِ ... كأنه مخـازنُ البللور
قد ملئتْ مسكاً إلى الشطورِ ... وفى الاعالىَ ماءُ وردٍ جُورى
لم يُبقِ منها وَهجُ الحَرورِ ... إلا ضياءً فى ظروف نور
له مـذاقُ العسل المشورِ ... وبردُ مسِّ الخصر المقرور
ونفحةُ المسك مع الكافورِ ... لو أنهُ يبقى مع الدهور
قرّط آذانَ الحسانِ الحور

وقال في معناه :

ورازقيٌّ مخطف خصورهُ قد أينعت أنصافهُ الأسافل
كأنها مخازنٌ مملوءةٌ من ماءِ وردٍ فيهِ مسكٌ ثافل

لايزيد على هذا الوصف أحد. ودخل اعرابى على هشام بن عبد الملك فقال له هشام ماأطيب العنب عندكم ؟ قال مااخضر عوده وغلظ عموده وسبط عنقوده ورق لحاؤه وكثر ماؤه. فقال له كم عطاءك ؟ فقال ألفين فسكت ساعة ثم قال له كم عطاؤك ؟ قال ألفان. قال فلم لحنت أولاً ؟ قال لم أشته أن أكون فارساً وأمير المؤمنين راجلا لحنتَ فلحنتُ ونحوتَ فنحوتُ. فاستحسن أدبه وأجازه. وقلت :

يا كرّنا الدهرُ بسرّائه وكفَّ عنا بأسَ بأسائه
وجاءنا أيلولُ مستبشراً يثنى على الدهرِ بآلائه
أما ترى الرقةَ فى جوّهِ تناسبُ الرقةَ في مائه
أنظر الى أنواع أثمارهِ قد ضمها في بُرْدِ أحشائه
راحت عليها نسماتُ الصبا تقرصها فى بردِ أفنائه
أما ترى حسنَ ملاحيهِ يُهدَى الى بهجةِ شعرائه
أنظر الى رُمّانه ضاحكا حمراؤهُ في وجهِ بيضائه

وقال ابن المعتز في العنب :

ظلت عناقيدُها يخرجنَ من ورق كمااختبى الزنجُ فى خضرٍ من الأُزر

ويروى لابن المعتز فى التفاح :

وتفاحة صفراءَ حمراءَ غضة كخدِّ مُحبٍ فوقَ خدِّ حبيب
أحبابها طوراً وأشربُ مثلها من الراح فى كفى أغن ربيب

وقلت فى النارنج :

روضٌ زهاهُ المزنُ فى كرّاتهِ بمعكفرٍ (١) ومُزعفرٍ ومُضرّج
فتبسم النارنجُ في شجراتهِ مثلَ العقيقِ يلوحُ فى الفيروزج

---

(١) أى ممزوج بالكافور .

والكأس يحملها أغنّ يزينه ... وجنات ورد في عذار بنفسج

ومن أجود ماقيل في النخل من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن العباس عن أبيه عن الأصمعى للنمر بن تولب :

ضربنَ العرقَ فى يَنبوعِ عينٍ ... طلبنَ مَعينه حتى ارتوينا [1]

بنات الدهرِ لايخشينَ محلاً ... إذا لم تبقَ سائمةٌ بقينا

كأنَّ فروعهنَّ بكل ريح ... عذارَى بالذوائبِ ينتصينا[2]

وقد ملح النابغة فى قوله :

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرها ... إذا طارَ قشرُ التمرِ عنها بطائر

من الواردات الماءَ بالقاع تستقى ... بأعجازها قبلَ استقاءِ الحناجر

وهذا أجود من الأول لأنه ذكر أنهن وردن الماءَ يعنى الماء الذى فى بطن الأرض معينا . وقال النمرُ «طلبن معينه» فجعل الماء الذى فى بطن الأرض معيناً ، والمعين إنما هو الماء الجارى على وجه الارض ظاهراً .

ومن أجود ما قيل فى الطلع من الشعر القديم قول كعب بن الاشرف [3] :

ونخيل فى تلاعٍ جمةٍ ... تخرجُ الطلعَ كأمثالِ الاكف

وقال الربيع بن أبى الحقيق :

أذلك أم غرسٌ من النخلِ مترع ... بوادى القرى فيه العيونُ الرواجعُ

لها سعفٌ جعدٌ وليفٌ كأنه ... حواشى بُرودٍ حاكهن الصوانع

وهذا فى وصف الليف حسن . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن الحرث بن اسمعيل عن سهل بن محمد عن على بن محمد عن أسلم الأزدى عن يونس عن الشعبى قال كتب قيصر إلى عمر: إن رسلى أخبرونى أن بأرضك شجرة كالرجل القائم تفلق

---

(١) فى نسخة « حتى روينا » . (٢) أى يأخذ بعضها بنواصى بعض .

(٣) هو كعب الطائى الشاعر الشجاع الجاهلى كان ينال من المسلمين فقتله الأنصار .

عن مثل آذان الحمر ثم يصير مثل اللؤلؤ ثم يعود كالزمرد الاخضر ثم يصير كالياقوت الأحمر والاصفر ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ اتخذ ثم يجف فيكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر فان كان رسلي صدقوني فهي الشجرة التي نبتت على مريم بنت عمران . فكتب عمر اليه : إن رسلك صدقوك وهي شجرة مريم فاتق الله ولاتتخذ عيسى إلـهاً من دون الله .

وهذه تشبيهات مصيبة أخذها عبد الصمد بن المعذل فقال يصف النخل :

حدائقٌ ملتفة الجنانِ رَسَت بشاطي تَرعٍ رَيان
تمتارُ بالاعجازِ للاذقانِ لاترهبُ المحلَ من الازمان
ولا تَوقًّ خَتلَ الذؤبانِ ولاترَى ناشدة الرعيان
ولاتخافُ عِرَّةَ الاوطانِ سُحم الرؤوسِ كمتُ الابدان
لها بيوم البارح الحنانِ مثلُ تناصي الخرَّد الحسان
إذ هى أبدت زينةَ الرُّهبانِ لاحت بكافورٍ على إهان
يطلعُ منها كيد الانسانْ إذا بدت ململمة البنان
غُلت بورسٍ . أو بزعفران حتى إذا شبه بالآذان
من حمرُ الوحشِ لذى عيانِ وهذا لفظ زَائد على معناه :
شقّقهُ علجانِ ماهرانِ من لؤلؤٍ صيغَ على قُضبان
مصوغةٍ من ذهب خلصان ثم ترى للسبع والثمان
قد حالَ مثلَ الشذرِ فى الجمان يضحكُ عن مشتبهٍ الأقران
كأنهُ في باطنِ الأفنان زمردٌ لاحَ على التيجان
حتى إذا تمَّ لَهُ شهران وانسدلت عثا كلُ القنوان
كأنها قضبٌ من العقيان فصلْنَ بالياقوتِ والمرجان
من قانيٍ أحمرَ أرجوان وفاقع أصفرَ كالنيران
مثل الأكاليل على الغواني

ولا أعرف في النخل من شعر المحدثين أجود من هذه الارجوزة . وقلت :

ونخيل وقفنَ فى معطف الرمـــــلِ وقُوفَ الحبشانِ فى التيجان
شَربتْ بالأعجازِ حتى تَروَّت وترأأت بزينـةِ الرحمان
طلعَ الطلعُ في الجماجم منها كأكفٍّ خرجنَ من أردان
فتراها كأنها كُمتُ الخيـــلِ توافت مُصرةَ الآذان
أهو الطلعُ أم سلاسلُ عاج حُملت فى سفائن العقيان
ثم عادت شبائها تتباهى بأعالى شبائه أقران
خرزاتٌ من الزبرجدِ خضرٌ وهبتها السلوكُ للقضبان
ثم حال النجارُ واختلفَ الشكـــلُ فلاحت بجوهرٍ ألوان
بينَ صُفرٍ فواقع تتباهي فى شماريخها وحُمرٍ قوانى

وقال بعض العرب * طلعاً كآذان الكلاب البيض *

وقال ابن المعتز في الرُّطب :

كقطعِ العقيقِ يانعاتِ بخالصِ التبرِ مُنوَّعاتِ

وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكنُ بن السعيد قال أخبرنا محمد بن عباد قال تكلم صعصعة عند معاوية بكلام أحسن فيه فحسده عمرو بن العاص فقال : هذا بالتمر أبصر منه بالكلام ، قال صعصعة : أجل أجوده مادق نواه ورق سحاؤه وعظم لحؤه والريح تنفجه والشمس تنضجه والبرد يدمجه ولكنك ياابن العاص لاتمراً تصف ولا الخير تعرف بل تحسد فتقرف(١) فقال معاوية رغماً فقال عمرو أضعاف الرغم لك ومابى إلا بعض مابك .

ومن الغلو فى صفة التمر ماأخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنبارى عن اسماعيل ابن أسحق القاضى عن أبى نصر قال قال الأصمعى قيل للغاضرى أى التمر أجود ؟ قال : الجرد الفطس الذى كأن نواه ألسن الطير تضع الواحدة فى فمك فتجد

---

(١) أى تقذف .

حلاوتها فی کعبك يعني الصيحاني . وقال الخباز البلدى :

ذرَى شجر للطيرِ فيه تشاجرٌ كأن بنات الوردِ فيهِ جواهر
كأن القمارِي والبلابل بينها قِيانٌ وأوراقُ الغصونِ ستائر
شربنا على ذاك الترنم قهوةً كأن على أحداقها الدُّرُّ دائر

وقال غيره :

أيّ يوم لنا على التلِّ بالمـا ء(١) وعيش تضيقُ عنه النعوتُ
وردَّ الدرُّ فيه في شجرِ اللو زِ وفي الخوخ وردَّ الياقوت

وقلت : ظل يسقى حدائقاً وجناناً يالهـا من حدائقٍ وجنان
خطرت بينها الرياحُ سُحيراً فتناصت(٢) تناصىَ الأقران
وتناجي الغصونُ فيها سِراراً وتنادَى الطيورُ بالاعلان
فتناجي الغصونِ شبه عتابٍ وتنادِي الطيورِ مثلُ أغانى
من كرومٍ تمـايلت بعناقيـــدِ كجُمدِ الزنوجِ والحبشان .
ومـلاحيـةٍ تميَّـلُ أخرى كوجوهِ الخـرائد الغُـرّان
كلآلٍ تشبثت بـلآلٍ وبنانٍ تشبَّكت ببنان
فهيَ كالنجم في فروعِ كرومٍ وهيَ كالشمسِ في بطونِ الدنان

وقلت في البطيخ :

وجامعـةٍ لأصناف المعـانى صلحنَ لوقتِ إكثارٍ وقله
وإحـداهنّ تبرزُ في عباء وأخراهن في حِبَرٍ وحُلّه
ومنهـا ماتشبّهه بُـدوراً فان قطّعتها رجعت أهلّه

وقلت : ولونٍ واحـدٍ يُلقى فيأتينا بألوانِ
بسُمرانٍ وسُودانٍ وحُمرانٍ وصُفرانِ
كوشي في يدَىْ واشٍ وشُهدٍ في يدَىْ جانى

(١) المـاء : اسم لناحية. (٢) أي أخـذت كل واحدة بناصية الأخرى .

فمن أُدم ومن نُقلٍ وريحانٍ وأشنان

وأنشدنا أبو أحمد في الكرم :

لهنّ ظلٌّ باردٌ الودائق يحملنَ لذاً طعمهُ للذائق
كأنها غدائرُ العواتق تُناطُ في حُجرٍ من المسالق
كأنها أناملُ الغَرانق

وهو من قول الآخر : * يحملنها بأنامل النقران * وقلت في اللُّفّاح :

انظر الى اللُّفّاح تنظرُ معجباً يجلو عليك مُفَضَّضاً في مُذْهَب
يعلو مفارقَهُ قلانسُ أخفيت من تحتهنّ دراهمٌ لم تضرب

وقلت في قصب السكر ولا أعرف فيه شيئاً لأحد :

وممشوقةِ القاماتِ بيض نحورُها وخُضر نواصيها وصُفر جُسومها
لها حَببٌ لا تستطيعُ اطراحها وليس يُطيقُ سلبها من يرومها
وهنّ رِماحٌ لا تريقُ دَمَ العدى ولكن يُراقُ في القدود صميمُها
يميل على أعرافها عذباتُها كحور تناصى هندُها ورميمُها[1]
تناهى بها الأدراكُ حتى كأنها يُعلُّ بماءِ الزعفران أديمُها
ترى الريح يُغريها بنجوى خفيّة إذا ماجرى قَصرَ العشيّ نسيمها

ومن جيد ماقيل في السِّدر والطلح قول بعضهم :

لم ترَ عَيْنا ناظرٍ مَنظراً أحسن من أفنانِ طلحٍ مَروح[2]
كأنها والريحُ تسمُو بها ألويةٌ منشورةٌ للفُتوح
وسِدرة مدت بأفنانها على سَواقٍ كمتونِ الصفيح

إلا أن قوله « للفُتوح » فضلٌ لا يحتاج اليه لأن الألوية إذا نشرت للفتوح مثلها إذا نُشرت لغير الفتوح فذكر الفُتوح لغو .

وإنما أوردني هذا الكتاب مثل هذا الشعر لأن غيري اختارها فأُريدُ أن

---

(١) رميم : اسم امرأة كهند . (٢) مروح : أي أصابته الريح .

أدلُّ على موضع العيب فيــه ليوقف عليه . ومن جيد ماقيل فى النبق قول بعضهم :

أتانى فحيَّانى بنبقٍ كأنهُ حُـلِىٌّ عَرُوسٍ زان ليتاً وأخدعا
بأحمرَ كالياقوتِ يَقطُرُ ماؤهُ وأصفرَ كالعقيان ضَمَّـهما معا

وقال آخر :

أقبلَ تحتَ الليل كالظبيِ الغَـرِق بالراح والرَّيحانِ والمسكِ عَبِـق
فجـادَ بالوصلِ وحيَّـا بالنبق وقلتُ نبقى هكذا ونتفق
ماالخضرُّ عودٌ أبداً لانفترق

وقلت فى النبق :

جلى الربيعُ علينا كواعباً أبكارا
مُتوَّجات عقيقاً مسورات نهارا
ترى لهنَّ من الور دِ شوذراً وخمارا
أهدى لنا جوهرات تحيرُ الابصارا
ياحسنَ حُمرٍ وصُفرٍ تريك جمراً ونارا
قد راقَ ذاكَ احمراراً وراع ذاكَ اصفرارا
وخلتُ هـذا عقيقاً وخلتُ ذاكَ نُـضارا
وذاك شهداً مشاراً وذاك راحاً عُـقارا
لو كان يبقى سليماً نظمتُـه تقصارا (١)

وقلت فى المشمش ولا أعرفُ فيه لأحد شيئاً مرضياً :

جنيتها والصبحُ وَردىٌّ العَـذَب بنادقاً مخروطةً من الذهب
قد ضُـمِّنتْ أمثالها من الخشب والتفَّ منها خشبٌ على غَرب
وصار منهُ السمُّ حشواً للضرب فهى لعمرى عجبٌ من العجب

الغرب الفضة ، والضربُ العسل . ولاأعرف فى التين أجود من قول القائل :

---

(١) التقصار : القلادة تحيط بالعنق .

أهلاً بتينٍ جاءنا مُبتسماً على طبق
يحكى الصباحَ بعضُه وبعضُه يحكى الغسق
كسُفرٍ مضمومةٍ قد جُمِعت بلا حلق

وقال الحلبى فى الفُستق :

من الفُستقِ الشامىّ كلُّ مصونةٍ تصانُ من الاحداث فى بطنِ تابوت
زبرجـدة ملفوفة فى حريرةٍ مضمّنةٍ دُراً تُغشى بياقوت

وقلت فى خيارة :

زبرجـدةٌ فيها قراضـةُ فضّةٍ فان رجعتْ تبراً فقد خسّ أمرُها
تلم بناطورينِ فى كلِّ حجّةٍ فيكثُر فينا خـيْرُها ثم شرُّها
فعند المصيفِ ليسَ يفقدُ نفعها وعندَ الخريفِ ليسَ يُؤمَنُ ضرُّها

وأما ذَمُّ البساتين فمن أجود ماقيل فيه قول ابن الرومى :

للهِ ماضَيَّعتُه من الشجر أطفال غرسٍ تُرتجي وتُنتَظر
ومُعجبات من بقـولٍ وزهر مصفرة قـد هرمت لامن كـبر
فى بقعة لاسُقيت صوبَ المطر حالِقة لنبتها حَلقَ الشـعر
ضميرها النارُ وان لم تستعر كلُّ امرىءغيرى من هذا البشر
بستانُـه أنثي وبُستانى ذكر

ومما يجرى مع هذا قول الاعرابى :

مُطِرنا فلما أن روينا تهادرت شقاشق فيها رائبٌ وحليب
ورامت رجالٌ من رجالِ ظُلامةً وعدَّت ذُحُولٌ بيننا وَذُنوبُ
ونصَّت ركابٌ للصبا فتروَّحتْ ألا ربما هاجَ الحبيبَ حبيبُ
بنى عمنا لاتُعجلوا انضبَ[1] الثرى قليلاً ويشفى المترفينَ طبيبُ
ولوقد تولى الضبُ وامترت القرى وحنَّت ركابُ الحىّ حين تؤوب

(١) أى جفافه .

وصارَ غَبوق الخَودِ وهي كريمةٌ على أهلها ذو جِدتين مَشوب
وصار الذى فى أنفه خُنْزُوانةٌ ينادى إلى هادى الرحا فيجيب
أولئك أيامٌ تُبَيِّنُ للفتى أ كاب سليب أوأشمُ نجيب

﴿ الفصل الثالث من الباب السابع ﴾

فى ذكر النسيم

من غريب ماقيل فيه قول ابن المعتز :

ونسيم يُبَشِّرُ الأرض بالقطـرِ كذيلِ الغلالة المبلول
وَوُجوهُ البلادِ تنتظِرُ الغيـثَ انتظارَ المحبِّ رَدَّ الرسول

وقال ابن الرومى :

حيَّتك عنا شَمالٌ طافَ طائفها بجنَّة . فجرت رَوْحاً وريحانا
هبّتْ سُحيراً فناجى الغُصنُ صاحبَهُ سِرّاً بها وتنادَى الطيرُ إعْلاَنا
وُرْقٌ تغَنَى على خُضْرٍ مُهدّلةٍ تَسمو بها وتشُمّ الأرض أحيانا
تخالُ طائرها نشوانَ من طربٍ والغصن من هزهِ عطفيه نشوانا

وقال ابن المعتز :

يَشُقُّ رياضاً قد تيقَّظ نَورُها وبلّها دمعٌ من المُزنِ ذارِفُ
كأنَّ عبابَ المسك بين بقاعها يفتحها أيدى الرياح الضعائف

وقلت : والصبا يجلبُ الغمامَ الينا فترى القطرَ للرياضِ نديما
وترى للغصون فيها نجِياً وعلى زَهْرة الرياضِ نميما

وقال ابن الرومى :

كَأَنَّ نَسيمَها أرجُ الخُزامى ولاها بعد وسميٍّ ولىٌّ (١)

---

(١) الولى المطر يأتي بعد الأول وهو الوسمي .

هديّةُ شمألٍ هبّت بليلٍ … لأفنانِ الغصونِ بها نجيُّ
إذا أنفاسُها نسمت سُحيراً … تنفّسَ كالشجيِّ لها الخليّ

وقال ابن المعتز:

وماريحُ قاعٍ عازبٍ طله الندى … وروضٌ من الريحانِ درّت سحائبُه
فجاءت سُحَيراً بينَ يوم وليلة … كما جرَّ في ذيلِ الغلالة ساحبُه

وقد أحسن التشبيه أيضاً في قوله:

ومهمه كرداء الوشي مُشتبه … نفذْتُه والدجى والصبح خيطان
والريحُ تجذبُ أطرافَ الرداءِ كما … أفضى الشفيقُ إلى تنبيه وسنان

وقلت:

وأقبلَ نشرُ الروضِ في نفس الصبا … فباتَ به ثوبُ الهواء مُكفرا [١]

ومما لم يجيء في معناه مثله قول بشار: أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا المكتفي بالله يوماً أنه كان نائماً فسمع دق باب فانتبه له مرتاعاً ثم سكن قليلاً ثم عاد فنظر فاذا الريحُ تحركُ الباب حركةً كأنها دق بيد، قال فقلتُ له قد ذكر الشاعر ذلك وما هو فأنشدته لبشار:

طرقتني صباً فحركتِ البا … بَ هُدُوّاً فارتعتُ منهُ ارتيابا
فكأني سمعتُ حسَّ حبيب … نقرَ البابَ نقرةً ثم هابا

قال ما كنت أظنُّ أنه قيل في هذا شيء، وما أقل ما يجرى مما لم يذكرهُ الناس.

وقال ابن الرومي وأحسن:

لولا فواكهُ أيلولٍ إذا اجتمعت … من كلِّ نوعٍ ورقَّ الجوُّ والماءُ
إذاً لما حفَلت نفسي متى اشتملت … عليهِ هائلة الحالين غبراء
ياحبذا ليلُ أيلولٍ إذا بردت … فيهِ مضاجعُنا والريح سجواءُ
وجمش القرُّ فيه الجلدَ وأتلفت … من الضجيعين أحشاءٌ وأحشاءُ

---

(١) أي فيه كافور.

وأسفرَ القمرُ الساري فصَفْحته ... ريّالها من صفاء الجو لألاء

ياحبذا نفحةٌ من ريحهِ سحراً ... يأتيك فيها من الريحان أنباءُ

قل فيه ماشئتَ من شهرٍ تعهَّدهُ ... في كلِّ يوم يدٌ لله بيضاءُ

وقلت : ولهُ مَجْنح الأصيلِ نسيمٌ ... لينُ العطفِ هَين الخطران

أرجٌ يقتدى به نفسُ المســك وتحكيه نكهةُ الزعفران

كم غدا مُدْنفاً وراحَ حسيراً ... يتهادى في دجلة المسرُقان

فرأينا لهُ لبوسَ شجاعٍ ... ووجدنا بها ارتعاشَ جبان

وإلى هذا انتهى بنا القولُ في هذا الباب ولو أردنا استقصاءه أضجرنا وأمللنا ولم نأت على ما في نفوسنا منه ، والاقتصار على المشاهير(١) والأعيان منه أولى وبالله التوفيق.

انقضى البابُ السابع من كتاب ديوان المعاني والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قمع الضلالة ودمغ الجهالة وقذف بالحق على الباطل فأزهقه وأزاله منه حتى أوبقه بما أقام من الدلائل الواضحة وبين من الشواهد اللائحة وجعل لخلقه حدوداً حذرهم تعديها وخوفهم تخطيها بالقول الصادق والبيان الصادع إعذاراً وتحذيراً وحجة وتنبيها فمن لم يُقنعه ما سبق من صدق قوله وحتم أمره ونهيه حُكم فيه السيفُ وسلط عليه السوط ليردَّاه إلى سبيل الحق بعد أن يجعلاه نكالاً للخلق والله عليم حكيم . وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين. وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) يرى بعضهم عدم جواز جمع (مشهور) على (مشاهير) بل مشهورين .

﴿هذا كتاب المبالغة﴾

في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب وما يجرى مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب الثامن من كتاب ديوان المعانى ﴾

قالوا أبلغُ ماقيل في صفة الحرب قول الأوَّل :

كأنَّ الأُفقَ محفوفٌ بنارٍ   وتحتَ النارِ آسادٌ تزير

وقريب منه قول مُحدث [1] :

ويوم كأن المصطلينَ بحرِّه   وان لم يكن جمرٌ وقوفٌ على جمرِ

صبرنا له حتى تجلى وإنما   تُفَرَّجُ أيامُ الكريهةِ بالصبرِ

ومن بليغ ما قيل فى شدة الروع قول زيد الخيل :

والخيلُ تعلمُ أنى كنتُ فارسَها   يوم الأكس به من نجدَةٍ روق

وقول المفضل الكندى :

فداءٌ خالتى لبنى حيٍّ   خصوصاً يومَ كسُّ القومِ روقُ

معناه ان الأكس وهو القصيرُ الأسنان قد كلح من كراهة الحال وشدة الروع حتى تراه كأنه أروق وهو الطويل الأسنان ، أخذَهُ أبو تمام فأجاده في قوله * فخيل من شدة التعبيس مبتسماً * على أنه ليس فيه مَدح لأن الكلوح في الحرب لايدل على الشجاعة . ومما يدخل فى هذا الباب وليس منه قول أبي فراس بن حمدان فى خيل طاردت يوم ثلج :

ويوم كأن الأرضَ شابت لهوله   قطعتُ بخيل حشو فرسانها الصبرُ

---

(١) هذا البيت لنهشل بن حرى التميمى فهو ليس لمحدث وقد حضر حرب صفين ، ولعله أراد بمحدث أنه ليس بجاهلى ــ كما في هامش الأصل .

تسيرُ على مثلِ الملاءِ منشراً وآثارها طُرزٌ وأطرافها حُمرُ

أجود ماقيل في اصطفاف الخيل قول الأسعر :

وكتيبة لبّستها بكتيبة حتى تقولَ نساؤهم هذا الفتى

يخرجنَ من خَلل الغبار عوابساً كأناملِ المقرور اقعى فاصطلى

يتخالسونَ نفوسهم برماحهم فبمثلهم باهى المباهى وانتمى

ومن أجود ماقيل في انصباب الخيل في الغارة قول ضمرة بن ضمرة :

والخيلُ من خَللِ الغبارِ خوارجٌ كالتمر ينثر من جِراب الجرمِ[1]

وقال آخر :

ورُبّتَ غارةٍ أوضعتُ فيها كسحّ الخزرجىّ جَريم تمر

وقد أحسن الاعرابى في قوله :

نُقاذفُ بالغاراتِ عبساً وطيئاً وقد هربت منا تميمٌ ومذحجُ

بغزوٍ كولغ الذئبِ غادٍ ورائحٍ وكسرٍ كصدع السيفِ لا يتعرج

وقال أبو فراس :

وسمرٍ أعادٍ يلمعُ البيض بينهم وبيضٍ أعادٍ فى أكفهم السمرُ

وخيل يلوحُ الخيرُ بينَ عُيونها ونصلٍ إذا ماشِمتهُ نزلَ النصر

وقوم متى ما ألقهم رَوِىَ القنا وأرضٍ متى ماأغزها شُبعَ النسرُ

ومن أبلغ ماقيل فى اعمال السيف قول عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق[2] بأيدى لاعبينا

وقول قيس بن الخطيم * كأن يدى بالسيف مخراق لاعب *

ومن أحسن ماقيل في الضرب قول الحمانى :

وإنا لتصبحُ أسيافنا إذا ما انتضين ليوم سُفوك

منابرُهنّ بُطونُ الاكفّ وأغمادُهنّ رؤوسُ الملوك

---

(١) جمع جارم الذى يجنى التمر. (٢) المخراق خرقة يلويها الصبيان ويديرونها بسرعة.

أخذه من قول سعيد بن ناشب :

فانّ أسـيافنا بيضٌ مُهندةٌ عتقٌ وآثارها فى هامكم جُددُ
وإن هويتم سللناها فما غمدت إلاوهامُ بنى بكرٍ لها غمدُ

وقال مسلم * ونغمد السيف بين النحر والجيد * وقال أيضاً :

لو انّ قوماً يخلقونَ منيةً من بأسهم كانوا بنى جبريلا
قومٌ إذااحمرّ الهجيرُ من الوغى جعلوا الجماجمَ للسيوفِ مقيلا

وقال حسان : ويثربُ تعلمُ أنابها أسود تنفضُ ألبادَها
إذا ما غضبنا بأسـيافنا جعلنا الجماجِمَ أغمادها

وأحسن ماقيل فِي الضربة الدامية قول ابن المعتز :

شَقّ الصفوفَ بسيفهِ وشفى حزازاتِ الأَحَنْ
دامي الجراح كأنه وزدٌ تفتح في فَنَنْ

ومن عجيب ماقيل فى كثرة الطعن يقع فى الجسد قول بعضهم :

فلولاَ اللهُ والمهرُ المفدّى لرحتَ وأنت غِربالُ الاهاب

وقال قيس بن الخطيم فى سعة الطعنة :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيسِ طعنةَ ثائرٍ لهـا نَفَـذٌ لولا الشُّـعاعُ أضاءها
ملكتُ بها كفى فأنهرتُ فتقها يَرَى قائمٌ من دونهاماوراءها

ومن أبلغ ماقيل فى مضاء السيف قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نمرٍ أسبـادَ سيفٍ قديم اثرهُ بادى
تظلّ تحفـرُ عنهُ ان ضربت به بُعد الذراعين والساقينِ والهادى

وهذا من الافراط والغـلوّ وهو عنـد بعضهم مذمومٌ إذا كان فى هـذا الحدّ وعند آخرين مَمْـدوحٌ ، يقول إذا ضربت به قطع المضرُوبَ وتجاوزه حـتى غاص فى الأرض فاحتجتَ أن تحفرَ عنه فتستخرجه . ودون ذلك في الغلو قول النابغة :

يطيرُ فُضاضاً بينهم كلُّ قَونَسٍ(١) ويتبعها منهم فراشُ الحواجب
تَقُدُّ السَّلوقيَّ المضاعَفَ نسجُهُ وتوقد بالصُّفَّاحِ نارَ الُحباحِب(٢)

يقول انها تقدّ الدرعَ التى ضُوعف نسجها والفارس حتى تبلغ الأرض فتقدح النار بالصُّفَّاح ،وهي حجارة . ومن بليغ ماقيلَ فى صفة السيف قول ابن يامين قال محمد بن داود بن الجراح عن أبى هفان عن الايامى القاضى عن الهيثم بن عدى قال لما صار سيف عمرو بن معدى كرب الذى يُسمي الصمصامة إلى الهادى وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص فتوارثه ولده الى أن مات المهدى فاشتراه موسى الهادى منهم بمال جليل وكان موسى من أوسع بنى العباس خُلقاً وأكثرهم عطاءً للمال قال فجرّده ووضعه بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودعا بمكتل فيه دنانير فقال قولوا فى هذا السيف فبدرهم ابن يامين فقال :

حازَ صمصامةَ الزُّبيدىِّ من بيـ ـنِ جميع الأنامِ موسى الأمينُ
سيفُ عمرٍو وكانَ فيما سمعنا خيرَ ماأُغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقَهُ الصواعقُ ناراً ثم شابت به الزُّعاف القُيون
فاذا ماهززته(٣) بهرَ الشمسَ ضياءً فلم تكن تستبين
يستطيرُ الأبصار كالقبسِ المشتعلِ ماتستقرُّ فيه العيون
وكأن الفرندَ والجوهرَ الجا رىَ فى صفحتيه ماءٌ معينُ
نِعمَ مخراقُ ذى الحفيظة فى الهيـ ـجا بعضّاتها ونعمَ القرينُ
مايبالى إذا انتضاهُ لضربٍ أشمالٌ سطت بهِ أم يمين
وكأن المنونَ نِيطت اليهِ فهو من كلِّ جانبيه مَنون

أُخِذَ عليه من هذه الأبيات تشبيهه السيف بالشمس ثم بالقبس لأنه قدحطهُ درجاتٍ ، فقال موسى أصبتَ مافى نفسى واستخفه الفرحُ فأمر له بالمكتل والسيف

(١) فُضاضاً متفرقا : والقونس أعلى الرأس . (٢) السلوقى : درع منسوب لبلدة سلوق ، والحباحب مااقتدح من شرر النار . (٣) في نسخة « سللته » .

فلما خرج قال للشعراء : إنما حرمتم لأجلى فدونكم المكتل ولى فى هذا السيف غنى ، قال فقام موسى فاشترى السيف منه بمال جزيل ه .

وذكر الهيثم بن عدى هبة عمر بن معدى كرب[1] الصمصامة لسعيد بن العاص فقال قال سعيد بن العاص وهو بالكوفة لعمر بن معدى كرب هب لى الصمصامة فانك قد ضَعُفت عن حمله وكان وزنه سِتَّة أرطال فقال عمرو ما ضَعُفت قناتى ولا جنانى ولا لسانى وان اختلّ جُثمانى وهو لك على انه اوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يقبسه[2] ثم قال :

خليلٌ لم أهبهُ من قِلاهُ ولكنّ المواهبَ فى الكرام

خليلٌ لم أخنهُ ولم يخُنّى على الصمصامِ أضعافُ السلام

قوله « أوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يُقبسه » يقول اذا كنتُ أستوحش من جانب العدو آنسنى واذا أظلم لىَ الليل اضاء لى . وقال البحترى :

مُصْغٍ الى حُكم الردَى فاذا مضى لم يلتفت واذا قضى لم يعدل

متوقّد يَبرى بأوّل ضربة ماأدركتْ ولو أنها فى يذبل

فاذا أصابَ فكلُّ شىء مقتلٌ واذا أصيبَ فما له من مقتل

يغشى الوغى فالترسُ ليس بجنة من حدّهِ والدرعُ ليس بمَعقِل

وذكر عمرو بن معدى كرب أنواع السلاح فأجاد: أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو عبد الله بن عرفة قال أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابى قال حدثنى رجلٌ من ولد أبى سرحة الغفارى قال قدم عمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسأله عن سعد بن أبى وقاص فقال عمرو اعرابىّ فى نمرته طاتقٌ فى حجلته أسدٌ فى تاموته نبطىّ فى جبايته . فقال كيف علمك بالسلاح ؟ فقال بَصيرٌ قال فأخبرنى عن النبل قال منايا تخطىء وتصيب قال فأخبرنى عن الرمح

---

(١) كذا، ولعل صواب رسمها « معديكرب » . (٢) لعل المعنى أن من لم يؤنسه هذا السيف أصابته الوحشة ومن لم يقبسه عمته الظلمة ، كما فى هامش الأصل .

قال أخوك وربما خانك قال فأخبرني عن الترس قال هو المجنّ وعليه تدور الدوائر قال فأخبرني عن السيف قال عنده قارعت أمك الثكلى قال بل أمك والحمى أضرعتني لك . النمرة كساء أسودُ تلبسه الاعراب ، والعاتق الجارية الكعاب وصفه بالحياء والتامورةُ ههنا الاجمة ، فقال نبطيٌّ في جبايته وصفه بالاستقصاء في جباية الخراج ، وقوله الحمى أضرعتني لك أي الاسلام قيّدني لك وأذلني ولو كنتُ في الجاهلية ما كلمتني بهذا الكلام، وهو مثلٌ العرب تضربُه عند الشيء يضطرها الى الخضوع .

ومثل ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دُريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال قال الاغرّ النهشلي ووقع بينه وبين قومه شرٌّ فأرسل ابنه وقال يا بُنَيَّ كن يداً لأصحابك على قتالهم وإياك والسيف فانه ظِلُّ الموت واتّق الرمح فانه رشأ المنية ولاتقرب السهام فانها رُسُلٌ تعصي وتُطيع قال فبم أقاتل؟ قال بما قال الشاعر :

جلاميدُ املاء الاكُفِّ كأنها   رؤوسُ رجالٍ حلّقت في المواسم

فعليك بها فألصقها بالاعقاب والسوق .

وقد أحسن التنوخي في صفة الحرب حيث يقول :

في موقف وقفَ الحمامُ ولم يَزِغ   عن ساحتيه وزاغت الابصارُ
فَقَناً يسيلُ من الدماء على قنا   بطوالهنّ تَقَصَّرُ الاعمارُ
ورؤوسُ أبطالٍ تطايرُ بالظبي   فكأنها تحتَ الغبار غبارُ

وقد أجاد ابن المعتز في هذا المعنى حيث يقول :

قومٌ اذا غضبوا على أعدائهم   جَرُّوا الحديدَ أزِجَّةً ودُروعا
وكأن أيديهم تُنَفِّرُ عنهمُ   طيراً على الأبدانِ كُنَّ وُقوعا

وقال أيضاً :

بطعنٍ تضيعُ الكفُّ في هَوَاتِهِ   وضربٍ كاشقٍّ الرداءُ المرَعبَل

وقال أيضاً :

قَرَينا بعضَهم طعناً وجيعاً   وضرباً مثلَ أفواهِ اللقاح

وقال البحترى وأحسن فى ذلك :

ألوى اذا طعنَ المدجج صَكّهُ   ليديهِ أو نثرَ القناة كُعوبا

فأنا النذيرُ لمن تعطرسَ أوطغى   من مارنٍ يدعُ النُحورَ جُيوبا

وقد ظرّف في قوله أيضاً :

ولولم يحاجز لؤلؤٌ بفرارهِ   لكانَ لصدرِ الرُمح فيلؤلؤٍ ثقب

ومن المختار قول مالك بن نُويرة :

بسُمرٍ كأشطانِ(١) الجرُور نواهلٍ   يجور بها ذو المنايا ويهتدى

يقعنَ معاً فيهم بأيدى كماتنا   كأنّ المنايا للرماح بموعد

ومن أبلغ ماقيل في صفة الضرب والطعن من قديم الشعر قول عبدمناف بن ربعى :

فالطعنُ شعشعةٌ والضربُ هيقعة   ضربَ المُعَوّلِ تحتَ الديمة العضدا

وللقسىّ أزاميلٌ وغمغمةٌ   حِسّ الجنوب تسوّى الماءَ والبردا

الهيقعة : وقع الشيء الصُلب على مثله سمعت هيقعة الحجر والحديد ، وشبّه أصوات القسى بصوت السحاب الذى فيه برد ، والمعول الذى يتخذ العالة وهو أن يعمد الراعى اذا خاف المطر إلى الشجر يتعضده ويجعل غضده على شجرتين متقاربتين ويستكن تحته ، والعضَد مايعضد من الشجر أى يُقطَعُ والعضْد المصدر .

ومن أجود ماقيل فى نفوذ التدبير فى الحرب مع الغيبة عنها قول ابن الرومي في صاعد :

يَظلُّ من الحرب العوان بمعزل   وآثارهُ فيها وان غابَ شُهّدُ

كما احتجبَ المقدارُ والحُكمُ حُكمهُ   على الناسِ طراً ليس عنه مُعَرّدُ(٢)

أخذه من قول بشار بن برد :

الدهرُ طلاعٌ بأحداثهِ   ورُسلهُ فيها المقادير

محجوبة تُنفذ أحكامَها   ليسَ لنا عن ذاكَ تأخيرُ

وقال: حصرتَ عميدَ الزّنج حتى تخاذلت   قواهُ وأودى زاده المُتزودُ

---

(١) جمع شطن وهو الحبل .   (٢) أى مهرب .

وكانت نواحيه كثافاً فلم تزل ... تحيّفها حتى كأنك مبرد
تُفرقُ عنهُ بالمكايد جُندَهُ ... وتزدادهم جنداً وجيشك محصد (١)
سكنت سكوناً كان رهناً بوثبة ... عماس كذاك الليث للوثب يلبد
فما رمته حتى استقلّ برأسه ... مكان قناة الظهر أسمرُ أجرد
مناك له مقداره فكأنما ... تقوّض ثهلانٌ عليه وصِنْدَد

فقال صندد بفتح حرف الردف وهو خطأ وليس في العربية فعلل إلا درهم وهجرع وهو الطويل الأحمق، وهبلع وهو الكثير البلع، وقلعم وهو الكثير القلع للأشياء، وكان بنى قصيدته على فتح الردف ولم يلزمه ذلك وكابر على فتح صندد ورمدد وهما مكسوران فزعم محمد بن حبيب أنه رواهما بالفتح، وكابر أيضاً على فتح الزاء من «درم» في قصيدته التي أولها:

* أفيضا دماً ان الرزايا لها قيم * وأنما هو «دَرِم».

وأحسن ما قيل في الكيد والحرب قول أبي تمام:

هززت له سيفاً من الكيد انما ... تجذ به الاعناق مالم يجرّد
يسرُّ الذي يسطو به وهو مغمدٌ ... ويفضحُ من يسطو به غيرَ مغمد

يقول ان أخفيت الكيد ظفرت وسررت وان أظهرته افتضحت وخبت.

وقد أحسن في وصف الرماح حيث يقول:

أنهبتَ أرواحهُ الأرماح إذ شُرعت ... فما تُردُّ لريبِ الموتِ عنهُ يدُ
كأنها وهي في الأرواحِ والغةٌ ... وفي الكلى تجدُ الغيظَ الذي يجدُ
من كلِّ أزرقَ نظارٍ بلا نظرٍ ... الى المقاتلِ مافي متنهِ أودُ
كأنه كان خِدنَ الحبِّ مُذ زمنٍ ... فليس يُعجزهُ قلبٌ ولا كبدُ

ويُشبّه بياض السيف بالملح فمن أجود ماقيل فيه قول النمري:

ذكرٌ برونقه الدماءُ كأنما ... يعلو الرجالَ بأُرجوان فاقع

(١) أي قوي مجتمع متضافر.

وترى مضارب شفرتيهِ كأنها ... ملحٌ تناثرَ من وراءِ الدارع

ويُشَبَّه الفرند بمدبِّ الذر فمن قديم ما قيل فيه قول امرىء القيس :

مُتوَسِّداً عَضباً مضاربُه ... في مَتنهِ كمدبةِ النمل

وقول أوس بن حجر :

وذو شَطبات قَدُّه ابن مُجَدَّع ... له رَونقٌ ذرِّيه يتأ كلُ

وأشبرنيه الهالكىُّ كأنه ... غديرٌ جرى فى متنهِ الريحُ سلسل

وأخرج منه القينُ أثراً كأنه ... مَدَبُّ دباً سودٍ سرىوهو مسهل

وقال ابن المعتز وأبدع :

وجَرَّدَ من اغمادِهِ كلُّ مُرهَف ... إذا ماانتضته الكفُّ كاد يسيلُ

ترى فوقَ متنيهِ الفِرندَ كأنما ... تنفسَ فيهِ القينُ وهو صقيلُ

وقال اسحق بن خلف :

ألقى بجانبِ خصرهِ ... أمضى من الأجلِ المُتاح

وكأنما ذرُّ الهبا ... ءَ عليه أنفاسُ الرِّياح

وقال قيسُ بنُ الخطيم :

أجالدُهم يومَ الحديقةِ حاسراً ... كأن يدى بالسيفِ مِخراقُ لاعِب

بسيفٍ كأنَّ الماءَ في صفحاتهِ ... طحاريرُ غيمٍ أو قرونُ جنادِبِ

أخذه ابنُ المعتز فقال :

ولى صارمٌ فيهِ المنايا كوامنٌ ... فما ينتضى إلا لسفكِ دماءِ

ترى فوقَ متنيهِ الفِرَندَ كأنه ... بقيَّةُ غيمٍ رقَّ دون سماءِ .

وقد أجاد ابن الرومى في قوله :

خيرُ ماا ستعصمت به الكفُّ عضب ... ذكرٌ متنُه أنيثُ المهزِّ

ماتأمَّلتَه بعينك إلاّ ... أبرقت صفحتاهُ من غيرِ هزِّ

مثله أفزعَ الشجاعَ الى الدِّر ... عِ فغالي به على كلِّ بزِّ

ما أبالى أصمَّمتْ شفرتاهُ في محزٍّ أو جازتا عن محزّ

وقال آخر : جرّدُوها فألبسوها المنايا عِوضاً عوضت من الاغمادِ

وكأنّ الآجالَ ممن أرادوا وظُباها كانت على ميعادِ

وقلت : تميلُ كفي مَن سيفٍ الى قلمٍ والعزُّ نصفانِ بينَ السيفِ والقلمِ

وقال ابن المعتزّ :

وسيوفٍ كأنها حينَ سُلت ورقٌ هزّهُ سُقوطُ قطارِ

ودروعٍ كأنها شَمَطٌ جعْدٌ دهينٌ يضلّ فيها المَداري

وقال ابنُ الأعرابي أحسن ماقيلَ في صفة الرماح :

وبكلِّ عَرّاص المهزّةِ مارنٍ فيه سنانٌ مثلُ ضوءِ الفرقَدَ

أحسن ماقيل في صفة الرماح قول المزرد :

أصم إذا ما هُزَّ مالت سراته كما مال ثعبانُ الرمالِ الموائلِ

له رائدٌ ماضي الغرار كأنه هلالٌ بدا في ظلمةِ الليلِ ناحلِ

وقال الأصمعي أحسن ماقيل في صفة الرمح قول أبي زبيد :

وأسمر مربوعٌ يرى ماأريته بصيرٌ إذا صوّبته للمقاتل

وقال ابن الأعرابي أحسن ماقيل في ذلك قول مسكين :

بكلِّ رُدَيْنيٍّ كأنَّ كعوبَه قطانسق يستورد الماءَ صائف

كأن هلالاً لاح فوق سراته جلاالغيمَ عنهُ والقتامَ الحراجفُ(١)

وأحسن ما قيل في سرعة وقع الرماح وتداركه قول دريد بن الصمة :

نظرتُ اليهِ والرماحُ تَنوشهُ كوقع الصياصي في النسيج الممددِ

الصيصية الشوك الذى يسوى به الحائك الثوبَ ، والصيصية أيضاً الحصن ويقال للناشز من ساق الديك الصيصية أيضاً . وقد أحسن البحتري في قوله :

في معركٍ ضنكٍ تخالُ بهِ القنا بين الضلوع إذا انحنينَ ضلوعا

(١) الحراجف : فاعل جلا وهي الرياح الشديدة :

وأجود ماقيل في إدمان حمل الرمح قول الآخر :

وقد طالَ حملي الرُّمحَ حتى كأنهُ على فرسي غُصنٌ من البان نابتُ
يطولُ لساني في العشيرة مُصلحاً على أنه يومَ الكريهةِ ساكتُ

والسكوت في الحرب دليل على سكون الجأش ، وكثرة الصوت فيها أمارة الفزع ، وقد قيل * وكثرة الصوت والايعاد من فشل * وقلتُ في الرمح :

يغدو بصدْقِ الكعوبِ لَدْن يهتزُّ ما بينَ كوكبينِ

أعني الزج والسنان . وقال البحتري :

كأنما الحربة في كفهِ نجمُ دُجى شيعهُ البدرُ

وقد شبهت العرب الرماح بالأشطان والاسنة بالشهبان فتركنا ذكر ذلك لشهرته واستفاضته . أجود ماقيل في القوس من قديم الشعر قول أوس بن حجر [1] وهو أوصف العرب للسلاح :

فجرّدها صفراء لا الطولُ عابها ولا قِصرٌ أزرَى بها فتعطلا
كتوم طلاع الكفّ لادونَ ملئها ولا عجسها عن موضع الكف أفضلا
وحشو جفيرٍ [2] من فروع غرائب تنطعَ فيها صانعٌ وتأمّلا
تخيرنَ أنضاءً وركبنَ أنصلاً كجمر الغضا في يوم ريح تزيّلا

وقال الشماخ في صوت القوس :

إذا أنبضَ الرامونَ عنها ترنمت تَرَنُّمَ ثكلى أوجعتها الجنائز

وقال آخر: وهي إذا أنبضت عنها تسجعُ ترنم الثكلى أَبتْ لا تَهجعُ

وقال آخر: تسمعُ عندَ النزع والتوتيرِ في سيتيها رنّة الطنبورِ

وقال الاصمعي : أحسن كلام في الايجاز قول عكلي في صفة قوس :

* في كفه معطيةٌ منوع * ومن أحسن ماقاله محدث في القوس قول ابن المعتز بالله :

---

(١) هو الشاعر التميمي المشهور ، عمر طويلاً ولم يدرك الاسلام .

(٢) أي ورب حشو الخ ، وحشو الجفير هو السهام ، والجفير الكنانة .

أتيح لها هفانٌ يخطم قوسه (١) بأصفر حنان القرى (٢) غير أعزلا
فأودعهُ سهماً كبدرى مواشط بعثنَ به فى مفرق فتغلغلا
بطيئاً اذا أسرعتَ إطلاقَ فوقه ولكن اذا أبطأتَ فى النزع عجلا

وأجود ماشُبه به أفواقُ السهام قول الآخر :

أفواقها حشوُ الجفير كأنها أفواهُ أفرخة من النغران

والنغران جمع نغرة وهى عصفورة . وقال الفندُ الزمانى (٣) :

* ونبلي وفقاها كعراقيب قطاً طحل * أخذه عتّابُ بن ورقاء فقال (٤) :

وحطّ عن منكبه شريانة مما اصطفى بارى القسيّ وانتقى
أمّ بنات عدّها صائنُها ستّينَ فى كنانة مما برى
ذات رؤوسٍ كالمصابيح لها أسافلٌ مثل عراقيبِ القطا
ان حُرّكت حنت الى أولادها كحنة الواله من فقد الطلا (٥)
حتى اذا ماقُرنت ببعضها لانت ومال طرفاها وانثنى

وقال ابن الرومي فى قوس بندق (٦) :

كأنّ قَراها والغرور (٧) التى بها وان لم تجدها العينُ الا تتبّعا
مذرٌّ سحيقِ المسك فوقَ صلاية أدبَّ عليها دارجُ الذّر أكرُعا
لها أولٌ طوع اليدينِ وآخرٌ اذا مُتّعتهُ الاغراقَ فيه تمنعا
تطوعُ لراميها الرمايا كأنما دعاها لهُ داعى المنايا فأسمعا
يُقلبُ نحو الجوّ عيناً بصيرةً كعينك بل أذكى ذكاءً وأسرعا

---

(١) جعل الاثر بمنزلة الخطام . (٢) القرى: الظهر . (٣) الفند الزمانى : اسمه شهل بن شيبان ، وهو الشاعر الجاهلى ، كان سيد بكر وقائدها فى زمانه .
(٤) من أمراء العرب الأبطال . (٥) هو الصغير من أولاد الحيوان .
(٦) كرة صغيرة يقذفون بها . (٧) الغرور : الغضون

لها عولةٌ أولى بها من تصيبهُ ‏ ‏ ‏ وأجدرُ بالأعوالِ من كان موجعا

وهذا مثل قوله فى امرأة :

تشكي المحبَّ وتلفي الدهرَ شاكيةً ‏ ‏ ‏ كالقوسِ تصمى الرمايا وهى مرنان

وقال المتنبي فى سداد الرمى :

يُصيبُ ببعضها أفواقَ بعض ‏ ‏ ‏ فلولا الكسرُ لاتصلت قضيبا

وقال الراجز فى ضد ذلك :

مستهترٌ بالرمى واهٍ عَضده ‏ ‏ ‏ يطيعهُ القلبُ وتعصيه يَدُهْ

أحصن شيء يومَ يرمي طَرَده ‏ ‏ ‏ كأنَّهُ فؤاده أو كبده

وقال ابن الرومى فى سهام :

وكل ابن ريح يسبقُ الطرفَ معجه ‏ ‏ ‏ مَرُوقٌ ومنزوعٌ لدى حومَةِ الجذب

صنيعٌ مريشٌ قوَّمَ القينُ متنهُ ‏ ‏ ‏ فجاءَ كما سُلَّ النخاعُ من الصلب

يغلغلهُ فى الدرع نصلٌ كأنهُ ‏ ‏ ‏ لسانُ شجاع محرج همَّ بالسلبِ

وقال ابن المعتز فى قوس البندق :

وماءٍ به الطيرُ مربوطةٌ ‏ ‏ ‏ تحاكي الحلىَّ بأطواقها

غدونا عليهِ وشمسُ النهار ‏ ‏ ‏ لم تكسهُ ثوبَ إشراقها

فظللنا وظلت عُيونُ القسىِّ ‏ ‏ ‏ ترمي الطيورَ بأحداقها

وقد أحسن القائل فى صفة الرماح على العواتق :

ترى غايةَ الخطىِّ فوقَ رؤوسهم ‏ ‏ ‏ كما أشرفت فوقَ الصوار (١) قرونها

ومما يجرى مع ذلك قول أبى فراس بن حمدان :

وما الذنبُ إلا العز يركبهُ الفتى ‏ ‏ ‏ وما ذنبهُ إن جاوزته المطالبُ

ومن كان غير السيفِ كافل رزقهِ ‏ ‏ ‏ فللذلِّ منهُ لا محالةَ جانب

وما جاء عن أهل الجاهلية فى النشاب شيءٌ إلا قول سيف بن

---

(١) الصوار : جماعة بقر الوحش .

ذي يزن يذكر القوس :

هزّوا بناتِ الرياح نحوهمُ أعوجُها طامحٌ وزمزمها
كأنها بالفضاءِ أرشـيةٌ يخفّ منقوضها ومُبرَمُها

فأما النبلُ فقد جاء فيها عنهم شيءٌ كثيرٌ .

أجود ما قيل في الدروع : قال أبو عبيدة أحسن ماقيل فيها قول كعب بن زهير :

وبيض من النسج القـديم كأنها نهاء [1] بقاع ماؤها مترابعُ [2]
تصفقها هوجُ الرياح إذا صفت وتعقبها الأمطارُ فالمـاءُ راجع

وهو مأخوذٌ من قول امرىء القيس :

تفيضُ على المرءِ أردانـهـا كفيض الأتى [3] على الجـدْجدِ

وقال البحترى :

يمشون فى زرد كأنَّ مُتونها فى كل معركةٍ مُتونَ نهاءِ
بيض تسيلُ على الكماة فضولها سيلَ السرابِ بقفرة بيداء
وإذا الأسـنةُ خالطتها خلتها فيهـا خيال كواكبٍ في ماءِ

ومعنى البيت الأخير دقيقٌ غريبٌ حسنٌ مصيبٌ ما أظنه سبق اليه .

ومن مليح ماجاء فى صفة الدرع قول بعض بنى هاشم :

وعليَّ سابغةُ الذيولِ كأنها سلخٌ كسانيه الشجاعُ الأرقم

ومن مليح ماجاء فى صفة الحرب ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائنى قال قال رجل من بنى تميم لعبادى: لم يكن لآل نصر بن ربيعة صولة فى الحرب قال لقد قلت بُطلاً ونطقت خطلاً كانوا والله إذا أطلقوا عُقل الحرب رأيت فرساناً تمور كرجل الجراد وتدافع كتدافع الامداد فى فيلق حافاته الاسل يضطرب عليها الاجل إذاها جت لم تتناه دون بلوغ اراداتها ومنتهى غايات طلباتها لا يدفعها دافع ولا يقوم لهـا جمعُ جامع وقد وثقت بالظفر لعزِّ أنفسها

(١) جمع نهي وهو الغدير (٢) أي متردد. (٣) أي الجدول .

وأيقنت بالغلبة لضراوة عادتها فلها العلوُّ والتمكينُ ولمن ناوأها الذلُّ والتوهينُ خصَّت بذاك على العرب أجمعين . ومما يجرى معذلك ماأخبرنا به أبوالقسم عن العقدى عن أبى جعفر قال أنشد جريرٌ هشام بن عبد الملك :

لقومىَ أحمي للحقيقةِ منكمُ ... وأضربُ للجبّار والنقعُ ساطع
وأوثقُ عندَ المُرْدَفاتِ عشيةً ... لحاقاً إذا ماجرَّدَ السيف لامعُ

فقال هِشام لم تركتَ نساءك حتى أُردفن ألا جعلتهن كنسوة المخبّل فما سمعنا بعربيات قط أمنع منهن حيثُ يقول :

وساقطة كُور الخِمار حييَّة ... علىظهر عُرْى زالَ عنها جِلالُها
تَشُدُّ يديها بالسنامِ وقد رأت ... مُسوَّمةً يأوى اليها رِجالُها
نزلنا فساقينا الكُماةَ دماءَها ... سجالَ المنايا حيث تُسقى سجالُها

وأجود ماقيل فى ثبات الرجال في الحرب قول الحرث بن عبّاد :

قَرِّبا مربطَ النعامةِ منى ... لقَحَتْ حربُ وائل عن حِيال
قَرِّباها فأنَّ كفِّيَ رهنٌ ... ان تزولَ الجبالُ قبل الرجال

وقد وصف اللهُ ذلك فى كتابه فقال (ان اللهَ يُحِبُّ الذينَ يُقَاتِلونَ فى سَبيلِهِ صَفّاً كأنَّهم بُنيانٌ مَرْصُوصٌ)ولم يصف أحدٌ من المتقدّمين والمتأخرين القتال في المراكب إلا البحترى: أخبرنا به أبوأحمدقال أخبرنا الصولي قال سمعتُ عبد الله بن المعتز يقولُ لولم يكن للبُحترى إلا قصيدته السينية فى وصف ايوان كسرى فليس للعرب سينيةمثلها ، وقصيدته فىالبركة * ميلوا الى الدار من ليلى نحييها* واعتذاراته فى قصائده الى الفتح التى ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة الى النعمان مثلها ، وقصيدته فى دينار بن عبد الله التى وصف فيها مالم يصفه أحدٌ قبله أولها * ألم تر تغايس الزبيع المبكر * ووصف حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف إذا أضيف الى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه . وكان كثيراً مَا ينشد له ويعجبُ من جودته :

غدوتُ على المأمون صُبحاً وإنما غدا الركبُ الميمونُ تحتَ المظفَّر
إذا زجرَ النوتيُّ فوقَ علاته رأيتَ خطيباً فى ذُؤابةِ منبرِ
يَغضُّونَ دُونَ الاستنامِ عيونهم وقوفَ السماطِ للعظيمِ المؤمَّر
إذا ما علت فيه الجنوبُ اعتلى له جناحا عُقابٍ فى السماء مُهجَّر
إذا ما انكفا فى هَبوةِ الماءِ خلتَهُ تلفعَ فى أثناء بُردٍ محبَّرِ
وحولك ركَّابونَ للهولِ عاقروا كؤوسَ الردى من دارعينَ وحُسر
تميلُ المنايا حيثُ مالت أكُفُّهم إذا أصلتوا حدَّ الحديدِ المذكَّر
إذا رشقوا بالنارِ لم يكُ رشقهم ليُقلعَ إلا عن شِواء مُقتَرِ
صدمت بهم صُهبَ العثانين دونهم ضِرابٌ كايقـاد اللظى المتسعر
كأن ضجيجَ البحرِ بينَ رماحهم إذا اختلفت ترجيعُ عودٍ مُجرجر
تقارب من زحفيهم فكأنما تؤلفُ من أعناقِ وحشٍ منفرِ
فما رحت حتى أجلت الحرب عن طُلى مقطعةٍ فيهم وهامٍ مُطيرِ
على حين لا نقعٌ يطوِّحُه الصبا على الارضِ يلقى للصريع المقطر
وكنت ابن كسرى قبلَ ذاك وبعدهُ مليّاً بأن توهى صَفاة ابن قيصر
جدحت له الموتَ الزعافَ فعافهُ وطار على ألواح شطب مسمر
مضى وهو مولى الريح يشكرُ فضلها عليه ومن يولى الصنيعة يَشكُرِ

ومن أجود ماقيل فى السهم من قديم الشعر قول عنترة :

أبينا فما نُعطي السَّوام عدونا قياماً بأعضاد السراء [١] المعطّف
بكلِّ هتوفٍ عجسها رَضويّة [٢] وسهم كسيرِ الحميريِّ الموقف

وقال راشد بن سهاب [٣] اليشكرى :

ونبلٍ قران كالنسور سَلاجِم وفِلقٍ هَتوفٍ لاسقيٍّ ولا نَشَم

(١) السراء : شجر تصنع منه السهام . (٢) نسبة إلى رضوى .
(٣) سهاب ككتاب بالسين المهملة ـ على مافى القاموس .

ومُطَّرِدِ الكعبين أحمر عاقد وذات قتيرٍ في مواصلها دَرَم

وصف النبل والقوس والرمح والدرع في بيتين فأحسن ، والادرم الأملس الذى لاحجم له ، والسلاجم الطوال ، والسقى الذى يشرب الماء ، والنشم شجر .

ومن أجود ماقيل في البيض من قديم الشعر قول سلامة بن جندل(١) :

اذا ماعلونا ظهر نشز كأنما على الهام منا قيضُ بيض مفلّق

وقول الآخر * كأنّ نعام الدّوّ باض عليهم * ورواه بعضهم : كأن نعاج الجو باض عليهم * فقيل له أخطأت من وجهين أحدهما أن النعاج لاتكون في الجو والآخر انها لاتبيض . ومن أحسن ماقيل فيه قول ابن المعتز :

وبيضٍ كأنصاف البدورِ أبيةٍ اذا امتحنتهنّ السيوفُ خِيارُ

فتشبيهها بأنصاف البدور تشبيه غريبٌ مصيبٌ .

أجود ماقيل في اتباع الرجال الرئيس في الحرب قول البحترى :

حمرُ السيوفِ كأنما ضَربت لهم أيدى القيونِ صفائحاً من عسجد

في فتيةٍ طلبوا غُبارك انّهُ رَهجٌ ترفّع عن طريقِ السؤدد

كالرمح فيه بضعُ عشرةَ فقرة مُنقادة خلفَ السنانِ الاصيدِ

وقد أحسن ابن هرمة في قوله وهو في غير هذا المعنى :

اذا شَدّوا عمائمهم ثنوها على كرمٍ وان سفروا أناروا

يبيعُ ويشترى لهمُ سواهم ولكن في الطعانِ همُ التجار

ومن أجود ماقيل في صفة الشجاع الجواد قول الآخر :

خُلِقت أناملهُ لقائم مُرهفٍ ولبثّ عارفةٍ وذروة منبَرِ

يلقى الرماحَ بوجههِ وبصدره ويُقيمُ هامتهُ مقامَ المغفَرِ

ويقولُ للطّرفِ اصطبر لشبا القنا فهدمتُ رُكنَ المجدِ إن لم تعقَرِ

واذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مقبلٍ مُتسربلٍ سربال ليلٍ أغبرِ

---

(١) هو الشاعر الجاهلي التميمي الحجازى، يُعَدّ في طبقة المتلمس .

أوما الى الكَوْماء هذا طارقٌ نحّرتنيَ الاعداءُ إن لم تنحَرِ [1]

ومن أبلغ ما حُذِّرَ به الحرب قول بعض العجم : دافع بالحرب ما أمكن فان النفقة فى كل شيء من الأموال إلا الحرب فان النفقة فيها من الأرواح .

وقال النابغة الجعدى :

وتستلبُ المالَ الذى كانَ رَبُّها ضنيناً به[2] والحربُ فيها الحرائبُ

فتبعه أبو تمام فقال * والحربُ مشتقة من الحرب * وقول جدل الطعان :

دعانى أشبُّ الحرب بينى وبينهُ فقلتُ له لا بل هَلُمَّ الى السِّلم

وإياك والحرب التى لا أديمها صحيحٌ وما تنفكُّ تأتى على الرغم

فان يظفر الحِزْبُ الذى أنتَ منهمُ وينقلبوا ملءَ الأكفِّ من الغُنم

فلا بُدَّ من قتلى لعلك فيهمُ وإلا فجرحٌ لا يكون على العظم

فلما أبى خلّيتُ فضلَ ردائه عليه فلم يرجع بحزمٍ ولا عزم

وكان صريع الخيلِ أوّلَ وهلةٍ فبعداً له مختارَ جهلٍ على علم

ومن أجود ما قيل فى تهوين الحرب والقتل ما أنشدناه أبو أحمد فى خبر أخبرناه عن الصولى عن عبيد الله السكونى قال دخل محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علىّ على بعض أمراء الكوفة وقد جرى عليه ظلمٌ فلم ينصفه فخرج من عنده وقال :

يا أيها الرُجلُ الذى بيمينه غيثُ الزمانِ وصولةُ الحدَثان

أنعم صباحاً بالسيوفِ وبالقنا انّ السيوفَ تحيةُ الفتيان

قد أبطرتكَ سلامةٌ فنسيتَ ما أسلفتَ من برٍ ومن إحسان

والدهرُ خِدنُ مَسرّةٍ ومضرّةٍ مُتقلِّبٌ بالناسِ ذو ألوان

يخاطب نفسهُ ويأمرها بمجاهرة السلطان بالعصيان إذ ليس عندَه للظلم نكير فيكون ذلك سبباً للحرب فيحيي بالسيوفِ فلا يفزع فانها تحيةُ الفتيان .

وقال علىٌّ بن جبلة :

---

(١) تقدم بعض هذه الأبيات فى الجزء الاول . (٢) في الاصل « بها » .

كأنّ ارماحه تعطى إذا عملت ... تحتَ العجاجة أسماعاً وأبصارا

ومن أحسن ماقيل في تقسيم الخيل في الحرب قول النابغة : أخبرنا أبو أحمد قال أنشدنا محمد بن يحيى قال أنشدنا المبرّد قول النابغة وذكر أنه أحسن ماقيل فى تقسيم الخيل فى الحرب : .

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمة ... تحت العجاج وخيلٌ تعلكُ اللُجُما

قال ثعلب قلتُ لابن الأعرابى الصائمة التى لا تصهل وغير الصائمة التى تصهل فما هذه الأخرى ؟ قال التى تعلك اللجم في الكمين .

أخذه محمد بن مسلمة البشرى يصف تأديبه فرسهُ :

عوّدْتهُ فيما يزور حبائبى ... إهمالهُ وكذاك كلُّ مُخاطر

فاذا احتبي قربوسه بعنانه ... علك الشكيمَ الى انصراف الزائر

ومن أجود ماقيل في ارتفاع الغُبار ولمعان الأسنة فيه من قديم الشعر قول النابغة:

تبدو كواكبُه والشمسُ طالعةٌ ... نوراً بنورٍ وإظلاماً بأظلام

قالوا أراد قول الناس : لأرينك الكواكب نهاراً ، وقالوا أراد توضح الاسنة في سواد العجاج . ومن أحسن ماقيل في ذلك قول بشار :

كأن مثارَ النقع فوقَ رؤوسنا ... وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

وقال النمرى: ليل من النقع لاشمسٌ ولاقمر ... إلا جبينك والمذروبَةُ الشرُع

وقول ابن المعتز :

وعمَّ السماءَ النقعُ حتى كأنه ... دخانٌ وأطرافُ الرماح شرارُ

وأبلغ ماقيل فى الاقدام والاقتدار على العدو قول بعضهم :

عشيةَ كنا بالخيارِ عليهم ... أننقصُ من أعمارهم أم نزيدها

ومن بديع المعانى فى صفة اللقاء قول بعض الأعراب :

على كلِّ جرداءِ القَرى (1) أعوجيةٍ ... إذا طرَدت لم ينجُ منها طريدها

(1) القرى : الظهر .

وما قادَ من قوم الينا جيادَهم فنلقاهمُ إلا رجعنا نقودها

وقلت فى معناه :

الى ابن الأولى شادوا المعالىَ بالظبى وعمُّوا البرايا باللُّهى والرغائب
إذا طلبوا رَوحَ الحياةِ وطيبها فبين سواقٍ للردَى وحواصب
إذ البيضُ فى سُود القساطل أنجمٌ غوارُب تهوى في الطلى والغوارب
وتحملهم يومَ الكريهةِ ضُمَّرٌ تشولُ الى الهيجاءِ شَولَ العقارب
فكم وقفـة فى الروع منهم وحملةٍ أثارت بناتِ الحتفِ من كلِّ جانب
تَردُّ الجياد تحت قسطلة الوغى جنائب أو تقتادها فى الجنائب
بأبيض مصقولٍ كأن بحدِّه ضرائبَ من تصميمه فى الضرائب

ومن أجود ماقيل في كثرة الجيش قول الأخنس بن شريق (١) :

بجأواءَ ينفى وردُها سَرعانها كأن وميض البرقِ فيها كواكبُ

الجأواء : الكتيبة يضربُ لونها الى الكلفة وذلك من صدأ الحديد ، والسرعان : الأوائل ، يقول ان المياه لاتسعهم والأمكنة تضيقُ بهم فكلما نزل فرقة منهم رحل من تقدمهم . وقال أوس بن حجر :

ترى الأرضَ منا بالفضاءِ مريضةً مُعضلةً منا بجمع عرمرم

التعضيل ان ينشب الولدُ في بطن أمه · ومثله قول النابغة :

جمعٌ يظلُّ به الفضاء مُعضلاً (٢) يدعُ الاكامَ كأنهنَّ صحارى

وأعجب من هذا قول زيد الخيل (٣) :

---

(١) لعله الأخنس بن شهاب التغلبي الشجاع الجاهلي الذى حضر حرب البسوس وقال فيها شعراً . (٢) عضل المكان تعضيلا ضاق ، والأرض بأهلها غصت .

(٣) لقب بزيد الخيل لكثرة خيله ، وهو زيد بن مهلل أحد أبطال الجاهلية كان إذا ركب الفرس خطت رجلاه في الأرض ، كان خطيباً شاعراً كريماً ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فى وفد قومه طيء وأسلم وسُرَّ به الرسول ﷺ

بجيشٍ تضلُّ البلقُ في حجراتهِ ترى الأُكمَ فيهِ سُجداً للحوافرِ
وجمعٍ كمثلِ الليلِ مرتجسِ الوغى كثيرٍ تواليهِ سريعِ البوادرِ

أخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال يروى عن حماد الراوية قال قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها كم كانت خيل أبيك حيث يقول * بجيش تضل البلق في حجراته * قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه. قالوا وقتلت خثعم رجلاً من بني سليم بن منصور فقالت أخته ترثيه :

لعمرى وما عمرى عليَّ بهينٍ لنعمَ الفتى غادرتمُ آلَ خثعما
وكانَ إذا ما أوردَ الخيلَ بيشةً[1] إلى جنبِ اشراجٍ أناخَ فألجما
فأرسلها رَهواً كأنَّ رِعالها جرادٌ زهتهُ ريحُ نجدٍ فأتهما

فقيل لها كم كانت خيل أخيك قالت اللهم لا أعرف إلا فرسه. قوله « تضل البلقُ في حجراته » غاية في صفة الكثرة لأن البلق مشاهير فاذا خفي مكانها في جمع فليس وراءه في الكثرة شيء، والعرب تقول أشهر من فارس الأبلق، ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لئلا ينم عليهم فيقصدوا بشر.

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عُبيدة أن النبي ﷺ لما انصرف من بدر الموعد لم يلق كيداً وأصحابه سبعون راكباً وفيهم فرسان فرس الزبير وفرس للمقداد[2] قال حسان بن ثابت :

أقمنا على الرسِّ النزوعِ[3] لياليا بأرعنَ جرارٍ عريضِ المبارك
ترى العرفجَ الحوليَّ[4] تَذرى أصوله مناسمُ أخفافِ المطيِّ الرواتِك
إذا ارتحلوا عن منزلٍ خلتَ أنه قريبُ المدى بالوسم المتعارك
نسيرُ فلا تنجو اليعافيرُ وسطنا وان داءلت منا بشد مواشك

---

(١) بيشة : بلد. (٢) كان هذا في بدر الأولى لا بدر الثانية.
(٣) في ديوان حسان «النزيع» وكلاهما جائز.
(٤) في الديوان « العامي» وكذلك في بعض الالفاظ اختلاف.

دعوا فلجاتِ الشام قد حالَ دونها ضرابٌ كأفواهِ المطيِّ الأوارك
بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
إذا أقبل الغضروط من أرضِ عالج فقولا له ليس الطريقُ هنالك

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ويضحك. ومثل هذا في ترهيب العدو حسن. وقال أبو دغفل بن شداد الكلابي في المعنى الذي تقدم:

وأقبلَ عامرٌ من لبن سيراً إلينا ثم أقسمَ لا يَديم
بجمع تهلكُ البلقاءُ فيهِ فتنشدُ والمفضضةُ اللطيمُ

ومن بليغ ماقاله محدث في كثرة الجيش وتكاثفه واجتماعه قول أبي نواس:

امامَ خميسٍ أدجوانٍ كأنه قميصٌ محوكٌ من قنا وجيادِ

الأدجوان: الأسود واشتقاقه من الدجي، وروى الارجوان وهو الأحمر

وقال البحتري:

لما أتاك يقودُ جيشاً أرعناً يمشيَ عليهِ كثافةً وجموعا

وقال ابن الرومي:

فلو حصبتهم بالفضاءِ سحابةٌ لظل عليهم حَصبها يتدحرجُ

وهو من قول قيس بن الخطيم:

لو انك تُلقي حنظلاً فوق بيضنا تدحرج عن ذي سامةِ المُتقارب

السامُ: عِرق الذهب والفضة وهو ههنا الطرائق المذهبة في البيض. وقلت:

ولقد نقودُ الخيلَ تخطرُ بالقنا فتَصُبهنَّ على العدى آجالا
ما إن يلين لها مَدًى فتخالها تجرى بطاءً إذ جَرَيْنَ عجالا

وقال أبو عمرو بن العلاء أحسن ماقيل في صفة جيش قول النابغة:

أويزجروا مكفهراً لا كِفاءَ له كالليلِ يخلطُ أصراماً باصرام
تبدو كواكبُهُ والشمسُ طالعةٌ نوراً بنورٍ وإظلاماً باظلامِ(١)

---

(١) في ديوان النابغة المطبوع اختلاف عما ورد هنا.

فذكر ذلك ليونس فقال أحسن منه قول العجّاج :

كأنما زهاؤهُ لمن جَهَر   ليلٌ ورزُ وَغْرِهِ إذا وَغَر

سارٍ سري من قِبَلِ العينِ فجر

والأول أحسن عندى . ومن أجود ماقيل فى صفة السوط قول الشعبي : أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال كان الشعبى إذا تحدّث كأنّهُ لم يُسْمَعْ من غيره لحلاوة منطقه وعذوبة لفظه فتحدّث يوماً فقال له رُجلٌ كان يجالسه يقال له حُنيش : اتق الله ولاتكذب فقال له الشعبي ما أحوجك الى محدرج عظيم الثّمرة لين المهزّة أحد من مغرز عُنقٍ الى عجب ذنب فيوضعُ على مثل ذلك منك فيكثر لك رقصاتك من غير جذل . قال وماهو بأبي أنت وأمّى ؟ قال أمرٌ لك فيه أدبٌ ولنا فيه أربٌ . يعنى السوط .

ومن أحسن ماوُصف به الرأسُ اذا حُمل على القناة قول مُسلم :

* ويجمل الهام تيجان القنا الذُّبلِ * مأخوذ من قول جرير * تيجان كسرى وقيصرا *

ومن أجود ماقيل فى المصلوب ماأنشدنيه بعضُ البصريين :

أنظر اليه[1] كأنّهُ فى جذعه   لما توشّح بالجبالِ ودُرّعا

رامٍ رمى عن قوسهِ بمذلّقٍ   وأراد صحةَ رميه فتسمّعا

وهذا من أتم ماقيل فيه . ومن المستحسن فيه قول البحترى :

قَترَاه مُطَّرداً[2] على أعوادهِ   مثلَ اطّراد كواكب الجوزاءِ

وقول ابن الرومى :

يلعبُ الدستبندَ[3] فرداً وان كا   نَ لهُ شاغِلٌ عن الدستبند

وقال مُسلم بن الوليد :

---

(١) فى الأصل «الىّ» . (٢) أى مستقيماً . (٣) لعل الدستبند لعبة يأخذ فيها الرجال أو النساء بعضهم بأيدى بعض ويرقصون ، وهذا يمديده ليرقص وحده .

كأنّهُ شِلو [١] كبشٍ والهواءُ له تنورُ شاويةٍ والجذعُ سفـود [٢]

ومما يجرى مع ذلك ماأخبرنابه أبو القسم عن العُقدى عن أبى جعفر عن المدائنى قال قال بعض أهل خراسان لوكيع كيف قتلت ابن خازم ؟ قال لما صرع قعدت على صدره فحاول القيام فلم يقدر فغلبته بفضل القنا وقلت يالثارات دوبلة فقال لعنك الله أتقتل كبش مضر بأخيك علج لا يساوى كف نوى وتنخّم فى وجهى فما رأيت أحداً أكثر ريقاً منه . فذكر ابن هُبيرة يوماً هذا الحديث فقال هل البسالة إلا أن يكثر الريق على تلك الحال .

ومن جيد ماقيل فى طرائق الدمّ على المطعون قول أبى خراش الهذلى :

ونهنهتُ أولى القومِ عنى بطعنة كأُوشحةِ العذراءِ ذاتِ القلائد

أوشحة جمع وشاح وهو سيرٌ كأنّهُ شراكٌ عليه ودعٌ فشبه لون الدم بالسير والزبد بالودع . ومما يجرى مع ذلك ذكر الحذر من الموتور ماقلت فيه :

لا تأمننّ أخا العـداوةِ إنهُ إن أمكنتهُ فرصةٌ لم يُمهـل

لله دَرُّكَ كيفَ تأمنُ محنقاً تغلى عداوةُ صدرهِ فى مِرجل

ماالحزمُ إلافي اجتثاثِ أُصولهِ والأيمُ [٣] لم يؤمن إذا لم يقتلِ

ومن الجيد مماقيل فى سعة الطعنة قول بشر :

إذا نفـذتهم كرت عليهم بطعنٍ مثـل أفواه الخبور [٤]

الخبرُ المزادة والجمع خبور . وقال عمرو بن شاس [٥] :

بطعنٍ كايزاغ [٦] المخاضِ إذااتقت وضربٍ كأفواهِ المفرجة الهدل

شـبه اللحم الذى يتدلى من فم الجرح بمشفر البعير الذى به قروح فى فمه

---

(١) الشلو : المسلوخ . (٢) السفود كتنور : الحديدة التى يشوي بها .

(٣) الأيم :الثعبان . (٤) الخبور: القرب .

(٥) هو الشاعر الجاهلى الاسدى ، شهد القادسية فى الاسلام ، وله أشعارفيها .

(٦) إيزاغها أن ترفع ذيلها وتقذف بشيء من حياها على سائقها .

فيهدل لها مشفره .. وقال عمرو بن شاس أيضاً :

وأسيافنا آثارهنّ كأنها مشافر قرحى فى مباركها هُدلُ

وقال غيره :

بضربٍ كآذانِ الفراءِ فضولهُ وطعن كايزاغ المخاض تبورها

الفراء جمع الفرا وهو حمار الوحش . وقال خلف الأحمر :

وأطعن الشجساجة المشلشله على غشاش دَهَش وعجله

يردُّ فى نحرِ الطبيبِ فتله

أى يسح الدم، ويشلشله : يفرقه . وقال خداش بن زهير [١] :

وطعنةِ خلس كفرع الأزاء [٢] أفرغ فى مثعبِ الحائر

تهالُ العوائدُ من فرغها [٣] تَردُّ السبار على السابرِ

السبار الشيء الذى تسبر به الطعنة أى تقدر والسابر الذى يسبرها ، والحاير المطمئن من الأرض المرتفع الحروف والجمع حوران ، والمثعب مسيل الماء .

هذا آخر صفة الحرب والسلاح وما يجرى معهما ، والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين وعلى الخلفاء الراشدين .

---

(١) شاعر جاهلي من أشراف بنى عامر وشجعانهم ، أكثر شعره فى الحماسة والفخر.

(٢) هو منفذ الماء إلى الحوض . (٣) أى أن من يعدنه فى مرضه يهولهن فرغ الضربة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى قسم البيان بين القلم واللسان لتكون النعمة فيه مشتركة بين الغائب والحاضر والمقيم والمسافر اتماماً للنعمة على عباده واكمالاً للعارفة في عمارة بلاده ودل على موضع الصنيعة في البيان ونبه على موضع العارفة في اللسان حيث يقول تعالى (الرَّحْمنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الانْسَانَ عَلَّمهُ البَيانَ) وأخبر عن عظيم قدر القلم وما تضمن من سوابغ النعم حيث يقول تعالى (إقْرأ وَرَبُّكَ الأكْرَم الذي عَلَّم بالْقلمْ عَلَّمَ الانْسَانَ مالَمْ يَعْلَمْ) وأعلى قدره وفخم أمره حين أقسم به على أجل أمرٍ وأنبله وأشرفه وأفضله فقال (نَ والْقَلمِ وما يَسْطُرُونَ) فسبحان من جعل جلائل النعم وسوابغ الآلاء والقسم فى شخصٍ ضئيل وقد قصير تقل قيمته وتصغر قمته مع جلالة شأنه وعلو مكانه .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

فى صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وذكر البلاغة

وما يجرى مع ذلك ، وهو :

﴿الباب التاسع من كتاب ديوان المعانى وهو ثلاثة فصول﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس وما يسلك مع ذلك

من أحسن الاستعارة فى ذكر الخط قول عبيد الله بن العباس بن الحسن

العلوى الخط لسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط سمط الحكمة به يفصل شذورها وينظم منثورها . وقلت فى معناه :

الكتبُ عُقلُ شواردِ الكلم ... والخطُّ خيطُ فرائدِ الحكم
بالخطِّ نُظِّمَ كلُّ منتثرٍ ... منها وفُصلَ كل مُنتظم
والسيفُ وهو بحيثُ تعرفهُ ... فرضٌ عليه عبادةُ القلم

واختلف الناسُ فى الخط واللفظ فقال بعضهم الخط أفضل من اللفظ لأن اللفظ يُفهم الحاضر والخط يُفهمُ الحاضر والغائب . وقال بعضهم الخط كلامٌ ميت والمخاطب به حى يُمكن صاحبه أن يُبصرَه حتى يبلغ منه غرضَهُ .

ومن أعاجيب الخط كثرة اختلافه والأصل واحدٌ كاختلاف صُور الناس مع اجتماعهم فى الصفة وخط الانسان كحليته ونعته فى اللزوم له والدلالة عليه والاضافة اليه كاضافة القافة الآثار الى أصحابها .

ومن أحسن ماقيل في حُسن الخط والشكل قول أحمد بن اسمعيل :

مستودِعٌ قِرطاسهُ حكما ... كالروضِ ميَّز بينهُ زَهَرُه
وكأنَّ أحرُفَ خطه شجرٌ ... والشكلُ في أضعافهِ ثمره

ووصف أحمدُ بن صالح جاريةً كاتبةً فقال كأن خطها أشكال صورتها وكأن مدادها سواد شعرها وكأن قرطاسها أديمُ وجهها وكأن قلمها بعضُ أناملها وكأن بيانها سحرُ مُقلتها وكأن سكِّينها سيفُ لحظها وكأن مِقطها قلب عاشقها .

وقلت : وخط من التصحيح فيه معالِمٌ ... من الحسن إذ يبدو عليه سبيبُ
يُعَبرُ عنه الروضُ وهو مُنمنمٌ ... ويُخبر عنهُ الوشيُ وهو قشيبُ
سوادُ مدادٍ فى بياض صحيفةٍ ... يقول شبابٌ بالمشيبِ مَشوبُ
كأنَّ ظلامَ الليلِ أذرَى دموعَه ... فظلَّت على خدِّ الصباح تصوب

ومن غريب ماقيل فى الشكل ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدنا الصولى قال أنشدني عبد الله بن المعتز لنفسه

فـد و نَكَـهُ مُوشّي نمنمتـهُ وحاكته الأُناملُ أيَّ حوكِ
بشكلٍ يؤمنُ الاشـكالُ فيه كأنَّ سُطورَهُ أغصانُ شوكِ

وقلت: بياضُ صحيفةٍ تلتاحُ حُسناً كمتنِ السيفِ فى كفٍّ المليح
كغيمٍ رقَّ فى أطرافِ جوٍّ وماء ساحَ فى قاعٍ فسيح
ويحـكى أرض كافور صريح بها نَبْذٌ من المسكِ الذبيح
كمثل الليلِ فى صُبحٍ صديعٍ ومثلِ الصُّدغ في وجه صبيح
وبين سُطورهِ عَجْـمٌ(١) مُصيبٌ كمثلِ الخالِ فى الخدِّ المليح

وأحسن ماقيل فى صفة الخط الجيد ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال سُئل بعضُ الـكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصَفَ بالجودة فقال: إذا اعتدلت أقسامُه وطالت ألفه ولامه واستقامت سُطوره وضاهى صعودُه حدوره وتفتحت عيونه ولم تشتبه راؤه ونونه وأشرق قِرطاسه وأظلمت انقاسُه(٢) ولم تختلف أجناسُه وأسرع فى العيون تصورُه والى العقول تشمره وقُدِّرَتْ فصوله واندمجت وصوله وتناسب دقيقه وجليله وخرج عن نمط الورّاقين وبَعُـد عن تصنُّع المحررين وقام لـكاتبه مقام النسبة والحلية كان حينئذ كما قيل فى صفة الخط:

إذا ما تجـلل قرطاسَـه وساوَرَه القلمُ الأرقش
تضمنَ من خطهِ حُلةً كمثلِ الدنانير أو أنقش
حروفاً تُعيدُ لعين الـكليل نشاطاً ويقرؤها الاخفش

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله:

أنا الذى نظرَ الأعمى الى أدبى وأسمعت كلماتى من بهِ صممُ

إلا أنّه أحسن الاخذ وأجاد اللفظ. ومن مليح التشبيه قول الاعرابى وقد قال له هشام بن عبد الملك أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال، ولم يكن الأعرابى

---

(١) العجم: النقط. (٢) النقس بالـكسر: المداد ج أنقاس.

يحسنُ القراءة فمضى فنظر ثم عاد فقال رأيتُ شيئاً كرأس المحجن مُتصلاً بحلقة صغيرة تتبعها ثلاث كاظباء الـكلبة يفضي الى هنـةٍ كأنّها قطاةٌ بلا منقار . ففهم هشام بالصفة أنها «خمسة» (١) .

أخبرنا أبو أحمد عن الصُّولي عن أبي العباس الربعي عن الطلحي عن أحمد ابن ابراهيم قال دخل اعرابيٌّ الى الرشيد فأنشده أرجوزةً واسمعيل يكتب بين يديه كتاباً وكان أحسن الناس خطاً وأسرعهم يداً وخاطراً فقال الرشـيد للاعرابي صف هذا الـكاتب فقال مارأيت أطيش من قلمه ولاأثبت من كلمه ثم قال ارتجالاً :

رقيقُ حواشي الحِلمِ حينَ تَبورُهُ　　يريك الهوينا والأُمورُ تطيرُ
له قلمـا بُؤسَى ونُـعمى كلاهمـا　　سحابتهُ فى الحـالتـينِ دَرُورُ
يناجيك عمـا فى ضمـيركَ لحظهُ　　ويفتحُ بابَ الأمر وهو عسـير

فقال الرشـيد قد وجب لك يااعرابي حق عليـه هو يقضيك إياه وحق علينا فيه نحنُ نقومُ به ،ادفعوا اليه دية الحُرّ ، فقال اسماعيلُ وله على عبدك دية العبد . قوله « رقيق حواشي الحلم » ردىء لانّ الحلم يُوصَفُ بالرزانة لابالرقة ، واستعمل أبو تمام هـذا اللفظ فعيب به . وقوله « يريك الهوينا والأُمور تطير » رويناه لمنصور النمرى .

وفاخر صاحبُ قلم صاحبَ سيف فقال صاحبُ القلم أنا أقتل بلاغرر وأنت تقتل على غرر . قال صاحبُ السيف القلمُ خادمُ السيف ان بلغ مراده وإلافالى السيف معاده أما سمعتَ قول أبي تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ　　فى حدّهِ الحدُّ بين الجدّ واللعب

وأبى ذلك ابن الرومي فقال :

كذا قضى الله للاقلام مُذْ بُرِيَتْ　　انّ السيوفَ لهامُذ أرهفت خدم

---

(١) كانت مكتوبة بالحروف فرأس المحجن الخاء والحلقة الصغيرة الميم .

وقال أيضاً :

لعمركَ ما السيفُ سيفُ الكميّ ... بأخوفَ من قلمِ الكاتبِ
له شاهدٌ إنْ تأمّلتَهُ ... ظهرتَ على سرّه الغائبِ
اداةُ المنيةِ في جانبيهِ ... فمن مثلهِ رَهَبُ الراهبِ
سِنانُ المنيةِ فى جانبٍ ... وسيفُ المنيةِ في جانب
ألم تَرَ فى صدرهِ كالسنانِ ... وفي الرِّدفِ كالمرهفِ العاضبِ

وقد أحسن الخالدى فى قوله :

فى كفّ ليث الورى للندى ... وفى كفّ ليث الشرى فى الغياض

وقلت : أبيت بالليلِ غريب الكرى ... يأخذُ منى الدرسُ والكتبُ
وقيّمُ الحكمةِ فى أنملى ... يصوغُ مايسبكهُ اللُّبُّ
أنفُ ضميري حينَ أرعفتُهُ ... أفرغ ماستوعبَهُ القلبُ
لسانُ كفي حينَ أنطقتُهُ ... أرضاك منهُ المنطقُ العذب
مُنحّفٌ فى خَلقه ذابلٌ ... مُعظَّمٌ في فعلهِ نَدبُ
ان لم يكن كالعضبِ فى حَدّهِ ... فانه في فعلهِ عضبُ
ينكسُهُ المرءُ فيعلو به ... ورُبَّ نِكسٍ غِبُّهُ نصبُ
ومُذْ عرفنا لذَّةَ العلمِ لا ... يُعجبنا الحلوُ ولا العذب

وقال البحترى في تفضيل السيف على القلم :

ولما التقت أقلامكم وسيوفهم ... أبدّت بُغاثَ الطير زرقُ الجوارح
فلا غرّنى من بعدكم عِزُّ كاتبٍ ... اذا هو لم يأخذ بحجزة رامح

ومن أحسن ماوُصِف به القلم قول أبى تمام فى محمد بن عبد الملك الزيات :

لك القلمُ الأعلى الذى بشباتِه ... تُنالُ من الأمر الكلى والمفاصل
لعابُ الافاعى القاتلاتِ لعابهُ ... وأرْىُ جنى شارته أيد عواسل
له ريقةٌ طَلٌّ ولكنّ وقعها ... بآثارهِ في الشرقِ والغربِ وابل

فصيحٌ اذا استنطقته وهو راكبٌ وأعجمُ إن خاطبته وهو راجلُ
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت عليه شعابُ الفكر وهى حوافل
أطاعته أطراف الرماح وقوّضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل.
إذا استفزر الذهن الذكى وأقبلت أعاليه فى القرطاس وهى أسافل
وقد رفدته الخنصران وسدّدت ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل
رأيت جليلا شأنه وهو مرهَفٌ ضنى وسميناً خطبه وهو ناحل

وقد أحسن القائل في تشبيه أنامل الكاتب على القلم بالقلم أنشدناه أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن محمد بن إسحق:

ماضر من أضنى بهجرانه قلبَ كئيبِ القلبِ حرّانه
لو فرجَ الكربةَ عن مُدنفٍ تشُفّهُ لوعة أحزانه
برقعةٍ ينظمها كفه نظمَ لآليه ومرجانه
بمرهفِ الأحشاءِ ذى حُلةٍ موشيَّةٍ ترفعُ من شانه
لعابهُ يسرٌ وعسرٌ اذا جاد به تفليجُ أسنانه
إذا امتطاه بشبيهاته [(١)] كشّف أسراراً باعلانه
يركض فى ميدانِ قرطاسهِ ركضَ جوادٍ وسط ميدانه

وأحسن القصار فى هذا المعنى يصف جاريةً كاتبةً اسمها علم:

أفدى البنانَ وحسنَ الخطِّ من علمٍ إذا تقممن بالحناءِ والكتم [(٢)]
حتى اذا قابلت قرطاسها يدُها ترى ثلاثةَ أقلامٍ على قلم

ومن أحسن ماقيل في الدواة والاقلام قول أحمد بن اسماعيل:

في كفهِ مثلُ سنانِ الصعده أرقش بزَّ الأفعوانُ جلدَه
يلتهمُ الجيشَ اللُّهامَ وحده لو صادمَ الطودَ المنيفَ هدّه
لو صافحَ السيفَ الحسامَ قدّه يأوى الى ظئرٍ له مُحتده

---

(١) في الأصل « امتطاه شبيهاً به » . (٢) نبت يخلط بالحناء، واذا طبخ صار مدادا .

يُمزَجُ فيها صَبرٌ بشُهده يُرضعها من مقلةٍ مُسوده
يَمُدُّها جارٍ كثيف المُدّه كأنّه الليلُ اذا استمدّه
مُقلتُها مكحولة بِنَدّه

وقلت في القلم :

أنظر الى قلمٍ تنكسَ رأسهُ لِيَضُمَّ بينَ موصلٍ ومُفَصَّلِ
تنظر إلى مخلابِ ليثٍ ضيغمٍ وغرارِ مسنونِ المضاربِ مفصل
يبدو لناظرهِ بلونٍ أصفرٍ ومدامعٍ سودٍ وجسمٍ مُنحل
فالدُّرجُ أبيضُ مثل خدٍ واضحٍ يثنيهِ أسودُ مثل طرفٍ أكحل
قسم العطايا والمنايا في الورى فاذا نظرتَ اليه فاحذر وأمل
طعمان شوبُ حلاوةٍ بمرارةٍ كالدهرِ يخلطُ شَهدَهُ[1] بالحنظل
فاذا تصرَّفَ في يديك عِنانُه ألحقتَ فيهِ مُؤمّلاً بمؤمَّل
ومُذلّلاً بِمُعزَّزٍ ولربّما ألحقتَ فيهِ معزَّزاً بمذَلّل

وقلت : لك القلمُ الجارى بيؤسٍ وأنعمٍ فمنها بوادٍ ترتجى وعوائدُ
اذا ملأ القرطاس سود سطوره فتلك أسودٌ تُتقى وأساودُ
فتلك جنانٌ تُجتنى ثمراتُها ويلقاك من أنفاسهنّ بواردُ
وهنّ برودٌ مالهنَّ مناسِجٌ وهنَّ عقودٌ مالهنَّ معاقِدُ
وهنَّ حياةٌ للولىّ رضيةٌ وهُنَّ حتوفٌ للعدوِّ رواصد

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الفضل الطائى قال أنشدني أبو الحسين بن أبى البغل :

لهم هِمَمٌ تُناطُ إلى الثريا وتحكم فى الطريف وفى التلاد
وأقلامٌ تشبهها سُيوفاً مهنّدةً هوادٍ فى الهوادى

---

(١) في الأصل « شُهده » بضم الشين وهو سائغ فقد جاء فى القاموس « الشهد بالفتح ويضم » .

يخطُّ بهــا سوادٌ فى بياضٍ فتحسبهُ بياضاً فى سوادِ
إذا فزِعَ الصريخُ أمــدَّ خيلاً بخيــل تستثارُ من المــداد

وقد أحسن ابن الرومي فى وصفِ الكتاب حيثُ يقول :

متمنطقٌ من جــلدهِ متختمٌ من خصره
أبداً تراهُ وصــدره فى بطنــه أو ظهره

وقال ابن المعتز يذكر أرضةً أكلت كتاباً :

شــغلى إذا ما كانَ للناسِ شــغل دفترُ فقه أو حــديث أو غزَل
أرقطُ ذو لونٍ كشيبِ المكتهل تخالهُ مكتحــلاً وماا كتحل
راكبُ كفٍّ أينَ ماشاءَ رحل وهوَ دليــلٌ لمقــالٍ أو عمــل
يقيمُ وزنَ العقل حــتى يعتــدل ويُذكرُ الناسيَ ما كان أضل
كأنه ينشرُ عن نقش حلل يخاطب اللحظَ بنطقٍ لا يكل
ولا يملُّ صاحباً حتى يمل

ثم قال فى وصف الأرضة * تأكل أثمــار القلوب لا أكل * وكتب الصاحب فى وصف كتاب : وصل كتابك فجعلت يوم وصوله عيداً أؤرخ به أيام بهجتى وأفتتح به مواقيت غبطتى وعرفت من خبر سلامتك ما سألت الله الكريم أن يصله بالدوام ويرفعه على أيدى الأيام . وكتب أيضاً : وصل كتابه أيده الله بضحك عن أخلاقه الارجة ويتهلل عن عشرته البهجة ويخبر عن عارية الله إياه عمــا رأيت شمل الحرية به منتظما وشعب المروءة له ملتئما ويتحمل من أنواع بره ماأقصر عن ذكره ولا أطمع فى شكره ويؤدى من لطيف اعتذاره فى أثناء عتبه ما تزداد به أسباب السررور تمهداً . وقلت في كتاب أكلته الأرضة :

وجليس حسنُ المحـــضرِ مأمونُ المغيبِ
ميتٌ يُخــبرُ حياً بخفيــاتِ الغيوبِ
أبلهٌ غيرُ لبيبٍ وهو فى حالِ اللبيب

جاهلٌ غيرُ أديبٍ وهو عونٌ للأديب
أخرسٌ غيرُ خطيبٍ ولهُ لفظُ الخطيب
مفحمٌ ينظمُ شعراً مثلَ إقبالِ الحبيب
ساكتٌ يروى حديثاً مثلَ إعراضِ الرقيب
نفثتهُ الكفُّ حتى هو كالوشى القشيب
من سوادٍ وبياضٍ كشبابٍ ومَشيب
فيه إمتاعٌ لأبصارٍ وأنسٌ للقلوب
دبَّ فيهنَّ دبيبٌ كان من شرِّ الدبيب
من صغيراتِ جسومٍ وكبيراتِ الذنوب
أخذت منها نصيباً فالتوى منها نصيبي
أفرحتْ قلبَ جهولٍ وكوت قلبَ لبيب
ويل هاتيك المعانى من بديعٍ وغريب
وأفانينِ كلامٍ بين سهلٍ وصليب
من بديعٍ وفصيحٍ وصحيحٍ ومُصيب
بُدّلَ الاصلاحُ منهنّ بافسادٍ عجيب
فنجومُ العلمِ والفهمِ تهاوت للغروب
كلُّ شيءٍ سوفَ يفنى عن بعيدٍ وقريب

ومن بديع ما وُصِف به الورّاق ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن يزيد المهلبي عن أبى هفّان قال سألتُ ورّاقاً عن حاله فقال : عيشى أضيق من محبرة وجسمى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج وحظى اخفى من شق القلم ويدى أضعف من قصبة وطعامى أمرّ من العفص وشرابى أسود من الحبر وسوء الحال ألزم لى من الصمغ . فقلت عبرت عن بلاءٍ ببلاء فحسبك .

وقلت في المحبرة والاقلام :

مُنهلةٌ من أشرف المناهل ... تضمنُ رىَّ الصفر الذوابل
مَركبها ذوائبُ الانامل ... إذا مشت عاليةَ الاسافل
بكت على الطرسِ بدمع هاملِ ... فارتبطت شوارد المسائل
وكشفت عن غُرر الدلائل ... بيضاء تبدو فى لباسِ الثاكل
لـكنها تلبسهُ من داخل

ومما لا أعرف فى معناه خيراً منه قول كشاجم الكاتب (١) :

لا أحبُّ الدواةَ تحشى يراعاً ... هى عندى من الدَّوىِّ معيبه
قلم واحدٌ وجودَةُ خط ... فاذا زدتَ فاستزد أنبوبه
هذه قعدةُ الشجاع عليها ... أبداً سيرهُ وتلك جَنيبه

ومن البديع الظريف قول أحمد بن اسماعيل :

كأنما النقسُ إذا استمده ... غاليةٌ مذوفةٌ بنده

ونتن الكرسف (٢) مما يُعابُ به . ومن البديع المشهور ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن اسماعيل للحسن بن وهب (٣) :

مِدادٌ مثلُ خافية الغراب ... وأقلامٌ كرْهفةِ الحراب
وقرطاسٌ كرَقراقِ السراب ... وألفاظٌ كأيام الشباب

وقلت : أكثر ما تُثبته الأقلامُ ... لم تسع فى زواله الأيامُ
يالك من خُرسٍ لها كلامُ ... موكّى اليها النقضُ والابرامُ

(١) هو أحد فحول الشعراء ، قيل إن لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها : فالكاف من كاتب والشين من شاعر والألف من أديب والجيم من الجدل والميم من المنطق ، ثم طلب علم الطب فمهر فيه فزيد فى اسمه طاء من طبيب فقيل طكشاجم ولكنه لم يشتهر . كان من شعراء عبدالله به حمدان والد سيف الدولة .

(٢) الكرسف : القطن ومنه كرسف الدواة .

(٣) كان معاصراً لأبى تمام وهو من الشعراء الوجهاء ، ولما مات رثاه البحترى .

قِوامُ مجد مالهُ قِوامُ نِظامُ ملكٍ خانه النظامُ
أصاغرٌ شؤونها العظامُ

ومن المختار في معناه قول الآخر :

إنمـا الزعفرانُ عطرُ العذارى وسوادُ الدوِىّ عطرُ الرجال

وقلت فى سكين :

انجاز وعدك فى السكينِ مكرمةٌ غراءفضلك فيها غيرُ مجحودِ
أحسنْ بهِ أزرقاً في أبيضٍ يَقَقٍ لهمناطق من بيضٍ ومن سودِ
خلفُ الوعيدِ حميدٌ لايذمُّ به ولم يكن خلف موعودٍ بمحمود

وكتب كافى الكفاة فى ذم قلم فأبدع : وليس العجب إلا من قلم منيت به لا يستقر إذا تأنيت ولا يستمر إذا جريت طوله عرض وابرامه نقض تستغيث الحروف من التوائه وتستأنس السطور من استوائه ان قلت سر وقف وان حثثته بالأنامل قطف فألفاظى فى سنيه مأسورة ومعانىّ فى شقيه محصورة وقد صبرت عليه ألبسه مع سوء عشرته وأستمنحه مع فضل عسرته وأقول لعله يصلح بطول المداراة وعساه ينجح بكثرة المناواة وهو يزداد نفاراً ويتضاعف زللاً وعثاراً .

ومما يدخل في هذا الباب قول كشاجم في غلام رآه يكتب ويخطىء فيمحو مايخطه بريقه وهو :

ورأيتهُ في الطرسِ يكتبُ مرةً غلطاً يواصلُ محوَهُ برُضابِه
فوددتُ أني فى يديهِ صحيفةٌ ووددتهُ لايهتـدى لصوابِه

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدى ابن سابق قال رأى المأمون فى يد جارية له قلماً وكان ذا شغفٍ بها واسمها منصف فقال :

أرانى منحتُ الودَّ من ليسَ يعرفُ فمـا أنصفتنى فى المحبةِ مُنصفُ
وزادتْ لدىَّ حظوةً يومَ أعرضت وفى أصبعيها أسمرُ اللونِ أهيف
أصمّ سميعٌ ساكنٌ متحركٌ ينالُ جسيماتِ المدى وهو أعجف

عجبتُ له انى ودهرك معجبٌ يُقوّمُ تحريفَ العباد مُحرَّفُ

وكتب الصاحبُ أبو القسم في وصف كتاب : ومن هذا الذى لايحبُّ أن يواصل علم الفضل وواسطة الدهر وقرارة الأدب والعلم ومجمع الدراية والفهم أم من لايرغب فى مكاثرة من ينتسب الربيعُ إلى خلقه ويكتسبُ محاسنَه من طبعه ويتوشح بأنوار لفظه ويتوضح بآثار لسانه ويده ، ووصل كتابه فارتحتُ لعنوانه قبل عِيانه حتى إذا فضضتُ ختامَه أقبلت الفكرةُ تتكاثر والدُّرَرُ تتناثر والغُررُ تتراكم والنُكتُ تتزاحم فاذا حكمتُ للفظة بالسبقِ أتت أختها تنافس وأقبلت لدتها تفاخر حتى استعفيتُ من الحكومة ونفضتُ يدى من غبار الخصومة وأخذتُ أقول كالُكنّ صوادِرٌ عن أصُولٍ بل أصلٌ واحدٌ فتسالمن ونواقدٌ عن معدنٍ فاردٍ فتصالحن وقد وليتُ النظر بينها من كمل لنسج برُودها ووفى بنظم عُقُودها .

ومثل ماتقدَّم من قوله فى ذم القلم قوله أيضاً : على أنى يامولاى أنشأتُ هذه الأحرف وحولى أعمالٌ وأشغالٌ لا يَسلمُ معها فكرٌ ولا يسمح بينهاطبعٌ وتناولت قلماً كالابن العاق بل العدو المشاق فاذا أدرته استطال وإذا قومته مال وإذا حثثتهُ وقف وإذا أوقفته انحدر أجدل الشق مضطرب الشق مُتفاوتُ البرىِ معدوم الجرى محرَّفُ القط مثبج الخط ثم رأيت العدُول عنه ضرباً من الانقياد لأمره والانخراط فى سلكه فجهدته على رغمه وكددته على صغره لاجرم أن جناية اللجاج بادية على صفحات الحروف لاتخفى وعادية المحك لائحةٌ على وجوه تتجلى .

وكتبتُ فى وصف كتاب : والله أعلم أنى أخبرت بورود كتابه فاستفزنى الفرحُ قبل رؤيته وهزَّ عطفى المرحُ قبلَ مشاهدته فما أدرى أممت بورود كتاب أم ظفرتُ برجوع شباب ثم وصل بعد انتظارٍ له شديد وتطلع إلى وروده طويل عريض فتأملته فلم أدر ما تأملت أخطاً مسطوراً أم روضاً ممطوراً أم كلاماً منثوراً أم وشياً منشوراً ولم أدر ما أبصرتُ في أثنائه أبيات شعر أم عُقُودُ دُرٌّ ولم أدر ماحملته أغيثٌ حل بواد ظمآن أم غوثٌ سبق إلى لهفان .

وكتب الصاحبُ : ووصل كتابُ القاضي فأعظمتُ قدر النعمة فى مطلعه وأجللتُ محل الموهبة بموقعه وفضضته عن السحر الحلال والماء الزلال وسرحت الطرف منه في رياضٍ رقت حواشيها وحلل تأنق واشيها فلم أتجاوز فصلا إلا الى أخضرَ منه فضلا ولم أتخط سطراً الا إلى أحسنَ منه نظما ونثرا .

ورفع رَجلٌ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قصةً يعتذر فيها فرأى خطه رديئاً فوقع : قد أردنا قَبُولَ عذرك فاقتطعنا دونه ما قابلنا من قبح خطك ولو كنتَ صادقاً فى اعتذارك لساعدتك حركةُ يدك أوَما علمتَ أن حسن الخطّ يُناضِلُ عن صاحبه بوضوح الحجّة ويمكن له درك البغية .

وقال علىّ رضى الله عنه : الخطُّ الحسنُ يزيد الحقَّ وُضوحاً .

وقيل : حسن الخط احدى البلاغتين .

ووصف الجاحظُ الكتابَ فقال : الكتاب وِعاءٌ مُلِئَ علماً وظرفٌ حشِى ظَرفاً[1] وإناء شحن مُزاحاً[2] وجداً ان شئتَ كان أبين من سحبان وائل وان شئت كان أعيا من باقل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت شجتك مواعظه ومن لك بواعظٍ مله وبزاجرٍ مغرٍ وبناسك فاتكٍ وبناطق أخرس وبباردٍ حار ومن لك بطبيب أعرابي وبرومى هندىّ وفارسى يونانىّ وبقديم مولد وبميّت مُمتّع ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل والمثل وخلافه والجنس وضده .

ودخل المأمونُ على بعض بنيه فوجدَهُ ينظر فى كتاب فقال يا بُنى ما في كتابك ؟ قال بعضُ مايشحذ الذهن ويؤنس الوحدة . فقال الحمد لله الذى رزقنى ولداً يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسده وظلّ مفكراً فى قول ولده الطفل .

---

(١) الظرف بفتح الظاء بمعنى الظرافة ، ويضم بعضهم الظاء وهو غلط .

(٢) المزاح بضم الميم : الاسم من المزح .

﴿ الفصل الثانى من الباب التاسع ﴾

فى ذكر البلاغة

قال بعض الحكماء : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه ، قال الشيخ أبو هلال يعنى قولا واضح المعنى غير مُشكل المغزى . وسأل معاوية عمرو بن العاص من أبلغ الناس ؟ قال من اقتصر على الايجاز وترك الفُضولَ . وليس يصلحُ الايجاز فى كل مكان كما لا تصلح الاطالة فى كل أوان بل لكل واحد منهما حينٌ يحسن فيه ومقام يليق به ان أزلته عنه لم توفه حقّه ولم تسلك به طرقه . وقال محمد الامينُ عليكم بالايجاز فان للايجاز افهاماً وللاطالة استبهاماً . أى عليكم بالايجاز فيما كان الايجازُ فيه أحسن وأنجع فأما اذا كانت الاطالة أرد وأنفع فليس للايجاز موقعٌ يحمَد ولا حالٌ تعتمد . والايجاز بجميع الشعر أليق وبجميع الرسائل والخُطبِ وقد يكون من الرسائل والخُطب مايكون الايجازُ فيه عِيّاً ولا أعرفه الابلاغة فى جميع الشعر لان سبيل الشعر أن يكون كلامه كالوحى ومعانيه كالسحر مع قربها من الفهم . والذى لا بدّ له منه حسنُ المعرض ووضوحُ الغرض كقول النابغة الذبيانى * فانك كالليل الذى هو مدركي * وقال الفرزدق :

والشيبُ ينهض بالشباب كأنّهُ   ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهارُ

وقال أعرابىٌّ : أبلغُ الناس أسهلهم لفظا وأحسنُهم بديهةً . وهذا حسنٌ جداً لأنّ سهولة اللفظ وحُسنَ البديهة يدلان على جودة القريحة والبلاغة الغريزية ، ووعورة اللفظ تدل على تكلف وتعسف ولا شيء أذهب بماء الكلام وطلاوته ورونقه منهما ولا يحسن معهما الكلام أصلاً وان كان لطيف المعنى نبيل الصنعة . وقد أجاد ابن الرومى فى قوله : البلاغةُ حسنُ الاقتضاب عند البديهة والغزارة يوم الاطالة . فجعل البلاغة فى الغزارة كما جعلها غيره فى الايجاز .

وقيل لهندى ماالبلاغة ؟ فقال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة .

وقيل لآخر ما البلاغةُ ؟ فقال تصحيحُ الأقسام واختيارُ الكلام .

وقال الحسنُ بن سهل : البلاغة مافهمته العامة ورضيته الخاصة. وقال عبيدالله بن عتبة: البلاغة دنو المتأخر وقرع الحجة وقليل من كثير . وروى هذا عن أكثم بن صيفى أيضاً - وقال ابن المقفع : البلاغة اسم لمعانٍ تجرى فى وجوهٍ فمنها مايكون شعراً ومنها مايكونُ سجعاً ومنها مايكونُ خطباً ومنها مايكونُ رسائل فعامة مايكون من هذه الأحوال فالوحى فيها والاشارة إلى المعنى أبلغُ والايجازُ البلاغة . وتأويل هذا ماقدمناه . وقال غيره : البلاغة قولٌ يسير يشتمل على معنى خطير .

وقال الآخر : البلاغة علمٌ كثير فى قول يسير . وقال جعفر بن يحيى: البلاغة أن يكون الاسم محيطاً بمعناك ويجلى على مغزاك ولاتستعين عليه بطول الفكرة ويكون سليماً من التكلف بعيداً من سوء الصنعة بريئاً من التعقد غنياً عن التأمل . وقال اعرابى : البلاغة التقرب من معنى البغية والتبعد من حشو الكلام وقرب المأخذ وإيجازٌ فى صواب وقصد إلى الحجة وحسن الاستعارة . وقال محمد بن الحنفية : البلاغةُ قولٌ مفقهٌ فى لطف . وقال علىٌ رضى الله عنه: البلاغة إيضاحُ الملتبسات وكشف عوار الجهالات بأحسن مايُمكن من العبارات .

ومثله قول الحسن بن علىٍّ رضى الله عنهما : البلاغةُ الافصاحُ عن حكمةٍ مستغلقة وابانة علم مشكل . ومثله قول محمد بن علىّ رضى الله عنه : البلاغةُ تيسير عسير الحكمة بأقرب الالفاظ . وقال ابن المقفع : البلاغة كشف ماغمض من الحق وتصوير الحق فى صورة الباطل والباطل فى صورة الحق . والذى قاله صحيح لايخفى موقع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف ينادى على نفسه بالصحة ولا يحوج الى التكلف لتصحيحه حتى يوجدُ المعي فيه خطيباً وإنما الشأن فى تحسين ماليس بحسنٍ وتصحيح ماليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتخييل و نوع من العلل والمعاريض ليخفى موضع

الاساءة ويغمض موضع التقصير فيه . وقد فسرت فى كتاب صنعة الكلام مواضع الاشكال من هذه الفصول فتركتُ إعادتها ههنا فاذا أردتها فاطلبها فى مظانها هناك تظفر ببغيتك منها إن شاء الله تعالى . وقد أحب قومٌ الايجاز فى بعض المواضع منهم جعفر بن يحيى قال لكتابه: إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا.

وقال بعضهم فى المذهب الأول اذا كان الايجاز كافيا كان التطويلُ عياً وإذا كان التطويلُ واجباً كان التقصيرُ عجزاً . وقيل لاعرابى ما البلاغة ؟ فقال الايجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل . فانظر إلى كلام هذا الاعرابى فهو بليغ .

﴿ جمل من بلاغات العجم ﴾

العجمُ والعربُ فى البلاغة سواءٌ فمن تعلم البلاغةَ بلغةٍ من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه فى الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التى رسمها من اللسان الفارسى فحولها إلى اللسان العربى ، ويدلك على هذا أيضاً أن تراجم خُطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خُطب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعةً وربما كان اللفظُ الفارسى فى بعضها أفصح من اللفظ العربى ، من ذلك قول العرب « ولدُكِ مَن دَمَّى عَقبيكِ » [1] وقول الفرس « هرك نزاد نرود » واللفظُ الفارسى في هذا أفصح من اللفظ العربى وأحسنُ ، وقولهم « كشند ميدْ » مثل قول العربى « من يسمع يَخلْ » سواءٌ فى المعنى ، والفارسى أقل حروفاً ، وقولهم «أصيد بركة خوْرده [2] » وليس للعرب في معنى هذا المثل شيء ومعناه « المأمول

---

(١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت له عقيل بن الطفيل فتبنته كبشة فعربد عقيل على أمه فضربته فجاءتها كبشة وقالت ابنى ابنى فأجابتها أمه بهذا المثل .

(٢) لعله « أميد به أزخوزدن » كما يقوله بعض العارفين باللغة الفارسية حيث سألته عن صحة ذلك .

خير من المأكول » ولا يعبر عنه بكلام عربى أقل حروفاً مما ذكرته ومع ذلك فان حروف تفسيره بالعربية ضعفا حروفه بالفارسية ، وقد جاء عن بعضهم في معنى هذا المثل «انتظار الحاجة خير لك من قضائها» وقد خالفهم الفرس في مثل واحد وهو قولهم « بهشاه أشناه نرودهمدوره » والعربُ تقولُ «جاور بحراً أوملكاً» .

وليس قصدنا لهذا المعنى فنطيلُ فيه ولكن لايراد أمثلة فى البلاغة تكون مادة لصانع الكلام : فمن ذلك قول ابرويز : إذا نزل الخمولُ استكثف النقص ، يحثُ على طلب النباهة والتماس جلائل الأمور. وقال بهرام جور : الحاكم ميزان الله في الأرض فوافق الله تعالى في قوله (والسَّماءَ رَفَعَها وَوَضعَ المِيزَان) يعنى العدل في الحكم . ونحوه قول على رضى اللهُ عنه : السفرُ ميزان القوم . وقول الآخر : العروضُ ميزان الشعر وقال الآخر منهم : أغلق أبواب الشهوات تنفتح لك أبواب المحاسن . وقال آخرُ منهم : الصوابُ قرينُ التثبت والخطأ شريك العجلة . وقال بزرجمهر : عاملوا أحرار الناس بمحض المودة وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة وسوسوا السفلة بالمخافة والهيبة . وقريبٌ من ذلك قول بعضهم : الكريم يلين إذا استعطف واللئيمُ يقسو إذا ألطف .

وقال بعضهم : ينبغي للوالى أن يتفقد أمور رعيته فيسد فاقة أحرارها ويقمع طغيان سفلتها فانما يصولُ الكريمُ إذا جاع واللئيم إذا شبع . وقال بعضُ حكماء الفرس : أحزم الملوك من غلب جده هزله وقهر رأيه هواه وعبر عن ضميره فعله ولم يختدعه رضاه عن حظه ولا غضبهُ عن كيده . وقال أنوشروان : القصدُ غاية المنافع ، وقال لابنه هرمز لايكن عندك لعمل البرّ غاية في الكثرة ولا لعمل الاثم غاية فى القلة . ووافق هذا من العربى قول الافوه الأودى :

والخيرُ تزدادُ منهُ مالقيتَ بهِ والشرُّ يكفيكَ منهُ قلما زادُ

وقالوا أيضاً : يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الظلم على المظلوم .

وقال أبرويز : لاتغشُّوا قليلا فتنغصوا به كثيراً . وقال يوماً لجنده لا يشحذ امرؤ

منكم سيفَه حتى يشحذ عقله . وأظنُ المتنبى ألمَّ بهذا فقال :

الرأىُ قبلَ شجاعةِ الشُّجعانِ . هو أولٌ وهى المحلُّ الثانى

وقال لكاتبه : اذا فكرت فلاتعجل واذا كتبت فلا تستعن بالفُضول فانها علاوة على الكفاية ولاتقصرن عن التحقيق فانها هُجنة فى المقالة ولا تلبس كلاماً بكلام ولاتباعدن معنى من معنى واجمع الكثير مماتريد فيالقليل مما تقول . ووافق هذا قول العربى : مارأيتُ بليغاً إلا رأيتُ له فى المعانى اطالةً وفى الالفاظ تقصيراً . يحث على الايجاز . وقال له إذا أمرت فاحكم وإذا كتبت فأوضح وإذا ملكت فأسجح وإذا سألت فأبلغ ، ووافق هذا النمط قول أبى تمام :

يقول فيسمع ويمشى [1] فيسرع . ويضرب فى ذات الاله فيوجع

وقال ازدَشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبتهُ وفحُش حِرْصه ومن فَحُش حِرصه ذلّت نفسه وغلب عليه الحسدُ ومن غلب عليه الحسدُ لم يزل مغموماً فيما لاينفعه حزيناً على مالاينالهُ ، وهذا معنى قول الشاعر : * ليس للحاسد إلاماحسد * وقال:من شغل نَفْسَهُ بالمُنى لم يخل قلبه من الأسى .

وقال بعضهم : الحقوقُ أربعةٌ حقٌ لله تعالى وقضاؤه الرضا بقضائه والعمل بطاعته واكرامُ أوليائه ، وحق نفسك وقضاؤه تعهدها بما يصلحها ويصحها ويحسم مواد الادواء عنها ، وحقُّ الناس وقضاؤه عمومُهم بالمودّة ثم تخصيص كل واحد منهم بالتوقير والتفضيل والصلة ، وحقُّ السلطان وقضاؤه تعريفه ماخفى عليه من منفعة رعية وجهاد عدوٍ وعمارة بلدٍ وسدِّ ثغرٍ . وقال بُزرجمهر : لاينبغي للعاقل أن يجزع من حطّ السلطان إياه عن منزلة رفع اليها خاملاً فان الاقدار لم تجر على قدر الاخطار . وقال بزرجمهر : الزام الجهول الحجّة يسير واقراره بها عسير . وقال بزرجمهر : ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبّة من قلوب الخلق .

---

(١) فى ديوان أبى تمام المطبوع « ويمضى فيسرع » .

﴿ ومن كلام الفلاسفة ﴾

قال ارسطاطاليس : ليس الحاجة الى العقل أقبح من الحاجة الى المال .

وقيل له ماأشدّ الأشياء على الأحمق؟ قال السُّكوتُ . وقيل له ماأحسن الأشياء ؟ قال الانسان المزين بالأدب . وقال : العقل سبب تنغيص العيش . والى هذا المذهب ذهب ابن أبى البغل في قوله :

الصَّحْو يَصْفِرُ دائباً ولأجله ... حُبِس الهِزارُ لأنه يترنَّمُ
لو كنتُ أجهلُ ماعلمتُ لسرّنى ... جهلى كما قـد ساءنى ماأعـلمُ

وقال المتنبي :

ذوالعقلِ يشقى في النعيم بعقلهِ ... وأخو الجهالةِ فى الشقاوة ينَعمُ

وقلتُ : أواصِلُ الهمَّ فى ضيقٍ وفى سعةٍ ... كأنّ بيـنى وبينَ الهمِّ أرحاما
إن إمرأً عظمتْ فى الناس همته ... رأى السرورَ جوًى والوفر إعداما

وقلت : وأكثرُ حالاتِ الزمانِ يغمنى ... وليس لغمِّ العارفينَ مفرج

ورؤى الحسنُ البصرىَ حزيناً فقيل له فى ذلك فقال : غمى مكتسبٌ من عقلى ولو كنت جاهلاً لـكنت فى راحة من عيشى . وافتخر قومٌ بالمـال عند فيثاغورس فقال : وماحاجتى إلى المال الذى يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلـكه السخاء

وقيل له ما أصعب الأشياء على الانسان ؟ قال أن يعرف قدر نفسه ويكتم سره .

وقال بعضُ أهل الهند : ليس شيء أعرفُ بنفسه من الانسان ولا أجهلُ بهامنه .

وقيل لسقراط أى السباع أجمل؟ قال المرأة . ومن التشبيه المصيب قول سقراط لرجل استشاره فى التزويج : ان المتزوجين مثل السمك الذى يصاد بالقفاف فما حصل فيها يروم الخروج منها وماكان خارجاً يبغى الدخول فيها . وقيل لرجل منهم ماسبب موت أخيك؟ قال كونه . ومثل ذلك ماأخبرنى به عم أبى أبوسعيد الحسن بن سعيد أظنه عن أبيه قال : ورد البريد الى المأمون من خراسان بموت ابن المؤيد فاستدعاه

وجعل يعظه ويعزيه من غير أن يذكر له المصيبة فقال المؤيد لا عهد لى من أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام فما السبب فيه؟ قال مات ابنك قال قد عرفتُ ذلك قال ومتى عرفته وماسبق البريد بخبر؟ قال عرفتُ ذلك يوم وُلد. فعجب المأمون من فهمه وقال بمثل هذا قدمتك هذه العصابة وجعلتك قوام دينها ومفزعها فيما ينوبها.

وقال بعضهم حب المال وتد البلايا. وقال سقراط اللذةُ خناق من عسل.

وقيل لجاوس توفي مانيدس فقال الويح لى قد ضاع مسنُّ عقلى. وقيل له ماأحلى الأشياء قال الذى تشتهى. وقريب منه قول الاعرابى * وقلة ماقرت به العين صالح * وقال سقراط الحظ في إعطاء مالا ينبغي ومنع ماينبغى سواء. ومثل ذلك قول طاهر بن الحسين: التبذير للمال ذمة كحب التقتير فاجتنب التقتير وإياك والتبذير. وقريب منه قول العربى وقد قيل له إن فيك إمساكا فقال لا أجمد فى حق ولا أزور في باطل.

ورأى بعضهم شاباً جاهلاً جالساً على حجر فقال هذا حجر على حجر.

ونحو هذا قول بعض المحدثين:

ما ان يزالُ ببغداد يزاحمنا على البراذين أمثالُ البراذين

وقلتُ وقد رأيتُ غلاماً مليحاً طريراً يخدم لئيماً دميا:

ان كنتَ ترتادُ منظراً عجباً فانظر الى البدر فى يدِ القردِ
وانظر الى الضبِّ كيف يفترسُ الظبىَ على مرقدٍ من الورد
وذُمَّ دهراً يفيضُ أنعمه على اللئيم المذممِ الوغدِ
وانظر الى حمرة وأتنه فوقَ متونِ السوابح الجرد
فأسخنَ اللهُ عينهُ زمناً ماذا رأى فى تجنبِ القصد

وقال بعضُ اليونانيين للاسكندر أخلاقك تجعل العدو صديقاً وأحكامك تجعل الصديق عدواً ويشهد عدم مثلك فيما كان بعدم مثلك فيما يكون. وقال بعض حكمائهم لمتكبر: وددت أنى مثلك فى نفسك وانِ أعدائى مثلك فى الحقيقة. وقريب من هذا المعنى قول علي رضي الله عنه لبعض أعدائه وقد مدحهُ: أنا دون ما تظهر بلسانك وفوق

ماتضمرُ فى جنانك . وقيل لبطليموس ما أحسن أن يصبر الانسانُ عما يشتهى قال أحسن منه أن لايشتهى إلا ماينبغى .

وقال أرسطاطاليس : انك ان لم تصبر على تعب التعليم صبرت على شقاء الجهل مابقيت ـ بخاطب جاهلا .

﴿ محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب ﴾

قال بعض حكمائهم : الصبرُ يناضل الحدثان . . وقال آخر : الحلم فدام (١) السفيه . وقال آخر : خاطر من استغنى برأيه . وقال غيره : الجزع من أعوان الزمان والمودة قرابة مُستفادة . وفضل بعضهم المودة على القرابة فقال : القرابة مُحتاجةٌ إلى المودة والمودةُ مستغنيةٌ عن القرابة . وقال غيره وسوى بين المودة والقرابة : الصاحبُ مناسبٌ . وقالوا عجبُ المرءِ بنفسه أحد حساد عقله . ومن موجز الكلام قول بعضهم : من نال استطال والفاحشةُ كاسمها . وقولهم أصاب مُتأملٌ أو كاد . وقولهم العفوُ زكاةُ الجاهِ . وقولهم راجى البخيل مُكد . وقول بعضهم قلما تصدقك الامنيةُ . وقيل الصيانة مألف المروءة . وقال بعض الحكماء البلاء رديف الرخاء . وقيل خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم . وهذا خلاف ما سمعنا سمعت رجلاً يقول لأن أكون رأساً في الضلالة أحب إليّ من أن أكون ذنباً فى الهداية .

وكانت قريش تستحسن من الخاطب الاطالة ومن المخطوب الايجاز فخطب محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز ابنة أخيه فتكلم بكلام جاز الحفظ فقال عمر الحمد لله الذى أنطق البلغاء ذى الكبرياء وصلى الله على محمد خير الأنبياء أما بعد فان الرغبة منك دعتك الينا والرغبة فيك أجابتك منا وقد أحسن بك ظناً من أودعك كريمته واختارك ولم يختر عليك وقد زوجناك على كتاب الله

---

(١) الفدام : شيء يشد على الفم .

وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فكان هذا من أوجز خطبة وأحسنها للمراد .

ومن موجز كلامهم : ليس مع الخلاف ائتلاف . وقولهم رضا الناس غاية لاتبلغ . وقولهم لا ينفعك من جار سوءٍ توقّ . وقولهم سرك من دمك . وقيل من لم يمت لم يفت . وقولهم عقل الكاتب على قلمه . ومن الصدق الذى لا ارتياب فيه قولهم من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه . ومن الموجز المليح ماروى ان بنى أمية وفدوا على عبد الملك بن مروان فقال أهل الشام ماعسى أن يقول خطيبهم فقام رَجُلٌ منهم فقال يا أمير المؤمنين نحن من تعرفُ وحقنا مالا تنكر وجئناك من بعد ونمتُّ من قرب فمهما تفعل بنا من خير فنحنُ أهله ، فتطاول عبد الملك وقال يا أهل الشام هذا كلام قومى . ومن جيد الاستعارة قول بعضهم : كانوا في ظل رقيق الحواشى فطواه الدهرُ عنهم . وقيل القلم أنف الضمير والخط لسان اليد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (جَدَعَ الحَلاَلُ أَنْفَ الغَيْرَة) وقالوا الفكرة مُخُّ العمل . وقيل الشيبُ خطام المنية . وقالوا المذاكرةُ حياة العلم . وقيل الخُمول دفن الحى . وقلتُ السخاء سُلم المجد . وقلتُ المراء ينقض مِرَرَ المودّة والتوانى يُثمِر الندامة والكسلُ يُنتجُ الفقر . وقيل البياضُ علم الجمال . وقلتُ الحياءُ عنوان الكرم . وقلتُ العتاب مُقَدِّمَةُ السخط . وقال ابن المعتز المعروفُ غلٌّ لا يَفُكه إلا شكرٌ أو مُكافأة ، وقلتُ العينُ رائدُ القلب . وقلتُ الذّل رسيل الدَّين والشكر ضامنُ المزيد والغنى مظنة البطر . وقال آخرُ اللحظ طرف الضمير . وقلتُ الشكر مرتبط النعم . وقال آخر من جرى في عنان أمله عَثُر بأجله . وقال الأعمالُ ثمار النيات . وقيل التواضع سُلّم الشرف . وقلت المال عدوّ الوفاء . وقيل التجنى رسولُ القطيعة . وقال الاحنف الأدب عُروةُ العزِّ . ومن أصدق كلمة أعرفها قول ابن المعتز : من قوى عَقله كثر حلمه وقل غيظه . وقال الفرصةُ سريعةُ الفوت وبطيئة العود .

وقال نرقّع خرق الدنيا ويتسع ونشعبها وتنصدع ونجمع منها مالا يجتمع .

ووقّع جعفر بن يحيى الى بعض إخوانه : إذا وضح العذرُ لم يكن لسوء الظن مكان إلا لمن أراد التجنى . وقيل للأحنف إن حارثة بن بدر يقع فيك فقال : * عُثَيثَةٌ تَقرِمُ جِلداً أملساً * [1] وقال بعض الحكماء حصادُ المنى الأسف وعاقبتها الندامةُ وليس لذى لب بها مستمتعٌ . ومن فصيح أمثال العرب قولهم: الفرارُ بقراب أكيسُ [2] . وعزّى اعرابيٌّ رجلاً فقال لاأراك اللهُ بعدهذه المصيبة ماينسيكها . وعزى شبيبُ بن شيبة ذمّياً فقال أعطاك الله عن مصيبتك أفضل ماأعطى أهل ملتك . وقال عبد العزيز بنُ زرارة أول المعرفة الاختبار . وقال رجلٌ للأحنف ممّن أنت قال ممن ودّنى . وقال البلاغةُ البلوغُ عند الكفاية . وقيل للأحنف ما أحسن المجالس قال ماسافر فيه البصرُ واتّدع فيه البدن وأمن فيه الثقل وكثرت فيه الفائدة .

وكتب المهلب [3] إلى عبد الملك حين هزم الازارقة أمابعد فانا لقينا المارقة ببلاد الاهواز وكانت فى الناس جولة ثم ثاب أهلُ الدين والمروءة ونصرنا اللهُ عليهم فنزل القضاءُ بأمرٍ جاوزت النعمة فيه الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل رئيسهم فى جماعة من حماتهم وذوى الثبات منهم وأجلى الباقون ليلاً عن مُعسكرتهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأوّلها ان شاء الله تعالى .

وكتب الى الحجاج : الحمد لله الكافي بالاسلام ماوراءه الذي لاتنقطع موادُّ نعمه حتى تنقطع من خلقه موادّ الشكر عليها وإنا كنا وعَدوُّنا على حالتين يسرُّنا منهم أكثر مما يَسوءُنا ويَسوءُهم منا أكثر مما يسرُّهم فلم يزل الله تعالى يزيدنا وينقصهم ويمحصنا ويمحقهم حتى بلغ الكتابُ أجلهُ فقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

---

(١) مثل يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في شيء فلا يقدر عليه . (٢) أى الذى يفر ومعه قراب سيفه إذا فاته السيف أكيس ممن يفيت القراب أيضاً . (٣) هو المهلب بن أبي صفرة . وفى الأصول « ابن عبد الملك »

وكتب ابن المعتز : قد علمتنى نبوتك سلوتك وأسلمى اليأس منك الى الصبر عنك . وقال أعرابى لمعاوية هززتُ ذوائب الرحال اليك إذ لم أجد مُعوّلاً إلا عليك أمتطى الليل بعد النهار واسم المجاهل بالآثار يقودنى نحوك الرجاء وتسوقنى اليك البلوى والنفسُ مستبطئة والاجتهاد عاذر وإذبلغتك فقط . فقال معاوية أحطط رحلك ياأعرابى . وقال سفيان الثورى رأيتُ أعرابياً مُتعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول يارب عندى لك حُقوقٌ فهبها لى وللناس عندى حقوقٌ فتحملها عنى ولى عندهم حقوقٌ فقيضها لى وأناضيفك اليوم فاجعل قِراى الجنة . وذكر بعضهم رُجلا فقال كان قريب مدى الوثبة لين العطفة يُرضيه القليلُ ولا يُسخطه الكثيرُ .

﴿ أمثلة فى البلاغة الكتابية ﴾

أولها التحميدُ ومن عادة العارفين أن يبتدئوا فى الأمور بالحمدلله رب العالمين يُقدمونهُ أمام طلابها كما يُبدىء بالنعمة فيهاقبل استيجابها . كتب حمدُ بن مهران : الحمد لله الذى كثرت أياديه عن الاحصاء وجلّت نعمه عن الجزاء . وكتب أيضاً : الحمد لله ذى البلاء الجميل والعطاء الجزيل الذى جعل للأمير سنى الرتبة وعز الدعوة ووصل له حُسن الولاية بشكر النعمة وقرن لأوليائه قوة الحجة بفضل الادالة حمداً يؤدّى الى الحق ويقتضيه ويستمد المزيد ويمتريه والى الله أرغبُ فى زيادة الأمير والزيادة به وعلى يديه والأيدى الصائلة على عدُوّه بمنّه ولطفه . فأخذ ابنُ دُريد قوله (ويستمد المزيد ويمتريه) فقال : نحرس نعم الله عز وجل عندنا بالحمد عليها ويمترى المزيد منها بالشكر عليها وترغب الأيادى اليه فى التوفيق لما يُدنى من رضاه ويجير من سخطه انه سميع الدعاء لطيف لما يشاء . وكتب الصابى : الحمد لله ذى المنن والطَّوْل والقوة والحول والغاية والصول رافع الحق ومُعليه وقامع الباطل ومُرديه ومُعز الدين ومُديله ومُذل الكفر ومذيله (١) المنزل رحمته على من جاهد

(١) أذاله : حقره وأهانه .

في طاعته والحل عُقوبَتَه بمن جاهر بمعصيته المتكفل بتأييد حزبه حتى يظفر وبخذلان حربه حتى يدحر الذى لا يفوته الهارب ولا ينجو منه الموارب ولا يعييه المعضل ولا يعجزه المشكل ولا تبهظه الأشغال ولا تؤوده الاثقال الغنىّ المفتقر اليه القوىّ المعتمد عليه بالغ أمره بلا مُؤازر وممضى حكمه بلا مظاهر ذلكم الله ربكم فاعبدوه مخلصين له الدين . وروى عن النبي ﷺ أنه قال لما هزم الأحزاب « الحمدُ للهِ الذى صَدَقَ وَعْدَه وَنَصرَ عبدَه وهَزَمَ الأحزابَ وَحْدَه » .

وكتبتُ : الحمد لله الذى وفّر على الأنام المحاسن واكتنفها بالميامن وبسط بالخير أيديها وأفاض بالاحسان واديها وعلمها البر بالأبرار والعطف على الأحرار واختيار الخيرة للاخيار فعادت وقد زكت شجرتها وحلت ثمرتها وتثنت أغصانها وتهدّلت أفنانها ولانت أعطافها وتناهت ألطافها فكأنها هي أيام أبي تمام التى وصفها فقال :

أيامُنا مصقولةٌ أطرافها بك والليالى كلها أسحارُ

بما منح من حُسن رأيك أطال الله فى كنف السلامة بقاءك وحجب عن عيون الغير نعماءك وخوّلك من العزّ أوفره ومن الظفر أخضره وأعطاك من النعم أصفاها من الشوائب وأبعدها من مُلاحظة النوائب ومنحك من الخير برُمَّته كما قاد اليك الفضل بأزمّته ولازال بك الزمان جديد الحُلّتين مُطرز الطرتين مُتوّج المفرق بما ترك حالى الجيد بمفاخرك ولاسلبك نعمة ألبسك جمالها ولانزع عنك عارفةً وفر عليك كمالها :

رأيتُ جمالَ الدهرِ فيكَ مُجدّداً فكن باقياً حتى ترَى الدهرَ فانيا

وكتب بعضهم : الحمد لله الذى استسلمت نهاية الشكر لدون ماألزم بصنائعه .

وكتبت : الحمد لله على ماتطوّل به من البرّ وما أوزع [١] على ذلك من الشكر حمداً يتخطى به إلى غاية رضوانه ويستدعى المزيد من جزيل إحسانه .

وكتبتُ : الحمد لله الذى قيض لك السبق إلى البرّ والفوز بالمكرُمة البكر

(١) أوزع : أي ألهم .

والاستيلاء على قصبات الحمد والشكر .

وكتب آخر : الحمدُ لله الذى جعل من ألبابنا بصائر تقودنا إلى معرفته ومعارف ترشدنا إلى الاقرار بربوبيته ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته .

﴿ ومن جيد الأدعية ﴾

ما كتب الصاحبُ أبو القسم بن عباد : أسعد اللهُ سيدنا بالفضل الجديد والنيروز الحميد سعادة مُتصلة المادة حافظةً لجميل العادة مُوذنة بظاهر العزّ والبسطة وتزايد السرور والغبطة مؤمنة من عوادى الأيام وبوادر الزمان وأراه سادتى الفتيان قد اقتفى كلٌّ منهم مجده وحكى في طلب المعالى أباه وجدّه وجعل سيدنا آخذاً من كل مادعى به ويُدعى به في الأعياد بأجزل الأقسام وأوفر الاعداد.

وكتب الصابى الى أبى القاسم عبدالعزيز بن يوسف : أطال الله بقاء مولاى الأستاذ وأسعده بنيروزه الوارد عليه وأعادة ألف عام اليه وجعله فيه وفى أيامه كلها معافى سالماً فائزاً غانماً مسروراً محبوراً محروساً موفوراً مختوماً له ببلوغ الآمال مطروفاً عليه [1] عين الكمال محظور الافنية عن [2] النوائب محمى الشرائع عن [2] الشوائب مُبلغاً غاية ماتسمو اليه همته العالية المشتطة وأمانيه المنفسحة المنبسطة بقدرته . والفصل الأخير من هذا يُشير الى قول ابن المعتز : أصحب اللهُ بقاءك عزاً يبسط يدك لوليك وعلى عدوك وكلاءة تذب عن ودائع مِننه عندك وزاد فى نعمك وان عظمت وبلغك آمالك وان بعدت .

وكتب بعضهم عش ماشئت كما شئت ، وهو من قول أبى نواس :

دارت على فتية ذلَّ الزمانُ لهم   فما يُصيبهمُ إلا بما شاؤا

وكتب بعضهم عش أطول الاعمار مُوقى من سوء الأقدار مرزوقاً نهاية الآمال مغبوطاً على كل حال . وكتب آخرُ بلغك اللهُ نهاية من العمر لا نهاية لمستزيد وراءها . وقريبٌ منه قول البحترى :

---

(١) فى الأصل (غنه) . (٢) فى الاصل (على) .

عَمرتَ أباإسحقَ ماصَلَح العُمرُ   ولا زال معموراً بأيامك الدهرُ

وقول الآخر :

فلا زالتِ الأرضُ معمورةً   بعُمرك ياخيرَ عُمّارها

ومما يجرى مع ذلك وليس منه قول أبى تمام :

من يسأل اللهَ أن يُبقى سَراتكمُ   فانما رامَ أن يستبقىَ الكرما

وقول المتنبى :

أعيذكم من صروف دهركمُ   فانهُ بالكرام مُتهم

وقلت: فلا زالت الأقدارُ دونَ محلكم   سواقطَ والمكروهُ عنكم(١) مقصّرا

وقال بعضهم : جعلك الله من كل محبوب على شرف ومن كل محذورفى كنف .

وكتب آخر : لا زالت الأيام لك مساعدة والليالى على هواك مُساعفة تتلقاك بأوفر الحبور وتطلع عليك بعوائد السرور وتجرى مقاديرها لك بالمحبوب وتتقاعس عنك بالمحذور المرهوب ويحكم لك بالرشد والسعادة ويقضى على أعدائك بالذل والقماءة(٢) . وكتب ابن المعتز أخرتنى العلة عن الوزير أيدهُ اللهُ فحضرت بالدعاء فى كتابى لينوب عنى ويعمرَ ماأخلّته العوائق منى أسأل الله أن يجعل هذا العيد أعظم الأعيادالسالفة بركة عليه ودون الأعياد المستقبلة فيما يحب ويجب له ويتقبل ما نتوسل به الى مرضاته ويضاعفُ الاحسان اليه على الاحسان منه ويُمتعه بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يريه فى مَسرةٍ نقيصةً ولا يقطع عنه فيها عادة جميلة . وهذا مأخوذٌ من قول سعيد بن حميد : تابع الله لك صالح الأيام ومحمود الأعوام حتى يكون كل يوم منها موفياً على ماقبله مُقصراً عما (٣) بعده .

وكتب ابنُ المعتز : حفظ الله النعمة عليك وفيك وولى اصلاحك والاصلاح لك وأجزل من الخير حَظك والحظ منك ومنّ عليك وعلينا بك .

وكتب الى عليل: مسحك الله بيد العافية ووجّه اليك وافدالسلامة وملاك

(١) فى النسخ « منكم » .   (٢) القماءة : الذل ، والعطف تفسيرى .

(٣) فى الأصل « على مابعده » .

ماأفادك وهنأك ماقسم لك وأمتع بك وليك وألان لك طاعة عدوك وجمل الدولة ببقائك وزينها بدوام نعمائك . وكتب الصاحب أبو القسم : والله يديم لمولانا ولى النعم التمكين والبسطة والعلو والقدرة والعز والنصرة ولا يسلب القلوب ما أودعها من محبة دولته ولا يعدم الصدور ماضمنها من خشية صولته ليزداد أولياؤه بصيرة في مناصحته ويضطر أعداؤه الى استعطافه واستقالته انه قدير على ما يشاء واليه أرغب في زيادة مولانا من فضله وصلة المناجح بسعيه وعزمه وتعريفه الميامن فى ارتحاله وحله وتوفيقه لما يحفظ رأى ولى نعمته ويستديم المقسوم له من محمدته .

وكتب أبو الحسن بن أبى البغل الى على بن عيسى : وهنأ الله الوزير ماأتاه وجعله أيمن أمر من أمور الدين والدنيا بدءًا وفاتحةً وأسلمه مالاً وعاقبةً وأطوله أمداً ومدةً وأدومه انتظاماً واستقامةً وأوفره كفايةً لله وجميل ولايته وصادق معونته حظاً وسهمةً [1] ويسر لديه العسير وقرب على يده البعيد والشطير [2] إنه على كل شىء قدير. وقال اعرابى لرجل النعم ثلاثٌ نعمةٌ في حال كونها ونعمةٌ ترجى مُستقبلة ونعمةٌ تأتى غير مُحتسبة فأدام الله لك ماأنت فيه وحقق ظنك فيما ترتجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه .

﴿ المــديح ﴾

قد صدرت الكتاب بذكر المديح على مذهب الشعراء وأنا أورده هنا صدراً على مذهب الكتاب ليشتمل الكتاب به على الكمال إن شاء الله تعالى :

ذكر رجل لبعض البلغاء فقال : هو أحلى من رُخص السعر وأمن السبل وادراك الأمانى وبلوغ الآمال . وكتب بعض الكتاب : وجرى لك منذكر ما خصك اللهُ به وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدر وعلو المنزلة والذكر وبعد الهمة ومضاء العزيمة وكمال الاداة والآلة والتمهد فى السياسة والايالة وحياطة

(١) السهمة بالضم : النصيب (٢) الشطير : البعيد والغريب .

الدين والأدب وإيجاب عظيم الحق بضعيف السبب مالا يزال يجرى مثله عند كل ذكر يتجدد لك وحديث يؤثر عنك . وكتبت : من حل محل سيدنا فى شرف المنصب وطهارة العنصر وزكاء الأصل ونماء الفرع وسنىّ الحسب وسرى النسب مع الشيم الطاهرة والمكارم المتظاهرة كثرت الرغبة اليه وخيمت الآمال بين يديه وهو حقيقٌ بتصديقهافيه وتحقيقها[1] عند مؤمليه لكرمه في نفسه وتميزه من جنسه . وقال بعضهم لرجل : رحم الله أباك فانه كان يقرى العين جمالاً[2] والأذن بياناً . ومما يجرى مع ذلك أن بعضَ الملوك رأى رجلاً قبيح المنظر عييّ اللسان فأمر باسقاطه وقال ان روح الحياة وهى الانسانية إذا كان ظاهراً كان جمالاً وإذاكان باطناً كان بياناً فمن خلا من الجمال والبيان فليس بانسان .

وكتب الصاحب : وليس يبدع أن يجود كلامه وتعتدل أقسامه ويتهذب بيانه ويتسع جنانه وقد راض العلوم حتى أعطته زمامها ومارس الآداب حتى ملكته خطامها فان عُد الفقه كان البازل الذى ذلّل الفحولَ مُصاولة وإن ذكر الكلام كان الجبل الذى فرع الأطواد مطاولة وإن تصرف فى أيام الناس وأخبارهم وفحص عن سيرهم وآثارهم حاضر مُحاضرة الافراد وكاثر مُكاثرة الآحاد وإن جُورى فى سوائر الأمثال وفقر الأشعار ترك المجارى لا يدرى أى طريق يركب وأى مذهب يذهب وأما الخطابة فهو جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقد سُلمت اليه اختياراً من مواليه واضطراراً من مُعاديه .

وقال رجلٌ لخالد القسرى إنك لتبذل ماجلّ وتجبر مااعتل وتكثر ماقل .

وكتب ابراهيم بن العباس : وإن أمير المؤمنين لو استغنى بنظر ناظرٍ من وُلاته واجتهاد مجتهد من كفاته الذين لهم الأثرة عنده والموضع الأخص عن الاستظهار عليه بنظره وعنايته واهتمامه كنت أولى من خفف بمكانه عن نفسه واقتصر على عنايته وتدبيره دون إرشاده وتسديده فالله يُعزهُ ويزيدُ فى تأييده .

---

(١) فى الاصل (تحقيقا) . (٢) أى يكرمها بذلك كما يكرم الضيف .

﴿فأما الذم والتهجين﴾

فمن بديع الاستعارة فيه قول أعرابي يذم رجلا : يقطع نهاره بالمُنى ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى . ودخل أعرابي بغداد فقال فاذاً ثياب أحرار على أجساد عبيد إقبال حظهم إدبار حظ الكرم شجر فروعه عند أصوله شغلهم عن المعروف رغبتهم فى المنكر . وقال بعضهم لرجل استضاف بخيلا : نزلتَ بوادٍ غير ممطور ورجل غير مسرور فأقم بندمٍ وارحل بعدمٍ . وقال أعرابيٌّ : أولئك قومٌ سلخت أقفاؤهم بالهجاء ودُبغت جلودهم باللؤم فلباسُهم في الدنيا الملامة وزادهم فى الآخرة الندامة . وقال أعرابيٌّ لا تُدنس شعرك بعرض فلان فانه سمينُ المال مهزول المعروف من المرزوقين لجأة قصير عمر الغنى طويل حياة الفقر ، ومن ههنا أخذ أبو نُواس قوله :

بما أهجوكَ لا أدرى لسانى فيكَ لا يجرى
إذا فكرت فى عرضـك أشفقتُ على شعرى

واستشارت امرأةٌ امرأةً في رجل تزوجه فقالت لا تفعلى فانه وكلةٌ تكلة يأكل خلله . ووُكلة وتُكلة بمعنى واحد وهو الذى يتكلُ فى الأمور على غيره ولا يقومُ فيها بنفسه والتاء فى تكلة واو كما قيل تُراثٌ وهو من ورث ، والخلل مايخرجُ من بين الأسنان عند التخلل وليس في اللؤم شيء من الكلام أبلغ من هذا . وقريبٌ منه قولهم فلان يُثيرُ الكلاب عن مرابضها ، يريدون أنه من طمعه وشرهه يُثيرها يطلبُ تحتها شيئاً قد فضل منها ، ومن ذلك قول الشاعر :

أمن بيتِ الكلابِ طلبتَ عظماً لقد حدثتَ نفسك بالمحال

﴿ فى الشكر (١) ﴾

وكتب ابنُ المعتز فى الشكر : قدجلت نعمتك عن شكرى فتولى اللهُ مكافأتك

---

(١) هذا العنوان غير موجود في النسخ .

عن عجزي بعد جُهدي بما هو أرفع له وأقدر عليه بمنه ورأفته ، وهذا من قول طريح بن اسمعيل * فقصرت مغلوباً وإني لشاكرُ * وكتب آخر : إذا كان مجهودي في شكر النعمة واعترافي بحق العارفة يُبلغني أقصى نهاية الشاكرين وأبعد غاية المعترفين وكانت زيادة معروفك على قدر شكري كزيادة قيمتك في نفسي فقد أسقط الله تكلف ماجاوز الطاقة عني . وكتب بعضهم قلبي نجي ذكرك ولساني خادم شكرك . ومما يجري مع ذلك ما كتب بعضهم : أما بعد فان أثقل الناس حملاً من تحمل آمال المؤملين وأولاهم بالمكافأة من أخدمك عِرضَه فتذلل لك ونفسَه فتواضع دونك وقلبَهُ فكان في رجائك وتأميلك ولسانَه فكان في ذكر محاسنك ونشر مناقبك . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومي :

إنَّ امرأً رفضَ المكاسبَ واغتدى ... يتعلم الآدابَ حتى أحكما
فكسا وحلى كل أروع ماجدٍ ... من حُرِّ ماحاك الضميرُ ونظما
مُتشاغلاً عما يُمارسُ غيرُه ... حتى لقد أثرى اللئامُ وأعدما
ثقةً برعي الأكرمينَ ذِمامَهُ ... لأحقُّ مُلتمسٍ بأن لا يُحرَمَا

وكتبتُ : وتأملتُ التوقيع في معنى المعيشة فتصور لي الغنى بصورته وقابلني بصدق مخيلته وعرفتُ أن الدهر قد غضت جفونُه ونامت عيونُهُ وتنحت عن ساحتي خُطوبهُ وهذه نعمٌ أعيا بذكرها فكيف أطمعُ في إداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شُكراً لها ومقابلة بما خلص إليّ منها وأنا معترفٌ بذلك اعتراف الروض بحقوق الانواء وقائل به كما أقول بفضل الوفاء .

وقال ابن المقفع : الشكرُ نسيمُ النعمة . وقال عليّ بن عُبيدة : النعمة كالروضة والشكرُ كالزهرة . وكتب ابن المعتز في معنى آخر : سألت عن خبري وأنا في عافية لا عيب فيها الا فقدك ونعمة لامزيد فيها الا بك . وكتب أبو العباس بن ثوابة : وأنا أسأل الله إذا من بنعمةٍ أن يجعلك المقدم فيها وإذا امتحن بمحنة أن يجعلني وقاءً لك منها . وكتب في فصلٍ : وإذا ضاق علي أن أفعل فليس

يضيق عليك أن تتفضل إذا كان كل واحد منا يجرى إلى غاية فى البرّ والعقوق .

وكتب أبوعلى الضرير : تجاوز بى ذكر فضلك ووصف محاسنك والاخبار بما وهب الله للامام والأمة فيك إلى القول بحاجتى قبلك ليس لأنى جهلتُ الحق علىّ لك ولا لأنى ادخرتُ الثناء الجميل لغيرك ولكنى رأيتنى فيما أتعاطى منه كالمخبر عن ضوء النهار الباهر الذى لايخفى على ناظر وكالمنبه على الأمر الواضح الذى يستوى فيه العالم والجاهل فانصرفتُ عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك إلى علم الناس بك .

قد انتهى بنا القولُ فى هذا الباب إلى هنا لعلمنا أنا ان أردنا استيعابَهُ لم نقدر عليه لكثرته ونرجو أن يقع الاكتفاءُ به إن شاء الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله وحده .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى دَلّ على قدرته وأبان عن حكمته باختلاف ماخلق من الصور وتباين ما أنشأ من الفطر من ملكٍ وإنسان وبهيمةٍ وجان وطائر يمسح صفحات التراب ويأخذ باهاب السحاب وحنش ينطوى على أدراجه ويستوى مرة فى اعوجاجه إلى غير ذلك من خَلْقٍ مُختلفة وأجرام متباينة حقيرُها جليلٌ وصغيرها كبيرٌ وجعل منافعها متاعاً للانسان الذى كرمه تكريماً وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الخيل والابل والسير والفلوات
وذكر الوحوش والطيور والحشرات وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني وهو ستة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفات الخيل

قد وصفها الناس في قديم الدهر وحديثه وصفاً كثيراً واتّسع فيها قولهم اتساعاً شديداً وأنا أجيء بالبديع الغريب من ذلك وأضرب عن غيره لكثرته واستفاضته ولاحاجة بالناس إلى أن نورد عليهم ماعرفوه ووقفوا عليه وتداولوه إلا مالا بُدّ من إيراده لفقد شبيهه وعدم نظيره : فمن بديع ماجاء عن القدماء في صفة الفرس قول أبي دؤاد :

يحمل منه بعضُهُ بعضَهُ ... فراكبٌ منهُ ومركوبُ

وقول الاعرابي :

وأحمرُ كالديباج أما سماؤهُ ... فَرَيا وأما أرضُه فمحُولُ

سماؤه : أعاليه ، وأرضُه : أسافله، يعني حوافره .

ومن أجود ماقيل في تأنيف اذن الفرس ماأنشده القتبي * كأن آذانها أطراف أقلام *

وأحسن ماقيل في اصطفاف الخيل قول الاسعر (١) :

يخرجنَ من خللِ الغبارِ عوابساً ... كأناملِ المقرورِ أقعى فاصطلى (٢)

(١) في الأصل « الأشعر » بالمعجمة ، ولعل الصواب بالمهملة .

(٢) فانه يمد أصابعه الى النار فتكون جميعاً معاً لاتسبق إحداها الأخرى .

أى كلهن يُبادرُ الغارة فليس يفوت بعضها بعضاً . أخـذه على بن جبلة فقال رحمه الله :

كأنّ خيلكَ فى أثناء غمرتها أرسالُ قطرٍ تهاَمى فوق أرسالِ

يخرجنَ من غمراتِ النقع سامية نشرالأنامل من ذى القرة الصالى

والاول أجود . ومثل ذلك قول الراجز * مستويات كضلوع الجنب *

وفى وصف وقع قوائمها قول مالك بن حريم الهمدانى :

وتهدى بى الخيل المغيرة نهدة اذا صبرت صابت قوائمها معا

ومن أحسن الاستعارة قوله :

وان عثرت احدى يديه بشبْرة[1] تجاوبَ أثناء الثلاث بدَعدَعا

وكان الاحسن أن لا يصفها بالعثار الا أن قوله * تجاوب أثناء الثلاث بدعدها * مستعار حسن يعنى على إساءته فى وصفه إياه بالعثار ، ودعدع مثل قولهم « لعاً » وهو دعاء للعاثر بالحياة . وأهدى بعضهم شهرياً[2] وكتب : بعثتُ بشهرى حسن المجموع لين الموضوع وطىء المرفوع همه أمامه وسوطه لجامُه . وقد أحسن ابن المعتز فى قوله :

وخيل طواها القودُ حتى كأنّها أنابيب سمر من قنا الخط ذبّل

صببنا عليهم ظالمـين سياطنا فطارت بها أيدٍ سِراع وأرجُل

فذكر أنهم ضربوها من غير أن تمنع شيئاً من مطلوب سيرها فكانوا ظالمين لها . وقد أجاد فى قوله أيضاً * أضيع شىء سوطه اذ تركبه *

وقالوا أحسن بيت قالته العرب قول جرير :

وطوى الطرادُ مع القيادِ بطونها طى التجار بحضرموت بُرُودا

وقد أحسن الاعرابى القول فى سرعة الفرس حيث يقول :

غايةُ مجدٍ رُفعت فمن لهـا نحن حويناها وكنا أهلها

لو ترسلُ الريح لجئنا قبلها

(١) الشبرة : الـكوم من التراب . (٢) الشهرية بالـكسر : ضرب من البراذين.

وقول الآخر :

جاءَ كمثلِ البرقِ جاشَ ماطرُه   يسبحُ أولاهُ ويطفو آخره
فما يَمَسُّ الأرضَ منهُ حافرُه

وهذا غاية فى وصف سرعة العدو إلا أن قوله * يسبح أولاه ويطفو آخره * ردىء لانه جعله مضطرب المقاديم والمآخير . وقول عُبيدة بن الطيب فى الثور :

يخفى الترابَ بأظلافٍ ثمانيةٍ   في أربع مَسُّهنَّ الأرض تحليلُ

يقول ان مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الحالف يمينه بالتحلة لاتراخى بينهما ، والتحلة قول ان شاء الله .

ومن عجيب القول في سرعة الفرس قول ابن المعتز :

كأنَّ جنانَ الفلاةِ تضربه   كأنَّ مايَهربُ منهُ يطابه

وقد أجاد القائل فى صفة كلاب * كأنما يرفعن مالا يُوضع * ومن عجيب ماقيل في ادامة الجرى قول العرب يُبارى ظله ويُبارى عنانَهُ ويُبارى شباة الرُّمح . ويستحبُّ في الفرس إشراف مقدمه ومؤخره فمن أجود ماقيل فى ذلك قول على بن جبلة :

تحسبهُ أقعدَ فى استقبالهِ   حتى إذا استدْبرْتهُ قلتَ أكبّ

وقد أجاد المتنبي هذا المعنى فى قوله :

إن أدبرتْ قُلتَ لاتليلَ لها   أوأقبلت قلتَ مالها كفلُ

وقلت : طِرْف اذا استقبلته قلتَ حبا   حتى اذا استدبرتَهُ قلتَ كبا
ذو أربع يلقى الصفا بمثلها   وللحصى من خلفها وثب دبا
اذا ترامينَ به فى سيرهِ   تحسبهُ منها على أنف الصبا

ووصف النبي ﷺ إناث الخيل بأعجب وصف في قوله « ظُهورُها حِرْزٌ وبُطونُها كَنْزٌ » وقال الاشعرُ الجعفى في معنى قول النبي ﷺ ظهورها حرز :

ولقد علمتُ على توقِّيَّ الردَى   أنِ الحصون الخيل لامدر القرى

ومن أجود ماوصف به حُضْرُ (١) الفرس قول الاعرابى فى فرسه « يحضر ماوجد أرضاً » وقد بالغ امرؤ القيس فى قوله :

على هيكل يعطيك قبلَ سُؤالِهِ أفانينَ جرىٍ غير كزٍّ ولاوان

قوله « قبل سُؤاله » عجيب الموقع ، وقوله «أفانين جرى» أعجب وأبلغ.

وأجودُ ماوُصف به ظفره عند الطلب قوله :

وقد أغتدى والطيرُ في وكناتها بمنجردٍ قيدِ الاوابدِ هيكل

فجعل الاوابد وهى الوحش مقيدة له ينالها كيف يُريد .

وقد أجاد أيضاًوأحسن القول فى اليقين بالظفر حيث يقول :

إذا ماولدنا قالَ ولدانُ أهلنا تعالوا الى أن يأتى الصيد نحطبُ

وأحسن عمارة التقسيم في قوله فى هذا المعنى :

وأرى الوحشَ فى يمينى اذاما كانَ يوماً عِنانهُ فى شمالى

ونقله الشماخ بن ضرار (٢) إلى وصف رام فأحسن حيث يقول :

قليلُ التلاد غير قوسٍ وأسهم كأنَّ الذى يرمى من الوحش نازرُ

أى جامدٌ باردٌ يُصيبه كيف يُريد . وجعله أبونواس فى نعت كلاب فقال :

بأكْلُبٍ تمرحُ فى قداتها تَعُدُّ عيرَ الوحشِ فى أقواتها

وهو من قول أبى النجم * تعد غابات اللوى من مالها * وقوله :

يردى على حوافرٍ لاتخذُله صم الشوَى يحملها وتحمله

حافٍ ومايحفى وماتنعّلهْ نار عجاج مستطيل قسطله

تنقش منه الخيل مالا تعزله فى جنبه الطائر ديث عجله

كأنَّ تربَ القاع وهو يسحله ضيقُ شياطين رقتهُ شمأله

---

(١) الحضر بالضم : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) هو معقل بن ضرار المازنى ، من المخضرمين أدرك الجاهلية والاسلام، كان سريع الخاطر في الرجز وهو من طبقة لبيد ،

أو خَلقٌ ينشقُّ عنــه سمله ترى الغــلامَ ساجياً لا يركله
يعطيهِ ماشاء وليس يسأله فوافت الخيل ونحن نشــكله

ويستحب في الخيل سعة المنخرين فمن أبلغ ماقيل فى ذلك قول مزاحم بن طفيل العقيلي * من منخرٍ كوجار الثعلب الخرب * فجعله خرباً ليكون أوسع.
وقال العباس بن مرداس :

مِلء الحزامين وملء العــين ينفشُ عنــدَ الربو منخرين
كنفش كيرين بكفى قين

ومن أبلغ ماقيــل فى طول عُنق الفرس قول مُزاحــم العُـقيلى أيضاً * كأن هاديه جذعٌ على شرفٍ * فلم يرض ان جعلها جذعا حتى جعلها على شرف كصنيع الخنساء فى قولها * كأنه علمٌ فى رأسه نار * وقلت :

بمعقودِ السراة على اندماج ومزرورِ القميصِ على انشمار
يُريكَ جبينهُ لمانَ برْق وسائرُ جسمهِ لمعــانَ قار
فيشبه تحتَ جُنح الليلِ ليلاً ويحكى الخالَ في خدِّ النهار
ويقبلُ حينَ يُقبلُ فى سموٍّ ويُدبِرُ حينَ يُدْبِرُ في انحدار
ويُمسك وهو كالغدن المعلى ويحضرُ وهو كالمسد المغار
يلوحُ البــدرُ منهُ فى جبينٍ وتتضحُ الثريا فى عــذار

وقد أبدع القائل فى وصف فرس أبلق أغر فقال :

وكأنمــا لطمَ الصباحُ جبينهُ فاقتصَّ منهُ فخاضَ فى أحشائه

إلا أنه أساء فى العبارة وذلك أنَّ اللطم لا يكونُ إلا على الخد وضرب الجبين لايسمى لطماً والقصاص يكونُ بمثل الفعل فالقصاص باللطم اللطم لا الخوض فى الاحشاء . وقال ابن دريد وأحسن في وصف الغرة والتحجيل :

كأنما الجوْزَاءُ فى أرْساغِهِ والنجمُ فى جَبهتِهِ إذا بدا

ونحوه قول كشاجم :

قد راحَ تحتَ الصبح ليلٌ مظلمٌ لو راحَ فى السرج المحلى الأدهم
ضحكَ اللجينُ على سود أديمه وكذا الظلام تنير فيه الأنجمُ
فكأنهُ ببنات نعش مُلببٌ وكأنما هو بالثريا مُلجمُ
وقلت: عارضتُ فيه النجمَ فوقَ مُطهم يهوى لطيئه هُوىَّ الأعقب
ذاوى العسيبِ قصيرهُ ضافى السبيـــب طويلهُ صافى الأديم . محبب
كالنور بينَ العشبِ يبهرُ حسنهُ بين الجيادِ إذا بدا في موكب
وتطيرُ أربعــهُ بهِ في أبطح فكأنه من طولها فى مرقب
صم الحوافر شرب صم الصفا منها الاهلةُ فى الصفا والصلبِ
وكأنَّ غرتهُ نفضضُ وجهه والنقعُ يذهبهُ وإن لم يُذهب
وكأنَّ فى أكفاله وتليله غسق النجوم فتستطيلُ وترتبي
وكأنما الارساغ ماءٌ لم يسل والجسمُ كأسُ مدامةٍ لم يقطب
لم يُطلب إلا يفوتُ ويطلب إلا يفوزُ فلم يخب فى مطالب
والعاصفاتُ حسيرةٌ والبارقا تُ أسيرةٌ فى شدة المتلهب
وكأنما يجوى مدارُ حزامهِ احناءَ بيتٍ بالعراءِ مطنبِ

وأول من شبه الحافر بالحجارة الأفوه في قوله ☆ يرمى الجلاميد بأمثالها ☆ ثم قال رُؤبة ☆ يرمى الجلاميد بجلمود مدق ☆ وأبلغ ما وصف به شدةُ قوائم الفرس ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد عن الاشنانداني عن الجرمى :

سيانَ تحت طموه وطموره أكمُ الفلا ومقايل الولدان
يطأ الخبار فلا يطيرُ غباره ويرضُّ حافرهُ حصى الحزّان

يقول سواء عنده إذا طما فى سيره أى ارتفع وإذا طمر أى وثب ، الأكم وهى المرتفعات من الأرض فيها حجارة وطين والمقابل وهى ملاعب الصبيان إذا لعبوا بالتراب فمدّوا منه طريقين بينهما كالجدول ثم خبؤا خبيئاً فمن أخرجه فقد غلب ، والخبار الأرض السهلة ، إذا مشى فيه خفف وطأه فلم يثر غباراً وإذا

جرى في الحزان وهى الغليظ من الارض مكن حافرهُ فرض الحصى . ونحوه قول جرير * ضرم الرقاق مناقل الأجرال * يقول إذا صار فى الرقاق من الأرض اضطرم من جريه وإذا صار في الأجرال وهى مواضع الحجارة ناقل فيها لتطمئن مواقع حوافره . وقول الآخر * شادخة تشدخ من أدلالها * يقول تبعد عن الطريق ولا تبالى سهلاً أخذت أم حزناً .

ومن الفرد الذى لاشبيه له قول ابن المعتز :

ولقد غدوتُ على طمرّ قادحٍ   رفعت قوائمهُ غمامة قسطل
ومُحجّل غر اليمين كأنه   مُتبختر يمشى بِكمٍّ مُسبَل

وقد أحسن القائل فى قوله :

مدى خطوه أقصى مواقع طرفهِ   وأوّلُهُ فى منعه الخطو آخرُه
وقد قطعت من لونها الشمس غُرّةً   لهُ وحجولاً ثم كالظلّ سائرُه

وقال ابنُ المعتز :

تمت لهُ غرةٌ كالشمسِ مُشرقةٌ   يكادُ سائلها عن وجهه يكفُ
إذا تقرّطَ يوماً بالعذارِ غدا   كأنه غادةٌ فى أذنها شَنَف

وقلت : إذا تحلى بالعذارِ ومشى   قلتَ فتاةٌ تتصدّى لفتى
كأنه تحت الحلىّ رَوضَةٌ   دَرّ عليها الزّهرُ أخلافَ الحيا

وأبلغ ماقيل فى طول الفرس فى الهواء قول أبى دؤاد :

إذا ماجرى شأوينِ وابتلّ عطفهُ   أناخ بهاد مثل جذع سَحوق
كأنى إذا عاليتُ حوزةَ متنهِ   تعلق برى عندَ بيضِ أنوق

وبيض الأنوق في أعلى موضع من الجبل ؛ فلا ترى أشد مبالغة من هذا البيت .

وقلت : مُضطرمُ الغدوّ والرّواحِ   تخالهُ يمشي على أرماح

وأخبرنا أبو القسم عن العُقدِى عن أبى جعفر عن المدائنى قال أهدى رجل من الدهاقين الى خالد بن عبد الله القسرى برذوناً وقعد بين يديه فقال ماهذا ؟

فقال أصلحك الله ان تركته نعس وان حركته طار . فقال صفته خير منه .

وقال ابن المعتز :

أسرع من لحظته إذا عدا أطوع من عنانه إذا جذب

ويشبه الفرس فى عدوه بالنار فأجمع ماجاء فيه قول ابن المعتز :

ربما أغدو وتحتى طرف لاحق بالهاديات (١) طمر

طوى الشحم على متنتيه مثل مايطوى القباطى تجر

فهو نار والتراب دخان مستطير وحصى الأرض جمر

وقال : وكم غدوت بفتيان تسيل بهم سوابق أحكمتهن المضامير

مكنفات بآذان نواصيها كما يشق عن الطلع الكوافير

تنزو كراتهم فى كل معترك كما يطير من الذعر العصافير

قوله « تسيل بهم سوابق » من أجود ماوصف به الجرى السهل . ويستحب فى الفرس الشدق وهو سعة الشدقين فمن المذكور في ذلك قول بعض العرب * وان يلق كلب بين لحييه يذهب * ومن مليح ماقيل فيه قول ابن المعتز :

ناظر في غرة شمها واسترطا

وإذا سار رمى يده والتقطا

وكأن ملجمه يفتحان سفطا

وقال : وغدونا بأعنة خيل تأخذ الأرض بأيدى عجال

زينتها غرر ضاحكات كبدور في وجوه الليالى

ومن غريب التشبيه تشبيههم قوائم الفرس المحجلة عند السير بجراء كلاب بيض ، قال الراجز :

كأن اجراء كلاب بيض دون صافيه الى التعريض

وقال العمانى الراجز :

(١) في نسخة (بالعاديات) .

كأن تحت البطنِ منه أكلبا   بيضاً صغاراً ينتهشن المنقبا

وتبعه الحمانى فقال :

وليـل مثل خافية الغرابِ   عيٌّ مذاهب وخفى باب
دلفتُ لهُ بأسودَ مستمر   كما نظرَ الغضابُ الى الغضاب
أجشٌ كأنما قابلتُ منـهُ   تبعّـقَ لُجـة وحريقَ غاب
تراهُ كأن عينكَ لا تراهُ   إذا وَصلَ الوثاب الى الوثاب
كأن لدَي مغابنـه التماعا   يهادس عنده بُقع الـكلاب

وليس نظم هذا البيت بمختار ، وذكر قوائمه ثم قال :

يخالس بينها رفعاً ووضعاً   كما خفقت بنانُـك بالحساب

ومن أحسن ماقيل فى الحصى الذى يترامى بسنبك الفرس إذاجرى قول امرىء القيس:

كأن الحصى من خلفها وأمامها   إذا نجلته [1] رجلها خذف أعسرا

وجعله أعسر لذهابه على غير استواء ، أخذه ابن المعتز فقال وغير لفظه وأتى بمعناه :

يقذفُ بالرجل حصى الطريقِ   كأنهُ رامٍ بـلا تحقيـقِ

وقال : ينفى خفاف الحصى والنقع مُنتشرٌ   كأنهـا خلف رجليه الزنابير

وقد أجاد الـكميت فى قوله :

كأن حصى المعزاءِ بينَ فروجها   نوى الرضخ يلقى المصعد المتصوّب

فجعلها لـكثرتها تتلاقى في الهواء وزاد فى ذلك على الممزق ومنه أخذه وهو قوله :

كأن حصى المعزاءِ بينَ فروجها   بوادى نوَى رضاخة لم تدفق

وقد أجاد الراجز في قوله * يرضخ مايرضخ مالا يرضخ [2] * يقول إذا وطأ الحصى نبت من تحت سنبكه فأصاب مالم يطأه فدفعه من موضعه وكأن رضخه أى رمحه والرضخ الرمح . ويشبـه الحافر بالقعب فمن قديم الشعر فى ذلك قول امرىء القيس * لهـا حافر مثل قعب الوليد * أخذه ابن المعتز فقال :

---

(١) النجل : الرمي كما هو ظاهر .   (٢) فى الاصل (يضرخ) فى مواضع .

قــد اغتــدى بقادحٍ مُسوَّم يعبوب
ينفي الحصى بحافر كالقـدح المـكبوب
قـــد ضحكت غرتُه عن موضع التقطيب

وقد أحسن أبو تمـــام في قوله :

بحوافرٍ حفرٍ وصلب صلب وأشاعرٍ شعرٍ وحلق أحلقِ

فجعل البيت كله تجنيسا ولعله ماسبق الى ذلك . وقـد عاب الآمدى قوله « وصلب صلّب » وقوله « وحوافرٍ حفرٍ » وقال ان الحوافر لاتحفر الأرض وأكثر ماذكر في ذلك انها تثير الغبار قال وهو استقصاء المعنى ، قلنا وبعضهم يستحسن ذلك وبعضهم يكرهه . ومن المذكور فى صفة الفرس قول البحترى وهو أوصف المحدثين للخيل وأكثرهم إجادة فى نعتها :

أما الجوادُ فقد بلونا يومهُ وكفى بيوم مخبراً عن عامه
جارى الجيادَ فطارَ عن أوهامها سبقاً وكاد يطيرُ عن أوهامه
جذلان تلطمه جوانب غرة جاءت مجىءَ البدرِ حين تمـامه
واسودَّ ثم صفت(١) لعينى ناظرٍ جنباته(٢) فأضاء فى إظلامـه
مالت نواحى عُرفه فكأنها عذباتُ أثلٍ مال تحت حمـامه
ومقدم الأذنين تحسب أنه بهما يرى الشخص الذى لأمامه
وكأن فارسـه وراء قذاله ردفٌ فلستَ تراه من قدامه
لانت معاطفه فخيل انه للخيزرانِ مناسبٌ بعظامه
وكأن صهلته إذا استعلى بها رعدٌ يقعقع في ازدحام غمامه
مثل الغراب بدا يبارى صحبه بسواد صبغته وحسن قوامه
والطرفُ أجلبُ زائرٍ لمؤونة مالم يزره بسرجه ولجامه

وقوله أيضاً : وأغرَّ في الزمن البهيم مُحجّـل قد رُحتُ منهُ على أغرّ مُحجَّـل

(١) فى الأصل (صفا) . (٢) كذا في الديوان ، وفى الأصل (جلبابه) .

كالهيكلِ المبنىِّ إلا أنه ... فى الحسنِ جاءَ كصورةٍ فى هيكل
ذَنبٌ كسحبِ الرداء يَذُبُّ عن ... عُرف وعُرفٌ كالقناع المسبلِ
جذلانُ ينفضُ عذرةً في غرةٍ ... يققٍ تسيلُ حجولها فى جندل
تتوهمُ الجوزاءُ في أرساغهِ ... والبدرُ غرةُ وجهه المتهلّلِ
وتراهُ يسطعُ في الغبار لهيبهُ ... لوناً وشداً كالحريقِ المشعلِ
هزج الصهيل كأنَّ فى نغماتهِ ... نبرات معبدَ فى الثقيل الأول
ملكَ العُيون فان بدا أعطينهَ ... نظرَ المحبِّ الى الحبيبِ المقبلِ

وقد أحسن ابن طباطبا فى قوله :

عجباً لشمسٍ أشرقتْ فى وجهه ... لم تمح منهُ دجي الظلامِ المطبقِ
واذا تمطر فى الرهانِ رأيتهُ ... يجرى أمامَ الريح مثلَ مطرّق

وقال ابن المعتز :

تحملنى طِرْفَةٌ صادِرَةٌ وارده
ترضيك فى يومها وهى غداً زائده
ورجلها تقتضى ويدها جاحده

وباسناد لنا أن رجلاً أنشد أبا البيداء قول أبى نخيلة :

لما رأيتُ الدِّينَ ديناً يُؤفكُ ... وأمست القبَّةُ لاتستمسك
تُفتقُ من أعراضها وتهتك ... سرت من الباب فسارت دكرك
منها الدجوجىُّ ومنها الارمك ... كالليلِ إلا انها تحركُ

فقال لعنك الله ان كنت أنشدتنيها وأنت على غير وضوء ، قوله * كالليل ألا إنها تحرّك * استثناء عجيبٌ . وقال ابن المعتز :

اذا مابدا أبصرتَ غرةَ وجههِ ... كمنقود كرمٍ بينَ غصنينِ نوّرا
وردفاً كظهرِ الترس أسبلَ خلفهُ ... عسيباً كميص الطود لما تحدّرا

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

قد أشهدُ الليل[1] بفتيانٍ غرر   على جيادٍ كتماثيل الصور
كأنما خيطوا عليها بالابر   أو سُمّر الفارسُ فيها فانسمر

وباسناد لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر أرق ذات ليلة فقال لكاتبه أنائمٌ أنت ؟ قال لا وأيّد الله الأمير ، قال ماأطيب الطعام ؟ قال طعام شهوة فى ابّان جوعة ، قال فما ألذّ الشراب ؟ قال شربة ماء بارد تطفيء بها غليلك أو كأسٌ تعاطى بها نديمك ، قال فما أشهى النساء ؟ قال التى تدخلُ اليها والهاً وتخرج عنها هارباً ، قال فما أجود الخيل ؟ قال الأسوق الأعنق الذى اذا طلب لحق واذا طلب سبق واذا صهل أطربك واذا بدا أعجبك . قال صدقت لله درك ، اعطه ياغلام ألف دينار ، قال أصلح الله الأمير وأين تقع منى ألفا دينار ؟ قال أوزدت نفسك ألفاً قال أوليس كذا ؟ قال لا ولكن حقق ظنه ياغلام . فأعطاه ألفى دينار .

وقيل لاعرابى أتعرف الجواد المبرز من البطيء المقرف قال نعم أما الجواد المبرز فهو الذى لهز لهز العير وأنف تأنيف السير اذا عدا اسلهبّ واذا انتصب اتلأبّ ، والبطيء المقرف هو المدلوك الحجبة القحم الارنبة الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذى اذا قلت أمسكه قال أرسلنى واذا قلت أرسله قال أمسكنى .

وقال المهدى لمطر بن درّاج : أى الخيل أفضل ؟ قال الذى اذا استقبلته قلت نافر واذا استدبرته قلتَ زاخر واذا استعرضته قلت زافر ، قال فأى البراذين خيرٌ ؟ قال ماطرفهُ أمامه وسوطه عنانه ، قال فأى البراذين شرٌ ؟ قال الغليظ الرقبة الكثيرُ الجلبة إذا أرسلته قال أمسكنى وإذا أمسكته قال أرسلنى .

ووصف رجلٌ من العرب خيلاً فقال : إنها لخليقة للجودة وآية ذلك أنها سامية العيون لاحقة البطون مصغية الآذان افتاء الاسنان ضخام الركبات مشرفات الحجبات رحاب المناخر صلاب الجوافر وقعها تحليل ورفعها تعليل ان طلبت فاتت

(١) فى نسخة « قد أشهد اللهو » .

وإن طلبت نالت . واستوصف الحجاج ابن القرية فرساً فقال طويل الثلاث قصير الثلاث حديد الثلاث رحيب الثلاث صليب الثلاث عريض الثلاث منيف الثلاث أسود الثلاث . فاستفسره فقال طويل العنق والسبيب والساق ، قصير الظهر والعسيب والشعر ، حديد القلب والسمع والمنكب ، رحيب المنخرين والشدقين والجوف ، صليب الدخيس والكاهل والعجب ، عريض اللباب والجبهة والخد ، مُنيف الجوانح والقذال والقوائم ، أسود الذكر والحافر والعين . وقال محمد بن مُنادر في وصف فرس :

وإذا أُعْرِضَ قطريه لنا وفيا واستوفيا قَدّاً بقدّ
فهو كالقدْح أقامت درأهُ كفُّ باريه فما فيه أوَدْ

ووصف النظام فرساً فقال : هو صافي القميص جيد الفصوص وثيق القصب نقي العصب يبوع بيديه ويندس برجليه ويشير بأذنيه ويبعد مدى بصر عينيه يلحق الأرانب في الصعداء ويجاوزُ الظباء في الاستواء ان حركته طار وإن زجرته خار وإن طرحتَ عِنانَهُ سار كموج في لجة أو سيل فى لجوة ان وجد علفاً أمعن وإن فقده ضغن . وأنفذ جعفر بن يحيي إلى أبيه برذوناً وكتب اليه : قد بعثت اليك ببرذون لين المرفوع وطيء الموضوع حسن المجموع طويل العذار أمين العثار . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنى به أبو أحمد عن أبيه قال حدثنى أحمد ابن طاهر انه كتب إلى الحسن بن على بن يحيي يستهديه لجاماً لحماره :

جُعلتُ فِداكَ قد أمسى حماري لهُ سَرْجٌ وليس لهُ لجامُ
كمثل العاطل الحسناءِ أمستْ لها حَلْيٌ وليسَ لها نظام

ثم قال * وأنت لكل ناقصة تمام *

﴿ الفصل الثانى من الباب العاشر ﴾

فى ذكر الابل وسيرها وما يجرى مع ذلك من وصف أحوالها

أطرف ماقيل في صفة الابل قول القطامي :

يمشينَ زهواً فلا الاعجازُ خاذلةٌ ولا الصدورُ على الاعجازِ تتكلُ
فهنّ مُعترضاتٌ والحصى رَمِضٌ والريحُ ساكنةٌ والظلُّ معتدل

قالت العلماء لو كان البيت الأول في صفة النساء لكان أحسن وذلك لما رأوا من تمام حسنه وظريف لفظه . والبيت الآخر هو من أبلغ ماقيل في صفة هاجرة .

ومن مليح ماقيل فى ضمر الناقة قول ابن الخطيم :

وقد ضَمرتْ حتى كأنّ وضينها (١) وشاحُ عروس جالَ منها على خصرِ

ويُشبهُ الزمام بالحية فمن أول ماقيل فى ذلك قول الشاعر :

يعالج مثنى حضرمى كأنّه حباب نقا يتلوه مرتجلٌ يرمى

وقال ذو الرمة :

رجيعةُ (٢) أسفار كأنّ زمامها شجاع (٣) على يسرى الذراعين مطرق

وأخذه المتنبي فقال « كأنّ على الاعناق منها الافاعيا »

من أجود ماقيل فى ضمر الابل قول الفرزدق :

اذا ماأنيختْ قابلتْ عن ظهورها حراجيج أمثال الاهلة شسَّف

شبهها بالاهلة لضمرها واحد يدابها . وتُشَبهُ بالقسِيّ فمن أجود ماقيل في ذلك وأجمعه قول أبي عبادة البحترى :

وخدان القلاص (٤) حولاً إذاقا بلنَ حُولاً من أنجم الاسحار
يترقرقنَ كالسراب (٥) وقد خضـ ـنَ غماراً من السرابِ الجارى
كالقسيّ المُعطفاتِ بل الأسـ ـهم مبريَّةً بل الاوتاد

وقال ابن دُريد :

ألـيّةً باليعْمَلاتِ يرتمى بها النجاءُ بينَ أجوازِ الفلا

---

(١) الوضين كالحزام . (٢) أى معاودة . (٣) الشجاع هنا : الحية .
(٤) كذا فى ديوان البحترى ، والذى فى الأصل « وحذاق القلاص » .
(٥) كذا فى ديوان البحترى ،والذى فى الأصل « بالسراب » .

خوص كأشباح الحنايا ضُمَّرٌ يَرْعَفنَ بالامشاج من جذب البرى
يرسُبن في بحر الدُّجى وفي الضحى يطفون في الآلِ [١] اذا الآل طفا

ومن غريب ماقيل في عين الناقة قول ذي الرمه :

كأنما عينها منها وقد ضمرتْ وضمها السير في بعضِ الاضى ميمُ

فشبهها بالميم لاستدارتها وغورها ، والاضى الواحدة أضاة وهى الغدير ، وقد قصر بذى الرمة علمه بالكتابة . أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن العلاء بن عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى قال قرأ حماد الراوية على ذى الرمة شعره فرآه ترك في الخط لاماً فقال له ذوالرمة أكتب لاماً فقال حماد وانك لتكتب قال لا أكتم عليك فانه كان يأتى باديتنا خطاط فعلمنا الحروف تخطيطاً فى الرمل فى الليالى المقمرة فاستحسنتها فثبتت فى قلبى ولم تخطها يدى .

ودخل أبو تمام على المأمون فى زىّ اعرابى فأنشده :

دِمنٌ ألمَّ بها فقالَ سلامُ كم حلَّ عُقدةَ صبره الالمامُ

فجعل المأمونُ يتعجبُ من غريب مايأتى به من المعانى ويقول ليس هذا من معانى الاعراب . فلما انتهى الى قوله :

هُنَّ الحمامُ فان كسرتَ عِيافةً من حائهنَّ فانهنَّ حِمامُ

فقال المأمونُ اللهُ أكبرُ كنتَ ياهذا قد خلطت علىّ الامر مُنذ اليوم وكنتُ حسبتك بدويا ثم تأملتُ معانى شعرك فاذا هي معانى الحضريين واذا أنت منهم فقصر به ذلك عنده . وقال أبو نواس فى في وصف الناقة :

ولقد تجوبُ بى الفلاة اذا صام النهارُ وقالتِ العُفرُ [٢]
شدَنيّةٌ [٣] رَعتِ الحِمَى فأتت ملء [٤] الجبال كأنها قصر

(١) في الأصل « والضحى ، بالآل » . (٢) العفر : الظباء التى يعلو بياضها حمرة (٣) شدَن : موضع باليمن تنسب اليه الابل ، وقيل هو اسم فحل .
(٤) فى نهاية الأرب « مثل الجبال » ولعله تصحيف .

أخذه من قول عنترة :

فوقفتُ فيها ناقتى وكأنها فدَنٌ لأقضى حاجةَ المُتلوِّم

إلا أن بيت أبي نواس أحسن رصفاً . وذكر ذنب الناقة فقال :

أما إذا رفعته شامذةً (١) فتقول رنق فوقها نسرُ
أما إذا وضعته عارضةً فتقولُ أسبل خلفها (٢) سِترُ

أخذه من قول أبي دواد * قوادم من نسور مضرجات * وليس بيت أبي دواد شيئاً مع بيت أبي نواس ، ثم قال :

وتسفُّ أحياناً فتحسبها مسترسماً يقتادُهُ أثرُ
فاذا قصرتَ لها الزمامَ سما فوقَ المقادمِ ملطمٌ حُرُّ
وكأنها مُصغ لتُسمِعهُ بعضَ الحديثِ بأذنهِ وقرُ

ومن أجود ماقيل فى تقدم الناقة فى السير قول القطامى :

ألمعن يقصرنَ من نجب مُخَلَّسة ومن عرابٍ بعيدات من الحادى

أى يسبقن الحادى فيبعدن عنه ، ثم قال أبو نواس وأحسن :

تَذَرُ المطىَّ وراءَها فكأنها صَفٌّ تقدمهنَّ وهى امامُ

وأحسن ابن المعتز فى قوله :

وناقة فى مهمهٍ رمى بها همٌّ إذا نامَ الورَى سرَى بها
فهىَ أمام الركبِ فى ذهابها كسطرِ بسم اللهِ في كتابها

ومن مُصيب التشبيه فى موطىء الناقة قوله أيضاً :

تاتى الفلاة بخفٍّ لا يقرُّ لها كأنَّ مسقطهُ فى تربها طبقُ

وقوله فى ارتفاع الناقة فى الهواء وعظمها :

كأنا عندَ نهضتهِ رفعنا خباءً فوقَ أطرافِ الرماح

---

(١) فى الأصل غير منقوطة ، وفى ديوان أبى نواس «شامذة» وهي الناقة التي تشيل ذنبها نشاطاً . (٢) فى ديوان أبى نواس « أرخي فوقها ستر » .

ومثله قوله أيضاً :

ترنو بناظرةٍ كأنّ حجاجها   وقبٌ أنافَ بشاهقٍ لم يُحالِ
وكأنّ مسقطها إذا ماعرّست   آثارَ مسقطِ ساجدٍ مُتبتلِ
وكأن آثارَ النسوع بدفها   مسرى الأساودِ فى دهاسٍ أهيل
ويشدّ حاديها بحبل كامل   كعسيب نخل خوصُهُ لم يُنجل

وقال أيضاً :

كأنّ المطايا إذ غدَوْنَ بسحره   تركنَ أفاحيصَ القطا في المبارك

ثم قال وهو من أجود ماقيل فى سمن الابل :

لنا إبلٌ ملءَ الفضاء كأنما   حملنَ التلاع الجوّ فوق الحوارك

وقد أحسن القائل في وصف سُرعتهن حيث يقول :

خُوصٌ نواجٍ إذا حث الحداةُ بها   حسبتَ أرجلها قُدّامَ أيديها

وذكر دعبل بن على الخزاعي أن قائل هذا البيت القصافي لم يقل بيتاً جيداً سواه وكان يقول الشعر ستين سنة ، وأخذه ابن المعتز فقال :

تخالُ آخرهُ في الشدّ أوّله   وفيه عدْوٌ وراءَ السبقِ مذخورُ

وقد أحسن مسلم فى قوله :

إلى الامام تهادانا بأرحلنا   خلقٌ من الريح في أشباح ظلمان
كأن أفلاتها والفجرُ يأخذها   أفلات صادرةٍ عن قوس حبسان

وقال آخر :

كأنّ يدَيْها حين يَجرى ضفورها   طريدانِ والرجلانِ طالبتا وترِ

ومن بليغ ماجاء في ذلك قول ابن المعتز :

زجرتُ بها سباح قفرٍ كأنّه   يخافُ لحاقاً أو يبادرُ أولا
توارثه الايجافُ حتى كأنّهُ   لميس ضنى أعيا الطبيب المعذّلا

ومن بديع ماجاء فى ذلك قول رؤبة بن العجاج [١]

كأن أيديهنّ بالقاع القرقْ   أيدى العذارى يتعاطينَ الورق

وقد أحسن أبو الشيص [٢] فى قوله :

وليل يَرْكبُ الركبا   نُ فى أمواجه الخضر
توكلتُ على أهوا   لها بالله والصبر
وأعمال بنات الريح   فى المهمهِ القفر
شماليل يصافحنَ   مُتونَ الصخرِ بالصخر
بإيجاف يقدّ الليل   عن ناصيةِ الفجر

وقلت : لنا هجماتٌ تنثنى سرواتها   بأسنمة مثل الاكام سوامق
خبطنَ الربيعَ وانتسفنَ نباته   كامرت الاجلامُ فوق المفارق
بناها بناء البيت حون رواعدٌ   تجىء على آثارِ جونٍ بوارق
تدورُ بأحقيها البروقُ وتنثنى   كأنّ عليها مذهبات مناطق

وقال ابن المعتز :

وليل ككحل العينِ خُضتُ ظلامهُ   بأزرقَ لماع وأخضر صارم
وطيارة بالرحل صرف كأنما   تصافح رضراض الحصى بجماجم

وقلت : وليلة خبطت من ظلمائها   بنازح الخطو إذا الخطوُ دنا
قد انبرَى يعترف السير بنا   في طرق يخبط فيهنّ الهدى
ينهى الوجى [٣] أمثاله عن السرى   وساعدته ميمةٌ تنهى الوجى.

ومن مصيب التشبيه قول الراعى :

فى مَهمهٍ قلقتْ بها هاماتُها   قَلقَ الفؤوس إذا أردْنَ نصولا

---

(١) كان عارفاً باللغة وحشيها وغريبها ، ولما مات قال الخليل : دفنا الشعر واللغة والفصاحة . (٢) هو محمد بن رزين الخزاعى ، كان معاصراً لأبى نواس ومسلم بن الوليد ، فى شعره رقة . (٣) الوجى : الحفا .

وقول الآخر: حمراء من نسل المهارى نسلها إذا ترامت يدُها ورجلها
حسبتها غيرَى استفزّ عقلها أنى التى كانت تخافُ بعلها

أى كأنها من عملها بيديها ورجليها وسرعة تحريكها إياهما غيرى تخاصم وتشير بيديها لا تفتر. وقلتُ:

وَمَهمه[1] قَلقت فيها ركائبنا والليلُ في قلق تسرى ركائبهُ
ركبته فكأنّ الصبح راكبهُ وجبته فكأن النجم جائبهُ
بكل ذى ميعة جدّ الوجيف[2] به فانهدّ غاربُهُ وانضم حالبه
وبات ينهب جنحَ الليل فى عجل كأنه لاعبٌ طابتْ ملاعبه
حتى بدا الصبحُ مُبيضاً ترائبهُ وأدبَرَ الليلُ مخضراً شواربه
وإنما النجحُ فى ليل ترادفهُ إذا تأوّب أوصبحٍ يواكبه
وساهر الليل في الحاجات نائمه وذاهب المال عند المجد كاسبه

وقال أبو تمام:

على كلّ رواّد[3] الملاط تهدمت عريكته العلياءُ وانضمّ حالبه
رعته الفيافى بعد ما كان حقبةً رعاها وماءُ الروضِ ينهل ساكبه

وقلت: واستنهضتكَ الى المآثرِ والعلا همم تخال زهاؤهن جبالا
أردفتهن عزائماً فكأنما أردفتَ مُرهفة النصالِ نصالا
حملتها قلص الركابِ كأنها قلص النعام إذا اتبعن رِيالا
مهرية الرى السفاد بنحضها فتخالها تحت الرحال رحالا

وقال مسلم:

اليك أمين الله رامت بنا السرى بنات الفيافى كل مرتٍ وفدفد[4]
أخذنَ السرى أخذَ العنيفِ وأسرعتْ خطاها بها والنجمُ حيران مهتدى

---

(١) المهمه: المفازة. (٢). الوجيف: ضرب من سير الخيل والابل.
(٣) فى ديوان أبى تمام (موار) أى مضطرب. (٤) أى المفازة.

لبسن الدجى حتى نضتْ وتصوبت هوادِي نجومِ الليلِ كالدحو باليد

وهذه استعارة بديعة حسنة عجيبة الموقع جداً . وقال أبو نواس :

يكتسى عُثنونُهُ زبداً فنصيلاهُ الى نحره (١)

ثم يعتمُّ الحجاج (٢) به كاعتمام النوفِ في عشره

ثم تذروه الرياحُ كما طارَ قطن الندفِ عن وتره

ومن فصيح الكلام قوله فى هذا المعنى :

نفحن اللغام الجعد ثم ضربنه على كلِّ خيشومٍ كريم المخطام (٣)

وقال الشماخ بن ضرار :

كأن ذراعيها ذراعا مُدلّة بُعيد الشباب حاولتْ ان تعذرا

من البيض أعطافاً إذا اتصلت دعتَ فراسَ بن غنم أولقيطَ بنَ يعمرا

بها شرفٌ من زعفران وعنبرٍ أطارت من الحسن الرِّداء المحبَّرا

تقول وقد بلَّ الدموع خمارَها أبيت عفتي أو منصبى أن أُعيَّرا

كأن بذِفراها مناديلَ قارقت أ كفُّ رجالٍ يَعصرون الصنوبْرا

وقال الراجز : كأنها نائحة تُرجِّعُ تبكى بشجوٍ وسواها الموجَعُ

وهو نحو قول الراجز * حسبتها غيرى استفزَّ عقلها * ومثله قول الآخر :

كأن ذراعيها ذِراعا بذية مفجَّعة لاقت حلائلَ من عُفر

سمعن لها واستفرغت من حديثها فلا شيء يفرى باليدين كما تفرى

فوصفها بأنها بذيةٌ وقد أوجعتْ ونيل منها ولقيت حلائلها عن عفرٍ أى بعد زمان وتلك الشكوى فى نفسها فجعلت تحدث وتحرك يديها فى حديثها فلا تكاد تسكنهما . وقال أبو تمام :

---

(١) العثنون : اللحية ، ولعله يريد أن زبده صعد بعثنونه . (٢) الحجاج : العظم المحيط بالعين . (٣) فى ديوان أبى نواس (نبيلِ المخطم) ونفحن : حركن ، واللغام : الزبد ، والمخطم : أنف البعير يوضع فيه الخطام .

فما صلاتى إذا كان الصلاء بها جمر الغضا الجزل إلا السير والابل
المرضياتك ما أرغمت آنفها والهادياتك وهى الشردُ الضُّلل

وقال البحترى :

والعيس تنصلُ من دجاه كما انجلى صبغ الشباب على القذال الاشيب

وقال ابن المعتز :

ولم تَزَلْ تخبطُ الفلاةَ بأخـفافِ المطايا والظِّلُّ مُعتدِلُ
كأنّنا طارَ تحتنا قزعٌ على أكفِّ الرياح ينتقل
يفرى بطونَ النقا النقى كما يطعنُ بيضَ الجوانح الاسلُ

وقال في الناقة :

تُصغى الى أمْرِ الزّمامِ كما عطفتْ يدُ الجانى ذرى الغصن

وقال فى لقاح :

حَوامِلُ شَحم جامد فوقَ أظهر وإن تستغث ضراتهنّ به ذابا
اذا مامكاء الدر جاءت بمثعب كما سُلَّ خيطٌ من سدى الثوب فانسابا

وهذا في دقة الشخب (١) حسنٌ جداً :

رأيت انهمارَ الدرِّ فوقَ فروجها كما عصرت أيدى الغواسل أثوابا
خوازن محضٍ في الجلود كأنها تحمل كثباناً من الرّمل أصلابا

وقد أحسن فى الناقة والزمام :

وسل البيداءَ عن رُجُل يخطمُ الريح بثعبان

وقال : وقفتُ بها عيسى تطير بزجرها ويأمرُها وحيُ الزّمامِ فترقلُ
طَلوباً برجليها يدَيها كما اقتضتْ يدُ الخصم حقاً عند آخر يمطلُ

وقال بعض العرب :

تطير مناسمها بالحصى كما نَقدَ الدرْهمَ الصيرف

---

(١) الشخب و يضم : ماخرج من الضرع من اللبن ، وفي الاصل بالسين المهملة .

ومن غريب ماقيل فى تقدم الناقة صواحبها(١) فى السير قول بعض العرب :

جاءَ وقد ملَّ ثَوَاء البحرينْ يَنْسلُّ منهنَّ اذا تدانينْ
مِثلَ انسلال الماءِ من جَفنِ العينْ

وأبلغ ماقيل فى غزر الناقة قول أبى حيَّة :

تدِرُّ للعصفورِ لو مراها يملأُ مسك الفيلِ لو أتاها

ومن جيد ماوصفَ به سعة الاخلاف قول ابن لجا :

كأنّما نصّتْ الى ضرّاتها من نخرِ الطلح مُجَوَّفاتها

وقال مُسلم بنُ الوليد في غير هـذا المعنى :

أتتك المطايا تهتدى بمطيّةٍ عليها فتى كالنصلِ يؤنسهُ النصلُ

وقال أبو نواس :

أياحبذا عيشُ الوجادِ وضجعة الى دف مقلاقِ الوضين سعومِ
ترامى بها الايجافُ(٢) حتى كأنها تحيّفُ من أقطارها بقدوم

وأخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر عن أبى حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو قال سمعت جندل بن الراعى ينشد بلال بن أبى بُردة :

نعوسٌ اذا درّت جرورٌ إذا غدت بُويزل عام أوسديسٌ كبازل

قال فكاد صدرى ينفرجُ من جودتها حتى كتبتها . ودَرَّةُ الابل مع النعاس والغنمُ تدر مع الاحتراس فمن أجود ماقيل فى ذلك قول جبيها الأشجعى :

رقودٌ لوأنَّ الدَّفَّ يُضربُ تحتها لتنحاشَ من قاذوره لم تناكر

أى من قاذورة فيها يقال رجل قاذورة اذا كان يتجنب النساء ويتقى مجامعتهنّ .

ومن الوصف الحسن قول القطامى فى نوق :

جفادٌ اذا صافتْ هضابٌ اذا شتتْ وفى الصيفِ يَرْدُدْنَ المياه الى العشر

يشبهها بالآبار من كثرة ألبانها فى أيام الربيع والقيظ وهي فى الشتاء كالهضاب

(١) فى الاصل «حواجبها» . (٢) فى ديوان أبى نواس « ترامت بها الأهوال » .

سمناً واذا شربت فى اليوم العاشر التفت فى مثله وفى كروشها بقية من الماء .

وعرض شريح ناقة للبيع فقال له المشترى كيف لبنها ؟ قال احلب فى أى اناء شئت ، قال فكيف الوطاء ؟ قال افرش ونم ، قال فكيف قوتها ؟ قال احمل على الحائط ماشئت ، قال فكيف نجارها ؟ قال علق سوطك وسر . فاشتراها فلم ير شيئاً مما توهمه بصفة شريح فعاد اليه فقال لم أر شيئاً مما وصفت قال ما كذبتك قال فأقلنى قال نعم فأقاله . وأنشد أبو أحمد رحمه الله :

جاءت تهادى مائلا ذراها تحنُّ أولاها على أخراها
مشى العروس قصرتْ خُطاها فاسمطتِ القيعانُ من رغاها
واتخذتنا كلنا طلاها

يقول انها كبيرة غزيرة إذا مشت سالت ألبانها فابيضت القيعان منها والرغا جمعُ رغوة ، واتخذتنا كلنا طلاها أى لشربنا ألبانها كأننا أولادها .

ومن أجود ماقيل في ارتفاع الابل وارتفاع اسنمتها قول أبى دُؤاد :

فاذا أقبلتْ تقولُ اكامٌ مشرفاتٌ فَوْقَ الأكام اكامُ
وإذا أعْرَضتْ تقولُ قصورٌ من سماهيج فوقها آطامُ
وإذا مافجئتها بطن غيبٍ قلت نخلٌ قد حانَ منهُ صرام

الغيب ماواراك من الشجر ، وسماهيج أرضٌ بالبحرين .

﴿ الفصل الثالث ﴾

في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجرى مع ذلك

فمن أبلغ ماقيل فى صفة بعد الفلاة قول مسعود أخى ذى الرمة :

ومَهمه فيه السرابُ يلمحُ يدأبُ فيه القومُ حتى يطلحوا
ثم يظلونَ كأن لم يبرَحُوا كأنما أمسوا بحيثُ أصبحوا

وقال رؤبةُ بن العجاج * يَسكلُّ وفد الريح من حيث انخرق *

ذكر أن الريح تكل فيه لبعده ، ووفد الريح مأخوذ من قول تأبط شراً
* ويسبقُ وفد الريح من حيثُ ينتحى * وقال مُسلم بن الوليد :

تجري الرياحُ بها مرضي مولهةً حسرَى تلوذُ بأطراف الجلاميد

قوله « بأطراف الجلاميد » زيادةٌ ليست فى بيت رُؤبةَ . ويشبهون استواء الفلاة باستواء ظهر الترس قال الشاعر * ومهمهٍ كمثل ظهر الترس *
وأحسنَ ذو الرمة حيث يقول فى هذا المعنى :

ودَوٍّ ككفِّ المشترى غيرَ أنهُ بساطٌ لأخماس المراسيل واسع

شبهه بكف المشترى لأن كفه ألصق ، وفي رواية أخرى لأن المشترى يبسط كفه للصفق . وقلت فى نحوه :

وبحرٍ ككفِّ الأكرمينَ يَحفهُ صَعيدٌ كأيدِى السائلينَ مديد

وقال بعضُ المحدثين :

ودَوِّيةٍ مثل السماءِ قطعتها مطوقة آفاقهـا بسمائها

ومن عجيب التشبيه فى وصف الآل قول بعض الاعراب :

كفى حزَناً أنى تطاللتُ كيْ أرَى ذرَى علمَى دَمخ فما يُريَان
كأنهما والآلُ ينجابُ عنهما من البعدِ عينا بُرقع خلقان

وهذا من أغرب ما رُوى من تشبيهات القدماء . وقال جميل بن معمر فى السراب :

ألا تيكما أعلامُ بثنةَ قد بدَتْ كأنَّ ذراها عممته سبيب
طوامس لى من دونهنَّ عداوةٌ ولى من وراءِ الطامساتِ حبيبُ
بعيدٌ على كسلانَ أوذى مَلالةٍ وأما على ذى حاجةٍ فقريب

والسبيب الشقة البيضاء . وقال ابن المعتز :

والآلُ ينزو بالصوى أمواجه نزو القطا الكدرىِّ فى الاشراك
والظلُّ مقرونٌ بكلِّ مطيةٍ مشى المهارِ الدُّهم بين رماك

ولا أعرف في هذا المعنى تشبيهاً أحسن ولا أصوب من هذا .

ومن عجيب التشبيه في وصف اعتدال الظل عند الظهيرة قول الراجز
* وانتعل الظل فصار جوربا * وقال آخرُ :

اذا شئتُ أدّانى صَرومٌ مُشيعٌ معى وعقامٌ تتقى الفحل مُقلت
يطوف بها من جانبيها ويتقى بهاالشمس حىٌّ فىالاكارع ميتُ

أدانى : أعاننى ، صرومٌ : أى صارمٌ ، مُشيعٌ : شجاع كأنّ معه أصحاباً يُشيعونه فهو جرىءٌ يعنى قلبه ، العقام : التى لاتلد فذاك أشدّ لها يعنى ناقة ، والمقلت : التى لا يبقى لها ولدٌ ، وحىٌّ فى الأكارع ميّتٌ : يعنى ظِلا قد ضارع عند انتصاف النهار . ومن بديع ماقيل فى السراب قول ابن المعتز :

وما راعنى بالبين إلا ظعائنٌ دَعونَ بكائىفاستجابت سوا كبه
بدَتْ فى بياضِ الآل والبعدُ دونهُ كأسطر رِقٍّ أمرضَ الخط كاتِبه

ولهمفي وصف الاسفارفى البحارشعرٌ قليلٌ فمنأجود ماوصف به الموجقول الهذلى :
* نعاجٌ يرتعين الى نعاج *

ولا أعرف فى السير والنعاس أجود لفظاً واستعارة مما أنشدناه أبو تمام :

يقولُ وقدمالتْ بنا نشوةُ الكرَى نعاساً ومن يعلق سُرى الليل يكسل
أنخ نُعطِ انضاء النُعاسِ دواءَها قليلاً ورفّه عن قلائص ذبّل
فقلتُ له كيف الاناخةُ بعد ما حدا الليل عريان الطريقة مُنجلى

ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

عودٌ على عودٍ على عودٍ خلق كأنه والليل يرمى بالغسق
مَشاجِبٌ وفِلقٌ سقبٍ وطلق

عود : يريد شيخاً كبيراً ؟ على عود أى على بعير مُسِنٍّ ، على عود خلق أى طريق قديم دارس فكأنّه يُريدُ . كأنّ ذلك كماقال رُؤبةُ :

فيها خطوطٌ من سواد وبلق كأنّه فى الجلدِ توليعُ البهق

أى كأنّ ذلك شبّه البعير بالمشاجب والطريق بالسقب وهو عمودٌ من عمد

الخباء ، وشبّه الشيخ بالطلق وهو القيد لانحنائه . وقريبٌ منه قول الآخر :

عودٌ على عَودٍ قوود للابل ... يموتُ بالترك ويحيا بالعمل

عَودٌ : بعير ، على عود يعني طريقا ، يموت بالترك : يعنى الطريق يدرس اذا لم يسلك ، ويحيا بالعمل : اذا سلك استبان . ومن المختار فى صفة النعاس قول الآخر :

فأصبحنَ بالموماةِ يحملنَ فتيةً ... نشاوى من الادلاج ميلُ العمائم

كأن الكرى سقاهمُ صرخديّةً ... عُقاراً تمشى فى المطا [1] والقوائم

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن الأصمعي أن أبا عمرو ابن العلاء كان يستحسن قول بشامة بن غدير ويعجب منه غاية العجب :

كأن يديها وقد أرقلت ... وقد حرنَ ثم اهتدينَ السبيلا

يدا سابح خَرَّ فى غمرةٍ ... فأدركهُ الموتُ إلا قليلا

ومما يجرى مع ذلك قول الاعرابى :

بدأن بنا وابن الليالى كأنّهُ ... حُسامٌ جلا عنه القيون صقيل

فما زلتُ أفنى كلَّ يوم شبابَهُ ... الى أن أتتك العيسُ وهو ضَئيل

﴿ الفصل الرابع ﴾

(فى ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد ومايجرى مع ذلك)

فمن أجود ماقيل في وصف الثور اذا عدا فيخفى تارة ويظهر أخرى قول الطرماح ، وكان الأصمعى يتعجب من حسنه :

يبدو وتضمرُهُ البلادُ كأنّهُ ... سيفٌ على شرف يُسَلُّ ويغمد

وقد أحسن عدىّ بن الرقاع [2] فى وصف ثورين ومايثيران فى عدوهما من الغبار وهو

يتعاوران من الغبارِ مُلاءة ... بيضاءَ مُحملةً هما نسجاها

---

(١) المطا : الظهر . (٢) هو عدى بن زيد العاملى ، من معاصرى جرير مدح بنى أمية فى الشام واختص بالوليد بن عبد الملك .

تطوى إذا علوا مكاناً جاسيا وإذا السنابك أسهلت نشراها

لاأعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من هذا . وأما قوله في صفة قرن الظبي فليس له شبيه وهو من المشهور :

يُزجى أغنّ كأن إبرةَ روقِهِ قلمٌ أصاب من الدواةِ مدادها

وقد أحسن الراعى فى وصف الوعل :

يرودُ بها ذبٌّ الرياد كأنه فتًى فارسىٌّ فى سراويل رامح

ذبّ الرياد أى[1] الوعل ، ويرود يجىء ويذهب ، شبّه ما على قوائمه من الشعر بالسراويل وشبه قرنه بالرمح . وقال ابن المعتز :

كأنى على طاوٍ من الوحشِ ناشطٍ تخال قُرون الأجل من خلفه غابا

الأجل : القطيع من بقر الوحش ، والغاب : الاجمة . وقال أيضا :

وجرت لنا سنحا جآذر رملة تتلو المها كاللؤلؤ المتبدد

قد أطلعت إبر القرون كأنها أخذ المراود من سحيق الاثمد

وقال ابن المعتز :

شغلته لواقحٌ ملأته غيرةً فهو خلفهن كميٌّ

قابضٌ جمعها اليه كما يجـ ـمع أيتامَه اليه الوصىٌّ

كلما شمَّ لاقحا سيء منها رأس فحل برجلها معلىٌّ

خارجٌ من ظلال نقع كما سـ ـز ق جلبابَه الخليعُ الغوىٌّ

قدطواهاالتسويق والشدحتى هى قبٌّ كأنهن القسىٌّ

هربت في رؤوسهن عيونٌ غائراتٌ كأنهن الركىٌّ

وقال أيضاً: كأن آثارَ أظلاف الظباء به ودعٌ يخلفه أضلافه نسق

ومن فصيح ماقيل في الكلب وبليغه قول أبي نواس :

كأن لحييه على افترار[2] شك مسامير على طوار

---

(١) في الأصل « على الوعل » . (٢) في ديوان أبي نواس « لدى افترار» .

طواره : نواحيه .

سمعٌ(١) إذا استروح لمِعاره إلا بأن يطلقَ من عذاره
فانصاع كالكوكب في انحداره لفت المشير مُوهناً بناره
شداً إذا أخصف في جداره (٢) خرق أذنيه شبا اظفاره

وهذا مثل قوله :

من كل أخدى ميسان المنكب يشبُّ في القودِ شُبوبَ المقرب
يلحق أذنيه بجد المخلب

المقرب : الكريم من الخيل يشد لكرمه بقرب البيوت ، ميسان المنكب أى من سعة جلده يميس منكبه. ومن بديع الوصف قوله :

كأنما الأظفورُ في قنابهِ موسى صناعٍ رُدَّ في نصابهِ
تراه في الحضرِ إذا هاهابه يكادُ أن يخرجَ من اهابِهِ

أخذه من قول ذى الرمة :

لا يذخران من الايغال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأُهب

والقناب : الغلاف . وقد أحسن في قوله وأجاد :

فجاء يُزجيها على شياتها شمّ العراقيبِ مُؤنفاتها
مفروشة الأيدى شرنبثاتها مشرفة الأكتاف موفداتها
قود الخراطيم مخرطماتها غرّ الوجوه ومحجلاتها

الموفدات : المشرفات ، خرطوم مخرطم مثل ليل أليل :

كأن أقماراً على لبّاتها ذل المآخير عملساتها (٣)
لتفثأ الأرنب عن حياتها ان حياة الكلب فى وفاتها

وقال ابن المعتز فى سعة أشداق الكلاب :

---

(١) السمع : ولد الذئب . (٢) فى ديوان أبي نواس (حتي إذا أخصف في احضاره) . (٣) في الأصل « زل المساخير معكساتها »

كأنها في حلقِ الاطواقِ ضواحك من سعة الأشداق

وقال في شدة عدو الكلاب * كأنها تعجل شيئاً تحسبه * من قول أبي نواس * كأنما يعجلن شيئاً لقطا * ومن بليغ ما قيل في شدة العدو قول الأحمر في الثور:

وكأنما جهدت أليته ان لا تمسَّ الأرضَ أربعهُ

ومن جيد وصف السرعة قول الحماني :

يبادرُ الناظر وهو يبدُرُهْ كأنّ من يُبصرُهُ لا يبصرُهْ

وقال الأصمعي وأحسن ماقيل في صفة الذئب قول حميد بن ثور :

ترى طرفيهِ ينسلانِ كلاهما كما اهتزَّ عُودُ النبعةِ المتتابعُ

ينامُ باحدى مُقلتيهِ ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ

وقال الأصمعي من أوجز الكلام قول الراجز في الذئب :

أطلس يخفى شخصهُ غبارُه في فمه شفرتهُ ونارُه

هو الخبيث[1] عينه فراره

ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عبدالرحمن عن عمه عن أبي عمرو قال: رأيتُ باليمن غلاماً من جَرْم ينشدُ عنزاً فقلت له صفها ياغلام فقال : حسراء مقبلة شعراء مدبرة بين عثرة الدهسة وقنو الدبسة سجحاء الخدين خطلاء الأذنين فقساء الصورين كأن زنمتيها تتوا قلنسوة يالها أم عيال وثمال مال . الحسراء : التي قل شعر مقدمها ، والشعراء : التي قد كثر شعرها ، والعثرة غثرة كدرَةٌ ، والدهسة لون الأرض ، والقنو شدة الحمرة ، والدبسة حمرةٌ كدرَةٌ ، والسجحاء السهلة الخدين ، والخطلاء الطويلة الأذنين المضطربتهما ، والفقساء المتباعدة بين طرفي القرنين ، والصورُ : القرن .

(١) في النسخ غير منقوطة فصححناها من لسان العرب حيث يقول « الخبيث عينه فراره: تعرف الخبث في عينه إذا أبصرته» . وفي النسخ «عيبه» بالباء وهو تصحيف .

والزنمتان اللحمتان المعلقتان تحت حنك الشاة [١] ، والتتو ذؤابة القلنسوة .

ولأعرابى فى الذئب :

وأطلس ملء العين يحمل زوره ... وأضلاعه من جانبيه شوى النهد
له ذنب مثل الشواء يمده ... ومتن كمتن القوس أعوج منأد
طواه الطوى حتى استمر مريره ... فما فيه إلا الروح والعظم والجلد
يقضقض عصلاً في أسرتها الردى ... كقضقضة المقرور أرعده البرد
عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته ... فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
وأتبعته أخرى وأضللت نصله ... بحيث تلوى اللب والرعب والحقد

وقال غيره فى الفيل :

أجرد كالعود طويل النابين ... بعيد ما بين محط الرجلين
ينفض أذنين كفضلى بردين

وقال ابن الرومى فيه :

ولأعضل النابين حامل مخطم ... به حجن طوراً وطوراً به فعم
يقلب جثماناً عظيماً موثقاً ... يهد بركنيه الجبال اذا زحم
ويسطو بخرطوم يطاوع أمره ... ومشتبهات ما أصاب بها عثم
ولست ترى بأساً يقوم لبأسه ... إذا أعمل النابين فى الناس أو صدم

﴿ الفصل الخامس من الباب العاشر ﴾

فى ذكر الطيور

مما جاء من منثور الكلام فى وصف الحمام قول بعضهم : بهر ما فى العينين حاجى

(١) قال المحبي فى جنى الجنتين في تمييز المثنيين « الزلمتان هنتان تكون للمعز فى حلوقها ، فان كانتا في الأذنين فهما زنمتان بالنون » ولم يخصص فى القاموس هذا التخصيص .

المنقار أصهب القرطمتين [١] سبجي الجناحين كأنما خطا بقلمين درى الدفتين فضى الحقيبة والبطن والكشحين أرجوانى الساقين والقدمين معتدل الهامة جاحظ الحدقتين رحب الأذنين والمنخرين واسع الحوصلة والشدقين محدد المنكبين والركبتين سبط الذنب والكفين طويل العنق والقوادم والفخذين قصير الخوافى والساقين عريض الصدر والدفتين والوظيفتين غليظ القصب أجش الهدرة منتصب الهامة ذكي الحركة بعيد النزقة .

ووصف ابن المعتز حماماً طلبه من انسان : أريد حرمي الطرق عاجى المنقار أغن الهدير ذا ذنب قصير يسحب حوصلته إذا هدر وتروح صفقته إذا صفق قرطاسيّ الدفتين سبجي الجناحين كأن رجليه خاضتا دماً أوشربتا عندماً وكأن عينيه جمرة ورأسه زبدة . وقلت في حمام أبلق :

ومتفقات الشكل مختلفاته ... لبسن ظلاماً بالصباح مرقّعا
أخذن من الكافور أنفاً ومنسراً ... وخضبن بالحناء كفاً وأصبعا
وتدنو بأبصار إذا ما أدرتها ... جلون عقيقاً للعيون مرصعا
تطير بأمثال الجلام كأنها ... جنادل تدحوها ثلاثاً وأربعا
تبوع [٢] بها في الجو من غير فترة ... كأن مجاذيفاً تبوع بها معا
إذا هي عبّت في الغدير حسبتها ... تزقّ فراخاً في المغادر جوّعا

وقال بعضهم في عين العقعق :

يقلّب عينين في رأسه ... كأنهما نقطتا زئبق

ومن المختار في الديك ما أنشده الجاحظ :

كأن الديك ديك بني نمير ... أمير المؤمنين على السرير

والناس يستحسنون قول ابن المعتز في الديك :

(١) قرطمتا الحمام : نقطتان على أصل منقاره ـ كما فى جنى الجنتين للمحبي .
(٢) أي تسرع .

صفّق إما ارتياحة لسنى الصبح وإما على الدّجى أسفا

وقال ديك الجن :

أوفى بصبغ أبى قابوس مفرقهُ كدُرّة التاج لما عُلّيت شرفا

وقوله « صبغ أبى قابوس » يعنى شقائق النعمان ، وهذا كلامٌ بعيدُ المتناول ظاهر التكلف . وقلتُ فيه :

مُتوّجٌ بعقيقٍ مقرطٌ بلجينِ عليه قرطقُ وشيٍ مُشمّرُ الكفين

قد زيّنَ النحر منه ثنتان كالوردتين حتى إذا الصبحُ يبدو مُطرّزُ الطرّتين

دعا دُعاءَ طروبٍ مُصفقِ الكفين يزهى بتاج وطوقٍ كأنه ذو رعين

وقال السرى الرفاء :

كشفَ الصباحُ قناعَهُ فتألقا وسطا على الليل البهيم فأطرقا

وعلا فبشرَ بالصباح مُدرّعٌ بالوشى تُوّج بالعقيق وطُوّقا

مُرخى فضول التاج في لُبّاته ومُشمر ثوباً عليه مغمقا

وقال ابن المعتز :

وقامَ فوقَ الجدارِ مُشترفٌ كمثل طرفٍ أعلاهُ أسوارُ

رافعُ رأسٍ طوراً وخافضهُ كأنما العرف منه منشار

ومن أجود ما قيل في وصف النعام قول عدّى بن زيد :

ومكان زعل ظلمانهُ كرجالِ الحبُش تمشى بالعمد

فقال شبّه أعناقها إذا مدت بالعمد. ومن أحسن تشبيه أخذه العمانى :

كأنها حين مدت عنقها حرقا سُودُ الرجالِ تعادى بالمزاريق

وكان ينبغي أن يقول « مدت أعناقها » والذى قال رديءٌ ، وقد جاء مثله .

وقال ابن أبي عيينة :

ياجنةً فاتت الجنانَ فما تبلغها قيمةٌ ولا ثمن

ألفتُها فاتخذتها وطناً إنّ فؤادى لحبها وطن

أنظر وفكر فيما تطيفُ به إنَّ الأريبَ المفكرَ الفطن
من سفنٍ كالنعام مقبلةٍ ومن نعام كأنها سُفنُ

ومثله قوله :

زر وادىَ القصرِ نعمَ القصرُ والوادىَ وحبذا أهلهُ من حاضر بادى
ترقى قراقيرُه والعيسُ واقفةٌ والضبُّ والنونُ(١) والملاحُ والحادى

وقول الآخر :

كأنَّ بالسهب على خربائه عرشاً يخرُّ الريحُ فى قصبائه
يضحك جنُّ الأرضِ من نحائه كأنّ قوسَ الغيم من ورائه

يعنى الغبار المنعرج خلفه . وقلتُ فى فاختة :

مررتُ بمطرابِ الغداةِ كأنّها تُعلُّ مع الاشراق راحاً مُفلفَلا

ويروى « تُعل رحيقاً في الغصون مُفلفَلا » :

منمرة كدراء تحسبُ أنها تجللُ من جلدِ السحابةِ مفصلا
بدَتْ تجتلى للعينِ طوقاً ممسكاً وطرفاً كما ترنو الخريدةُ أكحلا
لها ذنبٌ وافى الجوانبِ مثل ما تُقشّرُ طلعاً أو تجرّدُ منصلا
اذا حلقت في الجوّ خلتَ جناحها يردُ صغيراً أو يحرك جُلجلا

وقال أبو نواس في حُباريات :

يَخطرنَ من برانس قشوب من حبرٍ عُولينَ بالتذهيب
فهن أمثال النصارى الشيب

وقلتُ فى قبجة (٢) :

أهديتها كالهدىّ آنسةً وهى سليلُ النواشزِ النفرِ
تلبسُ مجُّورةً مُشمّرةً تصونُ أطرافها من العفرِ
وقد جرى المسكُ من محاجرها فضمَّ لبّاتها مع الثغر

(١) النون : الحوت . (٢) وهي الحجلة .

تخطرُ في حلةٍ مُصَدرةٍ   كأنّ أكمامها من الحِبَرِ
واحمرّ منقارُها ومنخرها   تفتّح الوردِ في ندَى السحر
كأنّها حين نقط قرطمها   تضربُ ياقوتةً على دُرَرِ

وقال أبو نواس في طير الماء :

كأنما يصفرنَ من ملاعق   صرصرة الاقلام في المهارق

ونقله الى موضع آخر فقال أيضاً :

يصفرُ أحياناً إذا لم يهزج   من مثل حرفِ المجدح المفنج

المجدح : مايجدح به السويق ، والمفنج : المعطف .

وأحسن ماشُبّه به ذلك قول بعض الاعراب يصف طيراً أنشده الاصمعي :

يضربنَ أحنا كاً إلى الماءِ كلها   لبيقٌ كمفروج المناقيشِ أسجح

لبيقٌ : أي رفيق بذلك حاذق به ، يقول هذه الاحناك لبيقة بالشرب ، والمفروج : المفتوح مابينه . وقلتُ في الخطّاف :

وزائرة في كلّ عامٍ تزورنا   فيُخبرُ عن طيبِ الزمانِ مزارها
تخبرُ (١) أنّ الجوّ رقّ قميصهُ   وأنّ الرّياضَ قد توشّى ازارها
وأنّ وجوهَ الغُدرِ راقَ بياضها   وأنّ وجوهَ الارضِ راع اخضرارها
تحنّ الينا وهي من غيرِ شكلنا   فتدنو على بُعد من الشكل دارها
فيعجبنا وسطَ العراصِ وقوعُها   ويُؤنسنا بينَ الديارِ مطارُها
أغار على ضوءِ الصباح قميصها   وفازَ بألوانِ الليالي خِمارُها
تصيحُ كما صرّت نعالُ عرائس   تمشت اليها هندها ونوارها
تجاورُنا حتى تشبّ صغارُها   وتقضي لباناتِ النفوسِ كبارها

ولم أسمع في ذلك أحسن من قول بعض المحدثين :

وغريبة حنّت الى أوطانها   جاءت تبشرُ بالزمانِ المقبل

---

(١) في النسخ مهملة من النقط .

فرّشتْ جناحَ الآبنوسِ وسطرت ... بالعاج فيـهِ وقهقهتْ بالصندل

وقلت فى أصواتها :

أيا عجبـاً من آنس لك نافر ... يُعاوِدُ وصلاً وهو فى حالِ هاجرِ

يزور على بُعدِ المكان ولم يُرِد ... وصالاً فقل فى زائر غـيرِ زائر

له فى الذُّرَى شذرٌ يمُرُّ وينثنى ... كما حرَّك الكعبين كفُّ مُقامِرِ

وهذا معنى لم أسبق اليه . وقال أبو نواس فى أصوات الخطاف :

كأنّ أصواتها في الجوّ طائرةً ... صوتُ الجلام إذا ماقصت الشعرا

وقال ابن المعتز فى البازى :

فارسُ كفٍّ مائل كالأسوار ... ذو جُؤجُؤ مثل الرخام المرمار

أو مصحف منمنم بأسطار ... ومقـلة صفراء مثـل الدينـار

يرفع جفناً مثل حرف الزُّنار

وهذا تشبيه في غاية الاصابة . ومن أحسن ما قيل في منسر البازى قول أبي نواس :

ومنسر أكلف فيه شيخا ... كأنه عقـد ثمـانينا

وقال ابن المعتز في عين البازى وأجاد فيـه :

ومقلةٍ تصدقهُ إذا رَمَقْ ... كأنها نرجسةٌ بلا وَرَقْ

وقال أبو نواس :

في هامةٍ علياء تهدى[1] منسراً ... كعطفـة الجيم بِكفٍّ أعسرا

وقال ابن المعتز في بُزاة :

وفتيان غـدوا والليـلُ داجٍ ... وضوءُ الصبح متهمُ الطلوع

كأن بُزاتهم أمراءُ جيشٍ ... على أكتافها صدأ الدُّروع

وقال فى عين البازى ٭ كأنها في الرأس مسمار ذهب ٭

---

(١) فى الأصل «غلباء تهذى» .

وقال أيضاً : ومنسر عضب الشباه دام كعقدك الخمسينَ بالابهام
وخافق للصيدِ ذى اصطلام ينشرهُ للنهض والاقدام
كنشرك البردَ على المستامِ

وقال أيضاً : ذى جؤجؤ محبر موشىٍّ ومقلةٍ تلحقُ بالقصىّ
كأنها دينارُ صيرفىّ واتصلت براته القُوهِىّ
صاف كغصنِ الذهبِ المجلىّ

وقال أيضاً : أقمر من ضرب بزاة قُمرِ يصقل حملاقاً شديد الطحر
كأنه مكتحلٌ متبر فى هامة لمت كلم الفقر
تريح ان راح لأمرٍ بهر من منخرٍ رحبٍ كعقدِ العشر

وقلت في الصقر :

وصلتان فلتان أمعر كأنه إذا هوى للأعفر
مُعنبرٌ يهوى الى مزعفرِ بأبيضٍ من البزاةِ أقمر
منمم الصدرِ كصدرِ الدفتر بمثل اهداب جفون الاحور

وقلتُ : بصلتانٍ سلطٍ جسورِ تخالهُ فى مفصل مزرور
ضمَّ جناحيهِ على سمور معوّج المنسرِ والأظفور
كالجيم فى منقطع السطور

وقلت فى عصفورة يقال لها السقا :

ومفتنّة الألوانِ بيض وجوهها وحمر تراقيها وصفر جنوبها
كأنّ دراريعاً عليها قصيرة مرقعة أعطافها وجيوبها
تعـدلُ ألوان الأغاني كأنما تعدل أوزان الأغانى عريبها
تسامُ استقاءً فى العشاء إذا عرى وعطلَ أيام المصيف ذنوبها

وكان الأصمعي يتعجب من حسن بيت الطرماح فى صفة الظليم مجتاب . وقلتُ في بلابلٍ :

مررتُ بدكن القمص سودِ العمائم ... تغنى على أعرافِ غيـدٍ نواعم
زُهينَ بأصداغ تروقُ كأنها ... نجومٌ على أعضادِ أسود فاحم
ترى ذهبـاً ألقتـهُ تحتَ مآخر ... لها وجيناً بطنه بالمقادم
فياحسنَ خلق من نضارٍ وفضة ... وخز وديباج أحمّ وقاتم

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبى ذكوان وأبى خليفة عن التوزى قال قال عمرو بن الحارث الجمحى مارأى الأصمعى مثل نفسه قال الرشيد يوماً أنشدونا أحسن ماقيل فى وصف العقاب فعذر القوم ولم يأتوا بشىء فقال الأصمعى أحسن ماقيل فيها:

باتت يورّقها في وكرها سَغبٌ ... وناهضٌ يخلس الأقواتَ من فيها

وقال امرؤ القيس:

كأن قلوبَ الطيرِ رَطباً ويابساً ... لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى

فقال الرشيدُ مابعل[1] القوم بشىء إلا وجدت عندك فيه شيئاً.

وقال آخر فى الغُراب:

وجرى ببينهم غداةَ تحملوا ... من ذى الأبارقِ شاحجٌ يتفندُ
شيخ النسا خرقُ الجناح تخالهُ ... فى الدارِ إثر الظاعنينَ مُقَـيدُ

وقال آخر فى عقعق:

إذا باركَ اللهُ فى طائرٍ ... فلا باركَ اللهُ فى عقعق
طويل الذنابى قصير الجنا ... حمتى مايجد غفلةً يسرق
يُقلّـب عينينِ فى رأسهِ ... كأنهما قطرتا زئبق

وقال آخر فى الزنابير:

لهـا حماةٌ كأنها شعر ... تظهرُ مسودَّةً وتستترُ
قد أذهبت فى الجبينِ غرَّته ... إذ فضّـضت فى جيادنا الغررَ

وقلت فى ظبية داجنة وقمارى:

---

(١) بعل بأمره كفرح: دهش وفرق وبرم فلم يدر مايصنع.

فيها مؤانسةٌ لنا وحشيةٌ   تومى بناظرها إلى ظمياء
تختالُ فى متَصندلٍ متكفر   تبراً أضرَّ بفضةٍ بيضاء
ودقيقة الأطرافِ وهى جسيمةٌ   ريًّا تمرمر فى متونٍ ظماء
ومغنيات من وراءِ ستائرٍ   مشقوقة الأوساط والاحناء
غنَّتْ فلم تحوج إلى مشهورةٍ   وشَدتْ فلم تفقر إلى الميلاء
تبدو على أعناقهن أهلةٌ   سودٌ تبَدل ظلمة بضياءِ

﴿ الفصل السادس من الباب العاشر ﴾

(فى ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء والضب والبق والبراغيث وما يجرى مع ذلك)

كتب الصاحب أبو القاسم فى وصف قنفذ : قد أتحفتك ياسيدى بعلق نفيس يتعجب المتأمل من أحواله ويحار الناظر فى أوصافه ويتبلد المعتبر في آياته فما تعرف بديهة النظر أمن الحيوان هو أم من الجماد أم هو من الشجر أم من النبات ومن الناطق هو أم من الصامت أم من الحار أم من البارد أم من الرطب أم من اليابس حتى إذا أعطى متدبره النظر أوفى حقوقه والفحص أكمل شروطه علم أنه حى سلاحه في حضنه ورام سهامه فى ضمنه ومقاتل رماحه على ظهره ومخاتل سره خلاف جهره ومحارب حصنه من نفسه يلقاك بأخشن من حد السَيف ويستتر بألين من مسه حتى إذا حذر جمع أطرافه فتحسبه رابية قتاد أو كرة حرشف ومتى أمن بسط أكنافه وهى أمضى من الأجل وأرمى من ثعل ان رأته الأراقم رأت حينها أو عاينته الأساود عاينت حتفها صعلوك ليل لايحجم عن دامسه وحارس ظلام لايجبن فى حنادسه ــ شعر :

كمغشم الفتيان غير مهبل   سهد إذا ما نام ليل الهوجل

لجرمه من الضب شبه ومن الفأر شكل ومن الورل نسبة ومن الدلدل سبب ولم أعمه عليك هو أنقد ولذلك قيل من لم يذق غماضا ولم يرقد حثاثا بات بليلة الأنقد ، وذكره الشيهم وهو الشيظم وأنثاه عيمة معرفة لايدخل الألف واللام عليها كنخوط ودجلة وكحل ، ولا أعنيك هو القنفذ ، ومن أحواله أن العرب تسلخ جلده فتخرجه كالشحمة البيضاء وتجعله من أنفس ما كلها وأفخر مطاعمها حتى تراه أرفع من الأفاعي وأنفع من الجرذان وتدعى جهلة الاعراب انه من مراكب الشيطان وهو ألطفُ من الفرس حساً وأصدق سمعاً وقد جاء في المثل (أسمع من قنفذ) ومن أوابده أنه يَسود إذاهرم ويصير كأبر مايكون من الكلاب وأعظم ويشبَّهُ به ركب المرأة عقب النتف والنورة ولذلك قال ابنُ طارق في أرجوزة له :

يصيرُ بعدَ حلقهِ ونورتهْ كقنفذِ القفِّ اختبي فى فروته

ويُشبَّهُ الساعي والنمام به لخبثه ومكره واضطرابه في ليله قال أيمن به خريم :

كقنفذِ الرملِ لاتخفى مدارجُه خِبٌّ إذا نامَ ليلُ الناسِ لم ينم

وقال عبدة بن الطبيب [1] :

قومٌ إذا دَمسَ الظلامُ عليهم حدجوا قنافذَ بالنميمة تمرعُ

وقال جرير :

يَدبّون حَولَ ركياتهم دبيبَ القنافذِ فى العرفج

فخذه ياسيدى ممتّعاً واقبله شاكراً برّى فيه فاحتط عليه احتياط الشحيح على ماله والجبان على روحه وارغب إلى الله تعالى فى حفظه واسأله إطالة عمره وهو حسبي ونعم الوكيل .

ولم أسمع في صفة الهرّة أظرف من قول ابن طباطبا العلوى الاصفهانى قال فيها :

أرقتْ مُقلتى لحبِّ عَروُس طفلةٍ فى الملاح غيرِ شموس
فتنتنى بظلمةٍ وضياءِ إذ بَدَتْ لى كالعاج فى الابنوس

(١) هو الشاعر الفحل الشجاع الذى شهد الفتوح ، وقال فيها شعراً .

تلقىّ الظلامَ من مُقلتيها ... بشعاع يحكى شُعاعَ الشموس
ذات دَلّ قصيرة كلما قا ... مت تهادى طويلة فى الجلوس
لم تزل تسبغُ الوضوءَ وتنقى ... كلَّ عضوٍ لها مس التنجيسِ
دأبها ساعةَ الطهارةِ دفنُ الـ ... ـعنبرِ الرَّطبِ فى الخنوط اليبيس

ومن أجود ماقيل فى الحيّة قول النابغة :

صِلٌ صفا لاينطوى من القصَرْ ... طويلةُ الاطرافِ من غيرِ خَفَرْ
مهروتةُ الشدقينِ[1] حولاءُ النظَرْ ... تَفترُ عن عُوجٍ حداد كالابَر
داهية قد صغرت من الكبر

وقال الآخر : خُلقت لهازمة عزين ورأسهُ ... كالقرص فطح من دقيقِ شعير
فكأنَّ شدقيهِ إذا استعرضتهُ ... شدقا عجوز مضمضت لطهور

وأجاد خلف فى قوله :

ثم أتى بحيَّةٍ ماتنجي ... أبتر مثل بيذقِ الشطرنج

وليس من شعر المحدثين فى الحية أحسن من قول ابن المعتز :

كأنني ساورتنى يومَ بينهم ... رقشاءُ مجدولة فى لونها بلق
كأنها حين تبدو من مكامنها ... غصنٌ تَفتحَ فيهِ النورُ والورق
ينسل منها لسانٌ تستغيثُ به ... كما تعوَّذَ بالسَّبابةِ الغَرِقُ

وقوله أيضاً :

أنعتُ رقشاء لايحيى لديغتها ... لوقدها السيف لم يعلق بهِ بللُ
تلقي إذا انسلخت فى الأرض جلدتها ... كأنها كمُ درع قدَّهُ بطل

وقلت : وخفيفة الحركاتِ تقترع الربى ... كالبرقِ يلمعُ فى الغمام الرائح
منقوطة تحكى بطونَ صحائف ... ابانَ تبدو من بطونِ صفائح
ترضي من الدنيا بظلّ صخيرةٍ ... ومن المعايش باشتمام روائح

(١) أى واسعة الشدقين .

وهذا من قولهم ان الحية إذا هرمت لم تحتج الى الطعم واكتفت بالنسيم .

وقال اعرابي :

وحنش كحلقة السوارِ غايتهُ شبرٌ من الاشبار

كأنهُ قضيبُ ماءٍ جاري يفترُّ عن مثل تلظي النار

وقال آخر : يرقونه فكأنما يعني برقيته سواه

وقال أبو العباس ثعلب يُقالُ انه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت وأنشد:

كأنما لسانُه على فيه دخانُ مصباح ذكت ذواكيه

وقال عبد الصمد بنُ المعدل في العقرب :

يارُبَّ ذي إفك كثير خُدعُه يبرزُ كالقرنينِ حينَ يطلعه

في مثلِ ظهرِ السبتِ حينَ تلطعه أسود كالسيحة فيه مصبعه

لا تصنعُ الرقشاءُ مالا تصنعه

وقلتُ فيها أيضاً :

وإذا شتوتُ أمنت لسعة عقرب كالنارِ طارت من زنادِ القادح

قد خلتها تمشي بسبحة عابد كلا لقد تمشي بصعدةِ رامح

وقال آخر: يحملُ رُمحاً ذا كعوبٍ مُشتهر فيه سِنانٌ كالحريق يستعر

انفَ تأنيفاً على حسن قدر تأنيف أنفِ القوسِ شُدَّت بالوتر

ومن أحسن ماقيل في الحرباء وهي دويبة شبيهة بالعظاة تأتي شجرة بالتنضبة فتمسكُ بيديها غصنين منها وتُقابلُ الشمس بوجهها فكلما زالت عين الشمس عن ساق منها خلّت يديها عنه وأمسكت بساق آخر حتى تغيب الشمس فتسبح في الأرض وترتعُ قال أبو دواد :

إني أتيح لها حرباءُ تنضبة لايرسِلُ الساقَ إلا ممسكاً ساقا

والعرب تقول أحزمُ من الحرباء لانها لا ترسل غصناً إلا أمسكت بآخر ،

ويشَبَّهُ به الرجلُ الحصيف (١) الذي لا يترك سبباً إلا أخذ بسبب أمتن منه .

قال ابن الرومي في امرأة ورقيبها :

مابالها قد حسنت ورقيبها   أبداً قبيحٌ قبّح الرقباء
ماذاك إلا أنها شمسُ الضحى   أبداً يكونُ رقيبها الحِرباء

وقال بعض العلماء : الحِرباء فارسيّةٌ معَربة وأصلها خورباء أي حافظ الشمس ، وخور اسم للشمس بالفارسية . وكان ذو الرُّمة أنعت العرب للحرباء قال :

ودَوِّيّةٍ جرداء جدّاء خيّمت   بها صبواتُ الصيفِ من كل جانب
كأنَّ يدى حربائها متمسكاً   يدا مُذنب يستغفرُ اللهَ تائب

وقال أيضا : وقدجعل الحرباء يصفرُّ لونهُ   ويخضرُّ من حَرِّ الهجير غباغبه
ويسبح بالكفين سبحاً كأنه   أخو فجره أوفى به الجذع صالبه

وقال أيضاً: يصلى بها الحرباء للشمس مائلا   على الجدل إلا أنه لا يُكبّر
إذا حوّلَ الظلَّ العشيُّ رأيته   حنيفاً وفي قرنِ الضحى يتنصّر

وهذه تشبيهاتٌ مصيبة عجيبةُ الاصابة دالّةٌ على شدة الحذق وثقوب الذهن ، وقد أجمعت العرب أن ذا الرمة أحسنهم تشبيهات . وقال ابن المعتز :

ومهمهٍ فيه بيضاتُ القطا كسرا   كأنها فى الأفاحيصِ القواريرُ
كأنَّ حربائها والشمسُ تصهرهُ   صال لنا من لهيب النار مقرور

وهذا تشبيهٌ مصيبٌ أيضاً إلاّ أنّ للأول ماءً وطلاوة ليس لذا .

ومن أحسن ماقيل فى الضب قول الحمانى :

ترى ضبّها متسعاً رأسه   كما مدَّ ساعِده الأقطع
له ظاهرٌ مثل بردِ الوشىّ   وبطنٌ كما حسر الاصلع
هو الضبُّ مامَدَّ سكانه   فاذ ضمّه فهو الضّفدَع

ومن أجود ماقيل فى البعوض وأجمعه قول بعضهم أنشده أبو عثمان :

---

(١) فى نسخة « الخصيف » وفى أخرى « الخفيف » ولعل الصواب ماأثبتناه .

إذا البعوضُ زجلتْ أصواتها ... وأخذ اللحن مُغنياتها
لم تُطرب السامع خافضاتها ... وأرّقَ العينين رافعاتها
صغيرةٌ كبيرةٌ أذاتها ... يقصر عن بُغيتها بُغاتها
ولا يصيب أبداً رُماتها ... رامحة خرطومها قناتها

وقال آخر: * حنانة أعظمها أذاها * وقال ابن المعتز:

بِتٌّ بليلٍ كلهُ لم أطرفِ ... قِرقسهُ (١) كالزبير المنتّف
يثقبُ الجلدَ وراء المطرفِ ... حتى ترى فيه كشكل المصحف
أو مثل روس العصفر المندّف

وقلت: غناءٌ يسخن العينَ ... وينفى فَرَحَ القلبِ
ولا يأتى على الزمرِ ... ولا يجرى مع الضرب
غناء البقّ بالليلِ ... ينافي طرَبَ الشرب
إذا ماطرَقَ المرء ... جرى فى طلق الكرب
نحيفٌ راح كالشنّ ... ولكن بات كالوطب
إذا مانقبَ الجلدَ ... ةَ أخفى موضعَ النقب
سوى حمرٍ خفيات ... تحاكي نقطَ الكتب

وقد ذكروا أن كل معنى للأوائل أخذه المتأخرون وتصرفوا فيه إلا قول عنترة فى الذباب فانه لم يتعرض(٢) له ولو رامه من رامه لافتضح وهو قوله:

وترى الذبابَ بها يُغنى وحدَهُ ... زجلاً كفعل الشاربِ المترنم
هزجاً يحكٌ ذراعَه بذراعهِ ... فعلَ المكبّ على الزنادِ الأجذم

وقلت: وبدا فغنانى البعوضُ مُطرباً ... فهرقتْ كأس النوم إذ غنانى
ثم انبرى البرغوثُ ينقطُ أضلعى ... نقطَ المعلم مُشكلَ القرآن
حتى إذا كشفَ الصباحُ قناعَه ... قرأتْ لىَ الذّبانُ بالالحان

---

(١) القرقس بالكسر: البعوض. (٢) فى الاصل «لاتعرض».

وكتب أبو القسم الآمدى : وصار كاتب الديوان أفرغ من حجام ساباط وحسبك أيدك الله أن كاتب الديوان فى هذا الوقت شيخ كان يخلفنى ويخلف من كان يلى الديوان قبلى يُعرَفُ بابن نوح حسن الشيبة عظيم الهامة كثير الصمت لو رأيته لقلتَ هذا نوح النبي ﷺ سمتاً ووقاراً وليس له عمل خلف سلّته إلا صيد الذبانِ فهو أعلم خلق الله بأجناسها إذا مرّ به ذبانَ يطيرُ عرفه بطيرانه قبل أن يسقط فيقول هذا ذكر وهذا أنثى وهذا ربيعى وهذا صيفى وهذا مُلِحٌّ وهذا لجوج يسقط على العين والأنف ويُطردُ فيعود وهذا يلسع وهذا ليس بلسّاع وهذا يقع على الأقذار وهذا نَزِهٌ عيوف لا يقع إلا على المآكل الحلوة والأشياء العذبة وهذا من صيد الليث وهو جنس من العناكب وليس هذا من صيده وهذا يقع في شبكة الخدرنق ــ وهو العنكبوت الطويل الأرجل ــ وهذا يسفُدُ وهو يطير وهذا لا يسفد إلا واقعاً وهذا مما يدخُلُ رأسه فى رؤوس الذبان السبعة التى تقع فى الاكحال لأنه أقرح وهذا ان وقع رأسه فى كحل عمي من يكتحل به لأنه أحمر الجبهة وهذا يقبل بدنه على خرطمه وهذا لا يقبل وهذا هَزِجٌ مغنٍ وهذا صموتٌ وهذا يُنذِرُ وهذا يُبشّرُ بطنينه وزمزمته فيصدق فيما يَعِدُ ويُوعِدُ ويكون ذلك أخذاً بالكف . وقد ألف فيها كتاباً حسنا فيه نوادر وعبر . وظننته قد نظر في باب الذُباب والبعوض من كتاب الحيوان واستقى من هُناك ففاتحته فاذا هو لا يعرفُ الجاحظ ولا سمع بكتاب الحيوان قط ونظرت فاذا أبو عثمان لم ينته فى معرفة الذُباب إلى شيء مما انتهى إليه وعرفه .

ومن أجود ماقيل فى البراغيث قول بعضهم وقد ظرف في ذلك :

فيالعبادَ الله مالقبيلةٍ إذاظهرت فى الأرضِ شدّ مُغيرها
فلا الدينُ ينهاها ولا هى تنتهى ولا ذو سلاحٍ من مَعدّ يضيرُها

وقال آخر :

هنيئاً لأهلِ الرّيّ طِيبُ بلادهم وأن أميرَ الرّىّ يحيى بنُ خالدِ

بلادٌ إذا جنّ الظلامُ تقاقرت … براغيثها من بينِ مثنى وواحدِ
ديازِجةٌ سودُ الجلودِ كأنّها … نِعالُ بريدِ أرسلتْ فى المزاود

وقلت: ومن براغيث تنفي النوم عن بصري … كأنّ جفنيَّ عن عيني قصيرَان
يطلبنَ مني ثأراً لستُ أعرفهُ … إلا عـداوة سودانٍ لبيضان

وقد شكاهن الرماح الأسدى فأحسن في قوله :

تَطاوَلَ بالفسطاط ليلي ولم يكن … بحنو الفضا ليـلى عليّ يطولُ
يؤرقني حُـدبٌ صغارٌ أذلةٌ … وانّ الذى يؤذينهُ لذليـلُ
إذا ماقتلناهنّ أضعفنَ كـثرةً … علينا ولا ينعى لهنّ قتيـلُ
ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً … وليس لبرغوثٍ إليّ سـبيلُ

وقال ابن المعتز :

وبراغيث ان ظفرنَ بجسمي … خلت فى كلِّ موضع منهُ خالا

وأما القمل فأعجب ماقيل فيه قول بعضهم :

للقمل حولَ أبي العلاءِ مصارعٌ … من بين مَقتولٍ وبين عقيرِ
وكأنهنّ إذا عَلونَ قميصَهُ … فردٌ وتوأمُ سمسمٍ مقشورِ

وقد أبدع جرير في قوله :

ترى الصيبانَ عاكفةً عليهِ … كمنفقة الفرَزْدَقِ حين شابا

وقلتُ في النمل :

وَحيٍّ أناخوا بالمنازلِ باللوى … فصاروا بها بَعـدَ القطارِ قطينا
إذا اختلفوا فى الدّارِ ظلتْ كأنّها … تبـدّدُ فيها الريحُ بزرَ قطونا
إذاطرقوا قِدرى مع الليلِ أصبحت … بواطنها مثـلَ الظواهرِ جُونا
لهم نظرةٌ يُمنى ويُسرَى إذامشوا … كما مرَّ مرعُوبٌ يَخافُ كمينا
ويمشون صفاً فى الدّيارِ كأنّما … يجرّونَ خيطاً في الترابِ مُبينا
ففي كلِّ بيت من بيـوتيَ قريةٌ … تضمُّ صُـنوفاً منهُـم وفنـونا

فيا مَنْ رأى بيتاً يضيقُ بخمسةٍ وفيه قُرَيّاتٌ يسعن مئينا

قالوا ومن الأبيات الجامعة للشرّ قول بعض القدماء :

به البقُّ والحمى وأُسدٌ خفيّةٌ وعمرو بنُ هند يعتدى ويجورُ
وبالمصر برعوثٌ وبقٌّ وحصبةٌ وحمى وطاعونٌ وتلك شرور
وبالبدوِ جوعٌ لا يَزَالُ كأنّهُ دُخانٌ على حدِّ الأكامِ يمورُ
ألا إنما الدنيا كما قالَ رَبُّنا لأحمدَ حزنٌ تارةً وسرورُ

وقلت في الجراد :

أجنحةٌ كأنها أرديةٌ من قصبِ لكنها منقوطةٌ مثل صدورِ الكُتبِ
وأرجل كأنّها مناشرٌ من ذهب

وقلت: وأعرابيةٍ ترتادُ زاداً فتمرقُ من بلادٍ فى بلادِ
غدت تمشى بمنشار كليل تبوعُ به قرارةَ كلِّ وادى
وتنشر فى الهواء رداءَ شرب على أرجائه نقطُ المدادِ
وتلبس تحتَ ذاك عطاف لاذ على أكنافه ودع الجساد

ومن عجيب ماقيل فى الفأر ماأخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن سعيد عن الرياشى قال دخل اعرابىّ البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر فقال فى ذلك :

عجل رَبُّ الناس بالعقابِ لعامراتِ البيتِ بالخرابِ
كحل العيونِ وقص الرقابِ مجردات أحبل الأذنابِ
مثل مدارِ الطفلةِ الكعابِ كيف لها بأنمر وثاب
مُنهرت الشدو حديد الناب كأنما يكشرُ عن حرابِ
يفرسها كالأسدِ الوثّابِ

آخر الباب العاشر من كتاب ديوان المعانى والحمد لله حق حمده وصلواته على محمد وآله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ماأراد بنا من عاجل الخير وآجله ومؤتنفه وراهنه فجعل لنا في أنفسنا مواعظ وفى أبداننا زواجر يرشدنا ويهدينا ويكفنا عما يُـرديناً من مرض بعد صحة وشيبة بعد شيبة لنعتبر بتغير الأحوال علينا وتغيير الحدثان إيانا حمداً تتألف أشتاتُـه وتتصلُ مواده ، وصلى الله على محمد وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمراثى)

والزهد وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب الحادى عشر من كتاب ديوان المعانى ﴾

فأولُ ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصُّولى قال سمعتُ ابن الاعرابى يقولُ لاأعرفُ في التفجع على الشباب وفى ذم الشيب أحسن من قول أبى حازم الباهِلى على قُـرب عهده :

لاتـكذبنَّ فمـا الدُّنيا بأجمعها   من الشبابِ بيوم واحد بَدلُ
شَرْخ الشبابِ لقد أبقيتَ لى أسفاً   ما جدَّ ذِكرك إلا جَـدَّ لى ثكلُ
كفاك بالشيب ذنباً [1] عندَ غانيةٍ   وبالشبابِ شفيعاً أيها الرَّجُـلُ

---

(١) فى نسخة « كفاك بالشيب عيبا ».

وأحسن منه عندى قول منصور النمرى[١] :

ما تنقضى حسرةٌ منى ولا جزعٌ إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ
بانَ الشبابُ ففاتنى بشرّته[٢] صروفُ دهرٍ وأيام لنا خُدعُ
ما كنتُ أوفي شبابى كنهَ غِرتهِ حتى انقضى فاذا الدنيا لهُ تبع

قوله (فاذا الدنيا له تبع) من أشرف كلام وأنبله وأجمعه وأوجزه ، وسمعه الرشيد فقال نعم لاخير فى دنيا لا يُخطر فيها ببرد الشباب . وقال محمود الوراق :

لا يحسن النسك والشباب ولا البطالاتُ والخضاب
كلُّ نعيم وكلُّ عيش قبلَ الثلاثينَ يُستطاب

وقال غيره :

فقالتْ وهل بعدَ الثلاثينَ مَلعب فقلتُ وهل قبلَ الثلاثينَ ملعبُ

وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا الفضل بن الحباب الجمحى قال حدثنا محمد بن سلام قال من كلام يونس بن حبيب : الكبر وكل عيب والعزل وكل ذم والولاية وكل مدح والشباب وكل صحة واليسار وكل فضيلة والفقر وكل ذلة . وقال ابن المعتز :

لهفى على دَهر الصبا القصيرِ وغُصنه ذى الوَرَقِ النضيرِ
وسُكرهِ وذَنْبه المغفورِ وَمَرَحِ القلوبِ فى الصُّدور
وطولِ حبل الأملِ المجرورِ فى ظلِّ عيشٍ غافلٍ غرير
أغدو وجنىُّ الصبا أميرى ملء العيونِ الغانياتِ الحورِ

وقال الحمانى :

وأيامهُ الغُرُّ مثل الخطوطِ فى المسكِ فوقَ خُدودِ الحسانِ

---

(١) من شعراء الدولة العباسية ، استقدمه الفضل به يحيى واستصحبه ثم وصله بالرشيد ، وفي حضرته أنشد هذه الأبيات .

(٢) شِرة الشباب : نشاطه ، وفى الأغانى (بلذته) .

ليالى أنت جُذيل الصبا ... وأيامه وعُذيق الغوانى

وقال أيضاً : أيام كنتُ من الغوانى ... كالسوادِ من القلوبِ

فاذا استطعن خبأننى ... بين المخانقِ والجيوب

وقال أبو عبد الله بن المعتز :

يا قلبُ ليسَ الى الصبا من مرجع ... فاحزنْ فلستَ بمثلِه مفجوعا

وقال يصف نفسه فى شبيبته :

من بعدِ ما قد كنتُ أى فتى ... كقضيبِ بانٍ ناعمٍ رَطْبِ

فاذا رأتنى عينُ غانيةٍ ... قالتْ أوابدُ طرفها حسبي

ونحوه قوله : إذا ما تمشت فى عين خريدة ... فليست تخطانى الى من ورائيا

وقال أعرابى : سقى اللهُ أياماً لنا ولياليا ... لهنَّ بأكنافِ الشبابِ ملاعبُ

إذ العيشُ غضٌّ والشباب بغرة ... وشاهدُ آفاتِ المحبينَ غائبُ

وانما آتى بالبيت والبيتين لأنى أعتمد الفقرة فأوردها وأقصد النادرة فأكتبها وأتوخى المعنى الشريف واللفظ الظريف فأزفهما اليك وأجلوهما عليك ولو تحذلقت(١) في المعانى وأضفتُ الى كل شيء منها شكله وقرنتُ اليه مثله أو أكثرت من عدد ما أورده من الأبيات لصار كل فصل من فصول كتابنا باباً طويلاً وكل باب منه كتاباً كبيراً حتى يكون جديراً بالاملال والاضجار وداخلا فى حدّ الاكثار والاهذار ونعوذ بالله منهما . وقلتُ فى معنى ابن المعتز :

تذكرُ إذ أنتَ قضيبٌ رطيب ... عليه للحسنِ رداءٌ قشيبْ

خالطَ ماء الحسنِ فى وجهه ... ماء شبابٍ لم يَرقه المشيبْ

إذا مشى يخطر في بردِهِ ... غاير فيه الشكل حسن رطيبْ

كنتَ قضيبَ البانِ لم يقتضب ... وأنتَ من بعدُ قضيبٌ قضيبْ

فاللهو مُغبر مقاديمه ... مُعفرُ الوجه حريبٌ سليبْ

(١) في الأصل (تحزقت)

خذ بنصيب من سرور الصبا ... فما لشيخ من سرور نصيب

وأول من بكى الشباب وذمّ المشيب عبيد بن الأبرص فى قوله :

والشيب شينٌ لمن أمسي بساحته ... لله درُّ الشباب الله الخالى

وقال مُزاحم العقيلي (١) :

عزاء على مافاتَ من وصلِ خلّة ... وريق شباب سَلّهُ الشيبُ منجلى

ومثل ليالينا بحطمة فاللوى ... بلينَ وأيام قصار بمأسل

وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

عريت من الشباب وكانَ غضاً ... كما يعرى من الوَرَقِ القضيب

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً ... فأخبرَهُ بما فعلَ المشيب

وقلت : قوامٌ كما شاءَ المشيب معوجٌ ... ووجهٌ كما لا تشتهيه مُشنّج (٢)

وفرع جلاه الشيبُ حتى كأنما ... تغشّاه معروفٌ من الصبح أبلج

وعهدى به بالأمس جوناً كأنما ... تجلّله عرفٌ من الليل أدعج

ليالىَ جاءتك الليالى عرائساً ... تروق وتصبى أو تضوع وتأرج

حسان الوجوه كالرياضِ أنيقة ... تخيطُ لها كفُّ الغمامِ وتنسج

رقاقُ جلابيبِ النسيم أريجةٌ ... لها نكهةٌ كالمسك ابانَ يمزج

وقال رُؤبَة وأحسن فى ذلك :

كرَّ الجديدانِ بنا وانطلقا ... ولا يجدّانِ إذا ماأخلقا

---

(١) شاعر فصيح اسلامى صاحب قصيد ورجز كان معاصراً لجرير والفرزدق ، وكانت الشعراء تقرظه ، روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان فقال له أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا إلا أن غلاماً من بنى عقيل يركب أعجاز الابل وينعت الفلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير فسأله فأجابه بجوابه ، ثم جاء ذو الرمة فسأله كذلك فأجاب بمثل جوابيهما وقال : غلام يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله .

(٢) أى تقبض جلده .

ولو يبيعانِ الشبابَ أنفقا والشيبُ لاسوقَ له ان سُوِّقا

وقال المقنع أظنه :

وذادت عن هواه البيض بيضٌ لها في مَفرِقِ الرأسِ انتشار
جديدٌ واللبيس(١) أعزُّ منه وأحرَى أن ينافسهُ التجار

وقد أحسن الفرزدق فى قوله :

وفى الشيبِ لذاتٌ لخادع نفسه ومن قبلهِ عيشٌ تعلل جادبه

ومن الشعر الجذل السهل المطيع الممتنع القريب البعيد الممكن المتعذر قول النمرى :

ومنازل لك بالحمى وبها الخليطُ نزولُ
أيامهنَّ قَصــيرةٌ وسُرورُهنَّ طويل
وسعودُهنَّ طوالع ونحوسُهــنَّ أفـــول
والمــالكية والشـــبا ب وقينــةٌ وشمول

ومن أبلغ ماقيل في كراهة الشيب قول البحترى :

وددتُ بياضَ السيفِ يومَ لقيننى مكانَ بياضِ الشيبِ حلَّ بمفرقي

وقد أحسن أبو تمام الاحتجاج للشيب فى قوله :

فأصغرى أنَّ شيباً لاحَ بى حدثاً وأكبرى أننى فى المهدِ لم أشب
لاتنــكرى منه تجديداً تجلله (٢) فالسيف لايزدرَى ان كان ذا شطب
ولايروعنك ايمــاض القتيرِ به فانَّ ذاك ابتسامُ الرأى والأدب

ووجدت بيتاً فاسد السبك فأصلحته وقلت :

نجومُ مَشيبٍ في ظلام شَبيبةٍ وماحسنُ ليلٍ ليسَ فيهِ نجوم

وقال أبو عبد الله الاسباطى :

لايَرُعْكِ المشيبُ ياابنةَ عبد الله فالشيبُ زينــةٌ ووَقار
انمــا تحسنُ الرياضُ إذا ما ضحكت في خلالهــا الأنوار

وقال الخوارزمى ـ متأخِّر :

---

(١) أى الذى لبس كثيراً . (٢) فى ديوان أبى تمــام «تخديداً تخلله» .

وقالوا أفقْ من سكرةِ اللهو والصبا ... فقد لاحَ صبحٌ في دجاكَ عجيب
فقلت لهم كفُّوا الملامَ وأقصروا ... فانَّ الكرَى عندَ الصباح يطيب

وهذا معنى مليح أظنه ماسبق اليه . وأول من تهاون بالشيب جرير فى قوله :

يقولُ العاذلاتُ عَلاكَ شَيبٌ ... أهذا الشيبُ يمنعني مراحى

وتبعه الناس فمن أحسنهم قولاً فيه ابن الرومى حيث يقول :

لاحَ شيبي فرحتُ أمرحُ فيهِ ... مَرَحَ الطرفِ فى العذارِ المحلى
وتولى الشبابُ فازددت غياً ... فى ميادينِ باطلى اذ تولّى
إنَّ من ساءَهُ الزّمانُ بشيءٍ ... لأَحقُّ امرىءٍ بأن يتسلى

وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيتُ الشيبَ حلّ بياضُه ... بمفرَقِ رأسى قلتُ للشيب مرحبا
ولوخلتُ أنى إن كففتُ تحيتى ... تنكّبَ عنى رمتُ أن يتنكّبا
ولكنْ إذا ماالكرهُ حلَّ تسامحتْ ... به النفس يوماً كان للكرهِ أذهبا

وفى ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها ، وأبيات ابن الرومى متوازنة اللفظ والمعنى مع اصابة تشبيهه فى قوله * مرح الطرفِ فى العذار المحلى *

وقد بالغ فى ذم الشيب أبو تمام فقال :

دقةٌ فى الحياة تدْعى جمالاً (١) ... مثل ماسمِّيَ اللديغُ سليما
غرَّةٌ مرّةٌ (٢) ألا إنما كنـ ... ـت أغراً أيامَ كنت بهيما

وقال ابن المعتز :

لقد أبغضتُ نفسى فى مشيبى ... فكيفَ تحبنى الخودُ الكعابُ

وقلت : فلا تعجبا أن يعبنَ المشيب ... فما عبنَ من ذاك إلا معيبا
إذا كانَ شيبى بغيضاً إلىَّ ... فكيفَ يكون إليها حبيبا
وقد كنت أرفُل بردَ الشباب ... قشيباً وأرفُل وشياً قشيبا

---

(١) فى ديوان أبى تمام (جلالاً) . (٢) في الديوان (غرة بهمة) .

إذا ملتُ ملتُ قضيباً رطيبا وان صلت صلت قضيباً قضوبا

ومن مليح ماقيل فى الشيب وهزء النساء من صاحبه قول كشاجم :

ضحكتْ من شيبةٍ ضحكتْ في سوادِ اللمةِ الرجله
ثم قالتْ وهى هازلةٌ جاءَ هذا الشيبُ بالعجله
قلتُ من حبيك لا كِبر شابَ رأسى فانثنتْ خجله
وثنتْ جفناً على كحلٍ هى منه الدهرَ مكتحله
أكثرتْ منــهُ تعجُّبها وهي تجنيــهِ وتضحكُ له

ومن مليح ماقيل فى ذلك وغريبه قول الآخر :

فظللتُ أطلبُ وصلها بتعطف والشيبُ يغمزُها بأن لا تفعلى .

وذ كر مسلم بن الوليد كراهة الشيب وكراهة مفارقته إذا جاء فأحسن حيث يقول :

الشيب كُرهٌ وكُرهٌ أن يُفارقنى أحببْ بشيءٍ على البغضاءِ مودُودٌ

فتبعه على بن محمد الكوفي فقال :

بكى للشيبِ ثم بكي عليهِ فكانَ أعزّ فقداً من شباب
فقلْ للشيبِ لاتبرح حميداً إذا نادَى شباُبك بالذهاب

ونقله الى موضع آخر فقال :

لعمرك للمشيبُ علىَّ مما فقدتُ من الشبابِ أشدّ فوتا

هذا البيتُ مضطربُ اللفظ والرصف والصنعة فاعتبِرهُ :

تمليتُ الشبابَ فكانَ شيباً وأبليت المشيبَ فصارَ موتا

وكان من تمام الصنعة أن يقول «أشدّ فقدا» لقوله «فقدت من الشباب». وقلت :

والشيب زورٌ يجتوى وقربُه لا يرتضى وفقدهُ لا يُشتهى
قد يشتهى كلُّ امرىءٍ بلوغَه وقلَّ من يبلغه إلا شكا
كأنما الشبابُ كانَ فرقةً له من الأنفسِ حبٌّ وقِلى

وقد أجاد الأعرابى فى قوله فى صفة الشيب : أكره ضيف وأبغض طيف أحب

غائب وأفجع آيب . وقلت :

تكاف مدحَ الشيبِ عندى مُعمَّر ... وهل يمدحنَّ الشيبُ إلا تكلفا
فقلت انظرنى أوّلا منه مؤلماً ... لقلب فتًى أو آخراً منه مُتلفا
تصرَّم من عمرى ثلاثونَ حجةً ... لبستُ بها ثوبَ الشبابِ مُطرَّفا
شبابٌ أطارَ الوجدَ عنى غيابُهُ ... وصرفُ زمانٍ لم أجد عنه مَصرِفا
أقمت به صدرَ السرورِ فلم يزَلْ ... به الشيبُ حتى ردَّه مُتحنفا
فطر بجناحِ اللهوِ فى زمن الصبا ... فأخلق به إن شئت أن يتحيفا
تناولَ وخْطُ الشيبِ أطرافَ عارضى ... فأصبحَ ليلاً بالصباح مُشنَّفا

ومن المشهور قول دعبل الخزاعى (١) :

لاتعجبى ياسلم من رجلٍ ... ضحكَ المشيب برأسهِ فبكى

ومما يحتج به للمشيب على الشباب أن الشباب قلما يبقى أكثر من أربعين سنة وقد يعيش المرء في الشيب التسعين والمائة ، وقال امرؤ القيس فى ذلك :

ألا إنّ بعدَ الفقرِ للمرء قنوةً ... وبعد المشيبِ طولَ عمرٍ وملبسا

وقال أعرابى : مابال شيخ قد تخدد لحمه ... أبلى ثلاثَ عمائم ألوانا
سوداء داجية وسحق مفوف ... وأجدّ لوناً بعد ذاك هجانا
قصر الليالى خطوهُ فتدانى ... وحنونَ قائمَ ظهره فتحانى (٢)
والموت يأتى بعد ذلك كلِّه ... وكأنما يعنى بذاك سوانا

لاأعرف فى وصف الشيب من أول مايبتدىء إلى أن ينتهى أحسن من هذا، وقوله (وكأنما يعنى بذاك سوانا) من أبلغ مايكون من الموعظة . وقلت :

وشبابٍ خفَّ نازله ... ليته عادَ كما كانا
ومشيبٍ آب نازله ... ليته إذ كان مابانا

---

(١) شاعر متقدم مطبوع ، هجا الخلفاء ومن دونهم وهرب منهم لكيلا ينتقموا منه .
(٢) في الاصل « فتدانا ، فتحانا » .

خانني دهرٌ وثقت بهِ ... رُبَّ موثوقٍ به خانا

وأنشدنا أبو أحمد :

وأنكرتُ شمسَ الشيبِ فى ليلِ لمتى ... لعمرى لليلى كانَ أحسنَ من شمسى
كأنَّ الصبا والسمت يطمسُ نورهُ ... عروس أناس ماتَ في ليلة العُرس

ومن بديع الاستعارة في الشيب قول البحترى :

فى الشيبِ زجرٌ لهُ لوكانَ ينزجرُ ... وبالغ منهُ لولا أنه حجرُ
إبيض مااسودَّ من فوديهِ وارتجعت[(١)] ... جلية الصبح ماقد أغفلَ السحر
وللفتى مُهلةٌ في الحبِّ واسعةٌ ... مالم يمتْ في نواحى رأسهِ الشعر

ولا أعرف فى الشيبَ أجمع من قول أبي تمام :

غدا الشيبُ[(٢)] مختطًّا بفودىَّ خطةً ... سبيلُ[(٣)] الردَى منها إلى النفسِ مهيع
هو الزورُ يجفى والمعاشرُ يُجتوى ... وذو الالف يُقلى والجديدُ يُرقَّعُ
لهُ منظرٌ فى العينِ أبيضُ ناصع ... ولكنهُ فى القلبِ أسودُ أسفعُ
ونحن نرجيهِ على الكرهِ والرضا ... وأنف الفتى في[(٤)] وجههِ وهو أجدع

ومن أعجب ماسمعتُ فى الخضاب قول بعضهم :

عجبتْ لما رأتني ... غادةٌ مابين غيدِ
ضحكتْ إذ أبصرتني ... قد تزينتُ لعيد
ثم نادينَ جميعاً ... ياعتيقاً فى جديد
غرَّنا منكَ خضابٌ ... قد تراءى من بعيد
لاتغالطنا فما تصلحُ ... إلا للصُّدُود

وقال ابن الرومى :

فدعَتهُ إلى الخضابِ وقالتْ ... إنَّ دفن المعيب غير معيب

---

(١) فى الأصل (إرتجست) .
(٢) فى ديوان أبى تمام (غدا الهمّ) .
(٣) فى الديوان (طريق) .
(٤) فى الديوان « من وجهه » .

وقال: عذارٌ كمثل الاتحمى مطرزٌ وفرعٌ كلونِ العبقرىِّ محبرُ
وقد كانَ من صبغ الشباب ممسكا فأصبحَ فى كفِّ المشيب مكفرُ
فقلْ للعذول أقصر الآن إننى على الرغم من أنف الصبابةِ مقصرُ
كفاك تكاليفَ الملام كواكبٌ من الشيب فى ليل الشبيبة تزهر
لوائح من تحت الخضاب كأنما سنى الصبح فى وجه الدجنّة يكشر

وأول من ذكر أنه شاب من غير كبر ابن مقبل [1] فى قوله :

ماشبتُ من كبرٍ ولكنى أمرؤٌ عالجت قرعَ نوائبِ الدهرِ
فرأيتها عضلا موقحة عزت فما تُستطاع بالكسرِ
فلذاك صرت معَ الشبيبة نازلا فى غير منزلى من العمر

ومن أجود ما قيل فى تقارب الخطو قول أبي الطمحان :

حنتنى حادثاتُ الدهرِ حتى كأنى خاتلٌ أدنو لصيدِ
قريب الخطو يحسبُ من رآنى ولستُ مقيداً أنى بقيد

وقد أحسن الآخر في قوله أيضا :

الدّهر أبلانى وما أبليتهُ والدّهرُ غيرنى وما يتغير
والدّهرُ قيدنى بقيدٍ مُبرم فمشيت فيه وكل يوم يقصر

وقوله « وكل يوم يقصر » من أحسن العبارة عن ازدياد الضعف وتقاصر الخطو فى كل يوم . ومن أعجب ماقيل في الصلع قول الاعرابى :

قد ترك الدهر عصاتى صفصفا فصار رأسي جبهةً الى القفا
كأنما قد كان ربعاً فعفا يمسى ويضحى للمنايا هدفا

ومثله قول الآخر :

ثم حسرت عن صفاة تلمع فأقبلتْ قائلةٌ تسترجع
مارأس ذا إلا جبيناً أجمع

---

(١) هو تميم بن مقبل من بنى العجلان ، مخضرم معدود فى الفحول .

ومثله أيضاً :

جلاه عن أهلِ الهوى قبح الجـلا جبين وجهٍ وجبينٌ فى القفا

وقال ابن الرومى فى معناه يهجو رجلاً يجذب طرّته من قفاه الى وجهه :

يجذبُ من نقرته طُرَّةً إلى مدىً تقصرُ عن نيله
فوجهُهُ يأخذ من رأسه أخذَ نهارِ الصيفِ من ليله

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى لخلف بن خليفة :

وقام إلى رأسهِ حاذقٌ فصيرَ من رأسهِ قرعه
يُريكَ بريقاً كطست الجلا بيض كما نصب الطلعه
فما شوق عينى إلى قرة كشوق يمينى للصلعه
يـكادُ وإن لم يردها الضمير تشوقُ الحليم إلى صفعه
فملنا عليهِ بأيمـاننا نسائله عن خبرِ الوقعه

وقال مالك بن أسماء :

أوارى بذيّال على العقبِ جُمّتى إذا الصلعُ واروا هامهم بالقلانس
تودُّ النساء المبصرانى أنَّهُ يعار فيستأجرنه للعرائس

وقلت في مدح الحلق :

قُـتل الشعر من خفيفٍ ثقيل وكثيرٍ على الرؤوس قليل
ضـيق الشعر حينَ طال قليلا ضامه اللهُ من قصيرٍ طويل
إنما الحلقُ راحةٌ وجمالٌ فاشدُد الـكف بالمريح الجميل
ماأرى للحسام يصدأ حُسناً إنما الحسنُ للحسام الصقيل

ويشبهون الرأس المحلوق بالصخرة أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بنُ دريد عن عبد الرحمن عن عَمه قال كان يزيد بن الطثرية زِير نساء يتحدث إليهن فتحدث إلى امرأة من بنى أسد فهويها وهويته فخطبها إلى أبيها فرده ، وخطبها ابن عم له فزوجه فدخل عليها ابن عمها وهى تقول :

لم يبق إلا شبحاً وعظما وأدمعاً تنهلُّ منها سجما
علمت مابي فجفوت علماً من سَئمَ الوصل تجنى الجرما

فنهاها زوجها أن تتمثل فأنشأت تقول :

تمثلتُ بيتاًثم أذريتُ دمعةً فمن لامنى فيه فبدل مابيا
فما أشرف الايفاع إلا صبابةً وما أضربُ الأمثال الاتداويا

فأتى الزوج أباها فأخبره فأتاها أبوها فقال والله لأن تمثلت لأضربن ظهرك وبطنك ، فدخل عليها زوجها وهي تقول :

فان تضربوا ظهرى وبطنى كلاهما فليس لقلب بين جنبيَّ ضارب

فاشتد ذلك على زوجها وهم بطلاقها وخرج مغضبا وإذا يزيد بفنائه وهو يقول :

تراءتْ وأستارٌ من البيت دونها الينا وحانت غفلة المتفقد
بعيني مهاةٍ تحدرُ الدمع منهما بريمين شتى من دموع واثمد

فجمع أهل بيته واخوته وأتى أخاه واستعداه عليه فضربه أخوه وحلقه . فقال وهو يحلق :

أقول لثورٍ وهو يحلقُ لمتى بعقفاءَ مردُودٌ عليها نصابها
تَرفقْ بها ياثورُ ليس ثوابها بهذا ولكن غير هذا ثوابها
فيارُبّ يوم قد تغلل وسطها أنامل رخصات حديث خضابها
تولى بها [1] ثورٌ تزفُّ كأنها سلاسل درع لينها [2] وانسكابها
وأصبح رأسى كالصخيرةِ أشْرَفتْ عليها عقابٌ ثم طارت عقابها

وقد أحسن الفرزدقُ الاستعارة فى وصف الشيب وهو قوله :

والشيب ينهض بالشبابِ كأنه ليلٌ يَصيح بجانبيه نَهار

ولأبى إسحق الصابى أبيات في الصلع لم يسبق إلى معناها قالها على وجه المجون :

لما رمانى الزمان بالصلع وقلَّ مالى وضاقَ متسعى

---

(١) رواية الاغانى « فراح بها » (٢) في الأغاني «خبؤها » .

حاسبت عن لمّى مزينها حسابَ شيخ للحقّ متبع
قلتُ له اقنع من أصلِ واجبها بالثلثِ مما به عملتَ معى
واعمل على أنها مُزارَعةٌ شكوتُ فيها شكاةَ مُتضع
فاحطط خراجَ الذى أصبتَ به واستوفِ منى خراجَ مُزدرَع

ومما جاء فى مدح الصلع ماأخبرنا به أبو أحمدعن ابن الانبارى عن ثعلب عن ابن الأعرابى قال ألحّ رجلٌ النظر الى أمير المؤمنين علىّ عليه السلام فقال له الى أىّ شىء تنظر ؟ قال الى بطن مندح وهامة صلعاء فقال عليه السلام أما البطن فأسفله طعم وأعلاه علم وأما الهامةُ فكما قال الشاعر :

بنى لنا المجدَ آباءٌ لهم شرفٌ صُلعُ الرؤوسِ وسيما السؤددِ الصلعُ

وقال آخر : كفى حَزناً انى أدُبُّ على العصا فيأمنُ أعدائى ويبغضنى أهلى
ويوصى بي الوَغدُ الضعيفُ مخافةً علىَّ وما قام الحواضنُ عن مثلى
أقيمُ العصا بالرجلِ والرجلَ بالعصا فما عدّلت ميلى عصاىَ ولارجلى

وقال محمود الوراقُ في ذمّ الخضاب :

يشيبُ الناسُ فى زمنٍ طويل ولى فى كلّ ثالثةٍ مشيبُ
وأخفى الشيبَ جهدى وهو يبدو كما غطى على الريب المريبُ

وقلت : جريت لعارض غيث الليالى تحالك لونه فابيضّ جُلّه
وصرت تقصّ ماابيضّ منه أتحلقه إذا ماابيضّ كلُّه
تعزّ عن الشبيبةِ والهَ عنها فان الليلَ ليسَ يدوم ظله
وخلّ الشيبَ يضحكُ ناجذاه فانّ الصبح لا يخفى مطله
وان حلت عرى اللذات فيه فلستَ بعاقدٍ ماجذ حبله

﴿ الفصل الثانى من الباب الحادى عشر ﴾

(فى ذكر العلل والأمراض والمراثى والتعازى والزهد)

أحسن ماقيل فى الرمد قول الواثق أنشدناه أبو أحمد عن الصولى قال وجدتُ مع هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات من شعر الواثق بالله فى خادم له قد اشتكت عينه :

لى حبيبٌ قد طال شوقى اليه لا أسميه من حذارى عليه
لم تكن عينهُ لتجحدَ قتلى ودمى شاهدٌ على جفنيه

ومن ههنا أخذ هذا المعنى فتدوول قال ابن الرومى أو الناجم :

قالوا اشتكتْ عينهُ فقلتُ لهم من كثرة القتل مسها الوَصب
حُمرَتها من دماء من قتلت والدم فى النصل شاهدٌ عجب

ومن بديع ذلك وغريبه ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى أيضاً :

يكسِر لى طرفاً به حمرةٌ قد خلط النرجس فى وردهِ
مااحمرت العينُ ولكنه يكحلها من وردتىْ خدهِ

أخذه من بعض أهل زمانه :

قالوا بدت فى عينه حمرةٌ قد حازها من وردة الخدّ
فقلتُ لم يرمدْ ولكنه يصافح النرجس بالوردِ

ومن مليح ماقيل في شكاية الحبيب قول العباس بن الأحنف (١)

زعموا لى أنها صارتْ تحم ابتلى الله بهذا من زعمْ
اشتكتْ أكمل ما كانت كما يكسف البدر إذا ما قيل تم

ومما قيل في اصفرار اللون من العلة قول أبى تمام :

معدن الحسنِ والملاحة قد أصـ ـبح للسقم معدناً وقراراً

---

(١) شاعر غزل شريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية ؛ قدمه المبرد على نظرائه وأطنب في وصفه وقال رأيت جماعة من الرواة يقدمونه ،

لم تشنْ وجههُ الجميلَ ولكنْ جعلتْ وَرْدَ وجنتيهِ بهارا

ونحوه قول أحمد بن إسحق الطالقانى :

لقد حلت الحمى بساحةِ خدِّه فأبدلت التفاحَ بالسوسن الغضّ

والأصل فى ذلك قول عبد بنى الحسحاس أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو اسحق الشطبي قال حدثنا ابن أبي سعيد قال حدثنا الخزامى قال حدثنا عبد الملك الماجشون عن يوسف بن عبد العزيز الماجشون قال كتب عبد الله بن عامر إلى عثمان بن عفان : انى اشتريت لك عبداً حبشياً شاعراً . فكتب اليه عثمان لا حاجة لى فيه فان قصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشبب بكريماتهم فاشتراه بنو الحسحاس وكان يكسرُ فى كلامه فقال يوسف فحدثنى من رآه فى شجرة واضعاً احدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر وينسب بأخبث نسيب ويقول :

ماذا يُريدُ السقامُ من قمرٍ كلُّ جمالٍ لوجههِ تبعُ

ما يبتغى خابَ من محاسنها أما لهُ فى القباح متسع

لو كانَ يبغى الفداءَ قلتُ له ها أنا دونَ الحبيبِ ياوجع

ثم يقول لنفسه « أحسنك والله » يُريدُ أحسنت . وكان كما حدث عثمان رضى الله عنه فانه ما زال يهجو مواليه ويشبب بفتياتهم حتى قتلوه فضحكت منه امرأةٌ وقد ذهبوا ليقتلوه فقال فيها :

فان تضحكى منى فيارُبَّ ليلةٍ جعلتكِ فيها كالقباء المفرّج

وقال أيضاً :

ولقد تحدَّرَ من جبينِ فتاتكم عَرَقٌ على وجهِ الفراشِ وطيبُ

ومن عجيب ما يُروى له قولهُ يمدح نفسه :

إن كنتُ عبداً فنفسى حُرَّةٌ كرماً أو أسودَ اللونِ انى أبيضُ الخلقِ

وهذا أحسن ما مدح به أسود .

ومن أحسن ما وصف به نحول العليل قول أبى نواس الحسن بن هانىء :

يا قمراً للنصف من شــهرهِ   أبدى ضياءً لثمان بقين

ومن أحسن ماقيل في تهوين الحمى على المحموم قول محمد بن زياد الـكاتب :

قالوا محمـدٌ المحمد مُوجعٌ   والشمسُ تكسفُ ساعةً وتعودُ

فلئن حُممت فلا حُممت فانها   داءُ الاسودِ وفى الرجالِ أسودُ

وهذا عندى أحسن من قول البحترى :

وما الـكلبُ محموماً وإن طال عُمرهُ   ألا إنمــا الحمى على الأسدِ الورد

على أنه معنى مولد وشيء تدعيه العامة ولا نعرف صحته . وقلت :

وقد سرَّنى انى رأيتك واطئاً   على عقبي داء تراخى فأدبرا

وقد ظلَّ يبغى رائد البرء مورداً   لديك ويبغى فارط السقم مصدرا

ولا غروَ أن يغشاك عارضُ علةٍ   فانى رأيتُ الورد يغشى الغضنفرا

ولو كنتَ نجماً ما كسفتَ وإنمــا   كسوفك ان أمسيتَ بدراً مُنوّرا

ومن ذلك قول على بن العباس النوبختى :

لئنْ تخطتْ اليك نائبــةٌ   حطتْ بقلبى ثقــلاً من الألم

فالدهرُ لا بُدَّ محدثٌ طبعاً   في صفحتيْ كلِّ صارم خَــذم[1]

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه . وقال أيضاً فى رَجل اعتل :

طالَ فكرى تعجباً لمصوغ   ذهباً كان يقبــلُ الاقــذاءَ

والحسامُ الهذاذ[2] يزدادُ حسناً   كلما زادَهُ الصقالُ جلاءً

والرغبة من هذين البيتين فى معناهما وأماسبكهما ووصفهما فلاخير فيه والبيت الثانى أصلح والبيت الأول متكلف جداً . وقال عبد الصمد بن المعذل[3] يذكر الحمّى :

فطوراً ألقيها سُــخنةً   وطوراً ألقيها فــتره

---

(١) سيف خذم : أى قاطع .   (٢) أى القطاع .

(٣) من شعراء الدولة العباسـية بصرى المولد والمنشأ ، كان هجاءً شديد العارضة ، أبوه وجده وأخوه من الشعراء .

وقد أعقبتْ خلفي حِدَّةً وأورثني الفها ضجره

فللعبد ان غاظني لطمةٌ وللحرّ ان ساءني زجره

ويربو الطحالُ إذا ماشبعت فتعلو الترائب والصدره

وأمسي كأنى من معدتى لبستُ ثيابى على ذُكره

أسائلُ أهلى عن سحنتى وأمنحهم نظرةً نظره

وأجزع إن قيل بى صفرةٌ وأشفقُ إن قيلَ بى حُمره

ومن أجود ماقيل فى الفصد قول ابن الرومى :

أيها البدرُ لم تَزَلْ فى كمال الأمرِ بدراً وفى النماء هلالا

كيفَ كانت عقبى افتصادك كانت صحةً مستفادةً واندمالا

واعتدالاً بينَ المزاج كما أو تيتَ فى الخلقِ والخلاق اعتدالا

فعل الله ذاك انك مازلـتَ لمرضىّ ماارتضى فعّالا

وفى الفصد شعرٌ كثيرٌ ليس في أكثر مامرّ بى مختارٌ إلا ماأنشدتهُ لعلى بن عبد العزيز الجرجانى:

ياليتَ عينى تحملتْ ألمك وليتَ نفسى تقسمتْ سقمك

أوليتَ كفّ الطبيب إذفصدتْ عرقك أجرى من ناظرىّ دمك

أعرتهُ حسنَ وجنتيك كما تعيره ان لمْتَ من لممك

طرفك أمضى من حدّ مبضعهِ فالحظ بهِ العرقَ واغتنم ألمك

ومن مليح ماقيل في الزكام ماأخبرنا به أبوأحمد عن الصولى عن أبي ذكوان الجرمى قال دعا عيسى بن علىّ عبد الله بن المقفع الى الغداء فقال : أعزّك اللهُ لستُ يومى هذا للكرام باكيل . قال ولم ؟ قال لأنى مزكومٌ والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار . قال وكانت عجوز من بنى عجل تقول : حُقر من يحقرُ الزكام . ولم يمر بى فى الصداع شىء مليح أثبته لك غير أنى سمعت لبعضهم أبياتاً في صفر العمامة حتى أشبهت عصابةً يعصب بها الصداع وهي هذه الابيات:

وقدّمتَ لي وعداً بأنك مُلبسى ثياباً اليهن ً المحاسنُ تُنسبُ
فلا تكسنى منهن ً إلا عمامةً بأمثالها الامثالُ فى النقص تضرَبُ
يقولُ أناسٌ لى إذا مالبستها أرأسك هذا من صداع مُعصَّبُ

على أن رصفها ليس بمختار . ولبشار بيت حسنٌ فيه ذكر الصداع وهو قوله :

حلّ من قلبه مَحَلَّ شرابٍ يشتهى شرْبهُ ويخشى صُداعه

وقد قارب الآخر :

لطيرتى بالصداع نالتْ فَوْقَ منال الصداع مِنى
وجدتُ فيهِ اتفاقَ سوءٍ صدّعني مثل صدّعنى

وقلت في المعنى الأول :

يقومُ بقامة كنواةِ قسبٍ وينشر لحية مثلَ الشراع
عليهِ عمامةٌ قصرَتْ ودقّتْ فتحسبهُ تعصبَ من صُداع

وقال بعضهم في الجدرى :

وجههُ للحسنِ معدنْ فتأمــلْ وتبــيّنْ
نقَطٌ من جُدَرِىّ كدباقى معيّنْ

وأما النقرس فقد مرّ بى فيه أبياتٌ جيادٌ أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن سوار بن أبى شراعة عن عبد الله بن محمد الدمشقى الكاتب عن محمد بن الفضل ابن اسماعيل بن على بن عبد الله أن أبا الفضل ناله نقرس فى رجله فدخل اليه أبوه اسماعيل يعوده فقال له كيف أنت يابنى ؟ فقال :

أشكو الى الله ما أُصبتُ به من ألمٍ فى أنامل القدم
كأنني لم أطأ بها كبداً من حاسدٍ سرّ قلبهُ ألمي
والحمد لله لاشريكَ لهُ لحى للأرضِ بعدها ودمى
مامن صحيح إلا ستنقله الا يامُ من صحة إلى سقم

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المبرد وأبى العيناء قال كان أبو على الحرمازى

في ناحية عمرو بن مسعدة وكان يجرى عليه فخرج عمرو الى الشام مع المأمون وتخلف الحرمازى ببغداد لنقرس ناله فقال :

أقامَ بأرض الشام فاختلَّ جانبي ومطلبهُ بالشام غيرُ قريب
ولاسيما من مفلسٍ حلف نقرس أما نقرسٌ في مفلس بعجيب

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن زكريا قال ذكر اعرابيٌ رجلاً قد أثرى فقال قد تنقرس ، وذلك لقول الناس إن النقرس يعرض لذوى النعمة والترفه ، ومنه قول الاعرابى :

فصرتُ بعدَ الفقرِ والتأيس يخشى عليَّ القومُ داءَ النقرسِ

ويقال للرجل العالم نقرس وللداهية نقرس قال المتلمس ٭ يخشى عليك من الحباء النقرس ٭

ومن مليح النوادر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن يموت بن المزرع قال حضر الجماز عند أبي يوماً ودخل رَجلٌ فقال له ما أخرك عنا فقال أصابتنى خلفه أما ترى وجهى فقال الجماز ما أبين الاختلاف على وجهك . وقال المتنبي فى الحمى :

وزائرتى كأنَّ بها حياءً فليسَ تزورُ إلا في الظلام
جعلتُ لها المطارفَ والحشايا فعافتها وباتتْ فى عظامى
اذا مافارقتنى غسلتنى كأنا عاكفانِ على حرام

وهذا البيت معيب لان الغسل غير مقصور على الحرام وحده بل هو من الحلال والحرام جميعا فليس لتخصيص الحرام به وجه . وقلت فى حمّى نالتنى :

وأخبر أنى رحتُ في حلة الضنى لياليَ عشراً ضامها اللهُ من عشر
تنفضنى الحمّى ضحى وعشيةً كما انتفضتْ فى الدجنِ قادمتى نَسر
تذرُّ عليَّ الورس في وضح الضحى وتبدله بالزعفرانِ لدَى العصر
اذا انصرفتْ جاء الصداع مشمراً فأربى عليها فى الأذيةِ والشرّ
وتجعلُ أعضائى عيوناً دوامعا تواصل بين السكب والسجم والهمر
فتحسبه طلاًّ على أقحوانةٍ وعهدى به يحكى حباباً على خمر

ولما تمادتْ عذتُ منها بحمية كمنْ ترك الرمضاء وانفل في الجمر
وما منهما إلا بلاءٌ وفتنةٌ وضرٌّ على الأحرار يالك من ضر

من مرض لمرض الجفون : أنشدنى أبو أحمد عن الصولى قال أنشدنى أبو عبيدالله ابن عبد الله لنفسه :

تمارضتَ لما لمْ تكنْ لك علةٌ وقلتَ شهيدى مابطرفى من السقم
فلا تجعلنْ سقماً بطرفك علةً فقد كانَ ذاك السقم في صحةِ الجسم

وقال غيره :

أحببتُ من أجلهِ منْ كان يشبهه وكلُّ شيء من المعشوقِ معشوق
وقد جلبتُ بجسمى سُقْم مقلته كأنَّ جسمى مِن عينيهِ مسروق

وقال الأخيطل : كيف يضنى بعد ما كا ن الضنى عوناً لعينه

وقال ابن الرومي وقد مرض فتخلفَ اخوانه عن عيادته :

عليلكم لايعادُ من علهْ وضيفكم لايسَدّ من خلهْ
لا ان جفوتم دنا المماتُ ولا ان زُرتمُ تُنسؤنَ في أجلهْ
ما ضرَّ مجفوَّكم جفاؤكمُ بالامس فى جسمه ولا أملهْ

وأنشدنى أبو أحمد عن الصولى لمحمد بن محمد بن ابراهيم اليزيدى :

مالى مرضتُ فلم تعدْ ورغبتُ فيك فلم تجُد
الحبُّ يذهِبُه الأذى فاحذرْ عليه ولا تعد

وهذا شعرٌ مطبوعٌ مختار ، والبيت الأخيرُ مأخوذٌ من قول الأعرابى :

فانى رأيتُ الحبَّ في القلبِ والاذى إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ

وقلتُ : وقدعادنى الاخوانُ من كلِّ جانب وما قصروا فى العرفِ والفضل والبرِّ
فلمْ تكنْ فيهمْ فيكمل حسنهم أياظالماً أخلى النجومَ من البدر
وإذ كنتَ لم تنهضْ الىَّ ولم تكد فلم لمْ تسلْ عنى فتخبر عن أمرى
ومالك لم تبعثْ الىَّ بأسطرٍ تمجمجها إحدى يمينك في ظهر

تضنُّ بتسليم وزرةِ ساعةٍ   فكيف يُرجَّى جودُ كفيك بالوفر
فان كنتَ لا تبقى على الحال بيننا   فهلا تخاف سوءَ بادرةِ الشعر
إذا لمْ تكونوا للحقوقِ فمنْ لها   وأنتم كرامُ الناس فى البدو والحضر
وأنتَ إذا أنحيت تفرى أديمها   فما ذنب ذى جهلٍ فرَى مثل ماتفرى
وما لعداةِ العلم تذكرُ عيبهمْ   وأنت على أمثالِ غابرهم تجرى

ومن الغريب البديع مدح الموت وهو قول ابن الرومى :

قد قلت إذْ مدحوا الحياةَ فأكثروا   للموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تعرفُ
فيها أمانُ لقائه بلقائه   وفراق كل مُعاشرٍ لا ينصف

ومن أحسن ما قيل فى مكابدة النفس عند الموت قوله أيضا :

بات الأميرُ وباتَ بدرُ سمائنا   هذا يُودِّعنا وهذا يكسفُ

ولعل ذلك مأخوذٌ من قول الأوَّل :

ألمْ يبلغك والأنباء تنمى   وللدنيا بأهليها صروف
صريعٌ لم يُوَسِّدهُ قريب   ولم يشركه فيالشكوى أليفُ
يظلُّ كأنه قمرٌ مُنيرٌ   يجول على محاسنه كسوف

ولهذا البيت رونقٌ عجيبٌ وطلاوة حسنة . ومن عجيب ماجاء فى وصف المصيبة قول حذيفة بن اليمان : إن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا صغيراً ثم يكبر إلا المصيبةفانهاخلقت كبيرة ثم تصغر . وهذاقول مصيبٌ لايُمارى بهومنه أخذ قوله :

وكما تبلى وجوهٌ فى الثرى   فكذا يبلى عليهنَّ الحزن

ولاأعرف فى التعزى عن المصيبة كلاماً أحسن تقسيماً من قول الأعرابى ومات له ثلاثة بنين في يوم واحد فدفنهم وعاد الى مجلسه فجعل يتحدث كأن لم يفقد واحداً فليمَ على ذلك فقال : ليسوا في الموت ببدع (١) ولا أنا فى المصيبة بأوحد ولا جدوى للجزع فعلامَ تلومونى . فهذه الثلاثة الأقسام لا رابع لها .

(١) فى الأصل « ببديع » .

وعزّى رجل رجلاً وقد ولدت امرأته ابناً وماتت في نفاسها فقال أعظم الله أجرك فيما أباد وأجزل حظك فيما أفاد .

ولا أعرف أحداً أجاد هذا المعنى كما أجاده عبد الملك بن صالح الكاتب : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قيل للرشيد ان عبد الملك بن صالح يُعِد كلامه ويفكر فيه فلذلك بانت بلاغته فأنكر ذلك الرشيد وقال هو طبع فيه ثم أمسك حتى جاء يوماً ودخل عبدُ الملك فقال للفضل بن الربيع إذا قرب من سريرى فقل له وُلد لأمير المؤمنين في هذه الليلة ابنٌ ومات له ابنٌ فقال له الفضل ذلك فدنا عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدةً بواحدة ثواب الشاكرين وأجر الصابرين . فلما خرج قال الرشيد أهذا الذى زعموا أنه يتصنع للكلام ما رأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة قط [1] . وعزى اعرابى رجلاً فقال لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها .

أحسن ما قيل فى مدفون قول ابن الرومى فى بستان جارية أم على بنت الراس :

لله ما ضمنتْ حفيرتهـا ... من حُسنِ مرأى وطُهر مُختبر

أضحتْ من الساكنى حفائرهمْ ... سُكنى الغوالى مداهنَ السررِ

لو علِم القبرُ منْ أُتيحَ لهُ ... لانخفضَ القبرُ غير محتفرِ

وهذا البيت مأخوذ من قول الأوّل :

لو علِم القبرُ من يوارى ... تاهَ على كلّ مَنْ يليـه

وقالوا أحسن مرثية للعرب ابتداءً قول أوس بن حجر :

أيتها النفسُ أجملى جزعاً ... ان الذى تحذَرِينَ قد وقعا

وأحسن مرثية لمحدث ابتداءً قول أبى تمام الطائى :

أصم بك الداعى [2] وإن كانَ اسمعا ... وأصبحَ مغنى الجودِ بعدك بلقعا

فقال فيها : فتىً كان شرباً للعفاةِ ومرتعى ... فاصبحَ للهنديةِ البيضِ مرتعا

---

(١) تقدمت هذه القصة . (٢) فى ديوانِ أبى تمام « الناعي » .

إذا ساءَ يوماً في الـكريهةِ منظراً   تصلاهُ علماً ان سيحسنُ مسمعا
فان ترم عن عُمرٍ تدانى به المدى   فخانك حتىَ لم يجدْ فيك منزعا
فما كنتَ إلاالسيف لاقى ضريبةً   فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وقالوا أرثى بيت قالته العرب قول متمم بن نويرة فى أخيه مالك قتل فى الردة قتله خالد بن الوليد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال كان متمم بن نويرة قدم العراق فأقبل لا يرى قبراً إلا بكى عنده فقيل له يموت أخوكِ بالملا وتبكي على قبره بالعراق ! فقال :

لقد لامنى عندَ القبورِ على البكا   رفيقى لتذرافِ الدموع السوافك

هذا البيت غير مختار الرصف عندى وفى ألفاظه زيادة على معناه :

أمنْ أجلِ قبرٍ بالملا أنت نائحٌ   على كلّ قبر أو على كلّ هالك
فقلت له انّ الشجي يبعثُ الشجى   فدعنى فهذا كلهُ قبرُ مالك

يقول قد ملأ الأرض مصابه عظماً فكأنه مدفون بكل مكان . وهذا أبلغ ما قيل في تعظيم الميت .

ومنه أخذ القائل قوله أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنبارى عن ثعلب عن الرياشي لرجل يرثى عمر بن عبد العزيز وهو عندى من أرثى ماقيل :

لهفى عليك للهفة من خائف   كنتَ المجيرَ لهُ وليسَ مجيرُ
عمتْ صنائعهُ فعمّ مُصابهُ   فالناسُ فيه كلهم مأجورُ
فالناسُ مأتمهمْ عليهِ واحدٌ   فى كلّ وادٍ رَنّةٌ وزفيرُ
يثنى عليك لسان من لم تولهِ   خيراً لأنك بالثناءِ جَدير
ردّتْ صنائعه اليه حياته   فكأنه من نشرها منشور

والصحيح أن يقول «منشرٌ» لأنه يقال انشر الله الموتى فنشروا هم .

وقالوا أرثى بيت قالته العرب قول المحدث :

على قَبْرِهِ بينَ القبورِ مَهابَةٌ   كما قبلها كانَتْ على صاحبِ القبر

وقالوا بل قول الآخر :

أرادوا ليخفوا قَبرَهُ عن عَدُوِّهِ   فطيبُ ترابِ القبرِ دَلَّ على القبرِ

وقالوا أرثاه قول ابن مُنادِر :

أنعي فـتَى الجودِ الى الجود   مامثل من أنعى بموجودِ

أنعى فـتًى مصَّ الثرى بعده   بقيّـة المـاءِ من العودِ

وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى قال سمعت محمد بن يزيد يقول لو سُئلتُ عن أحسن أبيات تعرف في المراثى لم أختر على أبيات الخزيمى :

ألم ترنى أبنى على الليثِ بنيةً   وأحثي عليهِ التربَ لاأتخشعُ

وأعددته ذُخراً لـكلِّ مُلِمَّـةٍ   وسهمُ المنايا بالذّخائرِ مُولعُ

وانى وان أظهرتُ منى جلادةً   وصانعتُ أعدائى عليـه لموجعُ

ولو شئتُ أن أبكى دماً لبكيتُـه   عليهِ ولـكن ساحةُ الصبرِ أوسع

وقال أبو عمرو بن العلاء أرثى بيت قول عبدة :

فما كانَ قيسٌ هلـكهُ هُلكُ واحد   ولـكنه بُنيانُ قوم تهـدَّما

وقال خلفِ الأحمر أرثى بيت :

الآن لما كنتَ أكمل من مشى   وافترَّ نابُك عن شباه القارح

وتـكاملت فيـك المروءةُ كلها   وأعنتَ ذلك بالفعالِ الصالح

وقال الأصمعى أرثى بيت للعرب :

ومن عجب أن بتَّ مستشعر الثرى   وردن (١) بمـا رودتنى متمتعا

ولو أننى أنصفتك الوُدَّ لم أبت   خلافك حتى ننطوى فى الثرى معا

ومن أحسن ماقيل فى بقايا آثار الميت قول الحسين بن مطير (٢) :

فـتى عِيشَ فى معروفهِ بعدَ موْتهِ   كما كانَ بعدَ السيلِ مجراه مرتعا

---

(١) لعله (وبت) . (٢) فى الاصل (الحسن) وهو شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، تقدم في القصيد والرجز فصيح .

وفى هذه القصيدة :

أيا قبرَ معنٍ كنت أولَ حفرةٍ من الأرض خطتْ للسماحة مضجعا
ويا قبرَ معن كيفَ واريتَ شخصه ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدعا
فلما مضى معنٌ مضى الجودُ والندى وأصبحَ عرنينُ المكارم أجدعا

وأنا أقول إن هذه الأبيات أرثى ماقيل في الجاهلية والاسلام .

وقالوا أرثى بيت قيل قول مهلهل فى كليب :

نبئتُ أنَّ النارَ بعدك أوقدتْ واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ
وتكلموا فى أمرِ كلِّ عظيمةٍ لو كنتَ شاهدهم إذاً لم ينبسوا

وكان كليب اذا أوقد ناراً لم يوقد أحدٌ ناراً ولم ينزل ضيفٌ الا عليه واذا جلس مجلساً لم يتكلم فيه أحد إلا هو .

وقالوا أحسن ماقيل فى المراثى قول متمم بن نويرة فى أخيه مالك :

وكنا كندمانى جُذيمةَ حقبةً من الدهرِ حتى قيلَ لن نتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطولِ اجتماع لم نبت ليلة معا

وليس في المحدثين أحسن مراثى من أبى تمام فمن ذلك قوله :

غدا غدوة والحمد [1] نسج ردائه فلم ينصرفْ إلا وأكفانه الأجرُ [2]
فأثبتَ فى مستنقع الموتِ رجلهُ وقالَ لها من تحتِ أخمصك الحشر
فتى ماتَ بينَ الضرب والطعن ميتة تقومُ مقام النصرِ ان فاته النصرُ
فتى سلبته الخيل وهو لها حِمى وبزَّتهُ نارُ الحربِ وهو لها جمر
كأنَّ بنى نبهانَ يومَ وفاته نجوم سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ
مضى طاهر الاثوابِ لم تبقَ روضةٌ غداةَ ثوى إلا اشتهتْ انها قبرُ
وكيف احتمالى للسحاب [3] صنيعة بأسقائه قبراً وفى لحده البحرُ

ولولا كراهة الاطالة لاوردت القصيدة كلها إذ ليس فيها الا مختارٌ .

---

(١) في ديوان أبى تمام «والحمد» . (٢) فى الاصل (أجر) . (٣) فى الديوان (للغيوث) .

وقوله [١] في ادريس بن بدر السامي :

أإدريسُ ضاع المجدُ بعدك كله ورأى الذى يرجوهُ بعدك أضيع
وضلَّ بك المرتادُ من حيث يهتدى وضرَّتْ بك الأيام من حيث تنفع
وتبسطُ كفاً فى الخطوب [٢] كأنما أناملها فى البأسِ والجودِ أذرعُ
ولم أنسَ سعيَ الجودِ حولَ سريره باكسفِ بال يستقيم ويظلع
وقد كانَ يدعى لابس الصبر حازماً فقد صار يُدعى [٣] حازماً حين يجزع

وقوله فى بنى حميد :

عهدى بهم تستنيرُ الأرضُ ان نزلوا فيها وتجتمعُ الدُّنيا إذا اجتمعوا
ويضحكُ الدَّهرُ منهمْ عنْ غطارفة كأنَّ أيامهم منْ أنسها جُمَع
فيا الشماتة إعلاناً بأسدِ وغى أفناهمُ الصبر إذْ أبقاهم الجزع

وقوله أيضا: إذا فقدَ المفقودُ من آل مالك تقطَّعَ قلبى رحمةً للمكارم
خليليَّ من بعد الأسى والجوى قفا ولا تقفا فيضَ الدُّموع السواجم
ألمَّا فهذا مصرعُ البأس والندى وحسبكما ان قلتُ [٤] مصرع هاشم
ألمْ تريا الأيامَ كيفَ فجعننا به ثمَّ قد شاركننا في المآتم
خطوبٌ اليه من نداهُ وبأسه خلائق أوقى من سيور التمائم

وقد كثرت على محاسنه فى هذا الباب فما أدرى ما أُوردُ وما أترك . وقد أحسن القائل:

وسميته يحيي ليحيا ولم يكنْ الى ردِّ أمر اللهِ فيهِ سبيلُ
تيممتُ فيه الفالَ حين رُزقته ولم أدرِ أنَّ الفالَ فيه يفيل

وأخذ أبو تمام قول الفرزدق فى جارية له ماتت وفى بطنها غلام :

* وجفن سلاح من معدٍّ رُزئته : والبيت :

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو أنَّ الليالى انسأته لياليا

---

(١) أى قول أبى تمام . (٢) في ديوان أبى تمام « فى الحقوق » .

(٣) فى الديوان (فأصبح يدعى) . (٤) فى الديوان « وحسب البكا ان قلت » .

وكان وجه الكلام أن يقول « وفي جوفه ذو حفيظة من دارم » فقال أبو تمام وزاد زيادةً أسقط بها بيت الفرزدق حتى صار لا قيمة له معها وهو قوله في ابنين لعبد الله بن طاهر قد ماتا صغيرين في يوم واحد :

نجمان شاءَ اللهُ أن لا يطلعا ... إلا ارتدادَ الطرفِ حتى يأفلا
انَّ الفجيعةَ بالرِّياضِ نواضراً ... لأَجلُّ منها بالرياض ذوابلا
لو ينسيان لكان هذا غاربا ... للمكرُمات وكان هذا كاهلا
لهفي على تلك الشواهدِ فيهما ... لو أمهلتْ[1] حتى تكونَ شمائلا
لغدا سكونهما حجا وصباهما ... حِلماً وتلك الأريحيّةُ نائلا
انَّ الهلالَ إذا رأيتَ نموَّهُ ... أيقنتَ أن سيكونَ[2] بدراً كاملا

ثم قال يوسيه :

ان ترزَ في طرَفيْ نهارٍ واحدٍ ... رُزءين هاجا لوعة وبلابلا
فالثقل ليس مضاعفاً لمطية ... إلا إذا ماكان وهماً بازلا

ثم قال أيضاً :

شمخت[3] خلالك أن يُؤسيك امرءٌ ... أو أن تذكر[4] ناسياً أو غافلا
إلا مواعظ قادها لك سمحة ... اسجاح لبك سامعاً أو قائلا
هل تكافُ الأيدى بهزّ مُهنّدٍ ... إلا إذا كان الحسام الفاصلا

وقالوا ليس للعرب مرثية أجود من قصيدة كعب بن سعد التي يرثي فيها أخاه أبا المغوار ويقول فيها :

أتى دونَ حلو العيش حتى أمرَّهُ ... نُكوبٌ على آثارهنَّ نُكوب
هوتْ أمهُ ما يبعثُ الصبح غاديا ... وماذا يؤدى الليل حينَ يؤوب
حليمٌ إذا ما الحلم زيّن أهله ... مع العلم في عين العدوِّ مهيب

---

(١) في الأصل « قد أمهلت » . (٢) في ديوان أبي تمام «سيعودَ» .
(٣) في الأصل (سمحت) . (٤) في الأصل (أو كان يذكر) .

هوتْ أمهُ ماذا تضمنَ رحلهُ ... من الجودِ والمعروفِ حينَ ينوبُ
فتى أريحيٌّ كيف يهتزُّ للندى ... كما اهتزَّ من ماءِ الحديد قضيب
حليفُ الندَى يدعو الندَى فيجيبه ... قريباً ويدعوه النَدَى فيجيب
فانْ تكن الأيامُ أحسنَّ مرَّةً ... اليَّ فقد عادتْ لهنَّ ذنوبُ
وحدَّثتمانى انمـا الموتُ بالقرى ... فكيف وهذى هضبةٌ وكثيب
وقال فيها: وداعٍ دعا نا من يجيب الى الندى ... فلما يجبه عند ذاك مجيب
فقلت ادعُ أخرى وارفض[1] الصوتَ مسمعا ... لعـلَّ أبا المغوار منك قريبُ

ومن عجيب المراثى قول الرقاشي فى البرامكة :

الآن استرحنا واستراحتْ ركابنا ... وقلَّ الذى يجدى ومن كان يجتدى
فقلْ للمطايا قد أمنتِ من السُّرَى ... وطيِّ الفيافي فدفداً بعد فدفدِ
وقلْ للمنايا قد ظفرتِ بجعفر ... ولن تظفرى من بعدهِ بمسوَّدِ
وقلْ للعطايا بعدَ فضل تعطلى ... وقل للرزايا كلَّ يوم تجدَّدى
ودونك سيفاً برمكياً مُهنّداً ... أصيبَ بسيفِ الهاشمىّ المهندِ

ومن جيد المراثى قول الآخر :

سأبكيك للدُّنيا وللدِّين انَّنى ... رأيت يدَ المعروفِ بعدك شُلَّتِ
ربيعٌ إذا ضنَّ الغمامُ بمائه ... وليثٌ إذا ماالمشرفيةُ سُلَّتِ

وقد أحسن أبو الحسن بن الانبارى القول فى ابن بقية[2] حين صُلب :

عُلوٌّ في الحياةِ وفى المماتِ ... بحقٍ أنتَ[3] احدى المعجزات
كأنَّ الناسَ بعدكَ حينَ قاموا ... وفودٌ نداكَ أيامَ الصِّلاتِ

وهذا البيت مأخوذٌ من قول ابن المعتز في عبد الله بنَ سليمان حين توفي :

وصلوا عليه خاشعين كأنهم ... قيامٌ خضوعٌ للسلام عليه

---

(١) المعروف «وارفع الصوت» . (٢) كان براً جواداً ، نقم عليه عز الدولة أمراً فقبض عليه وسمل عينيه ، ولما ملك عضد الدولة صلبه (٣) وفى رواية (لحقٌ تلك) .

كأنك قائمٌ فيهمْ خطيباً · وكلهمُ قِيامٌ للصَّلاتِ
مددتَ يديك نحوهمُ جميعا · كمدِّكها اليهمْ بالهباتِ
ولما ضاقَ بطنُ الأرض عن أن · يضمّ عُلاكَ من بعـدِ المماتِ
أصاروا الجوَّقبرَك واستنابوا[1] · عن الأكفان ثوبَ السافياتِ
فلم أرَ قبلَ جذعك قطُّ جذعاً · تمكنَ من عناقِ المكرُماتِ

ومن جيد ماقيل فى عظم شأن الميت قول ابن المعتز:

هذا أبو القاسم فى نعشهِ · قوموا انظرُوا كيف تزُولُ الجبال

وقول أبى تمام :

بني مالك قد نبهت خاملَ الثرى · قبورٌ لـكم مستشرفات[2] المعالم
رواكد قيد[3] الكفّ من متناول · وفيها عُلاً لايُرتقى بالسلالم
وقلت: سائلِ القبرَ كيفَ أضمرتَ قدساً · وأباناً ويذبلاً وحـراءَ
من رأى البدرَ بالتراب توارَى · أوعلى ذروةِ النعـوشِ تراءَي

وقال ابن المعتز وأحسن :

تعالوا نَزُرْ قبرَ السماحة والرِّفد · ولانعتذرْ من دمع عينٍ على خدّ
لقد عشتَ لم يعلقْ بفعلك ذِمَّـةٌ · ومُتَّ على رغمِ المحامدِ والمجدِ

وقال أيضا :

ألستَ ترى موتَ العلى والمحامد · وكيفَ دفنّا الخلقَ فى قبر واحد
وللدّهرِ أيامٌ يُسئنَ عوامداً · ويحسنَّ ان أحسنَّ غيرَ عوامدِ

وقال دعبل بن على الخُزاعى :

حنَّطتَهُ يا نصرُ بالكافور · ورفعتَهُ للمنزلِ المهجور
هلا ببعض خلالهِ حنَّطتهُ · فيضوعُ أفقُ منازلٍ وقبورِ

(١) فى رواية (واستعاضوا) . (٢) في الأصل (وذا كم مشرفات) .
(٣) فى الأصل (رواكد قيس) .

وقلت: على الرغم من أنف المكارم والعلى   غدتْ داره قفراً ومغناه بلقعا
ألم ترَ أن البأسَ أصبحَ بعدَهُ   أشلَّ وأنَّ الجودَ أصبحَ أجدعا
فمرا على قبرِ المسوَّدِ وانظرا   الى المجدِ والعلياءِ كيف تخشعا
فان يكُ واراه الترابُ فكبّرا   على الجودِ والمعروفِ والفضلِ أربعا
ولاتسأما نَوْحاً عليهِ مُكرَّراً   ونوحاً لفقد العارفات مُرجّعا
فما كان قيسٌ هلكهُ هلك واحد   ولكنه بنيانُ قوم تضعضعا
ولاتحسبا أنى أواريهِ وحدَهُ   ولكننى واريتهُ والندَى معا

ومن بارع المراثى قول ديك الجن الحمصى:

ماتَ حبيبٌ فماتَ ليثٌ   وغاضَ بحرٌ وباخَ نجمُ
سَمَتْ عيونُ الردَى إليهِ   وهى إلى المكرُماتِ تسمو
ماأمكِ اجتاحتِ المنايا   كلُّ فؤاد عليكِ أمُّ

ومما جاءَ فى صفة القبر قول الشاعر:

وَرسمُ دار مُقفر الجنابِ   يزدادُ عمراناً على الخراب

وقالوا أصدق ماقيل فى صفة الدنيا قول أبى نواس:

إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشفتْ   له عن عدوٍ فى ثيابِ صديق

وهو مأخوذٌ من قول جرير فى وصف النساء:

دعينَ الهوى ثم ارتمينَ قلوبنا   بأسهم أعداءٍ وهُنَّ صديق

وقالوا بل أصدق ماقيل فى صفة الدنيا قول الأول:

حتوفها رصدٌ وعيشها نكدٌ   وصفوها رنقٌ وملكها دول

وقلت: مابالُ نفسك لاتهوَى سلامتَها   فأنت فى عَرَضِ الدنيا ترغبها
دارٌ إذا أتت الآمالُ تعمرها   جاءت مقدمةُ الآجالِ تخربها
أصبحت تطلب دنيا لست تدركها   فكيف تُدرك أخرى لست تطلبها

ومن جيد ماقيل فى الزهد قول ابن المعتز:

نسيرُ إلى الآجال فى كلّ لحظة ... وأيامُنا تطوَى وهُنّ مراحل
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه ... إذا ما تخطته الأمانىُّ باطل
وقلت: ألستَ ترى موتَ العلا والفضائل ... وكيفَ غروبُ النجم بين الجنادل
فما المنايا أغفلتْ كلَّ ناقص ... ونقبنَ فى الآفاقِ عن كلّ فاضل
على الرَّغم من أنفِ العلا سبقَ الردى ... بكلِّ كريم الفعل حرِ الشمائل
على أنَّ من أبقتهُ ليسَ بخالدٍ ... وليسَ امرؤٌ يرجو الخلودَ بعاقل
رأيتُ المنايا بينَ غادٍ ورائح ... فما للبرايا بينَ ساه وغافل
ولم أرَ كالدنيا حبيباً مُضرةً ... ولم أر مثل الموتِ حقاً كباطل

وقال ابن المعتز :

كم بدارِ الموتِ من ذى إربة ... عجزت منهُ على الموتِ الحيلْ
ومُلوكٍ بليتْ أيديهم ... ولقد كانتْ مطايا للقبلْ

وقلت: فتعجبتُ كيفَ لانحذرُ المو ... تَ وأنفاسنا خطانا اليه

وقرأت للجاحظ كلاماً مفقود النظير معدوم الشبيه لا أعرف لأحد مثله وهو : أيها المستدل على أمور الدنيا كفاك بها على نفسها دليلاً ويومها لك من غدها تشبيهاً وتمثيلاً تالله لقد أطلعتك بمؤتلفاتها على حدوث تأليفها وأثبتت لك الصانع بآثار صنعته فيها ووقفتك على معرفة كمالها بما توافى فيك من أجزائها ودلتك بتحليل المركبات فيها على انحلال تركيبها . ووقفتك بقطع الشمس والقمر قطرها على إدبارها وانقطاعها فكشف لك انتهاء حدودها عن تناهى أمدها وأبان لك دؤوبُ اطراد نهارها وليلها وتتابع دوران بروجها ونجومها وتعاقب أزمنة بردها وحرها واعتدالها وحركات نيرانها ورياحها ومياهها أنها مسوقة محثوثة إلى أمدها كما تحث براياها بالأوقات الجازية إلى آجالها . ثم قال وتحدث ماتخوفك به طوارق أحداثها وتوطنك على إيطان جثمانها حدثا من أحداثها لاتمسك منها بعروة إلاشهدت على أشكالها فأية نصيحة أصدقُ لك من نصيحتها أو عظة أشفى

وأبلغ من عظتها أو شهادة أصح وأعدل من شهادتها بالفناء على نفسها ، ألم تر أجزاءها مؤتلفة بالاجتماع مختلفة بالطباع يهلك بعضها بعضاً ويعود إبرامها نقضاً ، فيا ناسياً للصخر وتهدمه وللحديد وتثلمه واثقاً ببقاء لحمه ودمه ومساعفاً لشبقه وقرمه اذكر أن جسدك وشيكا مفارقك وأنه وإن جددته مخلقك وأنك تطلقه في شهواته ويوثقك وتبقى عليه من التعب ويوبقك ففيم تشتغل به عن مصلحتك وعلام تتكل في عقبيك ـ إلى أن قال وتقوى على الزهد فيما يتنافسه الجهال بذكر الموت وفجأته وبغتاته ووضوح آياته وغموض ميقاته وانخذال الحالة عن دفعه ويأس النفوس من منعه عند غوصه عليها في الابدان وتخليله لها من الأعظم والأعصاب والعروق واللحم والاهاب حتى يسوقها من الاغماض والأوصال سياق رهاق مضيق للخناق محقق للفراق مؤيس من التلاق عند إحساسه بموت جسده عضواً فعضوا وفقدان قوته جزءاً اجزءاً وهي تمرح في الصدر حشرجة وفي الجوانح رجرجة وفي اللهوات غرغرة وفي الحلقوم خرخرة بالنزع الجاذب والعلز الكاذب والفواق الدائب والانفاس الذواهب فهناك تنفس الصعداء وتوقد البرحاء وفي سمعه وبصره بقية يرمق بها أولاده يتامى ونساءه أيامى وأمواله نهبى وجموعه شتى ووجوه الشامتين به مشرقة والدموع من أحبته مستبقة والجيوب عليه مشققة والشعور مقطمة والخدود باللطم مبقعة وذلك غير عائد عليه ولا عليهم بمنفعة في كلام طويل .

ومن جيد ماقيل في إفضاء السلامة بصاحبها الى الهلاك قول النمر بن تولب :

تدارك ماقبل الشباب وبعدَهُ حوادث أيام تمرُّ وتغفلُ
يودُّ الفتى طولَ السلامةِ والغنى فكيفَ ترى طولَ السلامة تعقل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوءُ اذا دام القيام ويحملُ

وقيل لرجل من الاوائل : ما كان سبب موت أخيك ؟ قال كونه فأحسن ماشاء .

وقال بعضهم في معناه :

مابالُ من آفته بقاؤهُ نغصَ عيشي كلهُ فناؤُهُ

وقال آخر في نحوه :

فانَّ الداء أكثر ماتراهُ من الأشياء تحلو في الحلوق

ومن جيد ماقيل في موت الولد قول ابن الرُّومي :

بكاؤكما يشفي وإنْ كانَ لايجدي فجودا فقداً ودَى نظيرُكما عندي

توفى حمامُ الموتِ أوسطَ صبيتي فلله كيفَ اختارَ واسطةَ العقدِ

طواهُ الرَّدَى عني فأضحى مَزاره بعيداً على قرب قريباً على البعدِ

عجبت لقلبي كيفَ لم ينفطرْ له ولو أنه أقسى من الحجر الصَّلد

وماسرَّني أن بعته بثوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلد

ولا بعته طوعاً ولكنْ غصبته وليسَ على ظلم الحوادثِ من مُعدى

وأما موت الأخ فقدروينا فيه خبراً مليحاً أخبرنا به أبوطاهر محمد بن يوسف قال أخبرنا أبو الحسن على بن محمد بن بكر قال حدثنا أيوب بن سليمان قال حدثني يوسف قال حدثنا صهيب بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا إسماعيل ابن عياش عن عبد الله بن دينار قال قدم لقمن من سفرٍ فلقى غلاماً له فقال له مافعل أبي؟ قال مات قال ملكت أمري فما فعلت أمي؟ قال ماتت قال ذهب همي قال فما فعلت أختي؟ قال ماتت قال سترت عورتي قال فما فعلت امرأتي؟ قال ماتت قال جدد فراشي قال فما فعل أخي؟ قال مات قال: أوه انقطع ظهري انتهى.

وذكر قدامة بن جعفر أن أباجعفر المنصور لمادفن ابنه جعفر الاصغر قال للربيع كيف قال مطيع بن إياس فأنشده :

ياأهل بكوا لقلبيَ القرِح وللدُّموع الذوارفِ السفح

راحوا بيحيي ولو تطاوعني الأقدار لم تبتكر ولم ترح

ياخير من يحسن البكاء له اليومَ ومنْ كانَ أمس للمدح

قد ثمت الحزن بالسرور وقد أديل مكروهه من الفرح

فبكى المنصور ثم قال : صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر ، ثم أذن للناس فدخلوا ونصبت الموائد فلم يقدر أن يمدّ يده من الجزع الذى كان خامره فقام شبيب بن شيبة فأنشده قول الثقفى في ابنه على وكان شرطة عبيد الله بن العباس باليمن فقتله بشر بن أرطاة فقال يرثيه :

لعمرى لقد أودى ابنُ أرطاةَ فارساً بصنعاءَ والليث الهزبر أبى الأجر
تأملْ فان كانَ البكا رَدَّ هالكاً على أحدٍ فاجهدْ بُكاك على عمرِو

فسرّى عنه وأكل مع الناس ورفع الحزن مع رفع الطعام .

ومن عجيب المراثى قول الأشجع :

مضى ابن سعيد حين لم يبقَ مَشرقٌ ولا مغربٌ إلا لهُ فيهِ مادحُ
وما كنتُ أدرى مافواضلُ كفه على الناسِ حتى غيبتهُ الصفائحُ
فأصبحَ فى لحدٍ من الأرضِ ميتاً وكانَ بهِ حياً تضيقُ الأباطحُ
سأبكيك مافاضتْ دُموعى وإن تغض فحسبك منى ما تجنُّ الجوانحُ
كأنْ لم يمتْ حىٌّ سِواكَ ولم تقمْ على أحدٍ إلا عليكَ النوائحُ
لئن حسنتْ فيك المراثى وقيلها لقد حسنتْ من قبلُ فيك المدائحُ
وما أنا من رزءٍ وإن جلّ جازعٌ ولا بسرورٍ بعدَ موتك فارحُ

وأنشدنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم قال أنشدنا العقدى قال أنشدنا أبو جعفر عن المدائنى لعرفجة بن شريك يرثى أوساً :

رأيتُ المنايا تصطفى سَرَواتنا كأنَّ المنايا تبتغي من تفاخِره
فما كانَ قيسٌ عاجزاً غير انهُ حمى أنفه من أن يضيعَ مجاورُه
وطابَ لوردِ الموتِ نفساً ولم يخمْ وقد ضاقَ بالنكس اللئيم مصادرُه
فصادفَ رق الموت حراً مميدعاً إذا سئلَ المعروفَ لانت مكاسره
حمى أنفه أوس ولم يثن وجهــهُ ويفنى الحياءُ المرءَ والرمح شاجره

ومن ههنا أخذ أبو تمام قوله :

وقد كانَ فوتُ الموتِ سهلاً فردَّهُ عليهِ الحفاظ المرُّ والخلقُ الوعر

وعزى ابن السماك الرشيد عن ابن له مات فقال : أما بعد فان استطعت أن يكون شكرك لله حين أخذه أكثر من شكرك لله حين وهبه فافعل فانه حين قبضه أحرز لك هبته ولو بقى لم تسلم من فتنته ، عجباً لجزعك على ذهابه وتلهفك على فراقه أرضيت الدار لنفسك فترضاها لولدك أما هو فقد خلص من الكدر وبقيت معلقاً بالخطر والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يحصى عدده ولا يبلغ أمده ، وصلواته على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين المختارين وسلم .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى صفة أشياء مختلفة يختم بها كتاب ديوان المعانى وهو :)

﴿ الباب الثانى عشر منه فأول ذلك ﴾

﴿ القول فى الحنين إلى الأوطان ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال أبو سرح سمعني أبو دُلف أنشد :

لا يمنعنك خفض العيش فى دعةٍ نزوع نفس إلى أهل وأوطانِ

تلقى بكلٍّ بلادٍ أنتَ ساكنها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران

فقال: هذا ألأم بيت قالته العرب . قال أبو هلال رحمه الله: النزوع ههنا رديء والجيد النزاع، وإنما جعل أبو دلف هذا البيت ألأم بيت لأنه يدل على قلة رعاية وشدة قساوة وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد لما فيه من الدلائل على كرم الطينة وتمام العقل. وقالت الحكماء: حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد. وقال بزرجمهر: من أمارات العاقل بره بأخوانه وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه. وقال أعرابي: لا تشك بلداً فيه قبائلك ولا تجف أرضاً فيه قوابلك. وقالت العرب: أكرم الخيل أشدها خوفا (١) من السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها وأكرم الناس آلفهم للناس. وقد بين الله تعالى فضل الوطن وكلف النفوس به في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) فجعل خروجهم من ديارهم كفؤ قتلهم لأنفسهم ومنه قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) وقوله تعالى (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) فجعل إخراجه إياهم من ديارهم بدلاً من العذاب المستأصل لهم لشبهه به عندهم. وقال بعض الحكماء: الخروج من الوطن أحد السبابين والجلاء أحد القتلين. وقال يحيى بن أبي طالب:

إذا ارتحلتْ نحو اليمامة رفقةٌ ... دعاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكر

يقولونَ إنَّ الهجرَ يشفي من الهوى ... وما ازددتُ إلا ضعف ما بي على الهجر

وكان كثيرٌ من العرب ممن يعتزي الى فضل كرم لا ينتجعون وكذلك كانت قريش. وقال الحارث بن ظالم:

رفعتُ الرُّمح (٢) اذ قالوا قريشٌ ... وشبهت الشمائل والقبابا (٣)

---

(١) سقط من الأصل «خوفا» أوما بمعناها . (٢) في الأغاني «السيف» .

(٣) في الأغاني «وبينت الشمائل والعتابا»

ولو أنى أطاوعُ كنتُ فيهم وما سيرتُ أتبع السحايا

وقال الحويدرة [١] .

وتقيمُ فى دار الحفاظ بيوتنا زمناً ويظعنُ غيرنا للأمرع

والأمرع جمع لاواحد له من لفظه ، وكانوا يسمون منزلهم دار الحفاظ لأنهم كانوا يقيمون فيه لقرى الأضياف وإعطاء الفقير وصلة المسكين وابن السبيل .

وقال أبو تمام : كم منزل فى الارض يألفهُ الفتى وحنينهُ أبداً لاول منزل

وقد قالت الهند : حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك لان غذاءك منهما وغذاءهما منك . وقال آخر : أرض الرجل ظئره وداره مهده . وقال آخر : الحنين الى الوطن من رقة القلب ورقة القلب من الرعاية والرعاية من الرحمة والرحمة من كرم الفطرة وكرم الفطرة من طهارة الرشدة وطهارة الرشدة من كرم المحتد قال الشاعر :

لقربُ الدار في الاقتار خيرٌ من العيش المُوسّع في اغتراب

وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم أهله كما تتقوت الحبة ببل المطر إذا أصاب الارض . وقال أفلاطن : غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها . وقال : يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها . وقلنا : ليس الانسان أقنع بشيء منه بوطنه لانه يتبرم بكل شيء ردىء ويتذمم من كل شيء كريه إلا من وطنه وان كان ردىء التربة كريه الغذاء ولولا حب الناس للاوطان لخرب أخابث الارض والبلدان ، قال الشاعر :

ألا ليت شعرى هل تحننّ ناقتى بصحراء من نجران ذات ثرى جعد

وهل تنفضنّ الريحُ أفنانَ لمتى على لاحقِ الاطلين مطمر ورد

وهل أردن الدهر حسى مزاحم وقد ضربتْهُ نفحةٌ من صبا نجد

وذكر ابن الرومى العلة التى يحب الوطن لاجلها وليس له فى ذلك امام إلا

---

(١) في الاصل «الخويدرة» بالخاء المعجمة وهو غلط ، ويقال له الحادرة لقب غلب عليه، والحويدرة تصغيره (والحادرة الضخم) واسمه قطبة الثعلبي وهو شاعر جاهلي مقل .

أحمد بن اسحق الموصلي فانه قال :

أحبُّ الارضَ تسكنها سليمى — وان كانتْ بواديها الجدوب
وما دهرى يحب تراب أرض — ولكنْ من يحلُّ بها حبيبُ

وقال ابن الرومي :

ولى وطنٌ آليتُ أن لاأبيعهُ — وألا أرى غيرى له الدهرَ مالكا
عهدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً — كنعمةِ قوم أصبحوا فى ظلالكا
فقد ألفتهُ النفسُ حتى كأنهُ — لها جسدٌ لولاهُ غودرْتُ هالكا
وحبّبَ أوطانَ الرجال إليهم — مآربُ قضاها الشباب هُنالكا
إذا ذكروا أوطانهمْ ذكّرتهمُ — عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا
وقد ضامنى فيها اللئيم وغرّنى — وها أنا منهُ معصمٌ بحبالكا
فان أخطأتنى من يمينك نعمة — فلا تخطئنه نقمةٌ من شمالكا

وقلت فى نحو من ذلك :

ثوَى فى حفرةِ العانات يمنٌ — تغاغل في المنازلِ والرِّباع
وإن تهوَ البقاع فليس غرواً — هوى أهل البقاع هوى البقاع

وقال ابن الرومى :

فاذا تصوَّر فى الضمير وجدتهُ — وعليه أفنانُ الشباب تميدُ

وقيل لاعرابي كيف تصنع بالبادية إذا اشتدّ القيظ وانتعل كل شيء ظلّه ؟ فقال وهل العيش إلا ذاكِ يمشى أحدُنا ميلا ويرفضّ عرقاً ثم ينصبُ عصاه ويلقى عليها كساءه ويجْلس يكتال الريح فكأنّه فى إيوان كسرى . وذكر أعرابيٌّ بلدهُ فقال رملةٌ كنتُ جنين ركامها ورضيع غمامها . وقالت أعرابيةٌ : إذا كنت فى غير أهلك فلا تنس نصيبك من الذلّ . وقال الشاعر في معناه * نصيبك من ذلّ إذا كنت خاليا * وقلت :

حسبتُ الخيرَ يكثر فى التنائي — فكانَ الخيرُ أكثر فى التداني

ذكرتُ مقامنا بسراة حزوى فسرت مع الوساوس فى عنان
ألا لله حزمٌ واصطبارٌ تقاسمهُ بنياتُ الزّمان
عزيزٌ أضمرتهُ نوى شطون فظلّ من المهانةِ فى ضمان
يناطُ إلى العزيزِ إذا تبوّى بمنزل غربةٍ طرف الهوان

وقال آخر : يحنّ اللبيبُ إلى وطنه كما يحنّ النجيب إلى عطنه . وقلت :

إذا أنا لا (١) أشتاقُ أرض عشيرتى فليسَ مكانى فى النهى بمكين
من العقل أن أشتاقَ أوّلَ منزلٍ عنيتُ بخفضٍ فى ذُراهُ ولين
ورَوْض رعاهُ بالاصائل ناظرى وغصن ثناهُ بالغداةِ يمينى

وقال ابن المولى :

سُرِرتُ بجعفرٍ والقرب منه كما سُرّ المسافر بالاياب
كممطور ببلدته فأضحى غنياً عنْ مطالعة السحابِ

وهو من قول الآخر :

فكنتُ فيهمْ كممطور ببلدتهِ فسرّ أن جمعَ الاوطانَ والمطرا

وفضّل بعضهم السفر على المقام واحتج بقول الله تعالى (عَلِمَ أنْ سَيَكُون مِنْكُمْ مَرْضَى وآخَرُونَ يَضرِبُونَ فِى الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فى سَبِيلِ اللهِ) قال فقسم الحاجات فجعل أكثرها في البُعد ، وقال تعالى (فاذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فانْتَشِرُوا فى الأَرْضِ وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) قال فأخرج الكلام مخرج العموم ولم يخص أرضاً دون أرضٍ ولاقرباً دون بعد ، ويُنشد فى هذا المعنى قول أبى تمام :

وطول مُقام المرءِ في الحيّ مخلقٌ لديباجتيهِ فاغتربْ تتجدد
فانى رأيتُ الشمسَ زِيدتْ محبةً إلى الناس اذليستْ عليهم بسرمد

وقال(٢) فى الحث على الأسفار والطلب والتزهيد في المقام والدعة : الراحة

---

(١) في الأصل « لم » ويصح « لم أشتق لأرض » . (٢) كذا .

عقلة والبركات في الحركات ومن غلى دماغه في الصيف غلت قدره في الشتاء .

وقال عبد الله بن وهب : حبُّ الهوينا يكسب الضنى ، وقال أبو المعافى :

وانَّ التوانى أنكحَ العجزَ بنته وساقَ اليها حينَ أنكحها مهرا

فراشاً وطيئاً ثمَّ قال لها اتكى فقُصرا كالا بُدَّ أن تلد الفقرا

وقال نُهيك بن أساف :

أأُمَّ نُهيك إرفعى الطرفَ صادقاً (١) ولا تيأسِى أن يثرىَ الدهر بائس

سيغنيك سعيى (٢) فى البلادِ وغربتى (٣) وبعل التى لم تحظَ فى البيتِ (٤) جالس

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دُريد عن أبى حاتم عن الأصمعى قال قال أكثم بن صيفى : مايودنى أنى مكفى وأنى أسمنت وألينت، قيل ولم ذاك قال مخافة عادة العجز.

وفي الحديث المرفوع « سافروا تغنموا (٥) » وقال الشاعر وذمّ طول الضجعة :

فان تأتيانى بالشتاء وتلمسا مكان فراشى فهو بالليل بارد

وقال آخر : أبيض بسَّام بَرودٌ مضجعه واللقمةُ الفردُ مراراً تُشبعه

وقال الحطيئة يهجو القعود والراحة :

دع المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

وقال أبو عُبادة البُحترى :

وقد سألتُ فما أُعطيتُ مرغبةً وكان حقىَ أن أُعطى ولم أسل

أرمى بظنى ولا أعدو (٦) الخطاءَ به فاعجبْ لاخطاءِ رامٍ من بنى ثُعل

أسيرُ إذ كنت فى طولِ المقام بها أ كدى لعلىَ أجدى عند مُرتحلى

شرق وغرب فعهد العاهدين بما طالبت في ذملان الأينق الذمل

---

(١) فى الأغانى (صاعدا) . (٢) فى الأغانى (سيرى) . (٣) فى الأغانى (ومطلبي) . (٤) فى الأغانى (فى الحى) . (٥) روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة وزيادات لأحمد والطبرانى والحاكم وغيرهم .

(٦) فى ديوان البحترى « فما أعدو » .

ولا تقل أُممٌ شتّى ولا فرق (١) فالأرض من تربةٍ والناس من رجل

وقال بشار بن بُرد :

تخاف المنايا إذ ترحّلَ صاحبي كأنّ المنايا فى المقام يناسيه

أخذه من قول الأعشى : ٭ وكم من رد أهله لم يرم ٭ والأول أجود سبكا وأفصحُ لفظاً . وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهرى عن أبي زيد قال قال أبو الحسن كان خالد بن عبد الله القسرى يُطعم الأعراب في حطمة أصابتهم في كل يوم يُطعم ثلاثين ألف انسان خبزاً وسويقاً وتمراً فقيل لأعرابي لو أتيت خالداً فانه يُطعم الأعراب فقال :

يقولُ ابنُ حجاج تجهزْ ولا تمت هُزالا بحرّان تعاوى كِلابها
فقد خبرَ الركبان أنّ جديده تباح ورغفانا شباعاً رِغابُها
وماء فرات مااشتهيت وقرية تدبُّ دبيب النمل فيك شرابها
فأقسم لا أبتاعُ رُغفان خالد بأرواح نجد ما أقام ترابُها
إذا باحت بالعرمتين وصارةً رِياح الخزامى حينَ تندى رِحابها

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبو بكر بن دُريد قال حدثنا الفضل بن محمد العلاف قال لما قدم بُغابيتى نمير كنت كثيراً ما آتيهم فلا أعدم أن ألقى منهم الفصيح فجئت يوماً اليهم فى عقب مطر فاذا شابٌ جميلٌ قد نهكه المرض فليس به حَراكٌ وإذا هو ينشد :

ألا ياسنى برقٍ على قلل الحمى ليهنك من برقٍ علىّ كريم
لمعتَ اقتداء الطرفِ والقومُ هُجَّع فهيجت أسقاماً وأنت سقيم
فهل من مُعير طرفَ عينٍ خلية فانسانُ طرف العامرىّ كليم
رمى قلبَه البرقُ اليمانىُّ رميةً بذكر الحمى وهناً فباتَ يهيم

قال فقلت ان فيمابك لشغلاً عن الشعر قال صدقت ولكن البرق أنطقنى .

---

(١) في الأصل (شقق) .

وقال عبد الله بن محمد القعسى :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بسلع ولم تغلق على دروب
وهل أحد باد لنا وكأنه ... حصان امام المقربات جنيب
يحول(١) السراب الطلح بينى وبينه ... فيبدو لعينى تارة ويغيب
فانى لأرعى النجم حتى كأننى ... على كل نجم فى السماء رقيب
وأشتاق للبرق اليمانى إذا بدا ... وأزداد شوقاً إن تهب جنوب

وله أيضاً :

ومن حاجتى لولا الحياء وأننى ... أرى الناس قد أغروا بعيب صبا الكهل
مسيرى مع الفتيان فى طلق الهوى ... أبارى مطاياهم على سلسل رسل
فلم يبق من تلك(٢) اللذاذة عندهم ... وعندى غير الذكر للعهد والأهل

وقال أعرابى :

أمغترباً أصبحت فى رامهرمز ... ألا كل كعبى هناك غريب
إذا راح كعب مصعداً ان قلبه ... مع الرائحين المصعدين جنيب
وان الكثيب الفرد من أيمن الحمى ... ليحلو بسمعى ذكره ويطيب
تفوقت ذرات الصبا فى ظلاله ... إلى أن أتانى بالفطام مشيب
إذا هب علوى الرياح استمالنى ... كأنى لعلوى الرياح نسيب

ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

إذا عقد القضاء عليك أمراً ... فليس يحله غير القضاء
فمالك قد أقمت بدار ذل ... ودار العز واسعة الفضاء
تبلغ بالكفاف فكل شىء ... من الدنيا يؤول إلى انقضاء

وقال امرؤ القيس :

وقد طوفت في الآفاق حتى ... رضيت من السلامة بالاياب

---

(١) في الأصل (يحب) . (٢) في الأصل «ذاك» .

وقال البحترى :

وكانَ رجائى أنأؤوبَ مُمَلَّكاً   فصارَ رجائى أن أؤوب سليما

﴿ فصل فى مدح الاخوان ﴾

من أحسن التشبيه فى مدح الأخ ما[١] أنشدني أبو على بن أبى حفص عن جعفر بن محمد :

أخٌ لى كأيام الحياةِ اخاؤُهُ   تلوّن ألواناً علىّ خطوبُها
إذا عبتُ منه خلةً فهجرتهُ   دعتنى إليه خَلةٌ لاأعيبُها

وقال البحترى :

قدمتَ فأقدمْتَ الندى يحمل الرضا   إلى كلّ غضبانٍ على الدّهرِ عاتبِ
وجئت كما جاء السحابُ[٢] محرّ كا   يديك بأخلاف تفى بالسحائبِ
فعادتْ بك الأيام وهى كواكبٌ[٣]   جلا الدّهرُ منها عن خدود الكواعب
وما أنسَ لاأنسَ اجتذابك همّتى   إليك وتزيينى بأعلى[٤] المراتبِ
فياخيرَ مصحوب إذا أنا لم أقمْ   بشكرك فاعلمْ أننى شرُّ صاحب

وكتب بعضهم : لست أذم من أيامنا إلا قصرها وطول الحسرة على أثرها .

وقريبٌ من المعنى الأول قول الآخر :

خليلٌ إذا ماجئتُ أبغيه حاجةً   رجعت بما أبغى ووجهى بمائه
بلوت رجالاً بعده فى إخائهم   فما ازددت إلا رغبة فى إخائه

وقال دعبل بن على :

أخٌ لى عاداهُ الزمانُ فأصبحتْ   مذمّمة فيما لديه المطالبُ
متى ماتذوّقهُ التجاربُ صاحباً   من الناس ردته اليك التجاربُ

وقال ابراهيم بن العباس :

---

(١) «ما» ساقطة من الأصل . (٢) فى ديوان البحترى (الربيع) .
(٣) فى الديوان «الايام زهراً كأنها» . (٤) فى الديوان (وترتيبى أخص المراتب) .

ومؤمل للنائبات إذا هبَّ الزمان بأمره هبّا
لما رآنى نهب حادثة جعل الذخائر دونها نهبا

وقال أيضا :

ولكنَّ الجوادَ أبا هشام وفىُّ العهد مأمونُ المغيب
بطىءُ العهد مااستغنيت عنهُ وطلاّعٌ عليك مع الخطوب

والبيتُ الاخير يشير إلى قول جرير * وإنى لعف الفقر مشترك الغنى *

ونحوه قول إبراهيم أيضا :

أسدٌ ضارٍ إذا هيجتهُ وأبٌ برٌّ إذا ماقدرا
يعرفُ الأبعدُ إن أثرى ولا يعرفُ الأدنى إذا ما افتقرا

وقال أيضا :

ولكنَّ عبدَ الله لما حوى الغنى وصارَ له من بين اخوانه مالُ
رأى خلةً منهم تُسدُّ بمالهِ فساهمهمْ حتى استوتْ بهمُ الحال

ونحوه قوله أيضاً :

بدا حينَ أثرَى باخوانهِ ففلل عنهمْ شباه العدمْ
وذكره الحزمُ غِبَّ الأمور فبادَرَ قبلَ انتقال النعمْ

ومما هو فى هذا السبيل ما كتب بعضهم : ماشخصتُ حتى شخص عقلى فصار عديلك واستقل ودى فأضحى زميلك ولا مطمع لى في مستقرهما حتى تستقر النوى بك وتحقق الأمانى فيك ولك . وقال أبو تمام :

ليالى نحنُ فى غفلات عيش[(١)] كأنَّ الدَّهرَ منها فى وثاقِ
وأياماً لنا وله[(٢)] لدانا عرِيناً[(٣)] في حواشيها الرِّقاقِ

وفى هذا الموضع أيضاً قوله :

---

(١) في ديوان أبي تمام «سنبكى بعده غفلات عيش» . (٢) في الأصل «ولهم» .
(٣) فى الأصل «عريبا»

أأيامنا ما كنتِ إلا مواهباً ... وكنت باسعاف الحبيبِ حبائبا
سنغربُ تجديداً لعهدك في البكا ... فما كنتِ في الأيام إلا غرائبا

وقلت في فضل الصديق على القريب :

رأيتُ بالودِّ عن القربى غنى ... وليسَ بالقربى عن الودِّ غنى
وصاحب الودِّ(١) حُسامٌ منتضى ... يزينُ في السلم ويكفى في الوغى

وقلت أيضاً في قوله :

ليسَ حدُّ الحسام أكفى وأغنى ... من أخ ذي كفاية وغناءِ
وأخُ المرءِ عصمةٌ في بلاءٍ ... يعتريهِ وزينةٌ في الرخاءِ

وقال شبيب بن البرصاء :

إذا المرءُ أغراه الصديقُ بدالهُ ... بأرض الأعادي بعض ألوانها الربد

ومن أجود ماقيل في الاغضاء عن الأخ قول النابغة :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمّهُ ... على شعث أيُّ الرجالِ المهذبُ

وقال بشار بن برد :

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ معاتبا ... صديقك لم تلقَ الذى لاتعاتبه
فعشْ واحداً أو صِلْ أخاك فانهُ ... مُقارفُ ذنب مرّةً ومجانبه
إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القذى ... ظمئتَ وأيُّ الناس تصفو مشاربه

وقال آخر : إلبس أخاك على تصنّعه ... فلربَّ مُفتضح على النص
ما ظلتُ أفحص عن أخي ثقة ... إلا ذممتُ عواقبَ الفحص

وقال آخر :

ومنْ ذا الذى ترضى سجاياهُ كلها ... كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معائبه

وكتب الصاحب في فصل : وتمثلت لي أخلاقك التي لولاها لم يسلس الماء ولم يرق الهواء ولم ترع الحقوقُ والذمم ولم يعرف المجد والكرم أخلاقٌ جددٌ غير

---

(١) في نسخة « الصدق » .

أخلاق لاتأخذ الأيام جدتها ولا تشهج الليالى بردتها .

ومن جيد ماقيل فى اظهار الرغبة فى الاخوان قول أبى فراس بن حمدان :

قل لاخواننا الجفاةِ رويداً　　إذ رجونا إلى احتمال الملال
ان ذاك الصدودَ من غير جُرم　　لم يدع فيَّ موضعاً للوصال
أحسنوا في وصالكم أو فسيئوا　　لا عدمناكم على كلِّ حال

وقلت فى معناه :

كم قد منحتك حسناً　　وليس منك جزاء
ترَى يضرُّك أن لوْ　　يكون منك وفاءُ
لا تبلنا بصدود　　إنَّ الصدودَ بلاءُ
بل مالنا منك بُدٌّ　　فاصنعْ بنا ماتشاءُ

وأنشدنا أبو أحمد :

اذكر أخانا تولى اللهُ صحبتهُ　　إنى وإن كنتُ لاألقاهُ ألقاهُ
الله يعلمُ أنى لستُ أذكره　　وكيفَ يذكره من ليس ينساه

وقال الخريمي :

أخٌ لي كذوب الشهدِ طعمُ إخائه　　إذا اختلفتْ بيضُ الليالى وسودُها
كأمنية الملهوفِ حزماً ونائلاً　　وعوناً على عمياءِ أمرٍ يكيدُها
له نِعمٌ عندى ضعفتُ بشكرها　　على أنهُ فى كلِّ يوم يزيدُها
تحملَ عنى شكرها فأراحنى　　وللشكر مرقاةٌ كؤودٌ صعودها

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنى أبو إسحق الشطبي قال أنشدنا حماد الرَّاوية[1] :

---

(١) هو حماد بن سابور بن المبارك ، كان عالماً بأيام العرب وأخبارها وأنسابها وأشعارها ولغاتها . ولد فى الكوفة وجال فى البادية ودخل الشام فحظى عند بنى أمية ، قال له الوليد الأموى : بم استحققت لقب الراوية ؟ قال بأنى أروى لكل شاعر تعرفه ياأمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم لا ينشدنى أحد شعراً قديماً أو محدثاً إلا

تصفحتُ إخوانى بعينٍ عنايةٍ فأصلحتُ منها كلَّ ما أفسدَ الدهرُ
وأرضاك عفو الشكر دونَ اجتهادهِ وفى دون ماأوليت ماأجتهد الشكر

ومن مليح ما قيل فى مدح الزمان :

رَقَّ الزَّمانُ لفاقتى ورثى لطولِ تحرُّقى
فأنالنى ما أشتهى وأراحَ ممـا أتقى
فلأغفرنَّ له الـكثيـــرَ من الذنوبِ السُّبَّق
حــتى جنايتـهُ بمـا فعلَ المشيب بمفرقى

﴿ فى ذم الاخوان والرفقاء ومايجرى مع ذلك ﴾

من قديم ما يروى في ذلك قول لبيد بن ربيعة :

ذهبَ الذين يُعاشُ فى أكنافهمْ وبقيت فى خلفٍ كجلدِ الأجرب

وضمَّنه جحظة البرمكى فقال :

قومٌ أحاولُ نيلهمْ فـكأنَّنى حاولتُ نتفَ الشعرِ من آنافهمْ
قمْ فاسقنيها بالـكبيرِ وغنِّنى ذَهبَ الذينَ يُعاشُ فى أكنافهمْ

وأنشدنا أبو القسم عن العُقدى عن أبى جعفر لأبى الشيص :

وصاحب كان لى وكنتُ له أشفقَ من والدٍ على ولدِ
كنا كساقٍ يمشى بهـا قـدمٌ أو كذراع نيطتْ إلى عضـدِ
حتى إذا دانت الحوادثُ منْ خطوى وحلَّ الزمانمن عقدى

ميزت القديم من المحدث ، قال فـكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثيرولـكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون الاسلام ، قال سأمتحنك فى هذا ، فأنشد حتى ضجر الوليد فوكل به من يثق بصدقه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد بذلكفأمر له بمـائة ألف درهم ـ كما في الاغانى وغيره .

أحول عني وكان ينظرُ منْ عيني ويرمي بساعدي ويدي
وكانَ لي مؤنساً وكنتُ له ليس بنا حاجةٌ الى أحدِ
حتى إذا استرفدتْ يدي يدَه كنت كمسترفدٍ يدَ الأسد

ومن جيد ماقيل في ذي الوجهين :

تعاشرُني ضحكاً كأنك ناصحٌ وعينك تُبدي أنَّ قلبك لي دوِي
لسانك لي شهدٌ وقلبك علقمٌ وشرُّك مبسوطٌ وخيرك ملتوى
أراك إذا لم أهو شيئاً هويتَه ولستَ لما أهوى من الشيء بالهوِى
عدوُّك يخشى صولتي إنْ لقيته وأنت عدوِّي ليس ذاك بمستوى
وكم موطن لولايَ طحتَ كما هوى باجرامه من قُلة النيق مُنهوى
كأنك ان قيل ابنُ عمك غانمٌ شجٍ أو عميدٌ أو أخو مغلة جوى
بدا منك غشٌّ طالما قد كتمته كما كتمت داءَ ابنها أم مُدَّوِى

وقريبٌ من ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال أخبرنا أبو ذكوان عن الرياشى قال سمعت أبا عبيدة يقول دخل رجلٌ الكوفةَ فنزل بآل عُطارد فلم يضيفوه ورأى لهم أبنيةً عاليةً فقال ارتجالاً :

تناهوا برفع الدُّور حتى كأنها جبال وما شدى بخير شعابها
فليسوا بفتيان السماحة والنَّدَى ولكن فتيانا تسوَّى ثيابها
فقدأصبحتْ أضيافُ آلِ عُطاردٍ خِماصاً مطاياها خِفافاً عيابها

ومن ذلك قول الشاعر :

لعمرى لقد أعطيتَ بُرداً وحُلةً وعراك من ثوب السماحة سالبُه
فما يكُ من خيرٍ فما تستطيعه وما يك من شرٍّ فانك صاحبه

وقال يزيد المهلبى :

فاذا غنيت فكلهم لى خاتلٌ واذا افتقرت فكلهم لى جافى

وما أكثر أحدٌ فى ذم الزمان اكثار ابراهيم بن العباس فمن جيد قوله :

كم أخ كانَ منى فلما أن رأى الدّهرَ جفانى جفانى
مُستعدٌ لي بسهم فلما أن رأى الدّهرَ رمانى رمانى

وقال غيره : إحذَرْ مودّةَ ماذِقٍ شابَ المرارةَ بالحلاوَهْ
يُحصى العيوبَ عليك ايـامَ الصداقةِ للعـداوَهْ

وقال إبراهيم :

بلوتُ الزّمانَ وأهـلَ الزّمان وكلٌّ بلومٍ وذمٍّ حقيق
فأوحشنى من صديقى الزمان وآنسنى بالعدوّ الصديق

وقوله: أخ كنتَ آوى منهُ عند ادّكاره إلى ظلّ آباءٍ من العزّ باذخ
سَعتْ نوَبُ الأيامِ بينى وبينه فأقلعنَ منا عن ظلوم وصارخ
وإنى وإعدادى لدهرى محمـداً كملتمس إطفاءَ نارٍ بنافخ

وقال بعضُ الجعفريين :

إنّ الجديدينِ فى طول اختلافهما لا يفسدانِ ولـكن أفسد الناس
فلا يغرنك أضغانٌ مُزَمـلةٌ قد يُركبُ الدبر الدامى بإحلاس

قالوا هو من قول زفر بن الحارث :

وقد ينبتُ المرعى على دِمَنِ الثرى وتبقى حزازاتُ النفوسِ كما هيا

قالوا يعـنى الرجـل يظهر لك الود ويضمر خـلافه كالنبات الحسن ينبت على القـذر فيصير رائق الظاهر خبيث الباطن ، وقال آخرون : الدمنة حيثُ تنزلُ الابلُ فتدمن بالأبوال والأبعار فلا تنبت شيئاً فاذا طال عليه العهد ونسفته الرياح وأصابته السماء نبت بعـد حين ، فيقول قد ينبت ذاك وهو مما لا ينبت ويتغير بالنبات وتبقى حزازات القلوب لا تتغير ، وهذا التفسير هو الصحيح لأن ألفاظ البيت تقتضيه والأول فاسدٌ لأنه ليس على مقتضاها .

وقال أبو فراس بن حمدان فى ذم الاخوان فأجاد :

تناسانىَ الأصحابُ إلا عُصيبة ستلحقُ بالأخرى غداً وتحولُ

فمن قبلُ كانَ الغدرُ فى الناس سبةً وذم زمان واستلام خليل
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه[1] وخلى أمير المؤمنين عقيلُ
ومن ذا الذى يبقى[2] على الدهر إنهم وانْ كثرت دعواهمُ لقليلُ
وصرنا نَرَى أنَّ المتارك محسنٌ وان خليلاً لايضرُّ وصولُ
أقلبُ طرفى لا أرى غير صاحبٍ يميلُ مع النعماءِ حيثُ تميل

وقلت: إلى كم تستمرُّ على الجفاء ولا ترعى حُقوقَ الاصدقاءِ
فمن لى أن أرَى لك مثلَ فعلى فنصبح في الودادِ على استواءِ
ألا إنى لأعرفُ كلَّ شيء سوى خلقِ الرعايةِ والوفاءِ
عريتَ من الوفاءِ وليس بدعاً لأنك قد عريتَ من الحياءِ
فان ترجع إلى الحسنى وإلا فخيرُ سبيلنا تركُ اللقاءِ
وإن كانَ التقاربُ ليس يُجدى فما الاجداءُ إلا فى التنائى

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنى ابن لنكك البصرى لنفسه يذم الزمان:

يازماناً ألبسَ الاحرارَ ذلاً ومهانَهْ
لستَ عندى بزمان إنما أنتَ زُمانَهْ

وقلت: زمانٌ كثوبِ الغولِ فيه تلوُّنٌ فأولُهُ صفوٌ وآخرُهُ كدر

وقال آخر في خلاف ذلك:

أرى حُللاً تصانُ على رجالٍ وأعراضاً تهانُ فلا تصانُ
يقولونَ الزَّمان به فسادٌ وهم فسدوا وما فسدَ الزَّمان

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد:

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته فكبَّ الأعالى بارتفاع الأسافلِ

وقال أبو السمر موسى بن سحيم:

متى ما تفكر فى الزَّمانِ وأهلهِ تقل لاعبٌ هذا وليسَ بلاعبِ

---

(١) فى ديوان أبى فراس « خليله ». (٢) في الديوان « وإن الذى يبقى ».

وأنشدنا الآخر أيضاً :

تبلدَ هـذا الدّهرفيما رَجوْته ... علـى انه فيما أحاذِره ندب

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة لمحمد بن يعقوب بن داود :

لاتعجبنك عـامتي ... فالفقرُ من تحتِ العمامهْ

والفقرُ في زمنِ اللئا ... مِ لكلّ ذى كرم علامه

وقلت فى قريب منه :

وليسَ ينفكُّ كشخانٌ يجاذبنا ... علامةُ الحرّ أن يبلى بكشخان

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه :

. ربَّ قد ضاقت النفو ... سُ وقد قلّت الحِيلْ

فلكٌ لايدورُ ... إلا بما تشتهى السفلْ

وقال أبو تمام :

على أنها الأيامُ قد صرنَ كلها ... عجائب حتى ليسَ فيها عجائبُ

ومن عادةِ الأيام أنّ صُروفَها ... إذا سرَّ منها جانبٌ ساء جانبُ

وقال قابوس بن وشمكير :

قلْ للذى بصروفِ الدّهرِ عـيّرنا ... هل عاندَ الدّهرُ إلا من له خطرُ

فانْ تكنْ نشبتْ أيدى الزمانِ بنا ... ومسّنا من تمادى بُؤسهِ ضَررُ

ففى السماءِ نجومٌ غير ذى عدد[1] ... وليسَ يكسَفُ إلاالشمسُ والقمر

أما ترى البحرَ يعلو فوقه جيفٌ ... وتستقرُّ بأقصى قعره الدُّرَر

وقريبٌ من هذا ماقلته :

إن كنت تسلم من شغب الزمان ولا ... أعطى السلامة منه كلما شغبا

فالعاصفاتُ إذا مرّتْ على شجرٍ ... حطمنه وتركن البقلَ والعشبا

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكى لنفسه في المعنى الأول :

(١) وفي رواية « لاعداد لها » .

يقولونَ زُرناواقضِ واجبَ حقنا وقد أسقطتْ حالى حقوقهمُ عنى
إذا أبصروا حالى ولم يأنفوا لها ولا لهم منها أنفتُ لهم منّى

وأنشدنا أبو على بن أبى حفص قال أنشدنى أبوجعفر للعطوى (١) :

لىَ خمسونَ صديقاً بين قاضٍ وأمير
لبسوا الوفرَ فلم أخلع بهمْ ثوبَ الفقير
كلهمْ كالَ لىَ الحر مانَ بالصاع الكبير

ومن ههنا أخذ ابن الرومى قوله :

سألتُ قفيزينِ من حنطة فجدتَ بكُرٍّ من المنع وافي

وقد تقدم . وقلت :

أليس صعباً أن ترى كاشحاً مالك بُدٌّ من مداراته
أصبحت في دار إساآته أعداد أنفاسى وساءاته

وأنشدنى عم أبى لأبى الأسد الدينورى (٢) :

ليتك أدّبتني بواحدة تُقنعنى منك آخرَ الأبدِ
تحلفُ لى لاتبرّني (٣) أبداً فانّ فيها برداً على كبدى
اشف فؤادى منى فانّ به علىّ قرحاً (٤) نكأته بيَدى
ان كانَ رزقى اليك فارم به فى ناظرى حيةٍ على رصدِ
فكيفَ أخطأت لاأصبت ولا نهضت من عثرة الى سدد

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بصرىالمولد والمنشأ ، كان كاتباً شاعراً فى الدولة العباسية ، له فن من الشعر لم يسبق إليه ذهب فيه الى مذهب أهل الكلام ففارق جميع نظرائه وخفشعره وروى واستعمله الكتاب وجعلوه إماماً .

(٢) شاعر مطبوع من بنى شيبان متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية كان مداحاً هجاءً مليح النوادر . (٣) في الأغانى « تحلف أن لاتبرني» .

(٤) فى الأغاني (مني جرحاً نكأته) .

لو كنت حراً كما زعمت وقد ... كددتني بالمطال لم أعد
لكنني عدت ثم عدت فان ... عدت إلى مثل هذه فعد
قد صرت من سوء مابليت به ... أكنى أبا الكلب لاأبا الاسد
وقلت: العين تذرف والفؤاد يذوب ... والوجد يحضر والعزاء يغيب
ولقلة الكرماء أنت مضيع ... ولكثرة الجهال أنت غريب
تالله لم تخطئك أسباب الغنى ... إلا لأنك عاقل وأديب
فاصبر فقد عزاك عن درك الغنى ... أن ليس يدركه أغر نجيب
عابوا قطوبي ان تعذر مطلبي ... أرأيت بدراً ليس فيه قطوب
وشحوب جسمي من مواصلة السرى ... هل من هلال ليس فيه شحوب
ولقد يدل على كمال كرامتي ... أني الى قلب الكريم حبيب
ولقد جلا حزني وفرج كربتي ... أن اللئيم لرؤيتي مكروب
لاتلعبن فمن ورائك طالب ... ومن العجائب لاعب مطلوب

وقال أبو تمام:

هب من له شيء يريد حجابه ... مابال لاشيء عليه حجاب
مازال وسواسي لقلبي خادعا ... حتى رجا مطراً وليس سحاب
ما ان سمعت ولا أراني سامعاً ... يوماً بصحراء عليها باب
ماكنت أدرى لادريت بأنه ... يجري بأفنية البيوت سراب

﴿ فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز ﴾

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا ابن زكريا عن ابن دينار قال حدثنا محمد بن عبيدالله العتبي قال كلم منصور بن زياد يحيي بن خالد بن برمك فى حاجة لرجل فقال عِدهعنى قضاءهافقال وما يدعوك أعزك الله إلى العدة معوجود القدرة؟ فقال له يحيي هذا قول من لم يعرف موضع الصنائع من القلوب إن الحاجة اذا

لم يتقدمها موعد ينتظر به نجحها لم تتجاذب الأنفس بسرورها ولم تتلذذ بتناولها وإن الوعد تطعم والانجاز طعام . وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته وتمطق له وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تختم بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل وحلاوة ذوق .

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا الصولى قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي قال أخبرنا البحترى عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجةً فقال أسوفك اليوم بالوعد وأحبوك غداً بالانجاز فانى سمعت يحيى بن خالد يقول المواعيد شباك الكرام يصطادون بها محامد الاخوان وان كان المعطي لايعد لارتفعت مفاخر انجاز المواعيد وبطل فضل صدق القول . وقال عيسى بن ماهان لجلسائه انى أحب أن أهب بلا وعد وأحب أن أعد لأخرج بالانجاز من جملة المخلفين وأدخل فى عداد الوافين ويؤثر عنى كرم المنجزين فان من سبق فعله وعده وصف بكرم فرد وسقط عنه جميع ماذكرت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال أخبرنى عون بن محمد قال ذكر العتابى المأمون فقال إنه ألقح معروفه عندى بالوعد ونتجه بالتنجح وأرضعه بالزيادة وشيبه بالتعهد وهرمه باستتمامه من جهاته وهنأه بترك الامتنان به.

ومن عجيب ماجاء في الحث على الانجاز ماحدثنى به أبو أحمد عن الصولى عن يموت بن المزرع قال حدثنا عبد الصمد بن المعذل قال شكا رجلٌ جعفر بن يحيى الى أبيه بأنه وعده ومطله به . فوقّع : يابنىأنتم معاقل الاحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى فكونوا سواءً فى الأقوال والأفعال فان الحر يدخر وعد الحر ويعتقده وينفقه قبل ملكته فان أخفق أمله كان سبباً لذمه واتهامه وسوء ظنه حتى يوارى قبح ذلك وحسن تقيته فأنجز الوعد وإلا فقصر القول فانه أعذر والسلام .

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن يونس عن الحميدى عن سفيان قال سمعت الزهرى يقول : حقيق على من أزهر بالوعد أن يثمر بالفعل .

ومن جيد ما مدح به المنجز قول أبي تمام :

نؤمُّ أبا الحسين وكان قدماً فتى أعمارُ موعده قصار
تحنُّ عداته أثر التقاضى وتنتج مثل ماتنتج العشار

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المغيرة بن محمد قال كلم المأمون فى الحسين ابن الضحاك الخليع أن يردَّ عليه رزقه فقال المأمون : أليس هو القائل في الأمين :

فلا فرحَ المأمون بالملك بعدَه ولا زال فى الدُّنيا طريداً مشرَّدا

فما زالوا به حتى أذن له أن ينشده فأنشده :

أبن لى فانى قد ظمئتُ الى الوعدِ متى تُنجز الوعدَ المؤكد بالعهدِ
أُعيذك من صدِّ الملوك وقد ترَى تقطع أنفاسى عليك من الوجد
فمالى شفيعٌ عندَ حُسنك غيرهُ ولا سببٌ إلا التمسك بالوُدِّ
أيبخلُ فردِ الحسنِ فرد صفاتهِ علىّ وقد أفردته بهوى فرد

فاستحسن الناسُ هذا التشبيب فلما قال :

رأى اللهُ عبد الله خير عباده فملَّكهُ واللهُ أعلم بالعبد

قال هذه بتلك وقد عفونا عنك . فقال يا أمير المؤمنين فأتبع عفوك باحسانك فأمر بردِّ أرزاقه عليه وكانت فى كل شهر خمسمائة دينار فقال المأمونُ لولا انى نويت العفو عنه وجعلت ذلك وعداً له من قبل مافعلته ، وانما ذكر العهد في تشبيبه فذكرنيه . وماأحسن ماقاله بعضُ ملوك العجم : البخل بعد وعد يُضعف قبحه على البخل قبله فما قولك فى أمر البخل أحسن منه وأجمل .

﴿ ماقيل فى الضحك والبشر عند السؤال ﴾

أول من أتى بذلك زُهير فى قوله :

تراهُ إذا ماجئته مُتهلِّلاً كأنك مُعطيه الذى أنت سائله

ولو قال مكان « إذا ماجئتهُ » « إذا ماسألته » لكان أجود .

ومن الجيد في ذلك قول أبى نواس :

بشرهم قبل النوال اللاحق ... كالبرق يبدو قبل جود دافق
والغيث يخفى وقعه المرامق ... إن لم يجده بدليل البارق

وأخذ أبو تمام هذا فقال :

يستنزل الأمل البعيد ببشره ... بشرى المخيلة بالغيات (١) المغدق
وكذا السحائب قلما تدعو الى ... معروفها الرواد مالم تبرق

وتبعه البحترى فقال :

كانت بشاشتك الأولى التي بدأت ... بالبشر ثم اقتبلنا بعدها النعما
كالمزنة استؤنفت أولى مخيلتها ... ثم استهلت بغزر تابع الديما

وقال أبو عبدالله القطربلي قلت للبحترى وقعت دون أبي تمام في هذا المعنى فقال لعمرى ولكن سأرضيك فيه فقال في أبي الصقر :

يوليك صدر اليوم قاصية الغنى ... بفوائد (٢) قد كن أمس مواعدا
سوم السحائب مابدأن بوارقا ... فى عارض إلا ثنين رواعدا

والرعد لايكون إلا ومعه الغيث فكأنه قال إلاثنين مواطراً ثم رده فقال :

إنما البشر روضة فاذا أعقب بذلاً فروضة وغدير

وقال البحترى :

ملك عنده على كل حال ... كرم زائد على التقدير
وكأنا من وعده ونداه ... أبداً بين روضة وغدير

وقال : ضحكات في إثرهن العطايا ... وبروق السحاب قبل رعوده

وله أيضاً :

متهلل طلق إذا وعد الغنى ... بالبشر أتبع بشره بالنائل
كالمزن إن سطعت لوامع برقه ... أجلت لنا عن ديمة أو وابل

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا الصولى لنفسه :

---

(١) في ديوان أبي تمام (بالربيع). (٢) فى ديوان البحترى (بعوائد) .

لست تلاقي سائلاً بردّ ... نعيد بشر سؤدد وتبدي
كالبرق يأتيك أمامَ الرَّعد ... بشرى الغيوث بحباب رغد
يلقى بك الطالبُ نجم السعدِ ... بلغت فى الاعمار أقصى العد

﴿ فصل فى تعمية الأشعار ﴾

عمّى عبد كان للاحول على أبي صالح محمد بن عبيد الله بيتاً غلط فيه ورسمه :

نظيف خفيف نظيف فايق ... نظيف مقبل بعلب نظيف
طريف مدل فايق نظيف ... فايق مقبل. نظيف فايق
رشيق بدر معلب لمن ... نظيف مهذب معشوق نظيف

مهذب ملاحظ رشيق مغاضب نظيف . فأخرجه وكان البيت :

إذا قلتُ أسلو دامت العينُ بالبكا ... دماءً وحقتها مدامعُ حُفَّلُ

وكان الجواب الصادر :

ألا أيها الشخصُ الذى كان نزهة ... يحصّنهُ سترٌ من الله مسبلُ
لماذا هتكتَ الستر عنك تعمداً ... ولستَ بحمدِ اللهِ ممن يُجهَّلُ
رأيتك قد عميتَ بيتاً رسمتهُ ... بكلّ خطاءٍ فهو مثلاك أحولُ
وكان لمتبول الفؤادِ معذبٌ ... أخى حسرة بالهجرِ والصدّ يُقتل
فقالَ وقد رامَ السلوّ فلم يجد ... وبات كئيباً بالياً يتململ
إذا قلتُ أسلودامت العينُ بالبكا ... دماءً وحقتها مدامعُ حُفَّلُ

وعمي حمزة الأصفهانى على أبي جعفر محمد بن أيوب بيتاً رسمه :

نرجس خيرى بنفسج حماحم ... شاهسفرم اقحوان نسرين
نسرين أقحوان نسرين مرزنجوش ... ورد ياسمين نسرين
زعفران نمام سُوسن أفرنحمشك ... آس منثور مرزنجوش
بنفسج بلحية ياسمين مرزنجوش ... نسرين نمام منثور

خيرى منثور اقحوان زعفران سيسنبر خزامي بنفسج مرزنجوش. فأخرجه وكان البيت:

كفى حزناً أنَّ الجوادَ مُقتَّرٌ عليهِ ولا مَعرُوفَ عند بخيل

فكان الجواب الصادر:

فداكَ أبا يعلى أخٌ لك لم يَزَلْ يَعدُّكَ ذخراً عندَ كلِّ جليل

إلى أن قال:

فقالَ وقد جابَ البلادَ فلم يجد أخا ثروةٍ يسخى لهُ بفتيل
كفى حزناً أنَّ الجوادَ مُقترٌ عليهِ ولا معروفَ عندَ بخيل

ومن أحسن ماقيل فى هذا قول أبى سعيد الأصفهانى وقد عمى عليه زياد بن جعفر الهمدانى بيتاً فأخرجه وكان الجواب:

إذا العارضُ السحُّ بالوبلِ جادا وأنزلَ غيثاً أغاثَ البلادا
وأسرجَ فيهِ وميضُ البروقِ مصابيحَ تزهرُ منهُ اتقادا
وثجَ(١) فما شكَّ ذو ناظر رأى سيلهُ أنَّ فيهِ مزادا
فعمَّ بشربوبه سادتى وخصَّ بأغزرِ سقى زيادا
زياد بن جعفر المستجار لصرفِ الزَّمانِ إذاماتمادى
فداؤكَ نفسى وإن سمتنى عناءً طويلاً حمانى الرُّقادا
أتتنى الطيورُ فساترننى ببيت تعمقتَ فيهِ عنادا
إلى أن تمكنتُ من صيدها وقد صدتها إذ عرفتُ المصادا
وقلتُ لها غرِّدى بالذى كتمتِ فأسرعنَ نحوى انقيادا
وأنشدتُ بيتاً مُعادَ الفصول ولستَ ترى فيه معنى مُعادا
ومن ذلَّ قلَّ ومن قلَّ ذلَّ ومن سادَ جادَ ومن جادَ سادا
أردتَ سقاطى فما نلتهُ فنلتُ المنى وبلغتُ المرادا
وأبقاكَ ربى بقاء النعيم عليكَ وملاكَ منه وزادا

---

(١) أى سال .

وكتب إلى أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي جواباً عن مُعمى :

دمعي على الخدّ سكبٌ ونارُ شوقي تشبُّ
وليس يبقى على ما يلقاه قلبي قلب
لله عهد الليالي إذ مورد العيش عذب
واذ شبابيَ لدْنٌ وغصنُ قدّي شطب
ياجعفر القوم يامن يدعى اذا جلّ خطب
فداكَ عبدٌ مَشوقٌ الى لقائك صبٌّ
أبعدتني وسواءٌ بعدٌ لديّ وقرب
أخلاط طيب أتتني منهاَ يبيسٌ ورطب
قربتها نار طبع يدوم والنار تخبو
عودٌ ومسك ذكيٌّ وعنبرٌ مستحبُّ
أوردتها نار فكرى ففاح شرقٌ وغرب
وهبَّ للفهم منها روائحٌ لا تهبُّ
فنلت بالشمّ مالم ينله عُجمٌ وعرب
بيتا كما اهتزّ روضٌ أو أكمل الوشى عصب
شيبٌ وسنٌ وجهل هذا لعمرك صعب
بجعفرٍ وأخيه نالَ الورى ما أحبوا
نفسى فداكم وما قد أهلَّ بالحج ركب
ذنبي انقطاعي اليكم ان عُدَّ للناس ذنب
فذاك للخلق كهف وذاك للمجد قطب
ليثٌ إذا عضَّ دهر غيثٌ إذا اشتدَّ جدب
لى منهما اليوم رأىٌ يُرى غداً وهو كسب

والتعمية أن تجعل مكان كل حرف من البيت اسماً على مثال ماتقدم فاذا

مضت الكلمة تدير دائرة على ذلك حتى تأتى على آخر البيت . ووجه استخراج المعمى أن تنظر الى الأسماء التى جعلت مكان الحرف فما تكرر منها وكثر في البيت فظن أنه للألف وربما لم يصدق هذا الظن ولكنه الأمر الأكثر فاطلب بعده اللامَ فانها تقع بعد الألف كثيراً وانظر الى ماطال في البيت من الكلمات فاذا رأيت الألف فى أولها فظن بالثانية أنها لام وربما تكرر ذلك في موضعين من البيت وثلاثة ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع بعد الاسم إذا ظننت أنه الألف حرفان على صورة واحدة في مثل اللبيب والليل والليث وفى قولك الله وما أشبه ذلك ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع فى البيت كلمة على حرفين وقد عرفت الألف واللام فتكون الكلمة تزداد يقيناً فى الألف واللام وإذا صحت لك الألف واللام رأيت فى البيت كلمة على حرفين والثانى منهما ألف فظن أنها « ما » أو « ذا » أو « يا » لأن ذلك أكثر ما يقع فاذا صحت الميم من (ما) ثم رأيت كلمة على حرفين فظن بها أنها (من) فان رأيت كلمة على حرفين وأولها ألف فظن بالثانى أنه نون أو واو أو ميم ، فاذا عرفت الألف فى أول كلمة ورأيت قبلها حرفاً فظن أنه واو أو فاء أو باء أو كاف فاذا عرفت الألف ورأيتها وقد وقعت آخر البيت فظن بالحرف الذى قبلها انه هاء أو كاف لأن ذلك أكثر مايقع فاذا تكررت لك هذه الحروف في البيت وقفت منه على أكثره ، ثم تعمد الى الحروف التى يقل تكرارها في البيت فتنظر الى الكلمة الرباعية أو الخماسية فتظن أنها أبداً ان فيها أحد الحروف الستة اللام والراء والنون والفاء والتاء والميم لأنها لاتخلو من حرف منها أوحرفين . ولا ينفع مامثلناه من هذه الأمثلة إلا مع جودة القريحة وشدة الذكاء والفطنة ومع النشاط وصدق الشهوة .

وذكر بعض أهل العلم وأظنه أبا الحسن العروضى أنه عُمِّـى له قول الشاعر :

وكن ذاكراً بيت النويبغ إنهُ سيحلو على سمع اللبيب ويعذب

فكانت تعميته : زيد بكر عمرو سعد بدر بكر بدر سهل صقر فهد بدر شهر

عمروزيد صقرسهل رشد بدر عمرو حمدقصر عقر مكر شهر زيد بدر فخر شهر صقر قصر سلم فخر بدر شهر شهر سهل صقر سهل زيد صقرفخرسعد سهل صقر.

قال فأول ما استخرجت منه الألف لأنها أكثرمافيه من الحروف ثم عرفت بعدها اللام لأنهما واقعتان فى قوله (النوبيغ) وفى قوله (اللبيب) فلما صحت الألف واللام رأيت اللام قد تكرر فعلمت أنها لاتتكرر إلا فى مثل اللبيب واللطيف وكان أقربها فى ظنى اللبيب ، عمدت بعد ذلك إلى الكلمة الثالثة فرأيت الباء والياء فيهما وبقى الحرف الثالث فعرضته على الحروف فخرج لى بيت وبيد وبيش وبيض وبيع وبين فلم أجزم على شىء منها فتركتها موقوفة ثم قصدت إلى الكلمة السابعة فرأيت فيها اللام والباء فلم أشك أن الحرف الأولِ العين وأن الكلمة (على) ثم قصدت الكلمة الثامنة فرأيت العين فى آخرها فطلبت على هذا المثال ماآخره عين فجاءنى جمع ورجع ودمعوسمع فتركتها موقوفة ثم عمدت إلىالكلمة الأخيرة فرأيت فيها ما تبينته وعرفته الياء والعين والباء فعمدت إلى الياء والعين فوضعتهمامعسائرالحروف فخرج لى : يعتب ويعجب ويعذب ويعرب ويعطب وما شاكل ذلك فقابلت ماخرج من وجوه الكلمة الأخيرة على ما يقرب فى المعنى مع ادخالاللبيب بينهما فصح لى أن الثامنة (سمع) وأنالأخيرة يعذب وعلمت أنزيداً فى أولالكلمة الأخيرة واوفلما صح(على سمع اللبيب)لم أشك أن الكلمة السادسة (سيحلو) قدظهرت فيه السين والياء واللامواواو والألف فلماعرضتالكلمة مع سائرالحروف لم يطابق يعذب فىالمعنى إلايحلو فلما ظهر ذلك علمت بالمعنى والوزن جميعاً أن الذى ظهر من البيت يدل على أنه فى ذكر شىء فيه كناية في وسط البيت وأولها ألف والنون تليها كثيراً فأدى الوزن الى أن بعدها هاءوان الكلمة (إنه) فلما ظهرت النون وكنت قد عرفت الواو من الكلمة الأخيرة علمت أن أول كلمة فىالبيت (وكن) بغيرشك وانالثانية « ذا كراً » لأن الذالظهرت فى يعذب والالف معروفة والكاف قد بانت من الكلمة الاولى والالف الثانية

معروفة بقيت الراء فلما عرضتها على سائر الحروف لم يجيء غير الراء ثم قصدت الى الكلمة الرابعة فلم أجد فيها حرفاً غير ظاهر قد عرفته إلا الغين فقط فلم أدر ماهو فلولا أن الوزن أدى اليه بعد طول تعب لم يكن يظهر فلما علمت أنها (النوبيغ) لم أشك أن الثالثة (بيت) وظهر البيت كله .

ومن المعمى بغامض الحساب قول ابن طباطبا :

ان رحت مافي يديه ملتمساً   وكنتُ أشكو اليهِ ضيقَ يدى
أحصت ألوفا يسراهُ أربعة   منقوصة سبعة من العدد

وفى هذا المعنى شيء كثيرٌ هذا أجوده فاعرف ذلك . وقلت فى ضرب من المعمى :

وأصفرٌ تحمرٌّ أطرافه   يا حُسنه منْ مطرف مُعلم
صدّره الانسان في بيته   وهو مُهانٌ ليسَ بالمكرم
والمرءُ قد يعلو على ظهره   وهو سليم الدّين لم يأثم
وهو على ما كان من ذلّة   سُمّي باسم الملك الأعظم

أعنى حصيراً والملك يُسمّي حصيراً ، قال الشاعر :

ومقامه غاب الرّقاب كأنهم   جندٌ لدى باب الحصير قيام

وقلت: وميت لايكاد المرء يدفنه   إلا إذا عادَ حياً بعد ما ماتا
وميّت غيبوا في الأرض جثّته   عمداً لكي يجعلوا الأحياء أمواتا

الأول الذكر والثاني الفخ . ومن مليح المعمى ما أخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا ابنُ عمار قال حدثنا يعقوب بن اسرائيل قال حدثنا عبد الحميد بن عقبة قال حدثني أبو عثمان المازني قال هجا أبو عيينة اسماعيل بن جعفر بن سليمان بشعر مُورّى فلم يفهمه وكان كلما جاءه من يأنس به عرضه عليه حتى دخل رجلٌ فأقرأه إياه وهو قوله :

اني أحاجيك فاعلمنّ فما   لؤلؤةٌ منك قد ثقبناها
وكرمة من أبيك منبتها   حتى اذا أينعتْ قطفناها
تخبرنا ماهما وما سُبُلٌ   تشعبت منك قد سلكناها

لم نمش فيها ريثاً ولا عجلاً   ولم نطأها .وقــد وطئناها
فان تصبها فأنت ذو فطنٍ   وحاجتي أنْ تصيب معناها

فقال أيها الأمـير انه كلامٌ رديءٌ أكره أن أستقبلك به فقال هاته قال أما اللؤلؤة فالبنت وأما الكرمة من أبيك فالأخت وأما السبلُ التى تشعبت فالأمم لم نطأها بالاقدام ووطئناها بالفعل.وقال الآخر يذكر دعوة يدعو بها على رجل:

وسارية لم تسرِ فى الأرضِ تبتغى   محلاً ولم يقطع بها البيدَ قاطعُ
سرت حيثُ لم تسرِ الركاب ولم تنخ   لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تكرّ وراءَ الليلِ والليلُ مظلمٌ   إذا قرعَ الأبوابَ منهنّ قارعُ
اذا وفدت لم يردد اللهُ وفدها   على أهلها واللهُ راء وسامعُ
وانى لأرجو اللهَ حتى كأننى   أرى بجميلِ الظنّ ماللهُ صانعُ

﴿ أحسن ماقيل فى تقبيل اليد ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن خالد عن أبى بكر بن محمد بن خلاد الباهلى عن محمد بن الفضل عن أبي الزناد عن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال كنت فى غزوة فى بعض مصالح رسول الله ﷺ فتلقانا العدو فحاص الناس حيصة [1] فكنت فيمن حاص ثم قلنا حين رجعنا إلى أنفسنا كيف ننظرُ فى وجوه القوم وقد بؤنا بغضب من الله ثم قلنا نأتى المدينة فنبيت بها ثم نخرج فلا يرانا أحدٌ فلما أتينا المدينة قلنا لوعرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فأتيناه فلما خرج إلى الصلاة قلنا يارسول الله نحن الفرارون .قال« بلْ أنتم الكرّارُونَ » فقبلنا يده قال ثم قلنا يارسول الله إنا هممنا بكذا فقال : إنا فئة المسلمين ثم قرأ (إلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ الله).

وباسناد لنا أن ابن أبى ليلى قبل يد أبى مسلم فقال له رجلٌ أتقبل يد أبى مسلم ؟ قال أوليس أبو عبيدة قبل يد عمر ؟ قال أو تجعل أبا مسلم مثل عمر ؟ قال أو تجعلنى

(١) أى جالوا جولة يطلبون الفرار .

مثل أبى عبيدة . وحدثنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبيد الله العتبي قال قبل رجل يد المهدى فقال يد أمير المؤمنين أحق يد بتقبيل لعلوها في المكارم وطهارتها من المآثم وإنك ليوسفى العفو اسمعيلى الصدق شعيبي الرفق فمن أرادك بريدة خوف أوسوء فجعله الله طريد خوفك وحصيد سيفك .

ومن أجود ماقيل فى ذلك من الشعر ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولى لابراهيم بن العباس في الفضل بن سهل قال أنشدنا ثعلب وأبو ذكوان :

لفضل بن سهل يدٌ　　تقاصرَ عنها المثلْ

فبسطتها للغنى　　وسطوتها للأجل

وباطنها للندى　　وظاهرُها للقبل

فأخذه ابن الرومى فقال للقسم بن عبيد الله رحمه الله :

أصبحت بين خصاصة وتجمل　　والمرء بينهما يموتُ هزيلا

فامدد إلىّ يداً تعوّد بطنها　　بذل النوال وظهرها التقبيلا

وقال أيضاً * له راحةٌ فيها الحطيم وزمزم * . وقلت :

فظاهرُها للناس ركنٌ مُقبَّلٌ　　وباطنها عينٌ من الجود عيلم

هو البحر لا عينٌ من الجودِ عيلمٌ　　عفاء على عين من الجود عيلم

يجلُّ عن تقبيلِ ظاهرِ كفه　　وباطنها عن أن تقاس بزمزم

ومما جاء فى كراهة ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن الغلابى عن العتبى قال استأذن رجل هرون الجعدى في تقبيل يده فأبى وقال انها لمن العربى ذلة ومن العجمي خدعة فلا حاجة لى فى أن تذل لى أو تخدع فاعفنى من ذلك .

﴿ الحض على السلام ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن ابراهيم بن عبد الله النمرى عن الضحاك بن مُخلد عن ابن عجلان عن المقبرى عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا

جاء أحدكم المجلسَ فليسلِّمْ فانْ قام والقومُ جلوس فليسلم فانَّ الأُولى ليست بأحقَّ من الآخرة) وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن ابراهيم بن فهد عن عبد الله بن رجاء عن سعيد بن سلمة عن أبي بكر عن نافع عن ابن عمر أن رجلا مرّ برسول الله ﷺ وهو يهرق الماء فسلم عليه الرجل فرد عليه فقال إنه ماحملني على الرَّد عليكَ إلا أني خشيتُ أنْ تقولَ سلمتُ عليه فلم يَرُدَّ عليَّ فاذا رأيتني هكذا فلا تسلمْ عليَّ فانك إن تفعلْ لا أردُّ عليكَ السلام» وعنه عليه السلام «تمامُ التحيةِ أخذٌ باليد» وحدثنا أبو أحمد عن الصولى عن الغلابى عن العباس بن بكار عن المفضل الضبي عن جدته عن مكعب الأسدى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يقولُ أبو مُكعبٍ صادقاً عليك السلامُ أبا القاسم
سلام الآلـه وريحانهُ وروح المصلينَ والصائم

فقال رسول الله ﷺ «عليك السلامُ تحيَّةُ الموتى» قال المصنف تقول العرب للميت «عليك السلام» قال الشاعر :

عليك أبابشر سلامٌ ورحمةٌ وقد بنت منا كلنا لك حامد
فلا يُبعدَنك اللهُ ميتاً فانما حياةُ الفتى سيراً الى الموتِ قاصدُ

وقال عبدة بن الطبيب :

عليك سلامُ الله قيس بن عاصم ورحمتهُ ماشاءَ أنْ يترحما

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن الغلابى عن ابن عائشة قال دخل الحسن بن السكنانى على عبد الله بن جعفر ذى الجناحين (١) فأنشده قوله فيه :

عليك السلامُ أبا جعفرٍ وسيد فهر لدى المحضر
فأنتَ المهذَّبُ من هاشم وخير قريشٍ إذا تذكر

---

(١) لقبه به النبي ﷺ لما قتل شهيداً في غزوة مؤتة وكانت قطعت فيها يداه وهما ممسكتان للراية فقال الرسول ﷺ «إنّ اللهَ تعالى قد أبدَله بهما جناحين يَطيرُ بهما فى الجنة حيثُ شاء» كما فى جني الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين للمحبي .

فقال له عبد الله أخطأت مرتين (عليك السلام) أكثر ما تستعمل هذه للاموات وقد أمكنك أن تقول * سلامٌ عليك أباجعفر * ثم جعلت لي ما كان لرسول الله ﷺ ووصفتني بصفته ، قال فاستمع البيت الذي سقت له ماسقت قال هاته فقال :

فهـذي ثيابي قـد أخلقتْ وقد عضّني زَمَنٌ منكر

فقال عبدالله هذي ثيابي لك بها، ودعا بغيرها ودفعها اليه .

﴿ السلام على الكفار ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهُذلي قال سلم نصرانيٌ على الشعبي فقال له الشعبي وعليك السلام ورحمة الله ، فقال له رجل سبحان الله تقول لهذا النصراني ورحمة الله ! فقال الشعبي أليس في رحمة الله يعيش قال بلا قال فما وجه الانكار عليّ عافاك الله تعالى وإيانا برحمته .

﴿ رد السلام بالاشارة ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن العباس بن الفضل الاسفاطي عن ثابت عن عبد العزيز عن هشام بن سعدٍ عن نافع عن عبـد الله قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى البقيع فقام فصلى فجاءت الأنصارُ تسلم عليـه قال فسألت بلالاً كيف كان يردُّ عليهم قال كان يشير اليهم بيده . وأنشدنا عنه عن محمد الأسدي عن أبي هفان عن أبي محلم لأبي طراد أسعد بن البكا البكري :

مررنا فقلناها السلام عليـكمُ فبلغها ضيق المحل غَيورُ

وما كنت أدري أن في الخير ريبة ولا انّ رجماً بالسلام يضير

﴿ ماجاء فى المصافحة ﴾

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الأسفاطي عن يعقوب بن حُميد عن اسحق ابن ابراهيم بن سعيد عن صفوان بن سليم عن ابراهيم بن عبيد بن رفاعة عن ابن

أبي ليلى عن حذيفة قال قال النبي ﷺ « إذا لَقِيَ المؤمنُ المؤمنَ فصافحَ أحدُهما صاحبَه تناثرتِ الخطايا بينهما كما يتناثرُ ورقُ الشجرِ »

وقال الحسن: المصافحة تزيد المودة . وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل سوار العنبري على المنصور فقال يا أمير المؤمنين على ما أحدث الناسُ اليوم أم على ما كان عليه الأوائل ؟ قال بل على ما كان عليه ، فدنا فصافحه .

وأخبرنا عنه قال سمعت ابراهيم بن المنذر يقول دخل الفقهاء على المتوكل ونحن وقوف بين يديه فاستدناهم فكلٌّ قبّل يده إلا اسحق بن اسرائيل فانه قال يا أمير المؤمنين ماينقصك أن أقبّل يدك ـ ولم يُقبّل يد المتوكل ـ وقد حدثني الفضل ابن عياض عن هشام بن حسّان عن الحسن قال المصافحةُ تزيد في المودة وسمي بها المؤمنين فبسط المتوكل يده فصافحه ، ووصله المتوكل بأكثر مما وصل به أصحابه .

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم المازحي لبعض شعراء الشام :

تصافحت الأكفُّ وكان أشهى إلينا لو تصافحت الخدودُ
تموت إذا التقى كفٌّ وكفٌّ فكيفَ إذا التقى جيدٌ وجيد

وقال آخر :

فصافحت من لاقيتُ في البيت غيرها وكلُّ الهوَى مني لمنْ لم أصافح

وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة :

أخت بني الشيبان مرّتْ بنا ممسوطةً كوراً على بغل
قد نقطت في كفها نقطةً مخافةَ العينِ من الكحل
لقيتُه يوماً فصافحته فقال دع كفي وخذ رجلي

﴿ حياك الله وبياك ﴾

معنى حياك الله سلام عليك ، والتحية أيضاً الملك فحياك الله على هذا التأويل ملكك الله ، والتحية البقاء ، وهو على هذا التأويل أبقاك الله ، قال الأصمعي بياك

أضحكك ، وقال على الأحمرى أرادوا بوَّأك منزلاً فقال بياك للاتباع كما قالوا الغدايا والعشايا ، وقال ابن الاعرابى معناه قصدك بالتحية و بيّت الشىء قصدته واعتمدته . وحدثنا عنه عن زياد بن خليل التُّسترى عن ابراهيم بن بشار الرمادى عن سفيان عن محمد بن سوقة قال أتانا ميمون بن مهران فقلت له حياك الله فقال مه هذه تحية الشباب قل حياك الله بالسلام .

وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد عن إسحق الموصلى قال نزل الطماح العقيلى بقوم من بنى تميم فأحسنوا اليه فأراد الرحيل عنهم فقال :

حيَّاكم اللهُ فانى مُنقلبْ بشكرِ إحسانكم كذا يجبْ
وإنما الشاعر كالكلب الكلب يملك عند رغبٍ وان رهبْ
لايرعوى لبغض ولا مُحبّ أكثر مايأتى على فيه الكذب

وأنشدنا عنه عن المبرد لعمارة :

حيَّا الالَه خيالها من دانِ لو كانَ زارَ زيارةَ اليقظان
لو كانَ عرَّجَ أو تعللَ ساعةً حتى نسائلهُ عن الأوطان
كفانٍ شيدتنا بناءَ محامدٍ لمهذّبٍ هشٍّ أخى إخوان
تلقى له دعة الكهولِ وحلمهم وتقاهمُ وحلاوةَ الفتيان

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم :

حيَّاكَ من لم تكن ترجو تحيتهُ لولا الدراهمُ ما حياك إنسانُ

﴿ قولهم مرحباً ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن يزيد المبرد النحوى عن أبى عثمان المازنى قال لما أتى الرشيد الرقة تلقاه محمد بن ذؤيب العمانى فأنشده :

هرون ياابن الأكرمينَ حسبا لما ترحَّلتَ وكنتَ كثبا
من أرضٍ بغدادَ تؤم المغربا طابتْ لنا ريحُ الجنوب والصبا

ونزلَ الغيثُ لنا حتى رَبا   ما كانَ من نشرٍ وما تصوّبا
فمرحباً ومرحباً ومرحبا

فقال الرشيدُ وبك مرحباً وأهلا ، ووصله بصلة سنية . وحدثنا عنه عن عبيد الله بن عبد الله قال لما دخل أبو مضر أنشده سعيد بن الوليد المعروف بالبطين :

مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً   بابن ذى الجودِ طاهرِ بن الحسينِ
مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً   بابن ذى الغرّتينِ فى الدّولتينِ
مرحباً مَرحباً وأهلاً وسهلاً   بابن ذى المحتدينِ فى المصرينِ
مرحباً مرحباً بمن كفهُ البحــرُ إذا فاضَ مُزبد العبرينِ

فوصله وقدمه . وقديماً مااستعملوا مرحباًفى كلامهم، (ومنه) قول طفيل الغنوى[1] :

وبالسهل ميمون النقيبةِ قوله   للتمس المعروفِ أهلٌ ومرحبُ

وأخبرنا عنه عن محمد بن العباس اليزيدى عن محمد بن الحسن الرزقى عن الحسين بن على العلوى المدينى عن بعض أصحابه عن المازنى قال كان اعرابى يلزمنا وكان فصيحاً فقال له على بن جعفر بن سليمان وكان جافياً لا يعطيه شيئاً إلا مرحباً فقال فيه الاعرابى :

وما مَرْحباً إلا كريح تنسمتْ   إذا أنتَ لم تخلطْ نوالاً بمرحبِ

ومثل هذا قول جحظة البرمكى :

قائلٌ إن شدوتُ أحسنتَ زدنى   وبأحسنتَ لايباعُ دقيقُ

وأخبرنا عنه عن أبى العيناء قال استأذن رجل على الحسن بن سهل فقيل له من أنت قال رجل أمر له الأمير يوم كذا بعشرة آلاف درهم فأمر بادخاله فلما رآه قال مرحباً بمن توسل الينا بنا وشكر إحساننا الينا ، وأكرمه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المدبر الكاتب الضبي يثنى على ابن الجهم فى

---

(١) هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلي من الفحول ، وهو أوصف العرب للخيل ، لذلك لقب بطفيل الخيل .

صداقته ومروءته فقال فى ذلك كنت واقفاً بين يدى المتوكل وقد جيء برأس إسحاق بن إسماعيل وجه به بغا ، فارتجل على بن الجهم شعراً وقال :

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئتَ بما يشفى من الغليل
بجملة تغنى عن التفصيلِ برأس إسحقَ بن إسماعيل

ومر بأبيات فاستحسن ذلك المتوكل ووصله بصلة سنية ، قال وأنشدنى ثعلب :

فمالك نعمةٌ سلفتْ الينا وكيفَ وأنتَ تبخلُ بالسلام
سوَى أن قلتَ لى أهلاً وسهلاً وكانت رَمية من غير رام
وقلتُ :تضنُّ بتسليم وَزَوْرَةِ ساعةٍ فكيفَ يُرَجّى جودُ كفيك بالوفر

وأنشدنا عنه عن أبى موسى محمد بن موسى مولى بنى هاشم قال أنشدنى عبدالسلام ابن رغبان الحمصى المعروف بديك الجن لنفسه :

بأبى وإن قلتُ لهُ بأبى من ليسَ يعرفُ غيره أربى
قرطستُ عشراً في مودَّتِه لبلوغِ ما أمّلتُ من طلبي
ولقد أرانى لومددتُ يدى شهرين أرمى الأرض لم أصب

أنشدنا عنه قال أنشدنا عبد الله بن المعتز لنفسه :

قلتُ يوماً لها وحرّكتِ العو د بمضرابها فغنّتْ وغنّى
ليتنى كنتُ ظهرَ عودك يوماً فاذا ماأخذتِه صرتُ بطنا
فبكتْ ثم أعرضتْ ثم قالتْ من بهذا أنباك في النوم عنا
قلتُ لما رأيتُ ذلك منها بأبى ما عليك أن أتمنّى

قال وسمعت محمد بن عبيد الله بن يحيى الوزير يقول دخل أبو العيناء إلى أبى فقال له كيف حالك فقال أبو العيناء أنت أعزك الله الحال فانظر كيف أنت لى . فوصله ووقّع له بأرزاقه . وحدثنا عنه عن عون بن محمد الكندى عن عبيد الله بن عمر قال قيل لرجل من قريش كيف حالك ؟ فقال كيف حالُ من يهلك ببقائه ويسقم بصحته ويؤتى من مأمنه . ومثله :

ماحال من آفته بقاؤه   نغّص عيشى كله فناؤه

وقال سعيد بن حميد :

لك عبدٌ فلو سألـــتَ بهِ . كيفَ حالهُ
ياقريباً مزارهُ   وبعيداً نوالهُ
حاضراً لى صدوده   حينَ يرجى وصاله
مسعدٌ لى مقاله   فاتكٌ لى مطاله
محسنٌ في كلامه   ومسىءٌ فعالهُ

﴿ ماجاء فى أطال الله بقاك ﴾

أول من قاله عمر رضى الله عنه ـ روى عن رفاعة بن رافع قال شهدت نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمر وعثمان وعلىٌ وطلحة والزبير وسعدٌ يذكرون الموؤدة فاختلفوا فيها فقال عمر أنتم أصحاب رسول الله ﷺ تختلفون فكيف بمن بعدكم فقال علىٌ عليه السلام إنها لاتكون موءودة حتى يأتى عليها الحالات السبع فقال له عمر صدقت أطال الله بقاك .

قال ابن لهَيعة المعنى لا تكون موءودة حتى تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم لحماً ثم تظهر ثم تستهل فحينئذ إذا دُفنت فقد وُئدت وليس كما يقول بعضُ الناس إن المرأة إذا تداوت فأسقطت فقد وأدت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أحمد ابن يحيى عن عبد الله بن شبيب قال كتب إلىّ بعض إخوانى من البصرة إلى المدينة : أطال الله بقاك كما أطال جفاك وجعلنى فداك إن كان فىّ فداؤك ـ شعر :

كتبت ولو قدرتُ هوًى وشوقاً   اليك لكنتُ سطراً في الكتاب

قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى : والبيتُ لأبى تمام .

﴿ جعلت فِداك ﴾

دخل الزّبير على النبى ﷺ وهو عليلٌ فقال ما يعمدك جعلنى الله فداك فقال

النبي ﷺ « يازُبيرُ أماتركتَ أعرابيَّتكَ بعدُ » وحدثنا عنه عن يحيى بن على عن أبى أيوب المدينى عن إسحق قال حجبنى خادمٌ لجعفر بن يحيى يُقال له نافذ فانقطعت عنه فسأل عنى فعرفه سبب انقطاعى فقال قل له إن حجبك إنسانٌ فافعل به — لا يكنى — قال فجئت فحجبنى فكتبت اليه ارتجالاً في الحال :

جُعلت فداءَكَ من كلِّ سوءٍ ... الى حُسنِ رأيك أشكو أُناسا

يحولونَ بينى وبينَ الدُّخولِ ... فما انْ أسلم إلا اختلاسا

وأنفذتُ أمرك فى نافذٍ ... فما زاده ذاك إلا شماسا

فضحك لما قرأ الأبيات وأدخلنى وقال أفعلت ياأبا إسحق فقلت بعض ذلك، وتقدم الى نافذ وغيره أن لا أحجبَ متى حضرت .

﴿ دعاء المكاتبة ﴾

حدثنا عنه عن أبى ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول ما أظن قول الكتاب : وقدّمنى الله قبلك مأخوذ إلا من قول الأغر بن كاسر فى أخيه صقر :

أخى أنت في دينٍ ودُنيا كلاهما ... أُسَرُّ بأن تبقى سليماً وأفخرُ

إذا ما أتى يومٌ يفرّقُ بيننا ... بموتٍ فكن أنت الذى يتأخر

فقيل له هذا يُروى لحاتم فقال وما على من لا يدرى أن ينسب شيئاً إلى غير قائله . فأما قولهم (وأتم نعمتَه عليه وزاد في إحسانه إليه) فهو من قول عدى بن الرقاع :

صلّى الالَه على امرىءٍ ودّعته ... وأتمَّ نعمتَه عليه وزادها

قالوا وأول من قال « وأسأله أن يُصلى على محمد » إسحق بن سليمان بن على .
وأنشد للسرى فى ضدّ قولهم مُتّ قبلك وان الحظ عنده أن يكون هو ومن يحبّ يموتان فى وقت واحد :

لا مُتُّ قبلك ياأخى لا باخلا ... بالنفسِ عنك ولا تمتْ قبلى

وبقيتَ لى وبقيتُ فيك ممتَّعاً ... بالبرِّ والنعماءِ والفضلِ

حتى إذا قصد الحِمامُ لنا ... من بعدِ عُمرٍ وارد الحبل
مُتنا جميعاً لا يُؤَخَّرُ واحد ... عن واحدٍ لمرارةِ الثكل
وكفاك من نفسي شهيدٌ ناطقٌ ... ياصاحِ أنك عندها مِثلى

وفى نحو ذلك قول الآخر :

إنى لأشفقُ أن أُؤخرها ... بعدى وأكره أن أقدِّمها

وقال يعقوب بن الربيع :

فلو أنها إذْ حانَ وقتُ حِمامها ... أُحكَّمُ فى أمرى لشاطرتها عمرى
فحلَّ بنا المقدارُ في ساعة معاً ... فماتت ولا أدرى ومتُّ ولا تدرى

وقريب منه قول الآخر :

لامتَّ من قبلى ولامُتُّ من ... قبلك بل عشنا الى الحشرِ
حتى نُموا في الموتَ في ساعةٍ ... لاأنتَ تدرى بى ولا أدرى

(كيف أصبحت)

حدثنا عنه عن أيوب بن سليمان بن داود المهلبى عن محمد بن عباد قال كان جرير ابن حازم يقول : العربُ تقولُ كيف أصبحتَ من نصف الليل إلى نصف النهار ، وكيف أمسيتَ من نصف الزوال إلى نصف الليل الأول ، وتقولُ فى يومك كان الليلة كذا إلى الزوال فاذا زالت الشمس قلت البارحة ، هذا معروفٌ عندهم ، وحدثنا عنه عن الفضل بن الحُباب عن التنوخي قال العربُ تقول صبحتك الأنعمة بطيبات الأطعمة . وحدثنا عنه عن البلعى عن أبى حاتم عن الأصمعى قال قيل لأبي عمرو بن العلاء كيف أصبحت قال أصبحتُ كما قال الربيع بن ضبع الفزارى:

أصبحتُ لاأحملُ السلاحَ ولا ... أملكُ رأسَ البعير إن نفرا
والذِّئبُ أخشاهُ إن مَررتُ به ... وحدى وأخشى الرياحَ والمطرا

وحدثنا عنه عن أبى ذكوان عن التنوخى عن الفراء قال كنتُ عند الكسائى

فقال له رجل كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت كما قال الصمة بن عبد الله بن طفيل القشيري (١) :

أصبحتُ مالي من عزٍّ ألوذ به　　إلا التعزُّز بعد السيف والبدن
بعرضة جانب الأدنون جانبها　　والأهلُ بالشام والاخوانُ باليمن

وأنشدنا عنه قال أنشدنا محمد بن يزيد المبرد النحوي قال أنشدني المازني عن أبي زيد :

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ مما　　يُثبتُ الوُدَّ في فؤادِ الكريم

وحدثنا عنه عن محمد بن الفضل بن الأسود عن عمر بن شبة عن الحُسين ابن الضحاك الخليع قال كنت في المسجد الجامع بالبصرة إذ دخل علينا أبو نواس وعليه جبة خز جديد فقلتُ له من أين لك هذه يا أبا عليّ ؟ فلم يخبرني فتوهمت أنه أخذها من مويس بن عمران لأنه دخل من باب بني تميم فقمت فأجد مُويساً وقد لبس جُبة أخرى فقلت :

كيف أصبحتَ يا أبا عمرانِ　　يا كريمَ الاخاء والاخوانِ

فقال صبحك الله به وأسمعك خيراً. فقلتُ :

إنَّ لي حاجةً فرأيك فيها　　إننا في قضائها سيَّانِ

فقال هاتها على اسم الله تعالى فقلت :

جُبة من جبابك الخزّ حتى　　لا يراني الشتاءُ حيثُ يراني

قال خذها ، ومد كمه فذرعتها وجئت فقال أبو نُواس من أين لك هذه؟ قلت من حيثُ كانت لك تلك . وحدثنا عنه عن وكيع عن علي بن عبد الله بن حمزة بن عتبة اللهبي قال دخلت على محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومي أعودُه فقلت له كيف أصبحت فقال كما قال الشاعرُ :

---

(١) شاعر إسلامي بدوي مقلّ ، من شعراء الدولة الأموية . ولجده قرة بن هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

إنَّ الليالي أسرعتْ في نقضي أخذنَ بعضي وتركنَ بعضي

أقعدنني من بعد طول نهضي

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر :

ياخيرُ إني قد جعلتُ أشتمر أرفعُ من ثوبيَ ما كنت أجرّ

وحدثنا عنه عن الغلابي عن محمد بن عبدالرحمن التيمي عن أبيه قال لقي بكر بن عبدالله المزني أبا تميمة الهجيمي فقال كيف أصبحت أبا تميمة ؟ فقال أصبحت بين ذنوب قد سترها الله عليّ ما يقدر أحدٌ أن يعيرني منها بذنب وبين محبة قد ألقاها اللهُ في قلوب الناس لستُ لها بأهل وقد خفتُ أن أهلك بين هذين وأنا ضعيف الشكر . قال وقيل لقريبة الدبيرية كيف أصبحت ؟ فقالت :

بخيرٍ على أنَّ النوى مطمئنةٌ بليلي وأنَّ العينَ يجري مَعينها

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ قال بخير أحتسب على الله بالحسنة ولا أحتسب على نفسي بالسيئة . وقال رجلٌ لأبي العيناء وقد كبر وضعف : كيف أصبحت ؟ فقال في الداء الذي يتمناه الناس لأعدائهم .

وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابراهيم عن عمر عن أبي عبيدة قال قيل للنمر بن تولب كيف أصبحت ياأبا ربيعة ؟ فقال ارتجالاً على البديه :

أصبحتُ لا يحملُ بعضي بعضا أشكو العروقَ النابيات نبضا

كما تشكى الأرجبي الغرضا كأنما كان شبابي قرضا

وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال قيل لحارب بن دثار كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعشى :

أرقتُ وما هذا السهادُ المؤرق ومابي من سقم ومابي تعشقُ

ولكنّ أراني ما أزال بحادث أغادي بما لم يمس عندي وأطرقُ

وحدثنا عنه عن المقدمي عن أبي عمر بن خلاد قال قال الربيعُ الحاجب لأبي العتاهية كيف أصبحت فقال :

أصبحتُ والله فى مضيق — هل منْ دليـلٍ على الطريق
أفٍّ لدنيـا تلاعبتْ بى — تلاعبَ الموج بالغريق
أصبتُ فيهـا دُريهماتٍ — فبغضتنى إلى الصـديق

وحدثنا عنــه عن على بن الصباح عن بشر بن مسعود المـازني قال كان لسفيان بن عيينة جارٌ سيء الحال فحسنت حاله فقال له سـفيان كيف أصبحت وكيف حالك لقد سُررتُ بمـا صِرتَ إليه بعد غم بمـا كنتَ فيه فدعا الرجل له ومضى ، فقال له بعض جلسائه كيف تكلم هذا؟ قال هو جارٌ قال إنه قـد صار صراطاً لهؤلاء ، قال سفيان إن كان فى الناس أحدٌ طلب الدُّنيا من حيثُ يستحق فهذا . وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد المهلبي قال قدم أبو العتاهية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهوراً ثم اعتل فقال :

أصبحتُ بالبصرةِ ذاغُـربة — أدفعُ من همٍّ إلى كرْبه
أطلبُ عُتبي من حبيب نأى — وليسَ لى عُتبي ولا عُتبه

وحدثنا عنه عن المبرد قال قال الجماز لأبى العالية كيف أصبحتَ ؟ قال على غير مايحب اللهُ وغير ما أحب وغير مايحبُّ إبليس لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك وإبليس يحب أن أعصى الله ولا أطيعه ولست كذلك وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك .

حدثنا عنه عن الحسن بن الحسين الازرق عن العباس بن محمد عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام قال قال أبو حراثة وهو من بني ربيعة بن حنظلة ليزيد بن المهلب : كيف أصبحت أصلح الله الأمير ؟ قال كما تحب ياأبا حُراثة قال لو كنت كذا لـكنت قائمـاً مثلى وكنت أنا قاعداً فى مقعدك وكان قميص ابنى المرقوع على ابنك والتومتان اللتان فى أذن ابنك على ابنى . قال يزيد فالحمـد لله الذى جعلك كذا وجعلنى كذا ، فقال إلا أنى فى ضيق أنتظر سعةً وأنت فى سعة تنتظر ضيقاً . وحدثنا عنه عن أبى العيناء عن العتبي قال قيل لأعرابي كيف

أصبحت قال أصبحت أعثر بالبعرة وأقيد بالشعرة وأفزع من النعرة . وحدثنا عنه عن الغلابي عن دماذ عن الهيثم بن عدى قال كان هرم بن سنان المزنى قد آلى على نفسه أن لا يسلم عليه زهير إلا وهب له غرة من ماله فأشفق عليه زهير من ذلك وكان يمر بالمجلس وهرم فيهم فيقول أنعموا صباحاً غير هرم خيركم تركت ففخر عقبة بن كعب بن زهير بذلك في قوله :

إنى لاصرفُ نفسى وهى صادية ... عن مصعب ولقد بانت لىَ الطرق
رعوى عليه كما أرعى على هرم ... قبلى زهيرٌ وفينا ذلك الخلقُ
مدحُ الكرام وسعىٌ في مسرتهم ... ثم الغنى ويدُ الممدوح منطلقُ

ومثله قول حاجز الأزدى (١) :

وإنى لأستبقي إذا العسرُ مسنى ... بشاشةَ وجهى حينَ تبلى الطبائعُ
فأعفى ثرى قومى ولو شئتُ نولوا ... إذا ما تشكى الملحفُ المتضارع
مخافةَ أن أقلى إذا جئتُ زائراً ... وترجعنى نحوَ الرِّجالِ المطامع

ومن مليح ما قيل فى فديتك :

فدتك النفس وهى أقلُّ بذلٍ ... صلى حسن المقال بحسنِ فعلِ
أرينى منك في أمرى نهوضاً ... يبين أن شغلك بى كشغلى

وأخبرنا عنه عن محمد بن خلف بن المرزبان قال اجتمع عندى أحمد بن أبى طاهر والناشى ومحمد بن عروس فدعوت لهم مغنية فجاءت ومعها رقيبة لم ير الناس أحسن منها قط فلما شربوا أخذ الناشى رقعة فكتب فيها :

فديتك لو أنهم أنصفوا ... لردُّوا النواظرَ عن ناظريك
تَردِّينَ أعيننا عن سواك ... وهل تنظرُ العينُ إلا اليك
ألا يقرؤا ويحهم ما يرونَ ... من وحي حسنك فى وجنتيك
وقد جعلوك رقيباً علينا ... فمن ذا يكون رقيباً عليك

(١) هو حاجز بن عوف ، شاعر جاهلى مقلّ ، مشهور بالعدو .

قال فشغفنا بالابيات فقال ابن أبى طاهر أحسنت والله وأجملت قد والله حسدتك هذه الأبيات ووالله لاجلست وقام وخرج من ساعته ولم يعد الى الشرب بقية يومه .

﴿ ماجاء فى الدعاء للخارج إلى السفر ﴾

أخبرنا عنه عن ابراهيم بن فهد الساجي عن نصر بن على عن عبد الله بن داود عن مسعر عن ميسرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ودّع رسول الله ﷺ رجلاً أراد سفراً فقال «أستودِعُ اللهَ دينكَ وأماناتكَ وخواتيمَ عملك» وحدثنا عنه عن أبى على العتابى قال رأيت أبا شراعة القيسى آخذاً بسفينة ابراهيم بن المدبر وقد عزل عن البصرة وهو يريد الخروج وأبو شراعة (١) ينشده :

ليت شعرى أىّ قوم أجدبوا   فأغيثوا بك من طولِ (٢) العجفْ
نَزَلَ الرّحْبُ (٣) من اللهِ بهم   وحُرمناك لذنبٍ قد سلفْ
انما أنتَ ربيعٌ باكرٌ   حيثما صرّفه اللهُ انصرفْ
ياأبا اسحق سِرْ في دَعَةٍ   حيثما شئتَ (٤) فما منك خلفْ

وأخبرنا عنه عن الغلابى عن الزبير قال ودع ابن المعافى صديقاً له أراد سفراً فأنشده عند وداعه :

خلفَ اللهِ الذى خلفته   ووقاك اللهُ وعثاءَ السفر
إننى أشكرُ ما أوليتنى   لم يضع حسنٌ بلاء من شكر
ردّك اللهُ إلينا سالماً   بَعدَ غنم واغتباطٍ وظفر

---

(١) هو أحمد بن محمد بن شراعة شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية جيد الشعر جزله وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره .

(٢) رواية الأغانى « أى أرض أجدبتِ فأغيثت بك من جهد العجف » .

(٣) في الأغاني « الرحم » .   (٤) في الأغانيِ « وامضِ مصحوبا » .

﴿ الدعاء للقادم من السفر ﴾

أنشدنا عنه لمحمد بن عبد الله الأخيطل :

أقدمْ قدمتَ قدوم عارضِ مُزنة ... يهتز بينَ أهابها الفضفاض
من كلِّ مثعبة الرِّياحِ ثقيلة ... تمشي به مشيَ الوجى المنهاض
مُسودة مُبيضة فكأنها ... دُهمٌ مولوعة الشوى ببياض

وقال ابن الرومي :

قدومُ سعادةٍ وقفولُ يمنٍ ... هي السرَّاءُ تمحقُ كلَّ حزن
أظلتك السلامة ما تغنَّت ... مُطوَّقة على فننٍ تغنى

قوله (أظلتك السلامة) في غاية الرشاقة وأحسن منه قوله : تمحق كل حزن .

﴿ الدعاء للمهزوم ﴾

حدثنا عنه عن الغلابي عن عبدالله بن الضحاك عن الهيثم بن عدي عن عوانة قال لما انهزم أسلم بن زُرعة الكلبي من مرداس بن أذينة بآسك[1] وكان في ألفي رجل ، ومرداس الخارجي في أربعين رجلاً ، وفيهم يقول شاعرهم :

أألفا مؤمن[2] منكم زعمتم ... ويهزمكم بآسك أربعونا
كذبتم ليسَ ذاك كما زعمتم ... ولكنَّ الخوارجَ مؤمنونا
همُ الفئة القليلة قد علمتم[3] ... على الفئة الكثيرة ينصرونا

فدخل أسلم البصرة فقالت له امرأةٌ من قومه والله لأن تعيش حميداً خيرٌ من أن تموت شهيداً ولأن تدوم عبادتك بحياتك أزلفُ لك من أن تنقطع بمماتك ،

---

(١) آسك : بلد من نواحي الأهواز قرب أرّجان .
(٢) في معجم البلدان (أألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلكم) .
(٣) في معجم البلدان (هم الفئة القليلة غير شكّ)

قال ودخل على ابن زياد فعنّفه واستعجزه فقال أيها الأمير كنت في ألفين جميعهم مثلى وقاتلت أربعين كل واحد منهم مثلى ويزيد عليّ ولأن يذمنى الأمير حياً خيرٌ من أن يمدحنى ميتاً . وحدثنا عنه عن القسم بن اسماعيل عن رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة قال لما هزم أبو فديك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بهجر قدم البصرة فى ثلاثة أيام فدخل عليه الناس وفيهم صفوان بن عبد الله بن الأهتم المنقرى أبو خالد بن صفوان والناسُ لا يدرون كيف يُدعى للمهزوم حتى قال صفوان أم والله أيها الأمير لقد تعرّضت للشهادة جهدك وطلبتها طاقتك ووسعك فعلم الله فقرنا اليك وقلة عوضنا منك فاختار لنا عليك ببقائك ولم يختر لك علينا باستشهادك فالحمدلله الذى زيّن بك مصرنا وآنس ببقائك وحشنا وجلا بسلامتك غمّنا . فعلم الناس كيف يُدعى للمهزوم فسلكوا هذا المسلك .

ومن أحسن الاعتذار للمهزوم قول فروة بن مُسيك العطيفى وأجاد :

فان نهزم فهزّامونَ[1] قدماً وان نهزم فغير مهزمينا
وما ان طبنا جبنٌ ولكنْ منايانا ودولة آخرينا

فقوله « ودولة آخرين » من أحسن الاعتذار الواقع من المهزوم .

﴿ الدعاء للمعزول ﴾

أنشدنا عنه عن عون بن محمد الكندى لأبى تمام الطائى :

ليهنك ان أصبحتَ مجتمعَ الشملِ وراعي المعالى والمحامى عن المجد
وانك صنتَ الأمرَ فيما وليتهُ وفرّقتَ ما بينَ الغواية والرُّشدِ
فلا يحسبِ الأعداءُ عزلك مغنما فانّ إلى الاصدارِ ماغاية الورد
وما كنتَ إلا السيفَ جُرّدَ للوغى وأغمد فيه ثم رُدَّ إلى الغمد

وأخبرنا عنه عن الحسين بن يحيى قال حدثنا إسحق قال عُزل هشام بن اسمعيل

(١) فى الأغاني (فان نغلب فغلابون قدماً) .

المخزومي عن المدينة فاشتد العزل عليه فقال له عروةُ بنُ أذينة :

فان تكن الأمارةعنك زالت فانك للمغيرة والوليد

وقد مرّ الذى أصبحتَ فيه على مروانَ ثمّ على سعيد

وأخبرنا عنه قال دخلت يوماً مع أبي العباس محمد بن يزيد النحوى إلى عبد الله ابن الحسين القطربلي وقد صرف عن عمل فقال أقول لك ماقاله أبو عبادة البحترى :

شَهِدَ الخرجُ إذ توليتهُ أنـك في جمعه الأمينُ الأعفّ

حيثُ لا عند مجتبي منه إلظا ظ(١) ولا في سياق جابيه عُنفُ

سيرةُ القصد لا الخشونة عنفٌ لتعدى المدى(٢) ولا اللين ضعفُ

وعلى حالتيك يستصلحُ النا سُ(٣) اباءٌ من جانبيك وعطفُ

لن يُولى تلك الطساسيج إلا خلفٌ منك آخرَ الدهر خلفُ

إن تشكت رعيةٌ سوءَ قبضٍ بك أو أعقبَ الولايةَ صرفُ

فقديماً تداولَ العسرُ واليسـرو كلّ قذى على الريح يطفو

يفسدُ الأمر ثم يصلحُ عن قرْ بٍ وللماء كدْرَةٌ ثم يصفو

ولما عُزل إبراهيم بن المدبر عن البصرة أنشده أبو صفوان الثقفى :

أبا إسحقَ إن تكن الليالى عطفنَ عليكَ بالعزلِ اللئيم

فلم أرَ صرفَ هذا الدهر يجرى بمكروهٍ على غيرِ الكريم

وقال أبو العتاهية فى محمد بن هشام السدرى :

لايهنأ الأعداء عزل ابن هاشم فكلٌ مُولى قصره الصرفُ والعزلُ

لقد كان ميمونَ الولايةِ قابضاً يدَ الجور مبسوطاً به الحقّ والعدلُ

يَرُومُ رجالٌ حطهُ وهو سابقٌ أبى اللهُ إلا أن يطولَ وأن يعلو

﴿ دعاء الأعياد ﴾

أخبرنا عنه عن جبلة بن محمد الكوفى عن أبيه قال قال ابن شبرمة لعيسى

---

(١) أى الحاح . (٢) فى الأصل « الندى » (٣) في ديوان البحترى « الأرض » .

ابن موسى يوم أضحى : قبل الله منك الفرض والسنة واستقبل منك الخير والنعمة وقرن بالاقبال يومك .

﴿ ماقيل فى القيام للأجلاء ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الأكبر قال حضر بعض العرب مجلساً فجاء صديقٌ له فتلقاه من بعيد وقال :

لئن قمتُ مافى ذاك عندى غَضاضةٌ   علىَّ وإنى للشريفِ مُـذلل
علـى أنه منى لغيرك ذِلةٌ   ولـكنه بينى وبينك يجمـلُ

ومن مشهور ما قيل فى هذا المعنى :

فلمـا بصرنا بهِ ماثلاً   حللنا الحبى وابْتدَرْنَا القياما
فـلا تنكرنَّ قيامى لهُ   فان الـكريمَ يجلُّ الـكراما

وأنشدنا أبو أحمـد عن الصولى عن يحيى البحترى لأبيه فى عبيد الله بن عبد الله من قصيدة طويلة :

ومُبجل وسطَ الرجالِ خُفوفهم   لقيامه وقيامهـمْ لقعوده
فاللهُ يكلؤه لنـا ويحوطُهُ   ويُعزُّهُ ويزيدُ فى تأييـده

وقال غيره :

أتعجبُ أن أقومَ إذا بدالى   لأكرمهُ وأعظمهُ هِشامُ
فلا تعجبْ لاسراعى إليـهِ   فانَّ لمثلهِ خُلقَ القيامُ

وقال البحترى :

يقومُونَ من بُعدٍ إذا بصروا بهِ   لأبلج موفور الـكرامة[1] أروع
ويبتدرُ الراؤونَ منهُ إذا بدا   سَنى قمرٍ من سُدَّة الملكِ مَطلع
إذا سارَ كفَّ اللحظ عن كل منظر   سواه وغضَّ السمع[2] عن كلِّ مسمع

(١) فى نسخة « الجلالة » .   (٢) فى ديوان البحترى « الصوت » .

فلستَ ترى إلا إفاضة شاخصٍ إليـهِ بعينٍ أو مشيراً بأصبع

﴿ماقيل فى شعبان وشهر رمضان وشوال﴾

فمنه قول الفرزدق وأجاد فى ذلك :

إذا ما مضى عشرونَ يوماً تحركت أراجيفُ بالشهرِ الذى أنا صائمه
وطارتْ رقاعٌ بالمـواعيـدِ بيننـا لـكىْ يلتقى مظلومُ قوم وظالمـهْ
فإن شالَ شوّالٌ نُشل فى أكفنا كؤوسٌ تعادى العقلَ حينَ تسالمه

ومعانى هذه الأبيات كلها مُبتـكرة لمْ يسبق إليها الفرزدق .

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الرياشى عن أبيه :

وقفنـا فلولا اننا راضنـا الهوى لهتكنـا عنـدَ الرقيب نحيبُ
ومن دونِ مانلقاهُ من لوعةِ الهوى تُـشَقُّ جيوبٌ بل تُـشَقُّ قلوبُ
على انَّ شوَّالاً أشالَ بوصلنـا ومرتعـهُ للعاشقـينَ خـصيب

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى قال أنشدنا ابن بسام لنفسه :

سقيـا لشهرِ الصوم من شهرِ عنـدى لهُ ماشاءَ من شُكرِ
كم مرتٍ عزيزٍ فيـهِ فُزنا به أنهضهُ الليلُ من الوكـر
ومن إمامٍ كانَ لى وصـلهُ إلى كحيلِ العينِ بالسحرِ
لو كانَ يدرى بالذى خلفهُ أعجلهُ ذاكَ عن الوتر
وخـلةٌ زارتك مُشتاقة فى ليـلةِ القـدرِ على قدرِ
فانصرفَ الناسُ بما أمَّلوا وبُؤت بالآثام والوزرِ

وأنشد المُبرّد للحارثى :

شهرُ الصيام وإن عظَّمت حرمتهُ شهرٌ طويلٌ بطيءُ السيرِ والحركه
يمشى الهوينا إذا ما رامَ فرقتنا كأنهُ بطةٌ تنجرُّ فى شبكه
لا يستقرُّ فأما حينَ يطلبنا فلاسُليكٌ يُدانيه ولاسُاكه (١)

---

(١) من عدّائى العرب المشهورين .

كأنهُ طالبٌ ثأراً على فرس أجدَّ فى إثرِ مطلوب على رمكه(١)
ياصدق من قالَ أيامٌ مباركةٌ إن كان يَكنى عن اسم الطول بالبركه

وقال آخر :

مضى رمضانُ محموداً وأوفى علينا الفطرُ يقدمهُ السُّرورُ
وفى مرِّ الشهورِ لنا فناءٌ ونحنُ نحب أن تفنى الشهورُ

وحدثنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا الحسين بن يحيى قال كتب الحسين بن وهب إلى الحسن بن رجاء يوم شك وقد أفطر الواثق :

هززْتكَ للصبوح وقد نهانا أميرُ المؤمنينَ عن الصيام
وعندى من قِنان المصرِ عشرٌ تطيبُ بهنَّ دائرةُ المدام
فكنْ أنتَ الجوابَ فليسَ شيءٌ أحبَّ إليَّ من حذفِ الكلام

وقال غيره :

أقول لصاحبيَّ وقد بدا لى هلالُ الفطر من تحتِ الغمائِم
سنسكرُ سكرةً شنعاءَ جهراً وننعرُ فى قفا شهرِ الصيام

وقال محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله الجعفرى :

هل لك فى صهباءَ مشمولةٍ ليست من الدبسِ الذى ينبذُ
فانَّ شعبانَ على طيبهِ دربٌ إذا فكرتَ لا ينفذُ

وقال أحمد بن يزيد :

ألا سقيانى من معتَّقةِ الخمرِ فلا عذرَ لى فى الصبرِ أكثرَ من شهر
وإنْ كنتما لم تعلما فتعلما بأنَّ زمانَ الصوم ليس من العمر

وحدثنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أبى الموج الرازى وقال حدثنى أبى قال كتب على بن جبلة الى أبى دلف يستسقيه نبيذاً فى يوم عيد الفطر فوجَّه اليه بما كفاه وبمائتى دينار فقال على بن جبلة :

---

(١) الرمكة : الفرس .

وأبيض عجلىٌّ رأيتُ غمامهُ وأسيافهُ تقضى على الحدثان
مددتُ اليه ذمّتى فأجارها وأغنى يدى عن غيره ولسانى
شربتُ ورَوَّيت النديمَ بماله وأدركت ثأرَ الراح من رمضان
وكانَ لشوّالٍ علىّ ضمانةٌ فكانت عطايا جوده بضمان

وحدثنا عن الصولى قال حدثنا أبو ذكوان القسم بن اسماعيل قال حدثنا التوزى عن أبى عبيدة قال أسلم اعرابى فى أول الاسلام فأدركه شهر رمضان فجاع وعطش فقال الاعرابى يذكر ذلك :

وجدنا دينكم سهلاً علينا شرائعهُ سوى شهرِ الصيام

﴿فصل فى معان مختلفة﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر بن دريد عن عمه قال كانت عند رجل من بنى أسد ابنة عم له ورآها فدخل إليها يوماً وهى مُتغضبة فقال ماشأنك ؟ قالت إنك لا تشبب بى كما يشبب الرجال بنسائهم ، قال أفعل ثم أنشأ يقول :

تمتْ عُبيدةُ إلا فى ملاحتها والحسنُ منها بحيثُ الشمسُ والقمرُ
ماخالفَ الظبيُ منها حينَ تُبصرها إلا سوالفهُ والجيدُ والنظر
قلْ للذى عابها من حاسد حَنق أقصر فرأسُ الذى قدعبتَ والحجر

وأنشدنا للسديل بن الفرج العجلى [1] :

هل تقضينَّ لمستهام حاجةً نيطت إليك بها حبالُ رجائهِ
أفنى تجلدَهُ بقاءُ دموعه وأدامَ عبرتهُ فناءُ عزائهِ

وحدثنا أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن محمد الخراسانى قال كنت فى مجلس ابن ثوابة فناظره رجلٌ عن ضيعة له فاستقصى الحجة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوابة

---

(١) شاعر مقلّ من شعراء الدولة الاموية وكان له ثمانية أخوة وأمهم جميعاً إمرأة من بنى شيبان .

ياما بون فوثب الرجل وهو يقول :

كلانا يرى الجوزاءَ يا جُمل إن بدت ونجم الثريا والمزارُ بعيدُ

فتحدث الناس بها مدةً . قال أبو بكر ويشبه هذا حديثاً حدثناه أبو العيناء قال خاصم يوماً جيلان القمى المقبول الزيادى فقال المقبول يادعي فأنشأ جيلان يقول :

بُثينةُ قالت ياجميـلُ أربتني فقلت كلانا يابثين مُريب

فبلغ هذا ابن عائشة التيمى فقال : جيلان في التمثل بهذا البيت في هذا الموضع أشعر من جميل قائله . أنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه يهجو بعض النحويين :

عفظير إنا اختلفنا في الفعلِ من فاعلينِ
فقال قومٌ يثنى لجمعنا الهمزتين
وقال قومٌ يعدَّى بملتقى الساكنين
وأنتَ أعلم منا بذا وذاك وذين
لأنَّك الدهرَ فعلٌ يعتَّـلُ من جهتين

وأنشدنى عم أبى رحمه الله :

صحبتكم دهراً طويلاً لعسرتى أرجى نجاحاً والظنونُ فنون
فما نلتُ منكم طائلاً غيرَ اننى تعلمتُ ذلَّ العيش كيفَ يكونُ

وأنشدنى أيضاً في مسجون :

لئن حجبتك الحجبُ عنا فربما رأينا جلابيبَ السحاب على الشمس

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن المسيب عن ابن الرومي :

خيرُ مالٍ موزونهُ لذوى الحمـــدِ كما خيرُ حمدِهم مَوْزونه
وأصحُّ(١) الآراء ماظنَّ ذو الأفـــنِ بذى الرأى انهُ مأفونه

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

وإذا أتتك مذمتى من ناقصٍ فهى الشهادةُ لى بأنى فاضلُ

---

(١) في الأصل «وأظن» وفي ديوان ابن الرومي المخطوط « وأصحّ » .

والمحلُّ الخلاءُ من كلِّ ضَيفٍ ومضيف مُعطلٌ مسكونُهْ
وأخسُّ الرجالِ من راحَ فيهمْ مُسلَمَ العرضِ سالماً ماعونُهُ
أنفقِ المالَ قبلَ انفاقك العمـرَ ففي الدهرِ رَيْبهُ ومنونهْ
لا تظننَّ أنَّ مالك شيءٌ كدم الجوف خيرهُ محقونهْ
قلما ينفعُ الثراءُ بخيلاً علقتْ في الثرَى المهيل رهونهْ
كلْ وأطعمْ فربما راع ريعاً[(١)] زاكياً منْ تعولهُ وتمونهْ
وإذا ما ظننتَ شراً فخفهُ رُبَّ شرٍّ يقينهُ مظنونهْ
كم ركونٍ جنى عليك حذاراً من أطالَ الرُّكونَ قلَّ ركونهْ

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن الأنبارى عن أبيه :

يموتُ قومٌ فيحيي العلمُ ذكرَهُمُ ويُلحقُ الجهلُ أحياءً بأمواتِ

ونحوه قول دعبل :

سأقضى ببيتٍ يحمدُ الناسُ أمرَهُ ويكثرُ من أهلِ الرِّوَايةِ حامله
يموت رديءُ الشعرِ من قبلِ ربِّهِ وجيِّده يبقى وانْ ماتَ قائله

أخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر عن أبى عثمان عن التوزى عن أبى عُبيدة عن خالد عن يونس : دخل الطرماحُ بن حكيم على خالد بن عبد الله القسرى فقال له: أنشدنى بعض شعرك فأنشده قوله :

وشيبنى أنْ لا أزال مُناهِضاً بغيرِ غِنى أسمو بهِ وأبوعُ
وانَّ رجالَ المالِ أضحوا ومالهم لهم عندَ أبوابِ الملوك شفيع
أمُخترمى ريبُ المنونِ ولم أنلْ منَ المالِ ما أعصى بهِ وأطيع

فأمر له بعشرين ألفاً وقال له اعص بها الآن وأطع إذا شئت .

---

(١) فى الأصل «فكل ماراع ريعاً» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط .

﴿ التفاضل بين الاخوان ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر :

وبعضُ الأمرِ أصلحهُ ببعضٍ فانَّ الغثَّ يحملهُ السمينُ
ترى بينَ الرجالِ العينُ فضلا وفيما أضمروا الفضلُ المبين
كلونِ المــاءِ مشتبهاً وليست تخبر عن مذاقتهِ العيون

﴿ الحث على موافقة الناس ﴾

من أحسن ماورد فى ذلك قول الشاعر :

الناسُ ان وافقتهم عذبوا أولا فانّ جناهمُ مُرُّ
كم منْ رياضٍ لانظيرَ لهــا تُــركتْ لأنّ طريقها وعرُ

وقلت : لمــا أدلّ أملنى فسلوته من ذا يدلُّ فــلايملُّ محبُّــه
تالله ماا تَّبعَ النبيُّ محمــدٌ لو كانَ فظاً أو غليظاً قلبه

﴿ إغباب الزيارة ﴾

قال مسلم بن الوليد :

إنى كثرتُ عليــهِ فى زيارتهِ فملَّ والشيءُ مملولٌ إذا كــثرا
قد رابنى منهُ أنى لا أزالُ أرى في عينهِ قصراً عــنى إذا نظرا

وقال الــكميتُ : * ولولم تغب شمس النهارِ لَمُــلَّــتِ * فأخذه أبو تمام فقال :

فانى رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبةً الى الناسِ اذ ليست عليهم بسرمدِ

ونقله آخر الى ذكر الغيث :

عليك بإقلالِ (١) الزيارةِ إنها تــكون متى دامت (٢) إلى الهجرِ مسلــكا
فانى رأيتُ القطرَ (٣) يسأم دائبــا (٤) ويُطلب بالأيدى (٥) إذا هو أمسكا

---

(١) وفى رواية « باغباب » (٢) وفي رواية (إذا كثرت كانت إلى) . (٣) فى رواية (الغيث) . (٤) فى الأصل (دائما) ، (٥) وفى رواية (ويسأل بالايدى) .

وقال آخر : وأغببتُ الزيارةَ لاملالاً ... ولكنْ منْ محاذرةِ الملالِ

وهذا كله من قول النبي ﷺ « زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً » (١) .

وقلت : مازلتَ تلقاهُ فضاقَ صدْرُهُ ... وعادَ من بعدِ الوصالِ هجرُهُ

من أكثرالغشيانَ خسَّ قدْرُهُ ... لو كثرَ الياقوتُ هانَ أمرهُ

ولم يعزَّ حُمرُهُ وصُفرُهُ ... ولا علا بين الأنامِ ذِكرهُ

﴿ فى ذم العجائز قول الشاعر ﴾

رأيتُ البيضَ قد أعرضنَ عنى ... فمنْ لى أن تساعدَنى عجوزُ

كأنَّ مجامعَ اللحيينِ منها ... إذا حسرتْ عن اللحيينِ كوز

ومن المشهور قول الحرمازى :

لا تنكحنَّ عجوزاً إنْ دعيتَ لها ... واخلع ثيابك عنها ممعناً هربا

فان أتوك وقالوا إنها نصفٌ ... فانَّ أطيبَ نصفيها الذى ذهبا

وقال آخر : وماغرنى(٢) إلاخضابٌ بكفها ... وكحلٌ بعينيها وأثوابها الصفرُ

وجاءوا بها قبلَ المحاقِ بليلةٍ ... فـكانَ محاقاً كلهُ ذلك الشهرُ

﴿ ما ورد فى فضل الحمـام ﴾

قال السرى بن عبد الله الرفاء :

أسعيدُ هلْ لك في زيارةِ منزلٍ ... تثنى عليهِ جوارحُ الزُّوَّارِ

رحب ترَى الجُدران فيه ينابعاً(٣) ... وترَى السماء كثيرةَ الاقمار(٤)

ينضو حيىُّ الوجهِ ثوب حيائهِ ... فيه فيخطرُ كالحسام العـارى

وترى على غدرانه(٥) بُهم الوغى ... يخطرنَ ما بين القنـا الخطـارِ

---

(١) رواه البزار وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب وابن حبان فى صحيحه (٢) فى نسخة (وما راعنى) . (٣) فى ديوان السرى المخطوط . « رحب تلاقى الجدر منه ينابع » . (٤) في الديوان (عليه كالأقمار) . (٥) في الديوان « على جدرانه » .

سُلَّتْ سُيوفهمُ بغيرِ بوارقٍ وَجرَتْ خُيولهمْ بغيرِ غبارِ

مع أبيات أخر غير مختارة الرصف. وقلت :

قُمْ بنا نَنزل في خَيْرِ دارِ وهيَ إن مَيَّزتها شَرُّ دارِ
منزلٌ تخلعُ دينك فيهِ حينَ تأتيهِ خليعَ الازار
لا ترَى فيهِ الشموس نهاراً وترى الاقمار نصف النهار
وعلى حيطانهِ أسدُ حربٍ فوقَ امهارٍ وفوقَ مهار
شَهدُوا الحربَ بأرْماح زورٍ وسيوفٍ نابياتِ الشفار
وترَى الابدان حينَ أتته تكتسى الصحةَ وهى عوارِ
بينابيعَ كقضبانِ درٍّ تتكافا من وراء الجدار

وقال عبد الله بن المعتز فى ذم حمّام :

وحمامُنا كالعجوز يشقى بها الواردُ
فبيتٌ لهُ منتنٌ وبيتٌ لهُ باردُ

ولقد أخذ هذا اللفظ بعينه بعض المحدثين وزاد فيه فقال :

وحمامنا هذه كالعجوز تلذّ ويشقى بها الواردُ
فبيتٌ لها مُنتنٌ ضيقٌ وبيتٌ لها واسعٌ باردُ

ومن أجود ماقيل فى صفة النُّورة قول الآخر :

ومجرَّد كالسيفِ أسلم نفسهُ لمجرِّدٍ يكسوهُ مالاينسَجُ
ثوباً تمزّقهُ الانامل رقةً ويذيبهُ الماءُ القراحُ فيبهج
وكأنه لما التقى فى خصرهِ نصفان ذاعاجٌ وذا فيروزجُ

﴿ الشطرنج ـ قلت فيه ﴾

اذا أعفيت الصهباءُ من قدحٍ ومن شجٍّ
وكانَ الكأسُ لايُجدى ومزجى الراحَ لا يزجى

وألغى اللهوَ من يلغى	وأرجى الشربَ من يرجى
لأيام أخاضــــتنا	من الأحزانِ في لجِّ
فمنها الجسمُ فى نقصٍ	ومنها القلبُ فى وهج
فما أنفكُّ في حرٍّ	وإنْ أصبحتُ في ثلج
وما من شرِّها ناج	وما منْ كيدها مُنجى
تمتعنـــا بمسموعٍ	مليحِ النظم والنسج
ونتلو ذكرَ من نهوَى	على نَرْدٍ وشِطرَنج
كأنا منـــهُ في هرج	ولسنا منـــهُ في هرج
تمشّى الزّنجُ للرّوم	وقام الرُّومُ للزنج
فما أحسنها بيضاً	تمشّينَ إلى دعج
أقمنا بيننا حَـــرْباً	بلا عجٍّ ولا ثجّ
شـهدناها بلا طبـــلٍ	ولا بوقٍ ولا صنج
وجئناها بلا سيفٍ	ولا رُمح ولا زج
ترى أفراسنا تعـــدو	بلا لجم ولا سرج
مشى الفرزانُ مُعوجاً	لأمرٍ غـــيرِ مُعوجِّ
ورخٌّ ينتحى نهجاً	فلا يعـدو عن النهج
وفيـــلٌ ليسَ يحدوهُ	يدا شلح ولا علج
وعند الشاةِ منصوبٌ	لواءُ النصرِ والفلج
وحولى أوجـــهٌ غُرٌّ	عليها سيمةُ السرج
إذا مادُوِّنَ الحسنُ	تراهمْ أولَ الدّرج

(ماورد فى النرد)

وقال السرى بن عبد الله الرفاء :

ومحكمان على النفوسِ وربما	لم يحكما فيهنَّ حُـكماً عادلا

يلقاهما المرزوقُ سعداً طالعاً ويراهما المحروم سعداً آفلا
فاذا هما اصطحبا على كفّ الفتى ضرّاه أو نفعاه نفعاً عاجلا

﴿ وأما القدح ﴾

فأجود ماقيل فيه قول ابن مقبل :

خُروجٌ من العمى إذا صكّ صكةً بدا والعيونُ المستكفةُ تلمحُ
غدا وهو مجدولٌ وراحَ كأنّهُ من المسّ والتقليب بالكفّ أوطحُ
إذا امتحنته من معدّ عصابةٌ غدا وبهِ قبل المفيضين مقدحُ

﴿ انتظار الفرج ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن ابن دُريد :

إذا اشتملتْ على اليأسِ القلوبُ وضاقَ بما بهِ الصدرُ الرّحيبُ
وأوطنت المكارهُ واطمأنّتْ وأرستْ في مطامنها الخطوبُ
أتاك على قنوط منك غَوْثٌ يَمنُّ بهِ اللطيفُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ فمقرونٌ بها الفرج القريب

وقلت : لكلّ مُلمةٍ فرَجٌ قريبٌ كمثلِ الليل يتلوهُ الصباحُ
وإنّ لكلّ صالحةٍ فساداً كذاك لكلّ فاسدةٍ صَلاحُ
وللأيام أيدٍ باسطاتٌ وأفنيةٌ موسعةٌ فِساحُ
وقد تأتي وأوجهها صِباحٌ كما تأتي وأوجهها قباحُ
وللحالاتِ ضيقٌ واتساعٌ وللدُّنيا انغلاقٌ وانفتاحُ
فلا تجزعْ لها واصبرْ عليها فانّ الصبرَ عُقباهُ النجاحُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ فمقرونٌ بها الفرجُ المتاحُ

﴿ معنى آخر ﴾

قد ينفعُ الأدبُ الاحداثَ في مهلٍ وليسَ ينفعُ بعدَ الكبرةِ الأدبُ

إنّ الغصونَ إذا قوّمتها اعتدلتْ ولا يَلينُ إذا قوّمتهُ الخشبُ

وأجود ما قيل في ازدحام المنتجعين على أبواب المفضلين البيت المشهور :

مَن أكثر الاحسانَ من فعلهِ وعمَّ بالفضلِ جميعَ الأنامْ
يَزْدَحمُ الناس على بابهِ والمشرَبُ العذبُ كثيرُ الزِّحام

وقال أبو الهول :

إذا السماء أبَتْ إلا محاذَرَةً سحّتْ يد الفضل ياقوتاً وعقيانا
ترَى الرِّفاقَ إلى أبوابهِ زمراً ورد القطا أقبلتْ مثنى ووحدانا

﴿ معنى آخر ﴾

ليسَ جودٌ أعطيتهُ بسؤال قد يهزُّ السؤالُ غيرَ جوادِ
إنما الجودُ ما أتاك ابتداءً لم تذقْ فيهِ ذلةَ الترداد

﴿ ومن أجود التشبيهات في المحجمة قول بعضهم ﴾

وخضراء لا من بناتِ الهذيل يُلففُ بالسير مِنقارها
كأنّ مشقّ عيونِ القطا إذا هنّ تؤمن آثارها

وقال أيضاً في الحجامة :

أما وأبيك لا أنساهُ تدمى مضاربُ سيفهِ البطلَ الكميا
وبرقاً في أنامله إذا ما تألقَ فتّح الوردَ الجنيا
إذا ظمئتْ فراخُ أبيك يوماً سقاها من رقابِ الناس ريّا
وإن جرَحَ الأخادعَ مطمئناً كسا الوجناتِ ديباجاً بهيا
ولم أرَ مثلهُ يأتي عُقوقاً ويَدْعوهُ الورى برّاً تقيا

وقال آخر : أبوكَ أوهى النجادُ عاتقه كم من كميّ أدمى ومن بطلِ
يأخذنَ من مالهِ ومن دمهِ لم يمس من ثأرهِ على وجلِ

﴿ ومما قيل فى خطل الرأى قول الآخر ﴾

عُذرك عندى بك مبسوطُ　　والعتبُ عن مثلك محطوطُ
ليس بمسخوطٍ فعالُ امرىء　　كلُّ الذى يأتيه مسخوطُ

وقال آخر :

يا مَنْ يقلقله طنينُ ذبابِ　　ويفلُّ عزمته صَريرُ البابِ
ضربَ السرادقَ فى رُواقى بابه　　والدَّارُ تعجزُ عن مقيلِ ذبابِ
وأقامَ للبواب حاجِبَ حاجبٍ　　أرأيتَ حاجبَ حاجبِ البوَّابِ

﴿ إفساد المعروف بالمن ﴾

قال بعضهم :

ألبانُ إِبْلِ تَعِـلّةَ بنِ مُساورٍ　　مادامَ يملكها علىَّ حَرامُ
وطعام عمر وابن أوفى مثله　　ما دامَ يسلك في البطونِ طعـام
انَّ الذين يسوغ في أحـلاقهم　　زادٌ يمنُّ عليهم للئـامُ
لعنَ الالَـه تعـلّةَ بنَ مُسـاورٍ　　لعناً يشنُّ عليـهِ من قُـدَّام

﴿ من يعيب غيره وهو معيب ﴾

من المشهور فى ذلك قول الشاعر :

أرَى كلَّ إنسانٍ يرى عَيبَ غَيرِهِ　　ويعمى عن العيب الذى هو فيه
وما خـيرُ من تخفَى عليـه عيوبُهُ　　ويبدو له العيبُ الذى لأخيه

ولأبى دلامة (١) فى معناه :

إذا الناسُ غطونى تغطيت عنهمُ　　وإن بحثوا عنى ففيهم مباحثُ

---

(١) هو زند بن الجون، وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زيد ـ بالياء ـ وهو زيد بالنون . وهو كوفي ، نبغ فى أيام بنى العباس وانقطع الى أبى عباس والمنصور والمهدى فكانوا يصلونه .

وان حفروا بئري حفرت بئارهم   ليعلمَ قومٌ ماتضمّ النبائث(١)

﴿ معنى آخر ﴾

صديقك حينَ تستغنى كثيرٌ   ومالك عندَ فقرك من صديق
فلا تغضبْ على أحدٍ إذا ما   طوَى عنكَ الزِّيارةَ عند ضيق

فى مدح قوادة حاذقة :

تكادُ لو لم تك إنسيةً   تجرى من الانسانِ مجرَى الدم
لا تعصم الحسناءُ من كيدها   ولو ثوَتْ فى منزلِ الأعصم

وقول الآخر فى ذلك :

تُسهِّلُ كلَّ ممتنع عسيرٍ   وتأتى بالمرادِ على اقتصادِ
فلو كلفتها تحصيلَ طيفِ الـ   ـخيالِ ضحى لزارَ بلا رُقادِ

وقريبٌ من ذلك قول الآخر :

مَن ذمَّ إدريسَ فى قيادته   فاننى شاكرٌ لادريس
منّ يستصعب فجاءَ بهِ   أطوعَ من آدمٍ لابليس
وكانَ في سرعةِ المجيءِ بهِ   آصف فى حملِ عرشِ بلقيس

﴿ معنى آخر ﴾

ماازددتُ فى أدبى حرفاً أُسرّ بهِ   إلا تزيّدتُ حرفاً تحته شوم
انّ المقدَّم في حذقٍ بصنعتهِ   أنى توجّهَ منها فهو محروم

وقريب منه : ولربّما رُزِقَ الفتى بسكوته   ولربما حُرمَ الفتى ببيانه

ومن الجيِّد فى ذلك قول الآخر :

إذا اجتمعت فى امرءَينِ صناعةٌ   وأحببتَ أن تدرى الذى هو أحذق
فحيث يكون النقص فالمالُ واسعٌ   وحيث يكون الحذق فالرِّزق ضيق

---

(١) في نسخة « النوابث » وفى الأغانى « ليعلم يوماً كيف تلك النبائث » .

﴿ معنى آخر ﴾

إذا قلَّ مال المرءِ لانتْ قناته ... وهانَ على الأدنى فكيفَ الأباعد

ومثله قول الآخر: المرء يكرمُ للغنى ... ويهان للعدم العديم

وقال آخر: غضبان يعلم أن المالَ ساقَ له ... مالم يسقه له علمٌ ولا أدب

فمن يكنْ عن كرام الناس يسألني ... فأكرم الناسِ من كانت له نشب

وقال آخر: كفي حزناً أني أروح وأغتدي ... ومالي من مالٍ أصون به عرضي

وأكثر ما ألقى صديقي بمرحباً ... وذلك لا يغني الصديقَ ولا يرضي

وقال آخر في معناه:

أجلك قومٌ حين صرت الى الغنى ... وكلُّ غنيٍّ في القلوبِ جليل

وليس الغنى إلا غنى زيَّنَ الفتى ... عشيةَ يقرى أو غداةَ ينيل

﴿ ماورد في حظ الجاهل ﴾

فمن جملة ذلك قول الشاعر:

ومالبُّ اللبيبِ بغيرِ حظٍّ ... بأغنى في المعيشة من فتيل

رأيت الحظَّ يستر كل عيب ... وهيهات الحظوظ من العقول

والعرب تقول إسع بجد أودع. وقال الحارث بن حلزة:

والعيش خيرٌ في ظلا ... ل النوك ممن عاش كدَّا

وقلت: لكلِّ حرٍّ مبتلى ... يعيش في حال نكد

والنحسُ في طالعهِ ... أثبتُ من وصل وتد

فكن رقيعاً ساقطاً ... تصدرْ بحظٍّ وتردْ

وكنْ رفيعاً ماجداً ... واصبرْ على مالم ترد

هيهاتَ أن يحظى الفتى ... بجدِّ سعدٍ دون جد

وقال آخر: الجدُّ أنهضُ بالفتى من عقلهِ ... فانهضْ بجدٍّ في الحوادثِ أوذر

وإذا تعسرتهِ الأمورُ فارجها ... واستأنفِ الأمرَ الذى لم يعسر

ماأقربَ الأشياءَ حينَ يسوقها قَدَرٌ وأبعدها إذا لم يُقدر

﴿ الاستعانة بالجاهل فى وقت الحاجة ﴾

قال بعضهم: ولن يلبث الجهالُ أن يتهضموا أخا الحلم مالم يستعنْ بجهولِ

وقال الأحنف بن قيس :

وذى ضغنٍ أَمتُّ القولَ منه بحلم واستمرّ على المقال
ومن يحلم وليسَ لهُ سفيهٌ يلاقي المعضلاتِ من الرجال

وقال غيره : لا بُدَّ للسيدِ من أرماحِ ومن عـديدٍ يتقى بالرَّاح
ومن سفيهٍ دائم النباح

﴿ معنى آخر ﴾

وماالجودُ من فقرِ الرّجالِ ولاالغنى ولـكنـهُ خيمُ النفوس وخيرُها
فنفسك أكرِمْ عن أمورٍ كثيرةٍ فمالك نفسٌ بعـدها تستعيرُها
وقد تخدعُ الدُّنيا فيمسى غنيها فقيراً ويغنى بعـد بُؤسٍ فقيرُها
وكم طامع فى حاجـة لاينالها وكم(١) آيسٍ منها أتاهُ بشيرها

﴿ الاقتداء بالقرين ﴾

أجود ماقيل فيه قول رسول الله ﷺ «المَرءُ على دِينِ خليله(٢) »

ومن أقدم ماقيل فيه قول عدى بن زيد العبادي :

عن المرءِ لاتسألْ وأبصرْ قَرينَـهُ فانَّ القرينَ بالمقارنِ مُقتدى

---

(١) فى الأصل (ومن) . (٢) بقية الحـديث « فلينظر أحدكم منْ يخـالِل »
رواه أبو داود والترمذى وحسنه والبيهقى والقضاعى وغيرهم ، قال الشاعر :

عن المرءِ لاتسألْ وسلْ عن قرينه فـكلٌّ قرين بالمقارنِ يقتـدى
فان كان ذا شرٍّ فجنبه سُرعـةً وان كان ذا خيرٍ فقارنه تهتدى
اذا كنت في قومٍ فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردي مع الردى

وليس وصفه بالجيد . وقال غيره :

ولا يسل الانسان إلا قرينهُ وإنْ لم يكونا من قَبيلٍ ولا بلد

﴿ المأخوذ بذنب غيره ﴾

قال الشاعر فى ذلك :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليتَ به إنّ الفتى بابنِ عمّ السوءِ مأخوذ

ومن قديم ماقيل فى ذلك قول النابغة :

أحملتنى ذَنْبَ امرىء وتركتهُ كذى العُرّ يكوى غَيرَهُ وهو راتع

وقال غيره : إنى وقتلى سُليكاً ثم أعقله كالثورِ يُضربُ لما عافَتِ البقر

﴿ فى النهى عن الظلم قول الاول : ﴾

البغىُ يصرعُ أهله والظلم مرتعهُ وخيم

وقال النبي ﷺ « الظُّلْمُ ظُلماتٌ يومَ القِيامَة »(١). وقال بعضهم :

ظُلمك من خُلقك مُستخرَجٌ والظلمُ مشتقٌ من الظُّلمة

وقلت فى عاملٍ صودر :

لو أنصفَ الظالمُ من نفسهِ لأنصفَ الظالمُ فى نفسه

إن كانَ لايرحمُ فى يومهِ لكانَ لايرحمُ فى أمسه

﴿ ماورد فى الجبن ﴾

وأفاتنا هجين بنى سُليم يُفدّى المُهر من حُبّ الاياب

فلولا اللهُ والمُهرُ المُفدّى لأُبتَ وأنتَ غِربالُ الاهابِ

وقال آخر :

باتتْ تُشجّعنى هندٌ وقد علمتْ أنّ الشجاعَةَ مَقرُونٌ بها العطبُ

(١) حديث متفق عليه عن ابن عمر مرفوعاً ، ورواه مسلم وغيره عن جابر بلفظ « إتّقوا الظُّلْمَ فانّ الظُّلْمَ ظُلماتٌ يوم القيامة » .

يا هندُ لا والذى حجَّ الحجيجُ لهُ مايشتهى الموتَ عندى من له أدبُ

وقال آخر فى المعنى :

نجوتُ نجاءً لم يرَ الناسُ مثله كأنِّي عُقابٌ عندَ تيمن كاسِرُ

وقال آخر :

يقولُ لىَ الأميرُ بغيرِ شكٍّ تقدَّمْ حينَ جدَّ بنا المِرَاسُ

ومالى إن أطعتك من حياةٍ ومالى بعدَ هذا الرَّأسِ راس

﴿ ومن المضحكات قول الآخر ﴾

ألم ترنى وعمراً حينَ نغدو إلى الحاجاتِ ليس لنا نظيرُ

أسايرُه على يُمنَى يَديه وفيما بيننا رُجلٌ ضريرُ

ومن المضحكات قول القاسانى في الجُبن والتطفيل :

أرَى في النوم رُمحاً أوسِناناً فأسلحُ فى الفراشِ على مكانى

ولكنى المُبارزُ حينَ أُدعى إلى أكل العصيدةِ والفرانى

وماعمروٌ هناك أشدّ منى ولا العبسىُّ عنترة الطعان

ولازيد الفوارسِ حينَ أدنو فألقى بالكلاكل والجران

ترانى عندها ليثاً نفيراً إذا ماصطكَّ منى الماضغان

أشُدُّ على الخبيصةِ لاأبالى بأىّ جنوبها وقعتْ بنانى

وكم طبق رَدَدْتُ وليسَ فيه من البقلِ المحصل حبتان

﴿ الخلق من الثياب ﴾

قال الحمدونى :

طالَ تردَادُهُ إلى الرَّفو حتى لو بعثناهُ وحدَهُ لتهدّى

وقال آخرُ : قال غسّالىَ لما جئته قولاً صحيحا

ياعزيزى أنا لا أغسلُ بالصابونِ ريحا

وأحسن من ذلك كله وأشهرُ قول الآخر :

يا ابن حربٍ كسوتنى طيلساناً ملّ من صُحبة الزّمان وصدّا
إن تنحنحتُ فيه ينحز عيراً أو تحركتُ فيه ينقدّ قدّا

﴿ من أحب لبناته الموت ﴾

قال بعض الأعراب :

انى وإن سيقَ إلىّ المهرُ ألفٌ وعبدان وذودٌ عشرُ
أحبُّ أصهارى إلىّ القبرُ

وقال عُبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر :

لكلّ أبى بنتٍ يُراعى شؤونها ثلاثةُ أصهارٍ إذا طُلبَ الصهرُ
فبعلٌ يُراعيها وخدرٌ يكنها وقبرٌ يُواريها وخيرُهما القبرُ

جعل القبر خير الثلاثة الأصهار فانه نعم الصهر فى الستر . كلام الملحدين لعنهم الله :

فمنهم ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصى :

هى الدنيا وقد نعموا بأخرى وتسويفُ النفوس من السوافي
فان كذبوا أمنت وإن أصابوا فانّ المبتليك هو المُعافى
وأصدقُ ماأبثك ان قلبي بتصديقِ القيامةِ غير صافى

وقال ابن أبى البغل :

باحَ ضميرى بمُضمرِ الأمرِ وذاك أنى أقولُ بالدهرِ
وليسَ بعد المماتِ حادثةٌ وإنما الموتُ بيضةُ العقرِ

وقال آخرُ: ياناظراً فى الدين ماالأمر لاقدَرٌ صحّ ولا جبرُ
ماصح عندى من جميع الورى يُذكرُ إلا الموتُ والقبر

قبحهم الله لقد أعظموا القول ولم ينتفعوا إلا بالفضيحة فى الدنيا والاثم فى الآخرة . وانما أورد مثل هذا لتعرف أهله ولأن تسمية الكتاب توجبه . ونحوه

قول ابن الرومي وأجاد :

أيارب إن سويت بيني وبينه ... لما كان عدلاً أن نكون سواء
فكيف وقد أعليته وخفضتني ... فكنت له أرضاً وكان سماء

﴿ فصل آخر ﴾

كتب أبو الشيص إلى رجل كان وعده مخدة فأبطأت عليه :

ياصديقي وأخي في ... كل مايعرو وشده
ليت شعري هل زرعتم ... بذر كتان المخده .

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال أهدى بعض العمال إلى دعبل بن علي الخزاعي برذوناً زمناً فرده وكتب اليه :

وأهديته زمناً فانيا ... فلا للركوب ولا للثمن
حملت على زمن شاعراً ... فسوف يكافى بشعر زمن
أبا الفضل ذماً وغرماً معاً ... فما كنت ترجو بهذا الغبن

ووعد رجل دعبلاً نعلا يهديها اليه عند قدومه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي :

وعدت النعل ثم صدفت عنها ... كأنك تشتهي شتماً وقذفا
فان لم تهد لي نعلاً فكنها ... إذا أعجمت بعد النون حرفا

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال كتب إلي أبو علي البصير يستهديني بخوراً كنت أهديت منه إلى بعض إخواني ، والأبيات :

ياشقيقي وياخليلي إباء ... المرجي لكل خير ومير
أنت من أطيب الأنام بخوراً ... غير أني شممته عند غيري
وهو جم لديك فابعث بدرج ... منه إن لم أكن تعديت طوري

فكتبت اليه :

قد بعثنا اليك منه بدرج ... وأزرناك منه أطيب زور

بين ندٍّ وبينَ عودٍ مطرًّاً ... مالهُ مشبهٌ بنجدٍ وغورِ
أنتَ منه أزكي وأطيب عرفاً ... وهو أزكي من كل طيبٍ ونَور
ماتعدّيتَ فيه طورَكَ عندى ... فتبخر منهُ بأيمنِ طير

وحدثنى أبو أحمد عن أبيه عن أحمد قال حدثنى أبو دعامة الشاعرُ قال كتب العتابى إلى مالك بن طوق يستزيده ويستهديه ويدعوه إلى صلة الرحم والقرابة بينه وبينه وكان مما كتب : إن قرابتك من قرب منك خيره وإن ابن عمك من عمَّ نفعه وإن عشيرتك من أحسن معاشرتك وإن أحب الناس اليك أجداهم بالمنفعة عليك وإن أهداهم إلي مودتك من أهدى اليك ، ولذلك أقولُ :

ولقد بلوتُ الناسَ ثمَّ سبرتهم ... ووصلتُ ماقطعوا من الأسباب
فاذا القرابةُ لاتُقرِّبُ قاطعاً ... وإذا المودَّةُ أقربُ الانسابِ

قال أبو هلال رحمه الله : هذا آخر مارأينا تضمينه هذا الكتاب وبالله التوفيق والحمد لله حق حمده وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين ..

﴿ فهرس الجزء الثاني من ديوان المعاني ﴾

﴿اختلافات نسخة المتحفة البريطانية وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الثاني﴾
وأكثرها من استدراكات الأستاذ الدكتور كرنكو

الصفحة	السطر	
١	٤	عن نسختي
٤	٢٣	أتى بمطر
٦	٥	بمدامع لم
٦	١٠	دوالح ضمنت
٦	١١	حفل اللقاح
٦	١٢	سجم.. فواجم
٧	٨	لدماث
١٢	٢٢	بعميم النبت
١٣	٩،٢٢	وحوذان
١٥	٤	بن المعذل
١٥	٦	مغان
١٥	١٢	وشث
١٦	٢٢	الحماني
١٧	١٣	وجني رباها
١٨	١٤	تزحف
١٩	١	لعسجد
٢٠	٦	جاسد
٢٠	٩	لؤلؤ كالاقحوان
٢٠	١٢	مجتاز
٢٣	١	المعذل
٢٣	٨	تباري..مغدا
٣٢	٢	ودستنبوي
٣٣	٨	على كرات
٣٧	٢٢	قرط

الصفحة	السطر	
٤٣	١٢	في القدور
٤٩	١١	المفضل النكري
٥١	١	سعد بن
٥٣	٣،٤	عمرو بن
٥٥	٧	الجرور
٦٤	١٨	السواء عدونا
٦٤	١٩	المؤتقف
٦٤	٢٠	شهاب
٦٤	٢١	كالسيور
٦٥	١	أحمر عاتر
٦٦	١	تنحرى
٦٦	٦	جذل
٦٨	١٠	بن شهاب
٦٨	١١	وميض البيض
٧٠	٣	العضروط
٧١	٨	أخذ من
٧٢	٨	الدم
٧٣	٨	ومشلشلة: مفرقة
٧٧	٢	كأطباء
١٠٨	٥	عبدة بن الطبيب
١٠٨	٢٢	الأسعر
١٠٩	١٣	تارز
١٠٩	١٨	ثار عجاج
١٠٩	١٩	تنفش

الصفحة	السطر	
١٠٩	٢٠	زفته
١٠٩	٢٢	ضرار الغطفاني
١١٠	١٥	كالفدن
١١١	٢	على سواد
١١١	٤	عارضت
١١٢	١٩	تعلق بزي
١١٤	٧	تهارش عنده
١١٤	١٨	نوادي.. تدقق
١١٥	١	بقارح
١١٦	١٧	دكدك
١١٨	٦	مناذر
١١٩	١	رهواً
١٢١	٦	مضرحيات
١٢١	١٢	بخت مخيسة
١٢٢	١٧	حسبان
١٢٣	١١	البيت جون
١٢٤	١٨	أودى السفار
١٢٥	٩	السباب
١٢٥	١١	بهاشرق
١٢٧	٢١	جفار
١٢٨	٢٢	وفد الريح
١٣٢	٢٠	أظلافه نسق
١٣٤	١٦،٢٠	قعساء
١٣٥	٤	مثل الشراع

الصفحة	السطر		الصفحة	السطر		الصفحة	السطر	
١٤٠	١٣	فيه شنج	١٧٩	٢٢	معز الدولة	٢٤٢	١٧	يداشلج
١٤٢	١٣	يتفيد	١٨٣	١٨	تمر وأغفل	٢٤٢	١٨	وعند الشاه
١٤٢	١٤	شنج	١٨٣	١٩	يفعل	٢٤٣	٥	من الغمى
١٤٤	٤	كتحوط	١٨٣	٢٠	رام	٢٤٣	٦	بالكف أفطح
١٤٥	٩	لهازمه ... فلطح	١٨٥	٤	بسر بن ارطاة	٢٤٣	٧	أبه .. يقدح
١٤٦	١٧	بالعظاءة. التنضبة	١٨٧	٦	أرضاًفيها	٢٤٤	١٢	الهديل
١٤٧	١٠	لجرة	١٨٧	١٦	يحيي بن طالب	١٦	٢٣	دَيَمْ
١٤٧	١١	على الجذل	١٩٣	١٣	راح ركب	٥٧	٥	يتأكّل
١٥٠	١	تقافزت	١٩٤	٩	بأخلاق	٨٥	٩	ونواقدُ
١٥١	١٩	الشدق	١٩٩	١٧	عيابها	٩٢	٦	الهَـزار
١٥٢	٤	بعد شيبة	٢٠١	٢١	أبو الشعر	٩٦	١٦	وموادٌّ
١٥٥	٣	سواد اللثة	٢٠٨	٢١	أفر نجمشك	٩٦	١٧	وعدوّنا
١٥٥	٦	بخطمة	٢٠٩	١٣	بشؤبوبه	١٣٧	١٢	ولَباته
١٧٢	١٠	بان الاً ميروبان	٢١٥	١٨	مروان الجعدي	١٦٤	١٠	أدِبٌ
١٧٥	٣	ابن مناذر	٢١٦	٨ ، ٩	مكعت	١٧٦	١٢	جـذِيمة
١٧٥	٧	الخريمي	٢٢٠	١١	الزرقى			
١٧٥	١٥	عن شباة	٢٢٦	١٧	الارحبي			
١٧٥	١٨	وزدت بمازودتي	٢٢٦	٢٠	معشق			

٢٤١ ٢٣ مجتاب شملة برجد بسراته قذراً وأسلم ماسواه البرجد

﴿ فهرس لأسماء الشعراء مرتبة على الحروف ﴾

باعتبار الشهرة فى الأكثر

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(ز)

(س)

٣ منجد المقرئين وطبقات قراء العشرة لابن الجزرى (الورق الخشن ٢)
١٢٥ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى (وهو فى الزيادات على الكتب الستة) عشرة أجزاء.
٢٠٠ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد. وهو أجمع كتاب مطبوع فى التراجم ومهم الحوادث لألف سنة (ثمانية أجزاء، والورق الأصفر ١٦٠)
٣٠ كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى
١٢ الحاوى للفتاوى (من فقه وحديث وتفسير وأصول وتصوف ونحو..) للسيوطى
٢٠ ديوان المعانى (فى الشعر والنثر ونقدهما) لأبى هلال العسكرى.
٢ الطب الروحانى لابن الجوزى، ١ المسائل والأجوبة لابن قتيبة.
١٥ شرح أدب الكاتب للجواليقى (الورق الخشن ١٠).
١٥ تجريد التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد المسمى بالتقصى لحديث الموطأ وتراجم شيوخ الامام مالك واختلاف الموطآت لابن عبد البر.
٤ الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة (الاسمر ٣).
٤ المبهج فى تفسير شعراء الحماسة لابن جنى، ٣ دفع شبه التشبيه لابن الجوزى.
٦ الانتقاء فى فضائل الفقهاء: مالك والشافعى وأبى حنيفة وأصحابهم لابن عبد البر.
٦ القصد والأمم فى التعريف بأنساب العرب والعجم، والانباه على قبائل الرواه «
٢ إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ لابن طولون.
٦ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى (وهو كتاريخ للتاريخ الاسلامى).
١ الكشف عن مساوى المتنبى للصاحب بن عباد، وذم الخطأ فى الشعر لابن فارس.
٢٠ تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الامام أبى الحسن الأشعرى المعروف بطبقات الاشاعرة لابن عساكر (فيه زهاء ثمانين ترجمة) (الأسمر ١٦).
٣ شروط الأئمة الخمسة البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى.
٤ انتقاد (المغنى عن الحفظ والكتاب) للقدسى.
٨ جنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين للمحبى (وهو كمعجم للمثنيات العربية).
٤ أخبار الظراف والمتماجنين (من الرجال والنساء) لابن الجوزى.
٧ رسائل تاريخية لابن طولون: الفلك المشحون بأحوال محمد بن طولون، والشمعة المضية فى أخبار القلعة الدمشقية، والمعزة فى تاريخ المزة، والنكت التاريخية.
١ الحث على التجارة والصناعة والعمل والرد على من يدعى التوكل بترك العمل للخلال.
٢٥ ذيول تذكرة الحفاظ للحسينى وابن فهد والسيوطى والطهطاوى (الاسمر ٢٠)
١ بيان زغل العلم والطلب للذهبى، ٣ الدرة المضية فى الرد على ابن تيمية للسبكى.
٢ إتحاف الفاضل بالفعل المبنى لغير الفاعل لابن علان، ورسالة فى النحو للصناديقى
١ المتوكلى فيما وافق من العربية اللغات العجمية، وأصول الكلمات اللغوية للسيوطى
٥ التطفيل وأخبار الطفيليين وأشعارهم للخطيب البغدادى.

